المجلد الثاني من التفسيرين العجيبين

المسبوك عليهما سطور الذهب سبك اللجين

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام الحبر النحرير حاوى فضيلتى البيان والبنان فى التقرير والتحرير كاشف قناع المشكلات وموضح دلائل المعضلات مظهر الكنايات والاشارات منبع الدلى أفضل الورى علم الهدى ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريد دهره ووحيد عصره القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفى سنة (٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة والأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى الشافعى المعروف بالخازن فرغ من تأليفه سنة (٧٢٥) تغمده الله برحمته آمين

قد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين * الاول المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى الحنفى المتوفى سنة (٧٠١) عليه سحائب الرحمة والرضوان

الثانى تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة (٨١٧)

تنبيه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمى القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة وضعت انوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٧ هجرية

دار الطباعة العامرة

المجلد الثاني

فتبارك الله احسن الخالقين

* سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿ يأيها النـاس ﴾ خطـاب يعم بنى آدم ﴿ اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ هى آدم ﴿ وخلق منهـا زوجها ﴾ عطف على خلقكم أى خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعها أو محذوف تقديره

* تفسير سورة النساء وهى مدنية *

وهى مائة وخمس وسـبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وسـتة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله عزوجل ﴿ يأأيها الناس ﴾ خطاب للكافة فهو كقوله يابنى آدم ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أى احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال ﴿ الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعنى من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام وانما أنث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فانما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ يعنى حواء وذلك

سورة النساء

نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأأيها الناس) يابنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجهـا) معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحـدة انشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منهـا زوجها حواء من

السورة التى يذكر فيها النساء وهى كلهـا مدنية وكلماتها ثلاثة آلاف وتسعمـائة وأربعـون وحروفها ستة عشر ألفا وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عبـاس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (يأأيها الناس) عام وقد يكون خاصا (اتقوا ربكم) اطيعوا ربكم (الذى خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) من نفس آدم وحـدها وكانت نفس حواء فيها (وخلق منها) من نفس آدم (زوجها) حواء

ضلع من أضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب فى أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذى تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه فى كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب (واتقوا الله الذى تساءلون به) والاصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الارحام ان تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشئ واحد فاشبه العطف

من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ﴿ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى أن يكن أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها أو لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها. وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به ﴾ أى يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية فى السين. وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها ﴿ والارحام ﴾

ان الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الى فمال اليها وألفها لانها خلقت منه واختلفوا فى أى وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم انما خلقت فى الجنة بعد دخوله أياها ﴿ وبث منهما ﴾ يعنى نشر وأظهر من آدم وحواء ﴿ رجالا كثيرا ونساء ﴾ انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به ﴾ انما كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله ﴿ والارحام ﴾ قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها. وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا

(وبث منهما) خلق بالتوالد من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) خلقا كثيرا ذكرا وانثى (واتقوا الله) أطيعوا الله (الذى تساءلون به) بحق الله الحوائج والحقوق بعضكم من بعض (والارحام) بحق القرابة والارحام ان قرئت بنصب الميم يقول وصلوا الارحام ولا تقطعوها معطوفة الى قوله واتقوا الله

بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أوعلى الله أى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولاتقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهوضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك أى ممايتقى أويتساءل به وقدنبه سبحانه وتعالى اذقرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله ﴿ أن الله كان عليكم رقيبا ﴾ حافظا مطلعا ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ أى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لماجرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أوعلى انه جمع على يتمى كأسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده فى الآية اما للبلغ على الاصل أوالاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع اليهم أموالهم أول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أولغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب

من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ فى أثره فليصل رحمه * قوله ينسأ فى أثره أى يؤخر له فى أجله (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم * وعن الحسن قال من سألك بالله فأعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه ﴿أن الله كان عليكم رقيبا﴾ يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لايغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لايغيب عنه شئ من أمر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى * قوله عز وجل ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح

على بعض الكلمة (أن الله كان عليكم رقيبا) حافظا أو عالما (وآتوا اليتامى أموالهم) يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قدغلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لايتم بعد الحلم تعليم شريعة لالغة يعنى انه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم أبعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة الى ان لايؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار

(أن الله كان عليكم رقيبا) حفيظا يسألكم عما أمركم من الطاعة وصلة الارحام (وآتوا اليتامى) اعطوا اليتامى (أموالهم) التى عندكم بعد

الكبير ﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الامر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ﴿ ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ﴾ ولا تأكلوها مضمومة الى أموالكم أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف ﴿ أنه ﴾ الضمير للاكل ﴿ كان حوبا كبيرا ﴾ ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا ﴿ وأن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى

نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء * واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ﴿ ولا تتبدلوا ﴾ أي ولا تستبدلوا ﴿ الخبيث بالطيب ﴾ يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك ﴿ ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ﴾ يعني مع أموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم في الانفاق * واعلم ان الله تعالى نهى عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود ﴿ أنه كان حوبا كبيرا ﴾ يعني ان أكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم * قوله عز وجل ﴿ وأن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ﴾ يعني وان خفتم يا أولياء

(ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الى متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال أي مضافة الى اموالكم والمعنى ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (انه) ان أكلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وان خفتم ألا تقسطوا) أي لا تعدلوا أقسط أي عدل (في اليتامى) يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع

الرشد والبلاغ (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) يعني لا تأكلوا أموالهم الحرام وتتركوا أموالكم الحلال (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) أي مع أموالكم بالتخليط (أنه كان) يعني أكل مال اليتيم ظلما (حوبا كبيرا) ذنبا عظيما عند الله بالعقوبة نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم فلما نزلت هذه الآية قالوا نعزل اليتامى مخافة الاثم فانزل الله (وأن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) ان لا تعدلوا بين اليتامى في حفظ الاموال فكذلك

فانكحوا ماطاب لكم من النساء ﴾ أى ان خفتم ان لاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنابها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولايقدر على القيام بحقوقهن أوان خفتم ان لاتعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ان لاتعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لماعظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولايتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم

اليتامى أن لاتعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قوله تعالى وأن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء الى قوله أوماملكت أيمانكم قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى أكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عزوجل ويستفتونك فى النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لاتعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسىء صحبتها ويتربص بها الى أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته التى فى حجره فانفقه فقيل لهم لاتزيدوا على أربع حتى لايحوجكم الى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون فى النساء فيتزوجون ماشاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء أن لاتعدلوا فيهن فلاتتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح أربع فقال تعالى ﴿فانكحوا ماطاب لكم من النساء﴾ يعنى ماحل لكن من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو

يتيم لاغير (فانكحوا ماطاب لكم) ماحل لكم (من النساء) لان منهن ماحرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ماذهابا الى الصفة لان مايجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أوماملكت أيمانكم قيل كانوا لايتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ماحل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولايتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا اكثرن فكانه قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم أن لاتقسطوا فى نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت

حافوا ان لاتعدلوا بين النساء فى النفقة والقسمة وكانوا يتزوجون من النساء ماشاؤا تسعا أوعشرا وكان تحت قيس بن الحرث ثمان نسوة فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم مافوق الاربعة فقال (فانكحوا ماطاب لكم) فتزوجوا ماأحل الله لكم (من النساء

(بيان)

ان لاتعدلوا فى أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة أواجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ماملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لامزيدة أى وان خفتم ان تجوروا ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد ﴿ فأن خفتم ألا تعدلوا ﴾ بين هذه الاعداد أيضا ﴿ فواحدة ﴾ فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ

بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم فى هذه السورة بأن ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب ﴿ وقوله عز وجل ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ معناه اثنين اثنين وثلاثا وثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو بمعنى أو فى هذا الفصل لانه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على أربع فأربع لانه يضم عددا وأجمعت الامة على انه لايجوز لاحد أن يزيد على أربع نسوة وان الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لايشاركه فيها أحد من الامة ويدل على ان الزيادة على أربع غير جائزة وانها حرام ماروى عن الحرث بن قيس أو قيس بن الحرث قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا أخرجه أبو داود ﴿ عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فاسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرائر ولايجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك فى أحدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد أن يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعى بأن هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أوماملكت أيمانكم والعبد لايملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد ﴿ قوله عز وجل ﴿ فأن خفتم ﴾ يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم ﴿ ألا تعدلوا ﴾ يعنى بين الازواج الاربع ﴿ فواحدة ﴾

الثمرة اى أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فان قلت الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجئ بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جئ بأو مكانها لذهب معنى التجويز (فأن خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا أو

مثنى وثلاث ورباع) يقول واحدة او اثنتين او ثلاثا او اربعا لايزاد على ذلك (فأن خفتم ألا تعدلوا) بين أربع نسوة فى القسمة والنفقة (فواحدة) فتزوجوا امرأة واحدة

فاختاروا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال أعال يعيل اذا أكثر عياله وأجيب بان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك مايصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن)

حرة (أو ما ملكت أيمانكم) من الاماء لاقسمة لهن عليكم ولا عدة لكم عليهن (ذلك) تزويج الواحدة (أدنى) أحرى (ألا تعولوا) ان لا تميلوا ولا تجوروا بين أربع من النساء فى القسمة والنفقة (وآتوا) اعطوا (النساء صدقاتهن)

بالرفع على انه فاعل محذوف أو خبر تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذلك﴾ أى التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرى ﴿أدنى ألا تعولوا﴾ أقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان أريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما

يعنى فانكحوا واحدة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ يعنى وما ملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل مايلزم فى الحرائر ولا قسم لهن ﴿ذلك أدنى﴾ أى أقرب ﴿ألا تعولوا﴾ معناه أقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أى لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا مافرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعى وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم فى قوله ألا تعولوا أى لا تكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوى قول الشافعى لان الكسائى لا يحكى عن العرب الا ماحفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى أن يعجل الى انكار مالا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى فى هذا الموضع من تفسيره ورد على أبى بكر الرازى ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن أبى حاتم قال كان الشافعى أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعى ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال أبو صالح كان الرجل اذا زوج أيمه أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها لا قليلا

(ولا)

مهورهن (نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى ﴿٩﴾ النفوس بالاعطاء أو {سورة النساء} من الصدقات أى منحولة

على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة ﴿ نحلة ﴾ أى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه أياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها انظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء أو الحال من الواو او الصدقات أى آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله سبحانه وتعالى وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم ﴿ فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ﴾ الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة

كأنه فى الجلد توليع البهق

اذ سئل فقال اردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب ﴿ فكلوه هنيئا مريئا ﴾ فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة

ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهله وقال الحضرمى كان أولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج أمرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال ﴿ نحلة ﴾ يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى أخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لا يجب فى مقابلته غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج ﴿ قوله عز وجل ﴿ فان طبن ﴾ يعنى النساء المتزوجات ﴿ لكم ﴾ يعنى للازواج ﴿ عن شئ منه ﴾ يعنى من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز ﴿ نفسا ﴾ نصب على التميز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع ﴿ فكلوه ﴾ يعنى ماوهبنه لكم ﴿ هنيئا مريئا ﴾ يعنى طيبا سائغا وقيل الهنئ الطيب المساغ الذى

معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فان طبن لكم) الازواج (عن شئ منه) أى من الصداق اذ هو فى معنى الصدقات (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم أعلاما بان المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شئ (هنيئا) لا اثم فيه (مريئا) لا داء

مهورهن (نحلة) هبة لهن من الله فريضة (قا وخا ٢ نى) عليكم (فأن طبن لكم عن شئ منه) فان أحللن لكم من المهر شيأ (نفسا) بطيبة النفس (فكلوه هنيئا) بلا اثم (مريئا) بلا ملامة وكانوا

فيه فسرهما النبي عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلامطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لاتنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنئ مرئ وهذه عبارة عن المبالغة فى الاباحة وازالة التبعة

هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى أحدكم شيأ فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتربها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على أصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لانهم يلونها ويمسكونها (التى جعل الله لكم قياما) أى قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم وأولادكم قيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ماقبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى

والهنئ والمرئ صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أوجعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ مايلذه الانسان والمرئ ماتحمد عاقبته روى أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت ﴿ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لارشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل أحد ان يعمد الى ماخوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته وأولاده ثم ينظر الى أيديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله ﴿ التى جعل الله لكم قياما ﴾ أى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ماجعل الله لكم قياما وسمى مابه القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو

لاينغصه شئ والمرئ المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولاحق للولى فيه * قوله عزوجل ﴿ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لاتعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لاتعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذى يقومون عليك ثم تنظر الى مابين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لاينبغى له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته اياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وانما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلايجوز لوليه أن يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تميزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق أموالكم ﴿ التى جعل الله لكم قياما ﴾ يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن أنت قيم أهلك أنفق عليهم ولاتؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به قيام الحج والجهاد وأعمال

يتزوجون بلامهر (ولاتؤتوا السفهاء) لاتعطوا الجهال بموضع الحق من النساء والاولاد (أموالكم التي جعل الله لكم قياما) (البر)

مايقام به ﴿ وارزقوهم فيها واكسوهم ﴾ واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها مايحتاجون اليه ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ماانكره أحدهما لقبحه ﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه مايتصرف فيه ﴿ حتى أذا بلغوا النكاح ﴾ حتى اذا بلغوا حد البلوغ. بان يحتلم أو يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل الولد خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند أبى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده ﴿ فأن آنستم منهم رشدا ﴾ فان ابصرتم منهم رشدا

البر وفكاك الرقاب من النار ﴿ وارزقوهم فيها ﴾ أى أطعموهم ﴿ واكسوهم ﴾ يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه أمر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم اوقت معلوم محدود ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت أعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء أى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو ان يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وانا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع أطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم ومايصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل ❋ قوله عز وجل ﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم ﴿ حتى أذا بلغوا النكاح ﴾ أى مبلغ الرجال والنساء ﴿ فأن آنستم ﴾ أى أبصرتم وعرفتم ﴿ منهم رشدا ﴾ يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

فصل فى أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسئلة الاولى

الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لايتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده وأجرائه وتصرفه فى أحوال داره وتختبر المرأة فى أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه فى الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولايدفع اليه ماله

بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لامن صلب المال فيأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وكل ماسكنت اليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وماانكرته لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه مايتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجئ منه وفيه دليل على جواز اذن الصبى العاقل فى التجارة (حتى أذا بلغوا النكاح) أى الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ماهو مقصود به وهو التوالد (فأن آنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية فى التصرفات وصلاحا

اختبروا عقول اليتامى (حتى أذا بلغوا النكاح) الحلم (فأن آنستم منهم) فان رأيتم منهم (رشدا) صلاحا فى الدين وحفظا

معاشا (وارزقوهم فيها) اطعموهم فيها (واكسوهم) وكونوا أنتم القوام على ذلك فانكم أعلم منهم فى النفقة والصدقة بموضع الحق (وقولوا لهم) ان لم يكن لكم شئ (قولا معروفا) عدة حسنة أى أكسو وسأعطى (وأبتلوا اليتامى)

وقرئ احستم بمعنى احسستم ﴿ فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن أن الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها

في المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أي طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة

في المال (فأدفعوا اليهم اموالهم

وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد

المسئلة الثانية

قال الامام ابو حنيفة رحمه الله تعالى تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي رحمه الله تعالى هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى أمر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فأن آنستم منهم رشدا ﴿ فأدفعوا اليهم أموالهم ﴾ وانما تدفع اليهم أموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد

المسئلة الثالثة

في بيان البلوغ وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فأحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني أخرجاه في الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء أنزل باحتلام أو جماع فاذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كما في أولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق أولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم

(بخلاف)

ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ﴿ولاتأكلوها أسرافا

بخلاف الكفار فانه لايوقف على مواليدهم ولايقبل فى ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذى هو امارة البلوغ بلوغا فى حقهم وأما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها أقل مدة الحمل

﴿المسئلة الرابعة﴾

فى بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا فى دينه وماله فالصلاح فى الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال هو ان لايكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لايكون محمدة دنيوية ولامثوبة أخروية أولا يحسن التصرف فيغبن فى البيع والشراء فاذا بلغ الصبى وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولاينفذ تصرفه فى ماله وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لايدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعى فى استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لايكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لايجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن

﴿المسئلة الخامسة﴾

اذا بلغ الصبى أو الجارية وأونسى منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج أولم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لايدفع اليها المال مالم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولاينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب

﴿المسئلة السادسة﴾

اذا بلغ الصبى رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا فى دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثانى ان لايحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبى حنيفة لاحجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال على لآتين عثمان ولاحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك فى بيعك فاتى على عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل فى بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * قوله عزوجل ﴿ولاتأكلوها أسرافا﴾ الخطاب للاولياء يعنى يامعشر الاولياء لاتأكلوا أموال

(ولاتأكلوها أسرافا
التى عندكم (ولاتأكلوها أسرافا) فى المعصية

وبدارا أن يكبروا) ولاتأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحال وان يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعفف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة ووارى العورة (فأذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم)

وبدارا أن يكبروا ﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم أو لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ من أكلها ﴿ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام أن رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراده هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى ﴿ فأذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ﴾

اليتامى بغير حق ﴿ وبدارا أن يكبروا ﴾ يعنى لاتبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ❊ ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ أى فليمتنع من أكل مال اليتيم ولايرزؤه قليلا ولا كثيرا ﴿ ومن كان فقيرا ﴾ يعنى محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ﴿ فليأكل بالمعروف ﴾ روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى فقير وليس لى شئ ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل. واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبى العالية وعبيدة السلمانى وأبى وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا فى أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولاقضاء بل يكون مايأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبى والنخعى وقتادة قال الشعبى لايأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا فى قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف أصابعه ولايسرف ولايكتسى منه ولايلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل مايسد به الجوع ويلبس مايستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولاقضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيأ فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبى المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيأ وروى أن رجلا قال لابن عباس ان لى يتيما وان له أبلا أفاشرب من لبن أبله فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان كنت تبغى ضالة أبله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولاناهك فى الحلب وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولاقضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم ❊ قوله عز وجل ﴿ فأذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ﴾

حراما (وبدارا) مبادرة كبر اليتيم الى أكلها الاول فالاول (أن يكبروا) مخافة أن يكبروا فيمنعوكم عن ذلك (ومن كان غنيا) عن مال اليتيم (فليستعفف) بغناء عن مال اليتيم ولايرزأ أى لاينقص منه شيأ (ومن كان فقيرا) محتاجا (فليأكل) من الذى له (بالمعروف) بالتقدير لكى لايحتاج الى مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف بقدر مايعمل فى مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف بالقرض ليرد عليه (فأذا دفعتم اليهم أموا لهم) بعد الرشد والبلوغ (فاشهدوا عليهم)

(هذا)

بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب أو هو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود الى ما ترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مفروضا) مقطوعا لابد لهم من أن يحوزوه روى ان أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله تعالى قد جعل

بأنهم قبضوها فانه انفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق فى دعواه الا ببينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابى حنيفة ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون﴾ يريد بهم المتوارثين بالقرابة ﴿مما قل منه أو كثر﴾ بدل مما ترك باعادة العامل ﴿نصيبا مفروضا﴾ نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله أو حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه

هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به * قوله عز وجل ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون﴾ نزلت هذه الآية فى أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها أم كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا لبناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كحة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندى ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا لبناته منه شيأ وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث ﴿وللنساء نصيب﴾ يعنى وللاناث من أولاد الميت حظ ﴿مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر﴾ يعنى من المال المخلف عن الميت ﴿نصيبا مفروضا﴾ يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيأ فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل

عند الدفع (وكفى بالله حسيبا) شهيدا نزلت فى ثابت ابن رفاعة الانصارى * ثم ذكر نصيب الرجال والنساء من الميراث لانهم كانوا لا يعطون النساء والصبيان من الميراث شيأ فقال (للرجال نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) فى الرحم (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) فى الرحم (مما قل منه أو كثر) يقول ان كان الميراث قليلا أو كثيرا (نصيبا مفروضا) حظا معلوما قليلا كان أو كثيرا ولم يبين كم هو ثم بين بعد ذلك نزلت فى أم كحة وبناتها كان لهن عم لا يعطيهن شيأ

دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه * روى أن اوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى تبين فنزل يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخر البيان عن وقت الخطاب ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾ ممن لا يرث ﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير

فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى أم كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقى المال * قوله عز وجل ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين ﴿أولوا القربى﴾ يعنى القرابة الذين لا يرثون ﴿واليتامى والمساكين﴾ انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم ﴿فارزقوهم منه﴾ أى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول أبى موسى الاشعرى والحسن وأبى العالية والشعبى وعطاء بن أبى رباح وسعيد ابن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر أمر وجوب أو ندب على قولين أحدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى ان يعتذر اليهم ويقول أنى لا أملك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولى أو الوصى انى لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين أن عبيدة السلمانى قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحى من قسمته والقول

لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (وإذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم) فاعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ

(وإذا حضر القسمة) عند قسمة الميراث (أولوا القربى) قرابة الميت الذى ليس بوارث (واليتامى) يتامى المؤمنين قبل القسمة (والمساكين) مساكين المؤمنين (فارزقوهم منه) أعطوهم من الميراث شيأ قبل القسمة

لماترك أومادل عليه القسمة ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ماأعطوهم ولا يمنوا عليهم ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ﴾ أمر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم مايحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الايصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان

الثانى ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الموصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ هو أن لا يتبع العطية بالمن والاذى * قوله عز وجل ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ﴾ يعنى أولادا صغارا ﴿ خافوا عليهم ﴾ يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء أولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكأنه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصى بالثلث أو باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة

بآية الميراث (وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ماأعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم

(وقولوا لهم) ان لم يكن الوارث بالغا (قولا معروفا) عدة حسنة أى سأوصيه حتى يعطيك شيأ (وليخش الذين) يحضرون المريض ويأمرون أن يوصى أكثر من الثلث على أولاد المريض الضيعة بعد موته (لو تركوا من خلفهم) بعد موتهم (ذرية ضعافا) عجزة عن الحيلة (خافوا عليهم) الضيعة وكذلك خافوا على أولاد الميت ويقال مر الميت ماكنت آمرا النفسك ولتخش على ضيعة أودلاهم كما تخشى على ضيعة أولادك وكانوا يحضرون المريض ويقولون له أعط مالك لفلان وفلان حتى يستغرق ماله كله ولا يترك لاولاده شيأ فنهاهم الله عن ذلك ثم قال

يحب لاولاد غيره مايحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ أمرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ماأمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى اذ لاينفع الاول دون الثانى ثم أمرهم ان يقولوا لليتامى مثل مايقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب أو للمريض مايصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو ان يقولوا فى الوصية مالا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ﴿أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ ظالمين أو على وجه الظلم ﴿انما يأكلون فى بطونهم﴾ ملء بطونهم ﴿نارا﴾ مايجر الى النار ويؤل اليها وعن أبى بردة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر

انهم أوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه أو وصيه وليفعل به مايحب أن يفعل بأولاده من بعده ﴿فليتقوا الله﴾ يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره ﴿وليقولوا قولا سديدا﴾ يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمره ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقى لولده وورثته وان لايحيف فى وصيته والقول السديد من الاوصياء وأولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون أولاده ولايؤذوهم بقول ولافعل ﴿قوله عز وجل ﴿أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ قال مقاتل وابن حبان نزلت فى رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعنى حراما بغير حق ﴿انما يأكلون فى بطونهم نارا﴾ يعنى سيأكلون يوم القيامة فسمى الذى يأكلون نارا بما يؤول اليه أمرهم يوم القيامة قال السدى يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بآكل مال اليتيم وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام والمراد ان أكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه

(فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) المراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لايجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما فى حيزه صلة للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لوشارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيابنى وياولدى (أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أى يأكلون مايجر الى النار فكأنه نار روى انه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال

(فليتقوا الله) فليخشوا الله فيما يأمرونه فوق الثلث (وليقولوا) للمريض (قولا سديدا) عدلا فى الوصية (أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) غصبا (انما يأكلون فى بطونهم نارا) يعنى حراما ويقال يجعل فى بطونهم نارا يوم القيامة

ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ﴿وسيصلون سعيرا﴾ سيدخلون نارا وأى نار * وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها ﴿يوصيكم الله﴾ يأمركم ويعهد اليكم ﴿فى أولادكم﴾ فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ أى يعد كل ذكر بانثيين حيث أجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به

معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعينى وسمعت بأذنى ﴿وسيصلون سعيرا﴾ يعنى بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فأخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة فى المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح فى أموال اليتامى والاحسان اليهم وهو أعظم القرب * قوله عز وجل ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما يمشيان فوجدانى أغمى علىّ فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع فى مالى كيف أقضى فى مالى فلم يجبنى بشئ حتى نزلت آية الميراث وفى رواية فقلت لا يرثنى الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفى رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله فى أولادكم وفى رواية أخرى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخارى ومسلم وقال مقاتل والكلبى نزلت فى أم كحة امرأة أوس ابن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت فى سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضى الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ابن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا ان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتى سعد الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقى فهو لك أخرجه الترمذى وقال السدى كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان=

مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (فى أولادكم) فى شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أى اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله

(وسيصلون سعيرا) نارا وقودا فى الآخرة نزلت فى حنظلة بن شمردل ثم بين نصيب الذكر والانثى فى الميراث فقال (يوصيكم الله) يبين الله لكم (فى أولادكم) فى ميراث أولادكم بعد موتكم (للذكر مثل حظ الانثيين) نصيب الانثيين

=الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية الكريمة * وقبل الشروع فى تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن أحكام الفرائض وأصول قواعدها

فصل فى الحث على تعليم الفرائض

اعلم ان علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وأفضلها ذكرا وهى ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا فى فروعها وأصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض أخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فانى امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجد ان أحدا يخبرهما * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو أول علم ينسى وهو أول شئ ينزع من أمتى أخرجه ابن ماجه والدارقطنى

فصل فى بيان أحكام الفرائض

اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه ومافضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام أوللاب وان سفل والعم للاب والام أوللاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لايلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ مافضل عن أصحاب الفرائض

فصل

وأسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لايرث المسلم=

(ولا)

= ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم وأديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى وأحمد واسحق لما روى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والذى العمل عليه عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

فصل

والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام أو للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وأبوان والاخرى زوجة وأبوان فأن للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد أو ولد ابن أو اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد مع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو أنثى وفرض بنات الا بن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس =

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

فصل

روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم وأنثاهم كأنثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس وأما الثانى وهو حجب الحرمان فهو أن الام تسقط الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زين بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى وأحمد وأولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبى الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان لاب وأم أو لأب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لأب وأم أولى ثم العم لاب وأم ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لاب وأم أو لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من فى درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولاشئ لبنت الابن فان كان فى درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن ابن كان الباقى بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أو للاب تكون مع البنت

(عصبة)

﴿ فأن كن نساء ﴾ أى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات ﴿فوق اثنتين﴾ خبر ثان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين ﴿ فلهن ثلثا ما ترك ﴾ المتوفى منكم ويدل عليه المعنى

عصبة حتى لومات عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقى وهو النصف للاخت ولومات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقى للاخت ويدل على ذلك ماروى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وأت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبى موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما أنا من المهتدين ثم قال أقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس من تكملة الثلثين وما بقى فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألونى مادام هذا الحبر فيكم أخرجه البخارى ❁ وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أى يعهد اليكم ويفرض عليكم فى أولادكم يعنى فى امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعنى ان الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم وما بقى بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين ﴿ فأن كن ﴾ يعنى المتروكات من الاولاد ﴿ نساء فوق اثنتين ﴾ يعنى بنتين فصاعدا ﴿ فلهن ثلثا ما ترك ﴾ واجمعت الامة على أن للبنتين الثلثين الا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فأن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على الثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفى حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى أن فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فأن كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتى سعد بن الربيع

(فأن كن نساء) أى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) أى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت

(فأن كن نساء) بنات ولد الصلب (فوق اثنتين) ابنتين أو أكثر من ذلك (فلهن ثلثا ما ترك) من المال

(وأن كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة منفردة واحدة مدنى على كان التامة والنصب أوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما ما قلت حكمهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال فى آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر اذا لم يكن معه أنثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى (ولابويه) للميت والمراد الاب والام الا أنه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية (له) وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك أن كان له ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فأن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث)

﴿وأن كانت واحدة فلها النصف﴾ أى وان كانت المولودة واحدة، وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذ كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحرى ان تستحقه مع أخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ﴿ولابويه﴾ ولابوى الميت ﴿لكل واحد منهما﴾ بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد ﴿السدس مما ترك أن كان له﴾ اى للميت ﴿ولد﴾ ذكر أو أنثى غير أن الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض أيضا بالعصوبة ﴿فأن لم يكن له ولد وورثه أبواه﴾ فحسب ﴿فلامه الثلث﴾

وهذا نص واضح فى المسئلة * قوله عز وجل ﴿وأن كانت واحدة﴾ يعنى البنت واحدة ﴿فلها النصف﴾ يعنى فرضا لها ﴿ولابويه﴾ يعنى أبوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك أن كان له ولد﴾ يعنى أن للاب والام مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فأذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقى من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقى بالتعصيب ﴿فان لم يكن له ولد﴾ يعنى للميت ﴿وورثه أبواه فلامه الثلث﴾ يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس

(وأن كانت) ابنة (واحدة فلها النصف) من المال (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك) من المال (أن كان له) للميت (ولد) ذكر او أنثى (فأن لم يكن له) للميت (ولد) ذكر او أنثى (وورثه أبواه فلامه الثلث) ومابقى

مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه قال فلهما ماترك أثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث مابقى من فرضه كما قاله الجمهور لاثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع ﴿ فأن كان له أخوة فلامه السدس ﴾ باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لايرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له أخوة من غير اعتبار الثلث سواء كان من الاخوة أو الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لايحجب الام من الثلث

له وارث سواهما فأن الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما أثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فأن كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة ﴿ فأن كان له ﴾ يعنى للميت ﴿ أخوة ﴾ يعنى ذكورا أو اناثا ﴿ فلامه السدس ﴾ يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها أب وأجمع العلماء على أن الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد أو الاخت الواحدة لاتحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا فى الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لاتحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الأن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له أخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يابنى ان قومك حجبوها باخوين ولاأستطيع نقض أمر قد كان قبلى وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا فى أقل الجمع وفيه قولان أحدهما ان أقل الجمع اثنان وهو قول القاضى أبى بكر الباقلانى وجهة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان أصل الجمع ضم شئ الى شئ وقال ابن الانبارى التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور فى كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبا كما والقول الثانى ان أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز فى اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لايرثون شيأ ألبتة بل يأخذ الاب الباقى كرجل مات عن أبوين وأخوين فأن للام السدس والباقى وهو خمسة أسداس للاب سدس بالفريضة والباقى بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير أن يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم

أى مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث مابقى بعد اخراج نصيب الزوج لاثلث ما ترك لان الاب أقوى من الام فى الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الا ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلى لمجاورة كسر اللام (فأن كان له) أى للميت (أخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لايحجب والاعيان والعلات والاخياف

فللاب (فأن كان له) للميت (أخوة) من الاب والام اومن الاب أو من الام (فلامه السدس

فى حجب الام سواء (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصى بها) وما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد ويحيى ووافق الاعشى فى الاولى وحفص فى الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصادين أى يوصى بها الميت (أو دين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة والجواب ان أو لا تدل على الترتيب ألا ترى انك اذا قلت جاءنى زيد أو عمرو كان المعنى جاءنى أحد الرجلين فكان التقدير فى قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدأ (وابناؤكم) عطف عليه والخبر (لاتدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة فى موضع نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عليه حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لاتدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من

(وسبقة)

مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص أخذا بالظاهر * وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها (من بعد وصية يوصى بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين وانما قال بأو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور * وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿ آباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم اقرب لكم نفعا ﴾ أى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان أحد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض

وينفق عليهم دون الام ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ يعنى ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت فى ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين فى اللفظ لا فى الحكم لان لفظة أو لا توجب الترتيب وانما هى لاحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما الى الآخر قال على رضى الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على أن الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة * قوله عز وجل ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا ﴾ قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة فان كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة

من بعد وصية يوصى بها أو دين) من بعد قضاء دين على الميت واستخراج وصية يوصى بها الى الثلث (آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون) أنتم فى الدنيا (أيهم أقرب لكم نفعا) فى الآخرة فى الدرجات ويقال فى الدنيا

الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) في كل مافرض وقسم من المواريث وغيرها (ولكم نصف ترك ما أزواجكم) أي زوجاتكم) ان لم يكن لهن ولد) أي ابن أو بنت (فأن كان لهن ولد) منكم أو من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فأن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين) والواحد والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ

مؤكد لامر القسمة أو تنفيذ الوصية ﴿فريضة من الله﴾ مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ﴿أن الله كان عليما﴾ بالمصالح والرتب ﴿حكيما﴾ فيما قضى وقدر ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم أن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن﴾ أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وان سفل ذكرا كان أو انثى منكم أو من غيركم ﴿من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فأن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا أولاد الام والمعتق

وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لاتعلمون أيهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لايستحق مالا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث ﴿فريضة من الله﴾ يعني ماقدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة ﴿أن الله كان عليما حكيما﴾ يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة أقوال *أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك *الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل على الله ما شاهدتم *الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب * قوله عز وجل ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج ﴿ولهن﴾ يعني للزوجات ﴿الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فأن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين *واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن في الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى

في الميراث (فريضة من الله) عليكم قسمة المواريث (أن الله كان عليما) بقسمة المواريث (حكيما) فيما بين نصيب الذكر والانثى (ولكم نصف ما ترك ازواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكرا وأنثى منكم أو من غيركم (فان كان لهن ولد) ذكر او انثى منكم او من غيركم (فلكم الربع مما تركن) من المال (من بعد وصية يوصين بها اودين) من بعد قضاء الدين عليهن واستخراج وصية يوصين بها الى الثلث (ولهن الربع مما تركتم) من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن (فان كان لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن (فلهن الثمن مما تركتم) من المال (من بعد وصية توصون بها أو دين) من بعد قضاء دين عليكم من المال واستخراج وصية توصون

والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن ﴿وأن كان رجل﴾ أى الميت ﴿يورث﴾ أى يورث منه من ورث صفة رجل ﴿كلالة﴾ خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد * وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر أو حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فآليت لا ارثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى ألاقى محمدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى ﴿أو امرأة﴾ عطف على رجل

ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها * قوله عز وجل ﴿وأن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ تقدير الآية وان كان رجل أو أمرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبى قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان أراه ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله أن أرد شيأ قاله أبو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت وأحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على ابن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى

اثنين (وأن كان رجل) يعنى للميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أى وان كان رجل يورث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة)

بها الى الثلث (وأن كان رجل) لا ولد له ولا والد له ولا قرابة له من الولد أو الوالد (يورث كلالة) يورث ماله الى كلالة والكلالة هى الاخوة والاخوات من الام (أو امرأة) او كانت امرأة مثل ذلك ويقال الكلالة ماخلا الولد والوالد ويقال الكلالة هى المال الذى لا يرث والد ولا ولد

﴿ وله ﴾ أى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ﴿أخ أو أخت﴾ أى من الام ويدل عليه قرأءة أبى وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الام فانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لايليق بأولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها ﴿فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ﴾ سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية أنهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كما لايرثون مع البنت

من الورثة وهو قول أبى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا أن الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثنى كلالة أى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد فأن كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لاولد له ولا والد والحى والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شئ ماأعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر رضى الله عنه قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر فى الخمر (ق) عن معدان بن أبى طلحة رضى الله عنه قال خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى لاأدع بعدى شيأ أهم عندى من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ مازاجعته فى الكلالة وما أغلظ لى فى شئ ماأغلظ لى فى الكلالة حتى طعن باصبعه فى صدرى وقال ياعمر ألا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لايقرأ القرآن لفظ مسلم * قوله ألا يكفيك آية الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل فى الكلالة آيتين أحداهما فى الشتاء وهى التى فى أول سورة النساء والآية الاخرى فى الصيف وهى التى فى آخر السورة وفيها من البيان ماليس فى آية الشتاء فلذلك أحاله عليها * قوله عز وجل ﴿وله أخ أو أخت فكل واحد منهما السدس ﴾ أراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم * فأن قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه * قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا فى الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما الى الآخر وربما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا ﴿ فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثالث ﴾ وهذا أجماع العلماء أن أولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون فى الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق فى خطبته ألا ان الآية التى

عطف على رجل (وله أخ أو أخت) أى لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت أما افراده فلان أو لاحد الشيئين وأما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به أو يرجع الى أحدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء فى الثلث) لانهم يستحقون بقرابة الام وهى لاترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على

(وله) للميت (أخ أو أخت) من أمه (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) الذكر والانثى فيه سواء

وبنت الابن فخص فيه بالاجماع ﴿ من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار ﴾ أى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أوقصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم

أنزل الله فى أول سورة النساء من شأن الفرائض أنزلها فى الولد والوالد والام والآية الثانية فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التى ختم الله بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التى ختم بها سورة الانفال أنزلها الله فى أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * قوله عز وجل تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أودين﴾ تقدم تفسيره وبقى شئ من الاحكام يذكر هنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفى معنى الآية ماروى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه * وفى رواية له شئ يريد أن يوصى به أن يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الاووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبدالله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الاوعندى وصيتى مكتوبة أخرجاه فى الصحيحين * فى ظاهر الآية والحديث مايدل على اطلاق الوصية لكن ورد فى السنة مايدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن أبى وقاص قال الثلث و لثلث كثير انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على أن الوصية لاتجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولاتجوز الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذى حق حقه فلاوصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر أخرجه الترمذى والنسائى * عن أبى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلاوصية لوارث أخرجه أبو داود * قوله عز وجل ﴿غير مضار﴾ يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية وهو ان يوصى باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه أو يقر بماله أو أكثر ماله لاجنبى ويترك ورثته * عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أودين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه أبوداود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرار فى الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار فى الوصية من الكبائر لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار فى الوصية فدل على أن ذلك من الكبائر * واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت

على الانثى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة (غير مضار) حال ى يوصى بها وهو غير مضار ورثته وذلك بان يوصى زيادة على الثلث أو لوارث

(من بعد وصية يوصى بها ودين) من بعد قضاء الدين عليه واستخراج وصية وصى بها الى الثلث (غير مضار) للورثة وهو ان

(وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار أو عدل فى وصيته (حليم) على الجائر لايعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فأين ذوالحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا كما كان رجال فاعل مايدل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب الا ان يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والاخوات لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد عند أبى حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد والاب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وان سفل ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقى والجد وهو أبو الاب وهو كالاب عند عدمه الا فى رد الام الى ثلث مايبقى والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أى جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث مايبقى بعد فرض أحد الزوجين فى زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع ﴿يعنى﴾ • والعصبات وهم الذين يرثون مابقى من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخواتهن لاغيرهن وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لايجوز لهم أن

﴿ وصية من الله ﴾ مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة أى لاتضار وصية من الله وهو الثلث فادونه بالزيادة أو وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب ﴿ والله عليم ﴾ بالمضار وغيره ﴿ حليم ﴾ لايعاجل بعقوبته ﴿ تلك ﴾ اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى أمر اليتامى والوصايا والمواريث ﴿ حدود الله ﴾ شرائعه التى هى كالحدود المحدودة

فى قدر مايخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به ان لايوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد ابن أبى وقاص انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة * وقوله عز وجل ﴿ وصية من الله ﴾ أى فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم ﴿ والله عليم ﴾ يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لايجور ﴿ حليم ﴾ يعنى انه تعالى ذو حلم وذو اناة فى ترك العقوبة عمن جار فى وصيته وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لايستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأنى الذى لايعجل بالعقوبة * قوله عز وجل ﴿ تلك حدود الله ﴾

يوصى **فوق الثلث** (وصية من الله) فريضة من الله عليكم قسمة المواريث (والله عليم) بقسمة المواريث (حليم) فيما يكون بينكم من الجهل والخيانة فى قسمة المواريث لايعجلكم بالعقوبة (تلك حدود الله) هذه

تجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدنى وشامى (وله عذاب مهين) لهوانه عندالله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها فى حق الكفار اذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصى فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبى ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (واللاتى) هى جمع التى وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين

أحكام الله وفرائضه (ومن يطع الله ورسوله) فى قسمة المواريث (يدخله جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) يقول خالدا فى الجنة لا يموت ولا يخرج منها (وذلك الفوز العظيم) النجاة الوافرة بالجنة (ومن يعص الله ورسوله) فى قسمة المواريث (ويتعد حدوده) يتجاوز أحكامه وفرائضه بالميل والجور (يدخله نارا خالدا فيها) دائما فى النار الى ماشاء الله (وله عذاب مهين) يهان به ويقال شديد (واللاتى يأتين الفاحشة) يعنى الزنا (من نسائكم) من حرائركم المحصنات (فاستشهدوا عليهن) على العورتين (أربعة منكم) ﴿اطلبوا﴾

التى لا يجوز مجاوزتها ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له ﴿واللاتى يأتين الفاحشه من نسائكم﴾ أى يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال

يعنى الاحكام التى تقدم ذكرها فى هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حدالله من فرائضه ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ يعنى فى شأن المواريث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه ﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله﴾ يعنى فى شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ﴿ويتعدد حدوده﴾ يعنى ويتجاوز ما أمر الله تعالى به ﴿يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ فأن قلت كيف قطع للعاصى بالخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون فى النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبى يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعتزلة والله أعلم * قوله عز وجل ﴿واللاتى﴾ هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة ﴿يأتين الفاحشة﴾ يعنى يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة حتى يبلغ الغاية فى جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة ههنا هى الزنا وانما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه ﴿من نسائكم﴾ قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ يعنى من المسلمين وهذا خطاب للازواج أى

المؤمنين تشهدوا عليهن ﴿فأن شهدوا فامسكوهن فى البيوت ﴾ فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن ﴿ حتى يتوفاهن الموت ﴾ يستوفى أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى أوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزانى ﴿ أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغنى عن السفاح

(فأن شهدوا) بالزنا (فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) أى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (أو يجعل الله لهن) قيل أو بمعنى الأأن (سبيلا) غير هذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم

من أحراركم (فأن شهدوا) كما ينبغى (فامسكوهن فى البيوت)فاحبسوهن فى السجن (حتى يتوفاهن الموت) يمتن فى السجن (أو يجعل الله لهن سبيلا) مخرجا بالرجم فنسخ حبس

اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أى اسمعوا شهادة أربع عليهن ويشترط فى هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة سترا يستركم به دون فواحشكم ﴿ فأن شهدوا ﴾ يعنى الشهود بالزنا ﴿ فامسكوهن فى البيوت ﴾ أى فاحبسوهن فى البيوت والحكمة فى حبسهن ان المرأة انما تقع فى الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست فى البيت لم تقدر على الزنا ﴿ حتى يتوفاهن الموت ﴾ يعنى تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ وهذا الحكم كان فى أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فبقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

فصل

اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا فى ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية الحد التى فى سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابى لم يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن فى البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها وأجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورجم المحصن وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة فى نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا فى جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة

بالحجارة (واللذان) يريد الزانى والزانية وبتشديد النون مكى (يأتيانهامنكم) أى الفاحشة (فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير
وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فأن تابا) عن الفاحشة وأصلحا وغيرا
الحال (فاعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (أن الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه

﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعنى الزانية والزانى* وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين ﴿فآذوهما﴾ بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير اوالجلد ﴿فأن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما﴾ فاقطعوا عنهما الايذاء أواعرضوا عنهما بالاغماض والستر ﴿أن الله كان توابا رحيما﴾ علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى

وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزانى الرجم وحده لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأماتغريب البكر الزانى ونفيه سنة فمذهب الشافعى وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لايقضى بالنفى أحد الاأن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعى لانفى على النساء ويروى مثله عن على قال لان المرأة عورة وفى نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعى وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبابكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزانى عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزانى مجنونا أوغير بالغ فلا جلد عليه *قوله عز وجل ﴿واللذان﴾ هو تثنية الذى ﴿يأتيانها﴾ يعنى يأتيان الفاحشة ﴿منكم﴾ يعنى من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية بالقول والفعل ﴿فآذوهما﴾ يعنى عيروهما بالقول باللسان وهوأن يقال له أما خفت الله أما استحيت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفى رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال ﴿فأن تابا﴾ يعنى من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ يعنى العمل فيما يأتى ﴿فأعرضوا عنهما﴾ أى اتركوهما ولاتؤذوهما ﴿أن الله كان توابا رحيما﴾ يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان فى ابتداء الاسلام كان حد الزانى الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا

(تأخذكم)

قال الحسن أول مانزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لاغير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لابى

المحصنة بالرجم (واللذان يأتيانها) يعنى الفاحشة (منكم) من أحراركم وهوالفتى والفتاة زنيا (فآذوهما) بالسب والتعيير (فأن تابا) من بعد ذلك (وأصلحا) فيما بينهما وبين الله (فأعرضوا عنهما) عن السب والتعيير (أن الله كان توابا) متجاوزا (رحيما) وقد نسخ السب والتعيير للفتى والفتاة

حنيفة رحمه الله فى انه يعزر فى اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى فى اللواطة (أنما التوبة) هى من تاب الله عليه اذا قبل توبته أى انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لايجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لامحالة كالواجب الذى لايترك ﴿ ٣٥ ﴾ (للذين يعملون {سورة النساء} السوء) الذنب لسوء عقابه

فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة ﴿أنما التوبة على الله﴾ أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله سبحانه وتعالى بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله سبحانه وتعالى يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى أى جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل ان

تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء فى هذا الحكم المسلم واليهودى لانه ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لارجم على اليهودى لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله عزوجل ﴿انما التوبة على الله﴾ يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أى من الله وقال أهل المعانى ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل مايريد ﴿للذين يعملون السوء﴾ يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها ﴿بجهالة﴾ قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمى من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل مامعه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتى الانسان بالذنب مع العلم بأنه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد فى زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ماهو آت قريب وفيه تنبيه على

(بجهالة) فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ماقبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لاتقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى مابين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا

بجلد مائة (أنما التوبة) التجاوز (على الله) من الله (للذين يعملون السوء بجهالة) بتعمد وان كان جاهلا لعقوبته (ثم يتوبون من قريب) من قبل السوق

ينزل بهم سلطان الموت أو تزين السوء ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله ﴿ وكان الله عليما ﴾ فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة ﴿ حكيما ﴾ والحكيم لا يعاقب التائب ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن

ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت به ❁ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى ❁ الغرغرة أن يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم ❁ وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ يعنى يقبل توبتهم ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ قال ابن عباس علم مافى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب ❁ قوله عز وجل ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيآت ﴾ قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد ابن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار ﴿ حتى اذا حضر أحدهم الموت ﴾ يعنى وقع فى النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده ﴿ قال انى تبت الآن ﴾ قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ❁ فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا أمرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى أخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه قلت ليس الامر على مازعموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين ❁ يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه

قريبا (فأولئك يتوب الله عليهم) عدة بانه يفى بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب

والنزع (فأولئك يتوب الله عليهم) يتجاوز الله عنهم (وكان الله عليما) بتوبتكم (حكيما) بقبول التوبة قبل المعاينة ولا يقبل عند المعاينة وبعدها (وليست التوبة) التجاوز على الله (للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت) عند النزع (قال انى تبت الآن

ولاوعدبه الا مختار (ولاالذين يموتون) فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيآت أى ليست التوبة للذين يعملون
السيآت ولا للذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى فى المؤمنين

ولاالذين يموتون وهم كفار﴾ سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار ﴿أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب أعده لهم لايعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء ﴿ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فهو اعن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه ٭ وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما

لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين ٭ قوله عزوجل ﴿ولاالذين يموتون وهم كفار﴾ معناه لاتوبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ماوعدوا به من العقاب ﴿أولئك أعتدنا لهم﴾ أى هيأنا لهم ﴿عذابا أليما﴾ ٭ قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ نزلت فى أهل المدينة وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدى منه بما ورثت من الميت أو تموت هى فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفى أبو قيس بن الاسلت الانصارى وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أبا قيس توفى وورث نكاحى ابنه فلاهو ينفق على ولاهو يدخل بى ولايخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى أمر الله فيك فانزل الله عزوجل ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعنى ميراث

والوسطى فى المنافقين والاخرى فى الكافرين وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الاصل أعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بان يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلامهر فنزلت (ياأيها الذين آمنو لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أى ان تأخذوهن على على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلى من الاكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لايدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشئ بالذكر لايدل على نفى ماعداه كما فى قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها

ولاالذين يموتون وهم كفار) يقول ولايقبل توبة الكفار عند المعاينة (أولئك) الكفار (اعتدنا
لهم عذابا أليما) وجميعا نزلت فى طعمة وأصحابه الذين ارتدوا (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء) نساء آبائكم (كرها)

وتختلع فقيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأ كيد النفى أى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن أو مجزوم بالنهى على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (الا أن يأتين بفاحشة) هى النشوز وايذاء الزوج وأهله بالبذاء أى الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكى وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن فى جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول (فأن كرهتموهن) لقبحهن أو سوء خلقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه) فى ذلك الشئ أو فى الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا أو

لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه ﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى أى ولا تمنعوهن من التزوج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل ﴿ الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفاحشة مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول ﴿ فأن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ أى

نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا أموالهن كرها يعنى وهن كارهات ﴿ ولا تعضلوهن ﴾ أى ولا تمنعوهن من الازواج وأصل العضل المنع ﴿ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ يعنى لتضجر فتفتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى ﴿ الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ يعنى فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة المبينة فقيل هى النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هى الزنا يعنى ان المرأة اذا نشزت اوزنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال فى القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك ﴿ فأن كرهتموهن ﴾ يعنى فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن ﴿ فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ قال ابن عباس

جبرا (ولا تعضلوهن) لا تحبسوهن من التزويج نزلت هذه الآية فى كبيشة بنت معن الانصارية ومحصن بن أبى قيس الانصارى وكانوا يرثون قبل ذلك (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) مما أعطاهن آباؤكم (الا ان يأتين بفاحشة) بزنا (مبينة) بالشهود فاحبسوهن فى السجن وقد نسخ الحبس الآن بآية الرجم وقد كانوا يرثون نساء آبائهم كما يرثون المال يرثها الابن الاكبر فان كانت امرأة جميلة غنية دخل بها بلا مهر وان لم تكن غنية أو شابة (ربما) جميلة تركها ولم يدخل بها حتى تفدى نفسها بمالها فنهاهم الله عن ذلك ثم بين الصحبة مع النساء فقال (وعاشروهن) صاحبوهن (بالمعروف) بالاحسان والجميل (فأن كرهتموهن) يعنى كرهتم الصحبة معهن (فعسى أن تكرهوا شيأ) يعنى الصحبة معهن (ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) يرزقكم الله

ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلاتفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ماهو أصلح فى الدين وأدلى الى الخير وأحبت ماهو بضد ذلك ولكن للنظر صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فاعجبته بهت الذى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم أحداهن) وأعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لاتغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم أحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ماشئتم (فلاتأخذوا منه) من القنطار (شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) أى بينا والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برئ منه لانه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين

منهن ولدا صالحا (وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج) يقول ان أردتم ان تتزوجوا واحدة وتطلقوا واحدة أو تتزوجوا عليها أخرى (وآتيتم) أعطيتم (أحداهن قنطارا) مهرا (فلاتأخذوا منه) من المهر (شيأ) غصبا (أتأخذونه) يعنى المهر (بهتانا) حراما (واثما مبينا) ظلما بينا

فلاتفرقوهن لكراهة انفس فانها قدتكره ماهو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ماهو بخلافه وليكن نظركم الى ماهو أصلح للدين وأدنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم ﴿وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ تطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وآتيتم احديهن﴾ أى أحدى الزوجات جمع الضمير لانه أراد بالزوج الجنس ﴿قنطارا﴾ مالا كثيرا ﴿فلاتأخذوا منه شيأ﴾ أى من القنطار ﴿أتأخذونه بهتانا وأثما مبينا﴾ استفهام انكار وتوبيخ أى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا أراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه

ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل فى الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه * قوله عز وجل ﴿وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتين بفاحشة وهى اما النشوز أو الزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها ﴿وآتيتم أحداهن قنطارا﴾ يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى ان عمر قال على المنبر ألا لاتغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك ياعمر * وفى رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل أن خير المهور أيسرها وأسهلها ﴿فلاتأخذوا منه شيأ﴾ يعنى من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلاتأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلايحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك ﴿أتأخذونه﴾ استفهام بمعنى التوبيخ ﴿بهتانا﴾ يعنى ظلما وقيل باطلا ﴿واثما مبينا﴾ يعنى أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال

وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى خلا بلاحائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن أو قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الارثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لاتطؤا ماوطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوأة الاب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (الا ماقد سلف) أى لكن ماقد سلف فانكم لاتؤخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا

وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسرههنا بالظلم ﴿ وكيف تأخذونه وقدافضى بعضكم الى بعض ﴾ انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ عهداوثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أوماأوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف أوتسريح باحسان أوما اشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ﴿ ولاتنكحوا مانكح آباؤكم ﴾ ولاتنكحوا التى نكحها آباؤكم وانماذكر مادون من لانه أريد به الصفة وقيل مامصدرية على ارادة المفعول من المصدر ﴿ من النساء ﴾ بيان مانكح على الوجهين ﴿ الاماقدسلف ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح مانكح آباؤكم الاماقدسلف أومن اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولاتنكحوا حلائل آبائكم الاماقدسلف أن أمكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء

تعالى ﴿ وكيف تأخذونه ﴾ كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى ﴿ وقدأفضى بعضكم الى بعض ﴾ أصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال أفضى اليه أى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده أن الزوج اذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء أن يكون معها فى لحاف واحد جامعها أولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أوتسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله عزوجل ﴿ ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ﴾ قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله

(وكيف تأخذونه) تستحلونه يعنى المهر على وجه التعجب (وقد أفضى بعضكم الى بعض) يقول وقد اجتمعتم فى لحاف واحد بالمهر والنكاح (وأخذن منكم) يقول أخذ الله منكم عند النكاح للنساء (ميثاقا غليظا) وثيقا امساك بمعروف أوتسريح باحسان ثم حرم عليهم نكاح نساء آبائهم وقد كانوا يتزوجون فى الجاهلية نساء آبائهم فنهاهم الله عن ذلك فقال (ولاتنكحوا) لاتتزوجوا (مانكح) ماتزوج (آباؤكم من النساء الاماقد سلف) سوى ماقد مضى فى الجاهلية (عن)

العقد فى الحال فقال (أنه كان فاحشة) بالغة فى القبح (ومقتا) وبغضا عندالله وعندالمؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وساء سبيلا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ماطاب أى حل من النساء وذكر بعض ماحرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عندالبعض وقدذكرنا المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الام أو الاب ملحقة بهن (وبناتكم) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وأخواتكم) لاب وأم أو لاب أو لام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (وبنات الاخ) كذلك (وبنات الاخت كذلك)

منقطع ومعناه لكن ماقد سلف فانه لامؤاخذة عليه لأنه مقرر ﴿أنه كان فاحشة ومقتا﴾ علة للنهى أى ان نكاحهن كان فاحشة عندالله مارخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروآت ولذلك سمى ولدالرجل من زوجة أبيه المقتى ﴿ وساء سبيلا ﴾ سبيل من يراه ويفعله ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾ ليس المرد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم

عن ذلك بهذه الآية روى انه لماتوفى أبوقيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عزوجل ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ﴿ الاماقد سلف ﴾ يعنى الاماءضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه ﴿ أنه كان فاحشة ﴾ انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أقبح المعاصى ﴿ ومقتا ﴾ يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الخزى والخسارة ﴿ وساء سبيلا ﴾ أى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولدالرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وأبو معيط ابن أبى عمرو بن أمية ❁ روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مربى خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه ❁ قوله عزوجل ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ بين الله عزوجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أونسب (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم واصل أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هى الوالدة القريبة ويدخل فى حكمها كل أمرأة رجع النسب اليها من جهة الاب أومن جهة الام بدرجة أوبدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات ﴿ وبناتكم ﴾ والبنت عبارة عن كل أنثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات باناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن ﴿ وأخواتكم ﴾ جمع أخت وهى عبارة عن كل امرأة شاركتك فى أصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام ﴿ وعماتكم ﴾ جمع عمة وهى كل امرأة شاركت أباك فى أصله وهن جميع أخوات الاب وأخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام أيضا وهى أخت أبى الام ﴿ وخالاتكم ﴾ جمع خالة وهى كل امرأة شاركت الام فى أصلها فيدخل فيه جميع أخوات الام وأخوات أمهاتها وقدتكون الخالة من جهة الاب ايضا وهى أخت أم الاب ﴿ وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾

(أنه) يعنى تزوج نساء الآباء (كان فاحشة) معصية (ومقتا) بغضا (وساء سبيلا) بئس مسلكا نزلت فى محصن ابن أبى قيس الانصارى ثم بين ماحرم عليهم من النساء بالتزوج فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) (قا وخا ٦ نى) من النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعماتكم) أخوات آبائكم (وخالاتكم) أخوات أمهاتكم (وبنات الاخ) من النسب من أى

مايقصد مهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل فى قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده فى النكاح وأمهاتكم يعم من ولدتك أوولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها أوولدت من ولدها وان سفلت وأخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكراولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى ﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمراضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون

ثم شرع فى السبب فقال (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب

وجه يكن (وبنات الاخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم) وحرمت عليكم أمهاتكم أيضا (اللاتى أرضعنكم) فى الحولين (وأخواتكم من الرضاعة

وهى عبارة عن كل امرأة لاخيك أو لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ أو الاخت فيدخل فيهن جميع بنات أولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لاتحل بوجه من الوجوه • الصنف الثانى المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك فى قوله تعالى ﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ كل أنثى انتسبت باللبن اليها فهى أمك وبنتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع مايحرم من الولادة أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة انها لاتحل لى يحرم من الرضاع مايحرم من النسب وانها ابنة أخى من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولايترتب عليه جميع أحكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما انيكون ارضاع الصبى فى حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله فى عامين * عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحرم من الرضاع الامافتق الامعاء فى الثدى وكان قبل الفطام أخرجه الترمذى

(عن)

النسب ﴿ وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ ذكر أولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج * والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء

* عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لا رضاعة الا ما كان فى الحولين أخرجه مالك فى الموطأ باطول من هذا * وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر الشرط الثانى ان يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعى ويدل على ذلك ماروى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان أخرجه مسلم (م) عن أم الفضل رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يا نبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة رضى الله عنها قال كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن * قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه وذهب جمهور العلماء الى أن قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد فى أحدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بان السنة مبينة للقرآن مفسرة له * قوله عز وجل ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان أم المراة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن

(وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد العقد (وربائبكم) سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما (اللاتى فى حجوركم) قال داود اذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كانكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل

وأمهات نسائكم) اللاتى دخلتم بناتهن أو لم تدخلوا بهن سواء حرام عليكم (وربائبكم) بنات نسائكم (اللاتى فى حجوركم) ربيتم فى بيوتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) بأمهاتهن

لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم باجماع قضية للنظم ولايجوز تعليقها بالامهات أيضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فاذا علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لاتحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله

اذا حاولت فى أسد فجورا * فانى لست منك ولست منى

على معنى ان أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بهـا انه لابأس ان يتزوج ابنتها ولايحل له ان يتزوج أمها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولايجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم أو بصدده قوى الشبه بينها وبين أولادكم فصارت أحقاء بان تجروها مجراهم لاتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ماليس بزنا كالوطء بشبهة أوملك يمين وعند أبى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم ﴾ تصريح بعد اشعار دفعا للقياس ﴿ وحلائل أبنائكم ﴾ زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج ﴿ الذين من أصلابكم ﴾ احتراز

فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم ﴾ الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها فى حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أوماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولايجوز له ان يتزوج أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام * قوله عز وجل ﴿ وحلائل أبنائكم ﴾ يعنى أزواج أبنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل أزواج ابنائه وأبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد ﴿ الذين من أصلابكم ﴾ انما قال من أصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لاتحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وماجعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم * قوله

وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولايجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن أو متن (وحلائل أبنائكم) جمع حليلة وهى الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم وليس هذا لنفى الحرمة عن حليلة

(فان لم تكونوا دخلتم بهن) بأمهاتهن (فلاجناح عليكم) ان تتزوجوا بناتهن بعد طلاق أمهاتهن (وحلائل أبنائكم) نساء أبنائكم (الذين من أصلابكم)

عن المتبنين لا عن أبناء الولد ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ فى موضع الرفع عطف على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أوماملكت ايمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على أظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام مااجتمع الحلال والحرام الاغلب الحرام ﴿الا ماقد سلف﴾ استثناء من لازم المعنى أومنقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله ﴿ان الله كان غفورا رحيما﴾

عزوجل ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ يعنى لايجوز للرجل أن يجمع بين الاختين فى نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أورضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لايصح فلوتزوج أحدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلوطلق الاولى طلاقا بائنا جازله نكاح أختها الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلايجوزله ان يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احديهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع أوهبة أوعتق أوكتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو أن يتزوج احديهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء الى أنه لايجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول أصح وأولى لما روى قبيصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية فاما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلوكان لى من الامر شئ لم أجد أحدا فعل ذلك الاجعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على بن أبى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك فى الموطأ * قوله عزوجل ﴿الا ماقد سلف﴾ يعنى لكن ماقد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى ﴿أن الله كان غفورا رحيما﴾ وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان أنكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل على ذلك ماروى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يارسول الله أنى أسلمت وتحتى أختان قال طلق أيتهما شئت أخرجه أبوداود ﴿فروع تتعلق بحكم الآية الاول﴾ لايجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لايجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخرجاه فى الصحيحين قال بعض العلماء فى حدما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أولبن لوكان ذلك بينك وبين المرأة لم يجزلك نكاحها لم يجزلك الجمع بينهما ﴿الفرع الثانى﴾ المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت فى الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان

الابن من الرضاع (وأن تجمعوا بين الاختين) أى فى النكاح وهو فى موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الاختين (الاماقدسلف) ولكن مامضى مغفور بدليل قوله (أن الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ماقد سلف

وهم ولد فراشكم (وأن تجمعوا بين الاختين) بالنكاح حرتين أوأمتين (الاماقدسلف) سوى ماقدمضى فى الجاهلية (أن الله كان غفورا) فيما كان منكم فى الجاهلية (رحيما) فيمايكون منكم فى الاسلام اذتبتم

صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ماتقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها فى قوله تعالى ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين {الفرع الثالث} التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلوزنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لوأراد أن يتزوج بهن وكذلك لاتحرم المزنى بها على آباء الزانى ولا أبنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران ابن حصين وأبى هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولولمس امرأة أجنبية بشهوة أوقبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لولمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثانى لاتثبت به كالا تثبت بالنظر بشهوة

يا حافظ احفظ

﴿والمحصنات من النساء﴾ ذوات الازواج أحصنهن التزوج أو الازواج * وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن لانهن أحصن فروجهن ﴿الا ماملكت أيمانكم﴾ يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول أبى سعيد رضى الله تعالى عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال أبو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه

* قوله عز وجل ﴿والمحصنات﴾ يعنى وحرمت المحصنات ﴿من النساء﴾ وأصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى ﴿الا ماملكت أيمانكم﴾ يعنى السبايا اللاتى سبين ولهن أزواج فى دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبى يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى أوطاس فأصابوا

(والمحصنات من النساء) أى ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن (الا ماملكت ايمانكم) بالسبى وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتى لهن ازواج الا ما ملكتموهن بسبيهن وأخراجهن بدون ازواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبى فتحل الغنائم بملك اليمين

والمحصنات) ذوات الازواج (من النساء) حرام عليكم (الا ماملكت أيمانكم) من السبايا فانهن حلال لكم وان كان أزواجهن فى دار الحرب بعدما استبرأتم

بعدالاستبراء(كتاب الله عليكم)مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ماحرم وعطف(وأحل لكم) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات المذكورة وأحل كوفى غير أبى بكر عطف على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له أى بين لكم مايحل مما يحرم لان تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر (بأموالكم) يعنى المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لايصلح مهرا وان القليل لايصلح مهرا اذا الحبة لاتعد مالا عادة (محصنين) فى حال كونكم محصنين (غيرمسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى

﴿كتاب الله عليكم﴾ مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا ٭ وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل ﴿وأحل لكم﴾ عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله ٭ وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ﴿ماوراء ذلكم﴾ ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ﴿أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ مفعول له والمعنى أحل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف فى مهورهن أو اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لايقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ماوراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه

سباياهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها وقال عطاء أراد بقوله الا ماملكت أيمانكم ان تكون أمته فى نكاح عبده فيجوزله ان ينتزعها منه وقيل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان مافوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ماملكت أيمانكم فانه لاعدد عليكم فى الجوارى ولاحصر ﴿كتاب الله عليكم﴾ يعنى حرمت عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ماحرم عليكم من ذلك وتحليل ماحلل كتابا ﴿وأحل لكم ماوراء ذلكم﴾ يعنى وأحل الله لكم ماسوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ماسوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم أصناف أخر سوى ماذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لاتحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلاتحل للازواج حتى تنقضى عدتها ومن ذلك ان من كان فى نكاحه حرة لم يجزله أن يتزوج بالامة والقادر على طول الحرة لم يجزله ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه أصناف من المحرمات سوى ماذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ماوراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا ٭ قوله عزوجل ﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ فيه اضمار تقديره وأحل لكم أن تبتغوا أى تطلبوا بأموالكم أى تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن وفى الآية دليل على ان الصداق لايتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم ﴿محصنين﴾ يعنى متزوجين وقيل متعففين ﴿غير مسافحين﴾ يعنى غير زانين

أرحامهن بحيضة (كتاب الله عليكم) فى كتاب الله عليكم حرام الذى سميت لكم (وأحل لكم ماوراء ذلكم) سوى ماقد بينت لكم تحريمه (أن تبتغوا) تتزوجوا (بأموالكم) الى الاربع ويقال ان تشتروا بأموالكم من الاماء ويقال ان تبتغوا بأموالكم ان تطلبوا بأموالكم فروجهن وهى المتعة وقد نسخت الآن (قا وخا ٧ نى) (محصنين) يقول كونوا معهن متزوجين (غيرمسافحين) غير زانين

﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات أوفما استمتعتم به منهن من جماع أوعقد عليهن ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾ مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع

والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمى الزنا سفاحا لان الزانى لاغرض له الاصب النطفة فقط * قوله عز وجل ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ماانتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ماانتفع به فهو متاع ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾ يعنى مهورهن وانما سمى المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة أجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهنى رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ماتقدم من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لاتنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن المتعة أسفاح هى أم نكاح فقال لاسفاح ولانكاح قلت فما هى قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس رضى الله عنهما بالمتعة قال قاتلهم الله أنا ما أفتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال مابال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لاأجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعى لاأعلم فى الاسلام شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول

(فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما فى معنى النساء ومن للتبعيض أوللبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن

بلا نكاح (فما استمتعتم) استنفعتم (به منهن) بعد النكاح (فآتوهن) فأعطوهن (أجورهن) مهورهن كاملة

﴿ فريضة ﴾ حال من الاجور بمعنى مفروضة أوصفة مصدر محذوف أى ايتاء مفروضا أومصدر مؤكد ﴿ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضى أوفيما تراضيابه من نفقة أومقام أوفراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لماروى انه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول ياأيها الناس انى كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح المؤقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه ﴿ أن الله كان عليما ﴾ بالمصالح ﴿ حكيما ﴾ فيما شرع من الاحكام

أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشأم والعراق من أصحاب الاثر والرأى وانه لارخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لايحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فانكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أى عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبرى أولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فانكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن أجورهن يعنى مهورهن ﴿ فريضة ﴾ يعنى لازمة وواجبة ﴿ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ اختلفوا فيه فمن حمل ماقبله على نكاح المتعة قال أراد أنهما اذا عقدا عقدا الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لاجناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التى لم يدخل بها نصف المهر الذى لايجب عليه ﴿ أن الله كان عليما ﴾ يعنى بما يصلحكم أيها الناس فى مناكحكم وغيرها من سائر أموركم ﴿ حكيما ﴾ يعنى فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولايدخل حكمه خلل ولازلل

فصل فى قدر الصداق ومايستحب منه

اعلم انه لاتقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لايغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ألا لاتغالوا فى صدقة النساء فانها لوكانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله

(فريضة) حال من الاجور أى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أومصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره أوفيما تراضيا به من مقام أو فراق (أن الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت

(فريضة) من الله عليكم ان تعطوا المهر تاما (ولاجناح عليكم) ولاحرج عليكم (فيما تراضيتم به) فيما تنقصون وتزيدون فى المهر بالتراضى (من بعد الفريضة) الاولى التى سميتم لها (أن الله كان عليما) فيما أحل لكم المتعة (حكيما) فيما حرم عليكم المتعة ويقال عليما باضطراركم الى المتعة حكيما فيما حرم عليكم المتعة

﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة

صلى الله عليه وسلم ماعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولا أنكح شيأ من بناته على أكثر من اثنى عشر أوقية أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (م) عن أبى سلمة رضى الله عنه قال سألت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتى عشرة أوقية ونشا قالت أتدرى ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء فى أقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ماجاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبى حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابى حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ماروى عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد وهبت نفسى لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شئ فقال لا والله يارسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لا والله ماوجدت شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازارى هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شئ وان لبسته لم يكن عليك منه شئ فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبى صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معى سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤهن من ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفى رواية فقد أنكحناكها بما معك من القرآن أخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحميدى فى هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصدق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز أى شئ كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على أنه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه أصحاب الرأى * عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا أو تمرا فقد استحل أخرجه أبو داود * عن عبد الله بن عامر عن أبيه رضى الله عنه ان امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه أخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر * قوله عز وجل ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد مالا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة

(ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على طول أى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع

(ومن لم يستطع منكم طولا) من لم يجد منكم مالا

(أن)

﴿وأن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ فى موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له أى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله ﴿ فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ يعنى الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة ورق الولد ومافيه من المهانة ونقصان حق الزوج ﴿والله أعلم بايمانكم﴾ فاكتفوا

﴿أن ينكح المحصنات﴾ يعنى الحرائر ﴿المؤمنات فمما ملكت أيمانكم﴾ يعنى جارية أخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفى الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة فى الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب أبى حنيفة الا أن يكون فى نكاحه حرة والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعى وقال أبو حنيفة يجوز التزوج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين * قوله عز وجل ﴿ والله أعلم بايمانكم ﴾ قال الزجاج أى اعملوا

(أن ينكح) مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) حرائر المسلمات (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أى فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم أى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول (والله أعلم بايمانكم) فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على أن الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا يختلف

(أن ينكح المحصنات) الحرائر (المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) فتزوجوا مما ملكت أيمانكم (من فتياتكم المؤمنات) من الولائد اللاتى فى أيدى المؤمنين (والله أعلم بايمانكم) بمستقر قلوبكم على الايمان

(بعضكم من بعض) أى لاتستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن أهلهن) سادتهن وهو حجة لنا فى أن لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لاعقدهم وانه ليس للعبد أو للامة أن يتزوج الا باذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها اليهن أداء الى الموالى لانهن وما فى أيديهن مال الموالى والتقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف حال من المفعول فى آتوهن (غير مسافحات) زوان علانية (ولا متخذات أخدان) زوان سرا والاخدان الاخلاء فى السر (فاذا أحصن) بالتزوج أحصن كوفى غير حفص (فان أتين بفاحشة)

(بعضكم من بعض) أى كلكم أولاد آدم ويقال بعضكم على دين بعض وقيل عضكم ببعض (فانكحوهن) فتزوجوا الولائد (بأذن أهلهن) مالكيهن (وآتوهن) أعطوهن يعنى الولائد (أجورهن) مهورهن (بالمعروف) فوق مهر البغى (محصنات) يقول تزوجوا الولائد المتعففات (غير مسافحات) غير معلنات بالزنا (ولا متخذات اخدان) فلايكون لها خليل يزنى بها فى السر (فاذا أحصن) تزوجن الولائد (فان أتين بفاحشة) بزنا (يعنى)

بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل مابينكم فى الايمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام ﴿ فانكحوهن بأذن اهلهن ﴾ يريد أربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لااشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية ﴿ وآتوهن أجورهن ﴾ أى أدوا اليهن مهورهن باذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أوالى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر ﴿ بالمعروف ﴾ بغير مطل واضرار ونقصان ﴿ محصنات ﴾ عفائف ﴿ غير مسافحات ﴾ غير مجاهرات بالسفاح ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ أخلاء فى السر ﴿ فاذا أحصن ﴾ بالتزويج وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد ﴿ فان أتين بفاحشة ﴾ زنا

على الظاهر فى الايمان فأنكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لاتتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم ﴿ بعضكم من بعض ﴾ يعنى أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك أمر لايلتفت اليه فلايتداخلنكم شموخ وأنفة من التزوج بالاماء فانكم متساوون فى النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وأنتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جازله أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم اكفاء بعض ﴿ فانكحوهن بأذن أهلهن ﴾ يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا فى جواز نكاح الامة ﴿ وآتوهن أجورهن ﴾ يعنى مهورهن ﴿ بالمعروف ﴾ يعنى من غير مطل ولاضرار وقيل معناه وآتوهن مهور أمثالهن وأجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن ﴿ محصنات ﴾ يعنى عفائف ﴿ غير مسافحات ﴾ يعنى غير زانيات ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك فى كل أمر ظاهر وباطن وأكثر مايستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعنى حبها الذى يزنى بها فى السر قال الحسن المسافحة هى التى كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هى التى تختص بواحد ولاتزنى مع غيره وكانت العرب فى الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا ﴿ فاذا أحصن ﴾ قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن ﴿ فان أتين بفاحشة ﴾

زنا (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) أى الحرائر (من العذاب) من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف ماعلى المحصنات يدل على انه الجلد لا الرجم لان الرجم لايتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن (ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر لاضرر أعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يستر المحظور (رحيم) يكشف المحذور (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد

﴿ فعليهن نصف ماعلى المحصنات ﴾ يعنى الحرائر ﴿ من العذاب ﴾ من الحد كقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لايرجم لان الرجم لايتنصف ﴿ ذلك ﴾ أى نكاح الاماء ﴿ لمن خشى العنت منكم ﴾ لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولاضرر أعظم من مواقعة الاثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء ﴿ وأن تصبروا خير لكم ﴾ أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه ﴿ والله غفور ﴾ لمن لم يصبر ﴿ رحيم ﴾ بأن رخص له ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾

يعنى بزنا ﴿ فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب ﴾ يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ماعلى الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولافرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولارجم عليه هذا قول أكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال طاوس انه لاحد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزوج فليس المراد منه ان التزوج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلارجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لابالرجم ثابت بالحديث وهو ماروى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولايثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولايثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر أخرجاه فى الصحيحين * قوله ولايثرب عليها أى لايعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم قال الشيخ محيي الدين النووى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته أو بالاحسان اليها أو يزوجها أو غير ذلك والله أعلم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى نكاح الامة ﴿ لمن خشى العنت منكم ﴾ يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فأباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة ﴿ وأن تصبروا ﴾ يعنى عن نكاح الاماء متعففين ﴿ خير لكم ﴾ يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا ﴿ والله غفور رحيم ﴾ وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ماأنتم محتاجون اليه * قوله عز وجل ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ اللام فى قوله ليبين معناه أن يبين وقيل معناه يريد انزال

(فعليهن) على الولائد (نصف ماعلى المحصنات) الحرائر (من العذاب) الجلد (ذلك) تزوج الولائد حلال (لمن خشى العنت منكم) الزلة والفجور منكم (وان تصبروا) عن نكاح الولائد (خير لكم) تكون اولادكم احرارا (والله غفور) فيما يكون منكم من الزنا (رحيم) حين رخص عليكم تزوج الولائد عند الضرورة (يريد الله ليبين لكم) ماأحل لكم ويقال ان الصبر عن تزوج الولائد

اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ماهو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد أن يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخاله والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم

خيرلكم من التزوج (ويهديكم) يبين لكم (سنن الذين من قبلكم) من أهل الكتاب وكان عليهم حرام تزوج الولائد (ويتوب عليكم) يتجاوز عنكم ما كان منكم فى الجاهلية (والله عليم) باضطراركم الى نكاح الولائد (حكيم) حين حرم عليكم نكاحهن الا عند الضرورة (والله يريد أن يتوب عليكم) ان يتجاوز عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات من الاب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) الزنا ونكاح الاخوات من الاب وهم اليهود (أن تميلوا ميلا عظيما) ان تخطؤا خطأ عظيما بنكاح الاخوات من الاب لقولهم انه حلال فى كتابنا

ماتعبدكم به من الحلال والحرام أو ماخفى عليكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أى يريد الحق لاجله ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ﴿ويتوب عليكم﴾ ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة أو الى مايكون كفارة لسيئاتكم ﴿والله عليم﴾ بها ﴿حكيم﴾ فى وضعها ﴿والله يريد ان يتوب عليكم﴾ كرره للتأكيد والمبالغة ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لماسوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ﴿أن تميلوا﴾ عن الحق ﴿ميلا﴾ بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ﴿عظيما﴾ بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير

هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم مايقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم ﴿ويهديكم﴾ أى ويرشدكم ﴿سنن الذين من قبلكم﴾ أى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى مالكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام ﴿ويتوب عليكم﴾ يعنى ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما أمر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم ﴿والله عليم﴾ يعنى بمصالح عباده فى أمر دينهم ودنياهم ﴿حكيم﴾ يعنى فيما دبر من أمورهم ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل مايكره الى مايحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على مايكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا أنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم ﴿أن تميلوا﴾ يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ﴿ميلا عظيما﴾ يعنى باتيانكم ماحرم الله عليكم

(يريدالله أن يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لايصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بمالم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن

تقع تجارة تجارة

كوفى اى الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطى والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق اكثرها متعلق بها والاية تدل على جواز البيع بالتعاطى وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفى خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولاتقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة أو ولايقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او معنى القتل أكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أولاتتبعوا أهواءها فتقتلوها أوتركبوا مايوجب

مستحل لها ﴿ يريدالله أن يخفف عنكم ﴾ فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لايصبر عن الشهوات ولايتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه وأن الله لايغفر أن يشرك به وأن الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ يجز به ومايفعل الله بعذابكم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ بمالم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار ﴿ الا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ استثناء منقطع أى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه أو أقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها أغلب وأرفق لذوى المرؤات ويجوز ان يرادبها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهى المنع عن صرف المال فيما لايرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه * وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم

﴿ يريدالله أن يخفف عنكم ﴾ يعنى ليسهل عليكم أحكام الشرائع فهو عام فى كل أحكام الشرع وجميع مايسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريدالله بكم اليسر ولايريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة * قوله عزوجل ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلاصبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى أصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عزوجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ يعنى بالحرام الذى لايحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك. وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره ماأكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل فى اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة * قوله عزوجل ﴿الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والافلهما الخيار مالم يتفرقا لما روى عن ابن عمر

(يريد الله ان يخفف عنكم) ان يهون عليكم فى تزوج الولائد عند الضرورة (قا وخا ٨ نى) (وخلق الانسان ضعيفا) لايصبر عن أمر النساء (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالظلم والغصب وشهادة الزور والحلف الكاذب وغيرذلك (الا ان تكون تجارة) الا ان يترك بعضكم على بعض فى الشراء والبيع والمحاباة (عن تراض) بتراض (منكم ولاتقتلوا أنفسكم) بعضكم بعضا

أى الا ان تكون التجارة أو الجهة تجارة ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب مايؤدى الى قتلها أو باقتراف مايذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ﴿ أن الله كان بكم رحيما ﴾ أى أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم ياأمة محمد رحيما لما أمر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اشارة الى القتل اوما سبق من المحرمات ﴿ عدوانا وظلما ﴾

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه فى الصحيحين ❁ قوله عز وجل ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أى لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال أنفسكم لانهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ❊ قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال الى أسفل ❊ قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة ❊ وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقاء الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل فى معنى قتل الانسان نفسه أن لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بان تعملوا عملا ربما أدى الى قتلها ﴿ أن الله كان بكم رحيما ﴾ يعنى انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه تعالى أمر بنى اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم ياأمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعنى ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس وأكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة وقيل انه يعود الى كل مانهى الله عنه من أول السورة الى هنا ﴿ عدوانا وظلما ﴾ يعنى يتجاوز الحد

القتل (أن الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نهاكم على مافيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه انه أمر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم ياأمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن يفعل ذلك) أى القتل أى ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لاخطأ ولا قصاصا وهما مصدران فى موضع الحال أو مفعول لهما

بغير حق (أن الله كان بكم رحيما) حين حرم عليكم قتل بعضكم بعضا (ومن يفعل ذلك) القتل واستحلال المال (عدوانا) اعتداء (وظلما) وجورا

افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لايستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب ﴿ فسوف نصليه نارا ﴾ ندخله اياها *وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أولذلك من حيث انه سبب الصلى ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لاعسر فيه ولاصارف عنه ﴿ أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها* وقرئ كبير على ارادة الجنس

فيضع الشئ فى غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وماكان على وجه العدوان والظلم وهوقوله تعالى ﴿فسوف نصليه نارا﴾ أى ندخله فى الآخرة نارا يصلى فيها ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أى هينا لانه تعالى قادر على مايريد * قوله عزوجل ﴿ أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ماكبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة فى الكبائر فمن ذلك ماروى عن أبى بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألاانبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألاوشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ذكرلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا أنبئكم باكبر الكبائر قول الزور أوقال شهادة الزور (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان أعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماالكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس* قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل أو أمه فيسب اباه أو أمه* وفى رواية من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبدالله بن مسعود أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله * وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ان رجلا سأل ابن عباس رضى الله

(فسوف نصليه نارا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) اى اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد فى حق المستحل للتخليد وفى حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه

(فسوف نصليه) ندخله (نارا) فى الآخرة وهذا وعيده (وكان ذلك) الدخول والعذاب (على الله يسيرا) هينا (ان تجتنبوا) ان تتركوا (كبائر ماتنهون عنه) فى هذه السورة

﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أوصرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لايغفران يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى مافوقها وماتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن له عن أمران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ماارتكبه لمااستحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الاترى انه سبحانه وتعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام فى كثير من خطراته التى

عنهما عن الكبائر أسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب * وفى رواية الى السبعين أقرب الاانه لاكبيرة مع استغفار ولاصغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لايخلد فى النار من هذه الامة الامن كان راجعا عن الاسلام أوجاحدا فريضة أومكذبا بقدر * وقال على بن أبى طالب كل ذنب ختمه الله بنار أوغضب أولعنة أوعذاب فهو كبيرة * وقال سفيان الثورى الكبائر ماكان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ماكان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياأمة محمد ان الله قدعفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيآت ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطأ والنسيان وماا ستكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدى الكبائر مانهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أويكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك ومايؤدى اليه ومادونه فهو من السيآت فقد ثبت بماتقدم من الادلة أن من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه هى كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته امافى الدنيا بالحدود وامافى الآخرة بالعذاب عليه ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان أصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل مانهى الله عنه من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه وعنه أيضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبدالله كبير ماتنهون عنه وهو الكفر

(نكفر عنكم سيأتكم) ذنوبكم دون الكبائر من جماعة الى جماعة ومن جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان

(وندخلكم مدخلا) مدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيآت فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز ان يذهبا بالحسنات لان لفظ السيآت ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق تمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغى لكل من بسط فى الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد ان يتمنى أن يكون ذلك الشئ له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا

لم نعدها على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ الجنة وما وعد من الثواب أو ادخالا مع كرامة. وقرأ نافع هنا وفى الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ﴿ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له

ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية ما لم تغش الكبائر وزاد فى رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم * قوله عز وجل ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه * قوله عز وجل ﴿ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ أصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وأكثر التمنى تصور ما لا حقيقة له وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون. عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء

الى شهر رمضان (وندخلكم) فى الآخرة (مدخلا كريما) حسنا وهى الجنة (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) يقول لا يتمن الرجل مال أخيه ودابته وامرأته ولا شيأ من الذى له واسألوا الله من فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خيرا منه مع التفويض ويقال نزلت هذه الآية فى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لقولها للنبى ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكى نؤجر كما تؤجر الرجال فنهى الله عن ذلك فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به من الجماعة والجمعة والغزو والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بعضكم يعنى الرجال على بعض يعنى النساء ثم بين ثواب الرجال والنساء

بغير كسب ضائع ومحال ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد ولا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم * وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان أمرا مواجها به وقبل السين واو أو فاء بغير همز وحمزة فى الوقف على أصله والباقون بالهمز ﴿ أن الله كان بكل شئ عليما ﴾ فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى

فى الحسنات فى الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن فى الميراث وقالت النساء انا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمنى على قسمين أحدهما أن يتمنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد فى نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثانى أن يتمنى مثل مال غيره ولا يحب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين أو الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك فى ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى * قوله عز وجل ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ قال ابن عباس يعنى مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب فى الاجر يعنى ان الرجال والنساء فى الاجر فى الآخرة سواء لان الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعنى من طاعة الازواج وحفظ الفروج ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ قال ابن عباس يعنى من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيأ فى الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألنه من فضله فأنه أعلم بمصالح عباده ﴿ أن الله كان بكل شئ عليما ﴾ يعنى انه

على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث (واسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل (أن الله كان بكل شئ عليما) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأمر بالمسئلة الا ليعطى وفى الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب

باكتسابهم فقال (للرجال نصيب) ثواب (مما اكتسبوا) من الخير (وللنساء نصيب) ثواب (مما اكتسبن) من الخير فى بيوتهن (واسئلوا الله من فضله) من توفيقه وعصمته (أن الله كان بكل شئ) من الخير والشر والثواب والعقاب والتوفيق والخذلان (عليما

عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطى عبدى حتى يسألنى وسلوا

ان أم سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون﴾ أى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل والولدان والاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلنا هم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر ﴿والذين عاقدت ايمانكم﴾ موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث أو الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ أو منصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى * وقرأ الكوفيون

تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل فى الطلب فأن الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذى قدر له * قوله عز وجل ﴿ولكل﴾ يعنى من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالى﴾ يعنى ورثة من بنى عم وأخوة وسائر العصبات ﴿مما ترك﴾ يعنى يرثون مما ترك ﴿الوالدان والاقربون﴾ من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى أى ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه والقول الاول أصح لانه مروى عن ابن عباس وغيره ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ يعنى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا

مكى وعلى (ولكل) المضاف اليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال (جعلنا موالى) وراثا يلونه ويحرزونه (مما ترك الوالدان والاقربون) هو صفة مال محذوف أى من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك (والذين عاقدت أيمانكم) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فآتوهم نصيبهم) مع الفاء عقدت كوفى أى عقدت عهودهم ايمانكم والمراد به عقد الموالاة وهى مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربى ولا معتق فيقول لآخر واليتك على ان

ولكل) يقول ولكل واحد (جعلنا) منكم (موالى) يعنى الورثة لكى يرث (مما ترك) ما ترك (الوالدان) من المال (والاقربون) فى الرحم (والذين عقدت أيمانكم) شروطكم (فآتوهم نصيبهم) أعطوهم شروطهم وقد نسخت

الآن وقد كانوا يتبنون رجالا وغلمانا فيجعلون لهم فى مالهم كالبعض ولدهم فنسخ الله ذلك وليس بمنسوخ ان أعطاهم من

عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم لحذف العهود وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ﴿ أن الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ تهديد على منع نصيبهم ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبى وكسبى فقال ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ بسبب تفضيله تعالى

موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبنى بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهن نصيبهم يعنى من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر أبى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرؤا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت فى أبى بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة أخرجه مسلم ❁ قوله عز وجل ﴿ أن الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين ❁ قوله عز وجل ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ نزلت فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتانى فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذى أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد فى حفظها ولما أثبت القيام للرجال على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

تعقلنى اذا جنيت وترث منى اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك ويرث الاعلى من الاسفل (أن الله كان على كل شئ شهيدا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم

الثلث نصيبهم (أن الله كان على كل شئ) من أعمالكم (شهيدا) عالما (الرجال قوامون على النساء) مسلطون على أدب النساء (بما فضل الله بعضهم) يعنى الرجال بالعقل والقسمة فى الغنائم والميراث (على بعض) يعنى النساء

(يعنى)

الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما انفقوا من أموالهم﴾ فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذى اراد الله خير ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب أى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم ﴿بما حفظ الله﴾ بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن * وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله سبحانه وتعالى أو طاعته وهو التعفف

يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب فى الميراث والتعصيب فى الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء * ثم قال تعالى ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعنى وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن * عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها أخرجه الترمذى ﴿فالصالحات﴾ يعنى المحسنات العاملات بالخير ﴿قانتات﴾ أى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله ﴿حافظات للغيب﴾ لفروجهن فى غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذى هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها أو حفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله أى النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائى * ورواه البغوى بسند الثعلبى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية * قوله عز وجل ﴿بما حفظ الله﴾ يعنى بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج وأمرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج

(وبما أنفقوا من أموالهم) وبان نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله اياهن حيث صيرهن

(وبما أنفقوا من أموالهم) يعنى بالمهر والنفقة التى عليهم دونهن (فالصالحات) يقول المحسنات الى أزواجهن (قانتات) مطيعات لله فى أزواجهن (حافظات) لانفسهن ومال أزواجهن (للغيب) لغيب أزواجهن (بما حفظ الله) بحفظ الله

والشفقة على الرجال ﴿ واللاتى تخافون نشوزهن ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز ﴿ فعظوهن واهجروهن فى المضاجع ﴾ فى المراقد فلاتدخلوهن تحت اللحف أولاتباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أى لاتبايتوهن ﴿ واضربوهن ﴾ يعنى ضربا غير مبرح ولاشائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها ﴿ فأن أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا ﴾ بالتوبيخ والايذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن

وان اعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل فى معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف أوتسريحهن باحسان ﴿ واللاتى تخافون ﴾ أى تعلمون وقيل تظنون ﴿ نشوزهن ﴾ أى شرورهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا أمرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه أولم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها ﴿ فعظوهن ﴾ يعنى اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقى الله وخافيه فان لى عليك حقا وارجعى عما أنت عليه واعلمى أن طاعتى فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها فى المضجع وهو قوله تعالى ﴿ واهجروهن فى المضاجع ﴾ يعنى ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس وهو أن يوليها ظهره فى الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر ﴿ واضربوهن ﴾ يعنى ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعى الضرب مباح وتركه أفضل * عن عمرو بن الاحوص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر فى الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذى بزيادة فيه * قوله عوان جمع عانية أى اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق * قوله عز وجل ﴿ فأن أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا ﴾ أى لاتطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم * عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت أخرجه أبو داود * قوله ولا تقبح أى لا تقل قبحك الله (ق) عن عبدالله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم

كذلك والثانى (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد أى لاتداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو ان يوليها ظهره فى المضجع لانه لم يقل عن المضاجع (واضربوهن) ضربا غير مبرح أمر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فأن أطعنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر أى طلبته

اياهن بالتوفيق (واللاتى تخافون) تعلمون (نشوزهن) عصيانهن فى المضاجع معكم (فعظوهن) بالعلم والقرآن (واهجروهن فى المضاجع) حولوا عنهن وجوهكم فى الفراش (واضربوهن) ضربا غير مبرح ولاشائن (فأن اطعنكم) فى المضاجع (فلاتبغوا) فلاتطلبوا (عليهن سبيلا) فى الحب

(امرأته)

لاذنب له ﴿أن الله كان عليا كبيرا﴾ فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم

امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أوقال يضاجعها من آخر اليوم * عن أياس بن عبدالله بن أبي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود * أياس بن عبدالله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لايعرف له صحبة * قوله زبرت يقال زبرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشئ أحاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها للتأديب فلايضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولايوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولايبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمنديل واليد ولايضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شئ أولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلاسبيل له عليها فان أبت هجر مضجعها فان أبت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها أو يضربها * عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت أن تجئ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح * وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح * وفي أخرى حتى ترجع * عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور أخرجه الترمذي * وله عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك الينا * وله عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلاتبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه أزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولاتجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لاتكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن ﴿أن الله كان عليا كبيرا﴾ العلي في صفة الله تعالى معناه

(أن الله كان عليا كبيرا) أي ان علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة

(أن الله كان عليا) أعلى كل شئ (كبيرا) أكبر كل شئ لم يكلفكم ذلك فلاتكلفوا من النساء مالاطاقة لهن به من المحبة

أوانه على علوشأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عن ازواجكم أوانه تعالى ويتكبر ان يظلم أحدا أوينقص حقه ﴿وأن خفتم شقاق بينهما﴾ خلافا بين المرأة وزوجها أضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف امالاجرائه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة أو الفاعل كقولهم نهارك صائم ﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها﴾ فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر أو اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من أهلها فان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين أولتبيين الامر ولايليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجد الصلاح فيه

﴿أن يريدا اصلاحا

الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال من أن يكلف عباده مالايطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله على كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصى اذا تاب ويغفرله فاذ تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فانتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم ❊ قوله عز وجل ﴿وان خفتم﴾ يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أى ظننتم ﴿شقاق بينهما﴾ يعنى بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق صاحبه أوبكون أصله من شق العصا وهوان يقول كل واحد من الزوجين مايشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذاظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لاتؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى مالايحل قولا وفعلا ❊ قوله عز وجل ﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها﴾ اختلفوا فى المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحى الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون أمر الآحاد الامة سواء وجد الامام أولم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها ﴿أن يريدا أصلاحا﴾ يعنى الحكمين وقيل الزوجين

بقوله (وأن خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل مايشق على صاحبه أو يميل الى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر مايدل عليهما والرجال والنساء (فابعثوا حكما من أهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان مافى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير فى (أن يريدا أصلاحا)

(وأن خفتم) علمتم (شقاق بينهما) مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما (فابعثوا حكما من أهله) من أهل الرجل الى الرجل حتى يسمع كلامه ويعلم ظالما هو أومظلوما (وحكما من أهلها) من أهل المرأة الى المرأة حتى يسمع كلامها ويعلم ظالمة هى أومظلومة (أن يريدا) الحكمان (اصلاحا)

يوفق الله بينهما ﴾ الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين أى ان قصدا الاصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أى ان أرادا الاصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه ﴿ أن الله كان عليما خبيرا ﴾

﴿ يوفق الله بينهما ﴾ يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ماعليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ماأقرت به قال الشافعى والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين و يجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح أوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ماهو الصواب من اتفاق أوطلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل أويفتدى حكم المرأة بشئ من مالها فللشافعى فى ذلك قولان أحدهما انه لايجوز الابرضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا بأذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع بشئ من مالها الا باذنها وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ماأقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت أى لست بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ماأقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لمارضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حاليهما فى الوصلة ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن الله كان عليما خبيرا ﴾ يعنى ان الله تعالى يعلم

للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا صلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أو ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى ان يريدا أصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (أن الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله

بين المرأة والرجل (يوفق الله بينهما) بين الحكمين والمرأة والرجل (أن الله كان عليما) بموافقة الحكمين ومخالفتهما (خبيرا) بفعل المرأة والرجل نزلت من قوله الرجال قوامون على النساء الى ههنا فى بنت محمد بن سلمة بلطمة لطمها زوجها أسعد بن الربيع لقبل عصيانها فى المضاجع فطابت من النبى صلى الله عليه وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك

بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ﴾ صنما أوغيره أوشيأ من الاشراك جليا أو خفيا ﴿وبالوالدين احسانا﴾ وأحسنوا بهما احسانا ﴿وبذى القربى﴾ وبصاحب القرابة ﴿واليتامى والمساكين

كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غيرطريق الحق * قوله عزوجل ﴿واعبدوا الله﴾ يعنى وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح ﴿ولاتشركوابه شيأ﴾ يعنى واخلصوا له فى العبادة ولاتجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غيرالله فقداشرك به ولايكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير أواسمه يعفور فقال يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وماحق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولايشركوا به شيأ وحق العباد على الله ان لايعذب من لايشرك به شيأ فقلت يارسول الله أفلا أبشر الناس قال لاتبشرهم فيتكلوا* قوله هل تدرى ماحق الله على عباده معناه مايستحقه مماأوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولايشركوابه شيأ* وقوله وماحق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لالانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب أى متأكد قيامى به* وقوله أفلا أبشر الناس الخ انما قال لاتبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك أصلح لهم وأحرى أن لايتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة * قوله عزوجل ﴿وبالوالدين احسانا﴾ تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى برابهما وعطفا عليهما وانما قرن برالوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد* واعلم ان الاحسان الى الوالدين هوان يقوم بخدمتهما ولايرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال أبوك* وفى رواية قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فادناك* قوله ثم أباك فيه حذف تقديره ثم برأباك (م) عنه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أوأحدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله عز وجل ﴿وبذى القربى﴾ أى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذوو رحمه من قبل أبيه وأمه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه* قوله ينسأله فى أثره يعنى يؤخر له فى أجله وعمره * قوله عزوجل ﴿واليتامى والمساكين﴾ أى واحسنوا الى اليتامى وانما أمر

(واعبدوا الله) قيل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولاتشركوابه شيأ) صنما وغيره ويحتمل المصدر أى اشراكا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أوعم أو غيرهما (واليتامى والمساكين

(واعبدوا الله) وحدوا الله (ولاتشركوابه شيأ) من الاوثان (وبالوالدين احسانا) برابهما (وبذى القربى) أمر بصلة القرابة (واليتامى) أمر بالاحسان الى اليتامى وحفظ أموالهم وغيرذلك (والمساكين) وحث على صدقة المساكين

والجارذى القربى﴾ اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أودين • وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه ﴿ والجار الجنب ﴾ البعيد أو الذى لاقرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل

بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذى لايفتر وكالصائم الذى لايفطر * قوله عز وجل ﴿ والجارذى القربى والجار الجنب ﴾ أى وأحسنوا الى الجارذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذوالقربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه • وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما بابا منك (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك • وفى رواية قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لايأمن جاره بوائقه ولمسلم لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشئ الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت * قوله عز وجل ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هى المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك * عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل

والجارذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) أى الذى جواره بعيد أوالجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى (والصاحب بالجنب) أى الزوجة عن على رضى الله عنه أوالذى صحبك بان حصل بجنبك امارفيقا فى سفر أوشريكا فى تعلم علم أوغيره أوقاعدا الى جنبك فى مجلس أو

(والجارذى القربى) جاربينك وبينه قرابة له ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الاسلام وحق الجوار (والجار الجنب) الجار الاجنبى من قوم آخرين له حقان حق الاسلام وحق الجوار (والصاحب بالجنب) الرفيق فى السفر له حقان حق الاسلام وحق الصحبة ويقال الصاحب بالجنب المرأة فى البيت أمر

بجنبك وقيل المرأة ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر أو الضيف ﴿ وماملكت أيمانكم ﴾ العبيد والاماء ﴿ أن الله لايحب من كان مختالا ﴾ متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولايلتفت اليهم ﴿ فخورا ﴾ يتفاخر عليهم

﴿ وابن السبيل ﴾ يعنى المسافر المجتاز بك الذى قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن أبى شريح خويلد بن عمرو العدوى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت زاد فى رواية ولايحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شئ عنده يقريه به * قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أى يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه مايجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه مايكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر * وقوله أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه أى يوقعه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك * قوله عز وجل ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ يعنى المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لايكلفهم مالا يطيقون ولايؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة مايحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة سيئ الملكة أخرجه الترمذى * عن رافع بن مكيث رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود * وله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد رضى الله عنه قال رأيت أباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فاتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم أخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه * قوله عز وجل ﴿ أن الله لايحب من كان مختالا ﴾ المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لايقوم بحقوق الناس ﴿ فخورا ﴾ الفخور هو الذى يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذى يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولايلوى بنظره عليهم ولان المختال

مسجد (وابن السبيل) الغريب أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (أن الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا

بالاحسان اليها (وابن السبيل) أمر باكرام الضيف والضيف ثلاثة أيام حق ومافوق ذلك فهو صدقة (وماملكت أيمانكم) أمر بالاحسان الى الخدم من العبيد والاماء (أن الله لايحب من كان مختالا) فى مشيته (فخورا) بنعم الله بطرا متكبرا على عباده

(الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من او على الذم او رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره الذين هم يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرشد والرشد

﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به * وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين هى لغة ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة ﴿ واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله سبحانه وتعالى ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر

هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء فى الفدادين من أهل الوبر والسكينة فى أهل الغنم * الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بهما * قوله عز وجل ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ نزلت فى اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت فى كردم بن زيد وحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة ابن حبيب ونافع بن أبى نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل فى كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفى الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال ﴿ وأعتدنا للكافرين ﴾ يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم ﴿ عذابا مهينا ﴾ يعنى فى الآخرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذى وقال حديث

أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث اذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى أثر نعمته فاحببت ان أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه قيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أى يهانون به فى

(الذين يبخلون) هم الذين يبخلون بكتمان صفة محمد ونعته كعب وأصحابه (ويأمرون الناس بالبخل) بالكتمان (ويكتمون ما آتاهم الله) بين الله لهم

فى الكتاب (من فضله) من صفة محمد ونعته (وأعتدنا للكافرين) لليهود (عذابا مهينا) يهانون به (قا و خا ١٠ نى)

فى الآخرة (والذين ينفقون أموالهم) معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين (رئاء الناس) مفعول له أى للفخار وليقال ما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) وأى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ (وكان الله بهم عليما) وعيد

وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا أخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ﴾ أى وما الذى عليهم أو أى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى أمر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التحضيض ههنا والتعليل ثمه ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ وعيد لهم

غريب * قوله عز وجل ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ يعنى للفخار والسمعة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه نزلت هذه الآية فى اليهود وقيل فى المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين أموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى ﴿ وماذا عليهم ﴾ يعنى وأى شئ عليهم وأى وبال وتبعة تلحقهم ﴿ لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ أى أى وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ يعنى لا يخفى عليه شئ من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم

(والذين) وهم رؤساء اليهود (ينفقون أموالهم رئاء الناس) سمعة للناس حتى يقولوا انهم على سنة ابراهيم ويتفضلون باموالهم ويعطون (ولا يؤمنون بالله) وبمحمد والقرآن (ولا باليوم الآخر) بالبعث بعد الموت وبنعيم الجنة (ومن يكن الشيطان له قرينا) معينا فى الدنيا (فساء قرينا) بئس القرين له فى النار (وماذا عليهم) على اليهود ولم يكن عليهم شئ (لو آمنوا بالله) وبمحمد والقرآن (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة (وأنفقوا مما رزقهم الله) أعطاهم الله من المال فى سبيل الله (وكان الله بهم) باليهود وبمن يؤمن وبمن لا يؤمن منهم (عليما

(قوله)

﴿ أن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ لاينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب أصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه ﴿ وأن تك حسنة ﴾ وان يكن مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة * وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة ﴿ يضاعفها ﴾ يضاعف ثوابها * وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى

---

* قوله عز وجل ﴿ أن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لايظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعنى وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذى يكون فى الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لاوزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لايظلم أحدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شئ يعرفه الناس ﴿ وأن تك حسنة يضاعفها ﴾ يعنى الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقى له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتى على سيآتى بمثقال ذرة أحب الى من الدنيا ومافيها ﴿م﴾ عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه سجلات فقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى ﴿ق﴾ عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار * وفى رواية فما أنتم =

(أن الله لايظلم مثقال ذرة) هى النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وأن تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة مجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) يضاعف ثوابها يضعفها مكى وشامى

أن الله لايظلم مثقال ذرة) لايترك من عمل الكافر مثقال ذرة لينفعه فى الآخرة أو يرضى به خصماءه (وأن تك حسنة) للمؤمن المخلص بعد رضاء الخصماء (يضاعفها) من واحدة الى عشرة

بأشد منا شدة فى الحق فدتبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا
فى أخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا
من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف
ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنابه فيقول ارجعوا فمن
وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا
لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنابه ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا
ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقولون ان لم تصدقونى بهذا
الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
قدعادوا جيعا فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة
فى حيل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر مايكون الى الشمس أصيفر
وأخيضر ومايكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى
بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين
أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فمارأيتموه فهو لكم
فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون
ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلاأسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو
بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة فى الخصوم ويدل عليه ماروى عن عبد الله
ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله
ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على
والده أوولده أوزوجته أوأخيه فيأخذمنه وان كان صغيرا ومصداق ذلك فى كتاب الله
تعالى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلاأنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ويؤتى بالعبد
وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق
فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقولون أى رب من أين وقدذهبت
الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى لملائكته انظروا فى أعماله الصالحات فأعطوهم منها فان
بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة ياربنا وهوأعلم بذلك أعطينا كل ذى حق حقه
وبقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى
الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا عظيما أى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت
حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى
سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا

(ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أى أمتك (شهيدا) حال أى شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (يومئذ) ظرف لقوله (يود الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى أو يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون

﴿ ويؤت من لدنه ﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل ﴿ أجرا عظيما ﴾ عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه ﴿ فكيف ﴾ أى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ﴿ اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن ﴿ وجئنا بك ﴾ يا محمد ﴿ على هؤلاء شهيدا ﴾ تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ﴾ بيان لحالهم حينئذ أى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر أو الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا

عليه وأسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها أى يجعلها أضعافا كثيرة ﴿ ويؤت من لدنه ﴾ يعنى من عنده ﴿ أجرا عظيما ﴾ يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال أبو هريرة اذا قال الله عز وجل أجر عظيما فمن يقدر قدره * قوله عز وجل ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل أمة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبى كل أمة يشهد عليها ولها ﴿ وجئنا بك ﴾ يا محمد ﴿ على هؤلاء شهيدا ﴾ يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال انى أحب أن أسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحد رواته * قوله عز وجل ﴿ يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ يود ﴾ أى تمنى ﴿ الذين كفروا ﴾ يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى ﴿ وعصوا الرسول ﴾ يعنى فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل ﴿ لو تسوى بهم الارض ﴾ يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا أن لن يبعثوا لانهم

(ويؤت) ويعط (من لدنه) من عنده (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة (فكيف) يصنع الكفار (اذا جئنا من كل أمة) قوم (بشهيد) بنبى يشهد عليهم بالبلاغ (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) ويقال لامتك شهيدا مزكيا معدلا مصدقا لهم لان أمته يشهدون للانبياء على قومهم اذا جحدوا (يومئذ) يوم القيامة (يود) تمنى (الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول) بالاجابة (لو تسوى بهم الارض) أى يصيرون ترابا مع

حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف أحدى التاءين من تتسوى حمزة وعلى تسوى بادغام التاء فى السين مدنى وشامى (ولايكتمون الله حديثا) مستأنف أى ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبدالرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون وأنتم عابدون ماأعبد نزل (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى) أى لاتقربوها فى هذه الحالة (حتى تعلموا ماتقولون) أى تقرؤن وفيه دليل على ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما أمر النبى عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت

هم والارض سواء ﴿ولايكتمون الله حديثا﴾ ولايقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لايكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض • وقرأ نافع وابن عامر تسوى بهم على ان اصله تتسوى فادغمت التاء فى السين • وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ﴾ أى لاتقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ماتقولون فى صلاتكم روى ان عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد

انما كانوا فى الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا ﴿ ولايكتمون الله حديثا ﴾ قال ابن عباس فى رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على قال هات مايختلف عليك قال منها قوله تعالى ولايكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا أن الله لايكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لايتكلمون ولاتسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفى موطن لايتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولايكتمون الله حديثا * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى ﴾ جمع سكران ﴿ حتى تعلموا ماتقولون ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما

البهائم (ولا يكتمون الله حديثا) لم يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين ونزل فى أصحاب محمد قبل تحريم الخمر قوله (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لاتقربوا الصلوة) فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم مع النبى عليه السلام (وأنتم سكارى) نشاوى (حتى تعلموا ماتقولون) مايقرأ امامكم فى الصلاة

(فدعانا)

وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى أومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ﴿ ولاجنبا ﴾ عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذى أصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر ﴿ الاعابرى سبيل ﴾ متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من أعم الاحوال أى لاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الافى السفر وذلك اذالم يجد الماء وتيمم وتشهدله تعقيبه بذكر التيمم أوصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لايرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوزله المرور فى المسجد الااذا كان

فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدمونى فقرأت قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون قال فخلطت فنزلت لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبوداود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم على فى المغرب فقرأ قل ياأيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عزوجل ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا فى المراد بالصلاة قولان أحدهما أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لاتصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون والقول الثانى ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لاتقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز * واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها فى غير أوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لاتقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه فى الصحيحين * قوله عزوجل ﴿ ولاجنبا ﴾ يعنى ولاتقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب وأصل الجنابة البعد سمى الذى أصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل ﴿ الا عابرى سبيل ﴾

على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لايحكم بكفره (ولاجنبا) عطف على وأنتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لاتقربوا الصلاة سكارى ولاجنبا أى ولاتصلوا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب (الا عابرى سبيل) صفة لقوله جنبا أى لاتقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لاتقربوا الصلاة غير مغتسلين

(ولاجنبا) لاتأتوا المسجد جنبا (الاعابرى سبيل) الامارى الطريق فيما

فيه الماء أو الطريق ﴿حتى تغتسلوا﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه

العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين أحدهما أن المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم لعبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي وأحمد القول الثاني أن المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرون والمعنى لاتقربوا الصلاة وأنتم جنب الا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لايحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله ﴿حتى تغتسلوا﴾ يعني الى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

(حتى تغتسلوا) الا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهو مروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لاتقربوا الصلاة أي مواضع الصلاة وهي المساجد ولا جنبا أي ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابري سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة لابد لكم (حتى تغتسلوا) من الجنابة

فصل في احكام تتعلق بالآية

اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لايجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء أن تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن

(حديث)

﴿وأن كنتم مرضى﴾ مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعه عن الوصول اليه ﴿أو على سفر﴾ لاتجدونه فيه

حديث عائشة بانه في رواته مجهول وقال عبد الحق لايثبت من قبل اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته ان المسجد لايحل لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ماروى عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ويحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ أخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق أو بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولايذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد بللا قال لاغسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل * قوله عز وجل ﴿وأن كنتم مرضى﴾ جمع مريض وأراد به المرض الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا في سفرنا فاصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا مانجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولايتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم * قوله عز وجل ﴿أو على سفر﴾ يعني أو كنتم

(وأن كنتم مرضى أو على سفر)

(وأن كنتم مرضى) جرحى (أو على سفر

﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ فاحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين واصل الغائط المكان المطمئن من الارض ﴿ أو لامستم النساء ﴾ أو ماسستم بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن * وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة

مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيم ويصلي ولا اعادة عليه لما روى عن أبي ذر رضي الله عنه قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود * العس قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال أما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * قوله عز وجل ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه * قوله عز وجل ﴿ أو لامستم النساء ﴾ قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس أن الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من قرأ أو لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول اذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد =

(فصل)

أو جاء أحد منكم من الغائط) أي المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (أو لامستم النساء) جامعتموهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس

أو جاء أحد منكم من الغائط) من مكان حدث (أو لامستم النساء) أو جامعتم النساء

فصل فى أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل

المسئلة الاولى

اذا أفضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أوجسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك فى الموطأ قال الشافعى وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد وأحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هى الا أنت فضحكت أخرجه أبوداود وأجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذى انه لايصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لاشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقى يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لاينتقض الوضوء باللمس الا أن يحدث الانتشار وقال قوم لاينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثورى واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت أنام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه فى الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل أن يكون غمزه لها على حائل

المسئلة الثانية

اختلف قول الشافعى فى لمس المحرم كالام والبنت والاخت أو أجنبية صغيرة فاصح القولين عنه أنه لاينتقض الوضوء به والثانى انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعى التردد بين التعلق بعموم الآية فى قوله أولامستم النساء أو النظر الى المعنى فى النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لافعل منه فى المباشرة رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل اللمس وان لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثانى أنه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك

=لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أوسنها أوظفرها فلاوضوء عليه

المسئلة الثالثة فى الحدث

وهوالخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أوأثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلاتصح صلاته مالم يتوضأ أويتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الله صلاة احدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ماالحدث ياأباهريرة قال فساء أوضراط أخرجاه فى الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها فذهب قوم الى أنه لاوضوء من خروج هذه الاشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لماروى عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدار قطنى وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد واسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لاينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ماروى عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أناصببت له وضوأه أخرجه الترمذى وقال هوأصح شئ فى هذا الباب

المسئلة الرابعة

من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أواغماء أونوم لماروى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبوداود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ماروى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولايتوضؤن أخرجه أبوداود وذهب قوم الى أن النوم لاينقض الوضوء بكل حال وهوقول أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما وبه قال الحسن واسحق والمزنى وذهب قوم الى انه لونام قائما أوقاعدا أوساجدا وهو فى الصلاة فلاوضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى لماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث

المسئلة الخامسة

من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أوغيره فذهب قوم الى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمروابن عمر وابن عباس وسعد بن أبى وقاص وأبى هريرة وعائشة رضى الله عنهم وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعى والشافعى

(وأحمد)

﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ فلم تمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المرخص بالتيمم اما محدث أو جنب والحال المقتضية له فى غالب الامر مرض أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات أو بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴿ فتيمموا صعيدا طيبا

وأحمد واسحق غير أن الشافعى قال ينتقض الوضوء اذا لمس ببطن الكف والرجل والمرأة فى ذلك سواء ويدل على ذلك ماروى عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح ولابى داود والنسائى نحوه ❊ وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة ❊ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم الى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول على وابن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى واحتجوا بما روى عن طلق ابن على قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوى فقال يا نبى الله ماترى فى مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هل هو الا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود وللترمذى والنسائى نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن على بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى أول الهجرة وهو يبنى المسجد وأبو هريرة رضى الله عنه من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبى هريرة رضى الله عنه ناسخا لحديث طلق بن على وأيضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند أهل الحديث ❊ قوله عز وجل ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى أبى بكر الصديق فقالوا ألا ترى الى ماصنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة

(فلم تجدوا ماء) فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول اليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فتيمموا) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذى هو الامر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم أن أن يتيمموا المستم حمزة وعلى (صعيدا) قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طيبا) طاهرا

(فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فتعمدوا الى تراب نظيف

=فعاتبنى أبو بكر وقال ماشاءالله ان يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد ابن حضير وهو أحد النقباء ماهى بأول بركتكم يا آل أبى بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه فى الصحيحين* قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهى بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة* وقولها فبعثنا البعير أى أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ماقبله والمعنى أوجاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعنى فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مأمور بالتطهر بالماء فاذا أعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعى اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقال ابوحنيفة لايجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعى قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلابد فى كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم فى اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو فى الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا فى الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولانبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التى لاشئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولاتبالى أكان فى الموضع تراب اولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعى فى تفسير الصعيد قال لايقع اسم الصعيد الاعلى تراب ذى غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد قال ولايتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعى فى تفسير الصعيد وهو القدوة فى اللغة وقوله فى ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيد فى انه التراب وجميع الاقوال فى الصعيد صحيحة فى اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس فى قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مماله غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذى ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا مالاينبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى فى سورة المائدة

{فامسحوا}

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ أى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لابد ان يتعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذلايفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وماروى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ٠

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولايتأتى ذلك فى الصخر الذى لاتراب عليه وأيضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولايكون ذلك فى الصخر وماأشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ماهو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لوضرب يده على صخرة ملساء لاغبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لماتصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أى اقصدوا أرضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم من الدليل فى قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولماروى عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ماتقدم من حديث حذيفة فى تخصيص التراب والمفسر يقضى على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ماتصاعد على الارض واجيب عنه بماتقدم من الادلة ❁ قوله عزوجل ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ الوجه الممسوح فى التيمم هو المحدود فى الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولايجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ماروى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقى ولم يضعفه وروى الشافعى عن ابراهيم بن محمد عن أبى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجه وذراعيه ثم رد على هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبدالرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبى جهيم بن الحرث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبى صلى الله عليه =

(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) قيل الباء زائدة

(فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية

=وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولأبي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني أن أرد عليك أولا الا أني لم أكن على طهر * وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما في هذا الباب فان البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبوداود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار ابن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما او وجهه * وفي رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى أن الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

فصل وأركان التيمم خمسة

الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه

(غبار)

﴿ أن الله كان عفوا عفورا ﴾ فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم ﴿ ألم ترالى الذين أوتوا ﴾ من رؤية البصر أى ألم تنظر اليهم أو القلب وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء ﴿ نصيبا من الكتاب ﴾ حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد أحبار اليهود ﴿ يشترون الضلالة ﴾ يختارونها على الهدى أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله غليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ﴿ ويريدون

غبار الثانى قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله ان ينوى استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتى فرض بتيمم واحد وهو قول على وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبى والنخعى وقتادة واليه ذهب مالك والشافعى وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلى به ماشاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثورى وأصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز ان يصلى بتيمم واحد ماشاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء فى السفر بان يطلبه فى رحله وعند رفقائه وان كان فى صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أبى حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء فى بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلى ولا اعادة عليه والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ أن الله كان عفوا ﴾ يعنى يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم ﴿ غفورا ﴾ ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى بان يرخص للعاجزين أمر العبادة * قوله عز وجل ﴿ ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ﴾ نزلت فى يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فانزل الله تعالى ألم تر يعنى ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التى هى للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها ﴿ يشترون الضلالة ﴾ يعنى يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعنى يستبدلون الضلالة بالهدى ﴿ ويريدون ﴾ يعنى اليهود

(أن الله كان عفوا) بالترخيص والتيسر (غفورا) عن الخطأ والتقصير (ألم تر) من رؤية القلب وعدى االى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل (ويريدون

(أن الله كان عفوا) متفضلا فيما وسع عليكم (غفورا) فيما يكون منكم من التقصير (ألم تر) ألم تخبر فى الكتاب (الى) عن (الذين أتوا) أعطوا (نصيبا من الكتاب) علما بالتوراة (يشترون الضلالة) يختارون اليهودية (ويريدون

أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السبيل) أى سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم (وكفى بالله وليا) فى النفع (وكفى بالله نصيرا) فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التميز أو على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعدائكم ومابينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته وهو (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على مابينا من ازالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) (يظهرون)

أن تضلوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ السبيل ﴾ سبيل الحق ﴿ والله أعلم ﴾ منكم ﴿ بأعدائكم ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء ومايريدون بكم فاحذروهم ﴿ وكفى بالله وليا ﴾ يلى أمركم ﴿ وكفى بالله نصيرا ﴾ يعينكم فتقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى ﴿ من الذين هادوا يحرفون ﴾ بيان للذين أوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لاعدائكم أو صلة لنصيرا أى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته يحرفون ﴿ الكلم عن مواضعه ﴾ أى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه * وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ﴿ ويقولون سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك

﴿ أن تضلوا السبيل ﴾ يعنى عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكى يجتنبو الاسلام ﴿ والله أعلم باعدائكم ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى أعلم بكنه مافى قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يامعشر المؤمنين. فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم ﴿ وكفى بالله وليا ﴾ يعنى متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد ﴿ وكفى بالله نصيرا ﴾ يعنى فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره * قوله تعالى عز وجل ﴿ من الذين هادوا ﴾ قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه ﴿ عن مواضعه ﴾ يعنى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل ﴿ ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ يعنى سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا فى الظاهر سمعنا وقالوا فى الباطن عصينا وقيل انهم كانوا

أن تضلوا السبيل) أن تتركوا دين الاسلام نزلت فى اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا عبدالله بن أبى وأصحابه الى دينهما (والله أعلم باعدائكم) من المنافقين واليهود (وكفى بالله وليا) حافظا (وكفى بالله نصيرا) مانعا (من الذين هادوا *) يعنى اليهود مالك بن الصيف وأصحابه (يحرفون الكلم عن مواضعه) يغيرون صفة محمد ونعته بعد بيانه فى التوراة ويأتون محمدا (ويقولون سمعنا) قولك يا محمد (وعصينا)

أمرك قيل أسروا به (واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيأ فكان صم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب الى ماتدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيأ أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله ﴿٩١﴾ (وراعنا) يحتمل ﴿ سورة النساء ﴾ راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاسمعت مكروها أو يفتلون بالسنتهم مايضمرونه من الشتم الى مايظهرونه من التوقير نفاقا (وطعنا فى الدين) هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يلحقوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) وأعدل وأسد

﴿ واسمع غير مسمع ﴾ أى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم أو موت أو واسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه أو واسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو واسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا ﴿ وراعنا ﴾ انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ﴿ ليا بألسنتهم ﴾ فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاسمعت مكروها أو فتلا بها وضما مايظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا ﴿ وطعنا فى الدين ﴾ استهزاء به وسخرية ﴿ ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ﴾ ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوه ﴿ لكان خيرا لهم وأقوم ﴾ لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه

يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا ﴿ واسمع غير مسمع ﴾ هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها فى المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها فى الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا تسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون فى أنفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ماتدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلا ماترتضيه ﴿ وراعنا ﴾ أى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك أى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لايخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم ﴿ ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ﴾ أصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا ﴾ يعنى ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا ﴿ وأسمع ﴾ يعنى بدل قولهم لاسمعت ﴿ وانظرنا ﴾ يعنى بدل قولهم راعنا أى انظر الينا ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ يعنى عند الله ﴿ وأقوم ﴾ يعنى أعدل وأصوب ﴿ ولكن لعنهم الله ﴾ يعنى

أمرك فى السر عنه (واسمع) منا يامحمد (غير مسمع) غير مطاع ومسمع منك فى السر (وراعنا) اسمع منا يامحمد وكان بلغتهم راعنا اسمع لاسمعت (ليا بألسنتهم) يحرفون ألسنتهم بالشتم والتعيير (وطعنا فى الدين) عيبا فى الاسلام (ولو أنهم) يعنى اليهود (قالوا سمعنا) قولك يامحمد (وأطعنا) أمرك (واسمع) منا (وانظرنا) انظر الينا (لكان خيرا لهم) من السب والتعيير (وأقوم) أصوب

(ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الاقليلا) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو الا ايمانا قليلا ضعيفا لايعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) يعنى التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) أى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى اقدام قيل والمراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أى من قبل ان نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم

﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم ﴾ ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ أى الا ايمانا قليلا لايعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كقوله

قليل التشكى للمهم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون ﴿ ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء أو ننكسها الى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة وأصل الطمس ازالة الاعلام المماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار أو نردها الى حيث جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى أجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء

طردهم وأبعدهم عن رحمته ﴿ بكفرهم ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ يعنى فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين أوتوا الكتاب ﴾ خطاب لليهود ﴿ آمنوا بما نزلنا ﴾ يعنى القرآن ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ يعنى التوراة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا مانعرف ذلك وأصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وأمرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى ﴿ من قبل ان نطمس وجوها ﴾ أصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا فى المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقته والثانى أن يحمل على مجازه أما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين ﴿ فنردها على أدبارها ﴾ يعنى نجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا تحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعنى على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعنى بتغيير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى أذرعات واريحاء من أرض الشام من حيث جاؤا وهو اجلاء بنى النضير * فأن قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يأمنوا ولم يأمنوا فلم يفعل بهم ذلك * قلت هذا الاشكال

(ولكن) ولكنهم (لعنهم الله) عذبهم الله بالجزية (بكفرهم) عقوبة لكفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) وهو من أسلم منهم عبد الله بن سلام وأصحابه (ياأيها الذين أوتوا الكتاب) أعطوا علم التوراة بصفة محمد ونعته (آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدقا) موافقا (لما معكم) بالتوحيد (انما) وصفة محمد ونعته (من قبل أن نطمس وجوها) ان نغير قلوبكم (فنردها على أدبارها) فنردها عن بصائر الهدى ونحول وجوههم

صغارهم وأدبارهم (أونلعنهم كالعنا أصحاب السبت) أى نخزيهم بالمسخ كامسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان أريد الوجهاء أو الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لايؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآيه قافلا من الشأم فأتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان

الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة ﴿ أونلعنهم كالعنا أصاب السبت ﴾ أونخزيهم بالمسخ كما أخزينا به اصحاب السبت أونمسخهم مثل مسخهم أونلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه أوللذين على طريقة الالتفات أوللوجوه ان أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة ﴿ وكان أمر الله ﴾ بايقاع شئ أووعيده أوما حكم به وقضاه ﴿ مفعولا ﴾ نافذا أوكائنا فيقع لامحالة ماوعدتم به ان لم تؤمنوا ﴿ أن الله لايغفر أن يشرك به ﴾ لانه بت الحكم على خلود عذابه ولانه ذنب لاينمحى عنه أثره فلايستعد للعفو بخلاف غيره ﴿ ويغفر مادون ذلك ﴾ أى مادون الشرك صغيرا كان أوكبيرا ﴿ لمن يشاء ﴾ تفضلا عليه واحسانا وأول المعتزلة

انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبدالله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتى أهله فاسلم وقال يارسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول وجهى الى قفاى وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية فى خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يارب أسلمت مخافة أن يصيبنى وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لايؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق فى اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد بأحد شيئين اما بالطمس أوباللعنة وهو قوله تعالى ﴿ أونلعنهم كالعنا أصحاب السبت ﴾ أى نجعلهم قردة كافعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية فى نلعنهم تعود الى المخاطبين فى قوله تعالى ياأيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فتجعل الكناية فى قوله أونلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان فى الكلام دلالة عليهم ❁ قوله عز وجل ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ يعنى لابد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلاراد لحكمه ولاناقض لامره على معنى انه لايمتنع عليه شئ يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والأمر هنا فى موضع المأمور سمى أمرا لانه عن أمره كان ❁ قوله عز وجل ﴿ أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ قال

يأتى أهله وقل ما كنت أرى ان أصل الى أهلى قبل ان يطمس الله وجهى ولان الله تعالى أوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه أوبلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وكان أمر الله) اى المأمور به وهو العذاب الذى اوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محاله فلابد أن يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (أن الله لايغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر مادون ذلك) أى مادون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران مادونه لمن لم يتب أى لايغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبى عليه السلام من لقى الله تعالى لايشرك به شيأ دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لايخرجه

الى الاقفية (أونلعنهم) أونمسخهم (كالعنا) مسخنا (أصحاب السبت) قردة (وكان أمر الله مفعولا) كائنا فاسلم بعد نزول هذه الآية عبدالله بن سلام وأصحابه (أن الله لايغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) لمن تاب

الفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل

عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال علي رضي الله عنه مافي القرآن آية أحب الي من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر معفو عنه بالتوبة لقوله تعالى

ابن جرير الطبري معناه ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على أن اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت في وحشي وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ماصنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لايدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لانعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف أن لانكون من أهل المشيئة فنزلت قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي أخبرني كيف قتلت حمزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشأم فكان به الى أن مات وقيل لما نزلت قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يارسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لايغفر لمشرك مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لمادون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لايجوز في الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل مايشاء لامكره له ولاحجر عليه ويدل على ذلك أيضا ماروى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب ياأمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما أنه

قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه أولى ان يغفر بالتوبة والآية سبقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكى من يشاء) اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الاصابع من الوسخ

ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما﴾ ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ﴿ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ يعنى أهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها ﴿بل الله يزكى من يشاء﴾ تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا أو قولا ﴿ولا يظلمون﴾ بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق ﴿فتيلا﴾ أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط

لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ما فى القرآن أحب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر رضى الله عنه قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار * قوله عز وجل ﴿ومن يشرك بالله﴾ يعنى يجعل معه شريكا غيره ﴿فقد افترى﴾ أى اختلق ﴿اثما عظيما﴾ يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل ﴿ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ نزلت فى رجال من اليهود أتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ويدخل فى هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها بزكاء العمل أو زيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون انهم أزكياء لانهم برؤا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم ﴿بل الله يزكى من يشاء﴾ فيجعله زاكيا ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ يعنى ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون

(ومن يشرك بالله فقد افترى) اختلق على الله (اثما) كذبا (عظيما) نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم (ألم تر) ألم تخبر فى الكتاب (الى الذين) عن الذين (يزكون) يبرؤن (أنفسهم) من الذنوب يعنى اليهود بحيرا ابن عمرو ومرحب بن زيد (بل الله يزكى) يبرئ من الذنوب (من يشاء) من كان أهلا لذلك (ولا يظلمون فتيلا) لا ينقص من ذنوبهم قدر فتيل وهو الشئ الذى يكون فى وسط النواة ويقال هو الوسخ الذى تفتل بين أصبعك

(انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم انهم عند الله أزكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى اليهود (يؤمنون بالجبت) أى الاصنام وكل ماعبدوه من دون الله (والطاغوت)

الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ فى زعمهم انهم ابناء الله سبحانه وتعالى وازكياء عنده ﴿وكفى به﴾ بزعمهم هذا أو بالافتراء ﴿اثما مبينا﴾ لايخفى كونه مأثما من بين آثامهم ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام أرضى عند الله مما يدعو اليه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل فى حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ماعبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره

(انظر) يامحمد (كيف يفترون) يختلقون (على الله الكذب) لقولهم مانعمل بالنهار من الذنوب يغفره الله لنا بالليل ومانعمل بالليل يغفر بالنهار (وكفى به) بزعمهم هذا بالله عما قالوا (اثما مبينا) كذبا بينا (ألم تر) ألم تخبر يامحمد (الى الذين) عن الذين (أتوا) أعطوا (نصيبا من الكتاب) علما بالتوراة بنعتك وصفتك وآية الرجم ومايشبهها مالك بن الصيف وأصحابه وكانوا سبعين رجلا (يؤمنون بالجبت) حيي بن أخطب (والطاغوت) كعب بن الاشرف

من ثواب طاعتهم شيأ والفتيل المفتول وسمى مايكون فى شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ماتفتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل فى الشئ الحقير الذى لاقيمة له ﴿انظر﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم انظر يامحمد الى هؤلاء اليهود ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ يعنى قولهم انهم لاذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم ﴿وكفى به﴾ أى بذلك الكذب ﴿اثما مبينا﴾ * قوله عزوجل ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت فى كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبى سفيان فاحسن مثواه ونزل باقى اليهود على قريش فى دورهم فقال لهم أهل مكة أنتم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولانأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفسك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى ألم تر يعنى يامحمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان

(يعبر)

الشيطان (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا) وذلك ان حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم الى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم الينا فلانأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجدله نصيرا) يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون مالغيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) فام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) أى

﴿ ويقولون للذين كفروا ﴾ لاجلهم وفيهم ﴿ هؤلاء ﴾ اشارة اليهم ﴿ أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ أقوم دينا وأرشد طريقا ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجدله نصيرا ﴾ يمنع العذاب عنه بشفاعة أوغيرها ﴿ أم لهم نصيب من الملك ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لمازعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم ﴿ فاذا لايؤتون الناس نقيرا ﴾ أى لوكان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون أحدا مايوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لايؤتون الناس شيأ واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لالتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا

يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر ※ عن قطن بن قبيصة عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا أخذ ذات اليمين مضى فى حاجته واذا أخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ماحرم الله تعالى والطاغوت كل مايطغى الانسان وقيل الجبت هو حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود ﴿ ويقولون ﴾ يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ للذين كفروا ﴾ يعنى لكفار قريش ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى أنتم ياهؤلاء ﴿ أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ يعنى طريقا ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾ يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ ومن يلعن الله ﴾ يعنى يطرده من رحمته ﴿ فلن تجدله نصيرا ﴾ يعنى ينصره ※ قوله عز وجل ﴿ أم لهم نصيب من الملك ﴾ هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم ﴿ فاذا لايؤتون الناس نقيرا ﴾ هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلايؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافة

(ويقولون للذين كفروا) كفار مكة (هؤلاء) كفار مكة (أهدى) أصوب (من الذين آمنوا) بمحمد والقرآن ودينه (سبيلا) أصوب دينا مقدم ومؤخر (أولئك الذين لعنهم الله) عذبهم الله بالجزية (ومن يلعن الله) يعذبه فى الدنيا والآخرة (فلن تجدله) يامحمد (قا وخا ١٣ نى) (نصيرا) مانعا من عذابه (أم لهم نصيب) لوكان لليهود نصيب (من الملك فاذا لايؤتون) لايعطون (الناس) يعنى محمدا وأصحابه (نقيرا) قدر النقير وهو النقرة التى

لو كان لهم نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أو ملك الله فاذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة ﴿٩٨﴾ والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أى التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتى أسلافه (فمنهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته

لا يؤتوا الناس على النصب ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخسهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكأن بينهما تجاذبا وتلازما ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم ﴾ الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه ﴿ الكتاب والحكمة ﴾ النبوة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم ﴿ فمنهم ﴾ فمن اليهود ﴿ من آمن به ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل ابراهيم ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين

الذى لا قيمة له * قوله عز وجل ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ أصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعنى انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ﴾ يعنى انه قد حصل فى أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم فى حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا فى حقهم ولا نقصا فى نبوتهم فلا يكون مستبعدا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا فى نبوته ﴿ فمنهم ﴾ يعنى من اليهود ﴿ من آمن به ﴾ أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أى أعرض عنه

على ظهر النواة (أم يحسدون) بل يحسدون (الناس) يعنى محمدا (على ما آتاهم الله من فضله) على ما أعطاه الله من الكتاب والنبوة وكثرة النساء (فقد آتينا) أعطينا (آل ابراهيم) داود وسليمان (الكتاب والحكمة) العلم والفهم والنبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) أكرمناهم بالنبوة والاسلام وأعطيناهم ملك بنى اسرائيل فكان لداود مائة امرأة مهرية ولسليمان سبعمائة سرية وثلثمائة امرأة مهرية (فمنهم) (ولم) من اليهود (من آمن به) بكتاب داود وسليمان (ومنهم من صد عنه) كفر به

أمره فكذلك لايوهن كفرهؤلاء أمرك ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ نارامسعرة يعذبون بهاأى ان لم يجلوابالعقوبة فقد كفاهم ماأعدلهم من سعيرجهنم ﴿أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ كالبيان والتقرير لذلك ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطاأوبان يزال عنه أثرالاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ أى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدآخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة

ولم يؤمن به ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ يعنى وكفى فى عذاب من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم سعيرا * قوله عز وجل ﴿ أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ هذا وعيد من الله عزوجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمدصلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ماأنزلت على رسولى محمدمن آياتى الدالة على توحيدى وصدق رسولى محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أى ندخلهم نارا نشويهم فيها ﴿ كلما نضجت جلودهم ﴾ يعنى احترقت ﴿ بدلناهم جلودا غيرها ﴾ يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عندعمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغيرسند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه مابين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أوقال ناب الكافر مثل أحدوغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام * فأن قلت كيف تعذب جلودلم تكن فى الدنيا ولم تعص * قلت يعادالجلد الاول فى كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمى خاتما غيره فالثانى هو الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهى النفس التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر فى كل ساعة من الجلود مالايحصى لتحترق ويصل ألمها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهوقوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لواحترقت لفنيت وفى فنائها راحتها وقد أخبرالله عنهم انهم لايموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلداوقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لاتألم لتكون زيادة فى عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره * قوله عزوجل ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ أى انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ماينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا بان احساسهم به فى كل حال كاحساس الذائق فى

وأعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) للصادرين (أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك

(وكفى) لكعب وأصحابه (بجهنم سعيرا) نار واقودا (أن الذين كفروا بآياتنا) بمحمد والقرآن (سوف) وهذا وعيد لهم (نصليهم) ندخلهم (نارا) فى الآخرة (كلما نضجت) احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) جددنا جلودهم (ليذوقوا العذاب) لكى

على عزك (أن الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لايمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدالهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ماكان طويلا فينانا لاجوب فيه ودائما لاتنسخه الشمس وسجسجا لاحر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد دخل فى هذا الامر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الانسان وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى

ادراكها فلا محذور ﴿أن الله كان عزيزا﴾ لايمتنع عليه مايريده ﴿حكيما﴾ يعاقب على وفق حكمته ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا﴾ قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ﴿لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾ فينانا لاجوب فيه ودائما لاتنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ﴿أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها﴾ خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه فلوى على كرم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله تعالى ان يرده اليه فأمر عليا رضى الله عنه بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى أولاده أبدا

تجديد وجدان الذوق من غير نقصان فى الاحساس ﴿أن الله كان عزيزا﴾ يعنى فى انتقامه ممن ينتقم من خلقه لايغلبه شئ ولا يمتنع عليه أحد ﴿حكيما﴾ يعنى فى تدبيره وقضائه وانه لايفعل الا ماهو الصواب ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم﴾ يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة ﴿جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها﴾ يعنى باقين فيها ﴿أبدا﴾ يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع ﴿لهم فيها﴾ يعنى فى الجنات ﴿أزواج مطهرة﴾ يعنى مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا ﴿ويدخلهم ظلا ظليلا﴾ يعنى كنينا ذلك الظل لاتنسخه الشمس ولايؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة * فأن قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس يؤذى حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * قوله عز وجل ﴿أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها﴾ قال البغوى نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه =

يجدوا ألم العذاب (أن الله كان عزيزا) بالنقمة منهم (حكيما) حكم عليهم بتبديل الجلود * ثم نزل فى المؤمنين فقال (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن وجملة الكتب والرسل (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم بالاخلاص (سندخلهم) فى الآخرة (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها وسورها (الانهار) أنهار الخمر واللبن والعسل والماء (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولا يخرجون منها (أبدالهم فيها) فى الجنة (أزواج مطهرة) من الحيض والادناس (وندخلهم ظلا ظليلا) كنا كنينا ويقال ظلا دائما (المفتاح) ممدودا * ثم نزل فى شأن المفتاح الذى أخذه النبى صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة بأمانة الله فأمر الله رسوله برد الامانة الى أهلها فقال (أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات) أن تردوا المفتاح (الى أهلها) الى عثمان بن طلحة

= المفتاح فلوى على بن أبى طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد أنزل الله عز وجل فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح نظر والصحيح ماحكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة فى هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشى فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعنى انهم وجوه أهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يابنى طلحة خالدة مخلدة لاينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزى فى تفسير هذه الآية من رواية أبى صالح عن ابن عباس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبى أنت وأمى اجمعه لى مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يارسول الله بامانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففى هذه الرواية أيضا مايدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب فى قوله ان الله يأمركم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب فى قوله أن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم ياولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة فى جميع الامانات ولايمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فى ذلك جميع الامانات التى يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة فى عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود

(وإذا حكمتم بين الناس) قضيتم (أن تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه

وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بان يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى أولاد عثمان أبدا (أن الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيأ يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الحكم وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى (أن الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) باعمالكم ولما (وإذا حكمتم بين الناس) بين عثمان بن طلحة وعباس بن عبد المطلب (أن تحكموا بالعدل) ان تردوا المفتاح الى عثمان والسقاية الى العباس (أن الله نعما يعظكم) نعم ما يأمركم (به) من رد الامانات والعدل (أن الله كان سميعا) بمقالة العباس اعطنى المفتاح مع السقاية يا رسول الله (بصيرا) بصنع

﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ﴿ أن الله نعما يعظكم به ﴾ أى نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ﴿ أن الله كان سميعا بصيرا ﴾ باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات

الامانة لازمة فى كل شئ حتى فى الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات القسم الثانى هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعوارى الى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها ❁ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب ويدخل فى ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل فى ذلك أيضا عدل الامراء والملوك فى الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التى أمر الله عز وجل باداتها الى أهلها ❁ وروى البغوى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ❁ قوله عز وجل ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ يعنى وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى ان يسوى بين الخصمين فى خمسة أشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه أن يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا ❁ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذى ❁ قوله عز وجل ﴿ أن الله نعما يعظكم به ﴾ أى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل ﴿ أن الله كان سميعا بصيرا ﴾ يعنى أنه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو

(يسمع)

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله سبحانه وتعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر

يسمع حكمكم واذا أديتم الامانة فهو يبصر فعلكم ❊ قوله عزوجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾ (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم الآية قال نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار اني قد أمنته وقد أسلم فقال خالد أتجير علي وأنا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه ان يجير الثانية على أمير فانزل الله تعالى أطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عزوجل امتثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في أولي الامر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله وأولي الامر منكم يعني وأطيعوا أولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الامراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطيع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره الا أن يؤمر بمعصية لله فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولي الامر أبا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في كتابه ❊ وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال ان رسول الله

أمر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بان يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) أي الولاة أو العلماء لان أمرهم ينفذ

عثمان بن طلحة حيث منع المفتاح ثم قال خذ بأمانة الله حتى يا رسول الله (يا أيها الذين آمنوا) عثمان بن طلحة وأصحابه (أطيعوا الله) فيما أمركم (وأطيعوا الرسول) فيما أمركم (وأولي الامر منكم) أمراء السرايا

على الامراء (فان تنازعتم فى شئ) فان اختلفتم انتم واولوالامر فى شئ من امور الدين (فردوه الى الله والرسول)
أى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ان
الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله وأولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله أى القرآن والرسول فى حياته والى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق و يهودى خصومة فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه لا يرتشى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشو فاحتكما الى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعالى

ويقال العلماء (فأن تنازعتم اختلفتم (فى شئ فردوه الى الله) الى كتاب الله (والرسول) وسنة الرسول (أن كنتم) اذ كنتم (تؤمنون بالله واليوم الآخر) (تأويلا) البعث بعد الموت (ذلك) الرد الى كتاب الله وسنة الرسول (خير وأحسن تأويلا) عاقبة

منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴿ فأن تنازعتم ﴾ أنتم وأولوا الامر منكم ﴿ فى شئ ﴾ من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات ﴿ فردوه ﴾ فراجعوا فيه ﴿ الى الله ﴾ الى كتابه ﴿ والرسول ﴾ بالسؤال عنه فى زمانه صلى الله عليه وسلم والمراجعة الى سنته بعده * واستدل به منكر والقياس وقالوا انه سبحانه وتعالى أوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ﴿ أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فان الايمان يوجب ذلك ﴿ ذلك ﴾ أى الرد ﴿ خير ﴾ لكم ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ عاقبة أو أحسن تأويلا

صلى الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * قوله عز وجل ﴿ فأن تنازعتم فى شئ ﴾ يعنى اختلفتم فى شئ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه ﴿ فردوه الى الله والرسول ﴾ أى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله أخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم ﴿ أن كنتم تؤمنون بالله واليوم والآخر ﴾ يعنى افعلوا ذلك الذى أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر ﴿ ذلك خير ﴾ يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ يعنى وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك أى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن

من تأويلكم بالرد ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهود ولم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله تعالى عنه للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه أو للتشبيه بالشيطان أو لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال ﴿ وقد أمروا ان يكفروا به

تأويلا منكم له وأعظم أجرا * قوله عز وجل ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به او أخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن أخوة في الدين فلا فضل لكم علينا

تحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير في يزعمون (أن يتحاكموا الى الطاغوت) أي كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به

(ألم تر) ألم تخبر يا محمد (الى الذين) عن الذين (يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك) يعني القرآن (وما أنزل من قبلك) يعني التوراة (يريدون) عند الخصومة (أن يتحاكموا الى الطاغوت) الى كعب بن الاشرف (قا و خا ١٤ نى) (وقد أمروا) في القرآن (أن يكفروا به) ان يتبرؤا منه

ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ﴿ وأذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴾ وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اغتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير ﴿ رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ هو مصدر أو اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال ﴿ فكيف ﴾ يكون حالهم ﴿ أذا أصابتهم مصيبة ﴾ كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله تعالى ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ﴿ ثم جاؤك ﴾ حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض ﴿ يحلفون بالله ﴾

فقال المنافقون منهم ننطلق الى أبى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لابل مائة وسق ديتى فأبوا أن يعطوه الاعشرة أوسق وأبى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آيتى القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاى وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى لايتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به فى هذه الآية الكذب لان الآية نازلة فى المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة فى الذين نافقوا من مؤمنى أهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف فى قول ابن عباس رضى الله عنهما سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن فى قول السدى وقد أمروا أن يكفروا به يعنى بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل ﴿ ويريد الشيطان ان يضلهم ﴾ يعنى عن طريق الهدى والحق ﴿ ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم ﴾ يعنى للمنافقين ﴿ تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ﴾ يعنى هلموا الى حكم الله الذى أنزله فى كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به ﴿ رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ يعنى يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا وأى اعراض وانما أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا ﴿ قوله عز وجل ﴿ فكيف أذا أصابتهم مصيبة ﴾ يعنى فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يجزون عنها ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ماقدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هى قتل عمر لذلك المنافق وقيل هى كل مصيبة تصيب المنافقين فى الدنيا والآخرة ﴿ ثم جاؤك ﴾ يعنى المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك ﴿ يحلفون بالله

للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول للتحاكم (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) من قتل عمر بشرا (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثم جاؤك) أى أصحاب القتيل من المنافقين (يحلفون بالله) حال

(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق والهدى نزلت فى رجل من المنافقين يسمى بشرا الذى قتله عمر بن الخطاب وكان له خصومة مع رجل من اليهود (وأذا قيل لهم) لحاطب بن أبى بلتعة المنافق الذى كان له خصومة مع الزبير بن العوام ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم (تعالوا الى ما أنزل الله) الى حكم ما انزل الله فى القرآن (والى الرسول) الى حكم الرسول (رأيت المنافقين) يعنى حاطب بن أبى بلتعة (يصدون عنك صدودا) يعرضون عن حكمك اعراضا مع لى الشدق فقال (فكيف) يصنعون على وجه التعجب (أذا أصابتهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) بلى الشدق (ثم جاؤك) بعد ذلك (يحلفون بالله) (ان)

(أن أردنا) ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به ﴿١٠٧﴾ (أولئك الذين {سورة النساء} يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) فأعرض عن قبول الاعذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى أنفسهم يتعلق بقل لهم أى قل لهم فى معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم

حال ﴿أن أردنا الا أحسانا وتوفيقا﴾ ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه ﴿أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم﴾ من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب ﴿فأعرض عنهم﴾ أى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم ﴿وعظهم﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه ﴿وقل لهم فى أنفسهم﴾ اى فى معنى انفسهم أو خاليا بهم فان النصح فى السر انجع ﴿قولا بليغا﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم الصلاة و السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة

ان أردنا﴾ أى ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك ﴿الا أحسانا﴾ يعنى فى التحاكم الى غيرك لا اساءة ﴿وتوفيقا﴾ يعنى بين الخصمين لا مخالفة لك فى حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذى قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا فى حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق ﴿أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم﴾ يعنى من النفاق ﴿فأعرض عنهم﴾ يعنى عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم ﴿وعظهم﴾ يعنى باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة ﴿وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا﴾ يعنى بليغا يؤثر فى قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان أظهرتم ما فى قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ فى نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم فى الملأ وقل لهم فى انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا أى أغلظ لهم فى القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر أنجع وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء فى حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم فى أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب

يعنى حاطبا حلف بالله (أن أردنا) ما أردنا بلى الشدق (الا احسانا) فى الكلام (وتوفيقا) صوابا (أولئك الذين) يعنى الذى لوى شدقه على النبى صلى الله عليه وسلم (يعلم الله ما فى قلوبهم) يعنى ما فى قلبه من النفاق وهو حاطب بن أبى بلتعة ويقال فكيف يصنعون أى أهل مسجد الضرار اذا أصابتهم مصيبة عقوبة بما قدمت أيديهم ببنائهم مسجد الضرار ثم جاؤك بعد ذلك يحلفون بالله يعنى ثعلبة وحاطبا حلفا بالله ان أردنا ما أردنا ببناء المسجد الا احسانا الى المؤمنين وتوفيقا موافقة فى الدين ان نبعث الينا فقيها أولئك الذين بنوا مسجد الضرار يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق والخلاف (فأعرض عنهم) اتركهم ولا تعاقبهم فى هذه المرة (وعظهم) بلسانك لكى لا يفعلوا مرة أخرى (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) تقدم اليهم تقدما وثيقا فى الوعيد ان فعلتم

(وماأرسلنامن رسول) أى رسولا قط (الاليطاع باذن الله) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول

فقد اطاع الله (ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل فى اذظلموا خبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء اعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه

كذا أفعل بكم كذا (وما أرسلنا من رسول الاليطاع) ذلك الرسول (بأذن الله) بأمر الله لا ليعمل بخلاف أمره ويلوى عليه الشدق برد حكمه (ولوأنهم) يعنى أهل مسجد الضرار وحاطبا (أذظلموا أنفسهم) بلى الشدق وبناء مسجد الضرار (جاؤك) للتوبة (فاستغفروا الله) فتابوا الى الله من صنيعهم (واستغفر لهم الرسول) دعالهم الرسول (لوجدوا الله توابا) متجاوزا (رحيما) بهم (فلا)

لايتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مداوله المقصود به ﴿ وماأرسلنامن رسول الاليطاع بأذن الله ﴾ بسبب اذنه فى طاعته وأمره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان أرسال الرسول لما لم يكن الاليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ﴿ ولوأنهم أذظلموا أنفسهم ﴾ بالنفاق أو التحاكم الى الطاغوت ﴿ جاؤك ﴾ بالتوبة تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به ﴿ فاستغفروا الله ﴾ بالتوبة والاخلاص ﴿ واستغفر لهم الرسول ﴾ واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضى هذا لقوله جاؤك تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ لعلموه قابلا توبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا

وقيل المراد بالقول البليغ فى الآية أن يكون حسن الالفاظ حسن المعانى مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه فى القلوب وأثر فى النفوس * قوله عز وجل ﴿ وماأرسلنا من رسول ﴾ قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وماأرسلنا رسولا ﴿ الا ليطاع باذن الله ﴾ يعنى بأمر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لان الله أذن فى ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أى طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يامحمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت ﴿ ولوأنهم أذظلموا أنفسهم ﴾ يعنى الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه ﴿ جاؤك ﴾ يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة ﴿ فاستغفروا الله ﴾ يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك ﴿ واستغفر لهم الرسول ﴾ يعنى من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لايرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ يعنى لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا أن الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم * قوله عز وجل

من الضمير فيه ﴿فلا وربك﴾ أى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله ﴿لا يؤمنون﴾ لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ نزلت هذه الآية فى الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه رضى الله عنه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا أى أراد سعة له وللانصارى فلما أحفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك * قوله فى شراج الحرة الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود * وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير * وقوله فلما أحفظ أى أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعنى أصل الجدار * وقوله فاستوعى له أى استوفى حقه فى صريح الحكم وهو ان من كان أرضه أقرب الى فم الوادى فهو أولى بأول الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوى وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو أمرنى محمد صلى الله عليه وسلم ان أقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد والشعبى نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم

على و... حثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك استغفر الله من ذنبى فاستغفر لى من ربى فنودى من قبره قد غفر لك (فلا وربك) أى فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) أو التقدير فلا أى ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر

بعد التوبة (فلا وربك) أقسم بنفسه وبعمر محمد (لا يؤمنون) فى السر ولا يستحقون اسم الايمان فى السر (حتى يحكموك) حتى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) فيما التبس بينهم ويقال فيما اختلف بينهم من الحكم

لتداخل اغصانه (ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا) ضيقا (مماقضيت) أى لاتضيق صدورهم من حكمك أوشكا لان الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا (تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا و حقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لايكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هى المفسرة (أنفسكم) أى تعرضوا للقتل بالجهاد او ولو أوجبنا عليهم مثل ماأوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم (أوأخرجوا من دياركم) بالهجرة (مافعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الاقليل منهم) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام

﴿ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مماقضيت﴾ ضيقا مما حكمت به أومن حكمك أوشكا من أجله فان الشاك فى ضيق من أمره ﴿ويسلموا تسليما﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ تعرضوا بها للقتل بالجهاد أواقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية أومفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا ﴿أوأخرجوا من دياركم﴾ خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل • وقرأ أبو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك أواخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولاتنسوا الفضل • وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما أجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ﴿مافعلوه الاقليل منهم﴾ الاناس قليل وهم المخلصون لمابين انايمانهم لايتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أولاحد مصدرى الفعلين • وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على الافعلا قليلا ﴿ولو أنهم فعلوا مايوعظون به﴾ من متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة

فقال تعالى فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذادخل بعضه فى بعض واختلط ﴿ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مماقضيت﴾ يعنى ضيقا مماقضيت وقيل شكا فيماقضيت بل يرضوا بقضائك ﴿ويسلموا تسليما﴾ يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولايعارضونك فى شئ من أمرك وقيل معناه يسلموا ماتنازعوا فيه لحكمك * قوله عزوجل ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ أى فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ﴿أن اقتلوا أنفسكم أوأخرجوا من دياركم﴾ يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر ﴿مافعلوه الا قليل منهم﴾ معناه لم يفعله الاالقليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لوكتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لوأمرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى لرجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى مافعلوه الاقليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى انما كتبنا عليهم الاطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ماكان فعله الانفر يسير منهم وقرئ الاقليلا منهم بالنصب وتقديره الاأن يكون قليلا منهم ﴿ولوأنهم فعلوا مايوعظون به﴾ يعنى ولوأنهم فعلوا ماكلفوا به من طاعة الرسول

(ثم لايجدوا فى انفسهم) فى قلوبهم (حرجا) شكا (مماقضيت) بينهم (ويسلموا تسليما) يخضعوا لك خضوعا (ولو أنا كتبنا عليهم) أوجبنا عليهم كماأوجبنا على بنى اسرائيل (أن اقتلوا أنفسكم أواخرجوا من دياركم) من منازلكم صفرا (مافعلوه) بطيبة النفس (الاقليل منهم) من المخلصين رئيسهم ثابت بن قيس بن ﴿صلى الله﴾

﴿ لكان خيرا لهم ﴾ فى عاجلهم وآجلهم ﴿ وأشد تثبيتا ﴾ فى دينهم لانه أشد لتحصيل العلم ونفى الشك أو تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التميز والآية أيضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن أبى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا تسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام أسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك ﴿ واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ومايكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لوثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم ﴾ مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق وأعظمهم

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا ﴿ وأشد تثبيتا ﴾ يعنى تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة ۞ قوله عز وجل ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك فقال يارسول الله مابى مرض ولاوجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم انى اذا ذكرت الآخرة أخاف لاأراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لاأراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يارسول الله فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى فى أداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول أى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق

فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لوثبتوا (لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أى لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

شماس الانصارى (ولو أنهم) يعنى المنافقين (فعلوا مايوعظون) يؤمرون (به) من التوبة والاخلاص (لكان خيرا لهم) فى الآخرة مما هم عليه فى السر (وأشد تثبيتا) حقيقة فى الدنيا (وإذا) لوفعلوا ما أمروا به (لآتيناهم) لاعطيناهم (من لدنا) من عندنا (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة (ولهديناهم صراطا مستقيما) لثبتناهم فى الدنيا على دين قائم نرضاه وهو الاسلام (ومن يطع الله والرسول) نزلت هذه الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله أخاف ان لاألقاك فى الآخرة يارسول الله ورآه رسول الله متغيرا لونه وكان يحبه حبا شديدا لايكاد يصبر عنه

فذكر الله كرامته فقال ومن يطع الله فى الفرائض والرسول فى السنن (فأولئك) فى الجنة (مع الذين أنعم الله) من الله (عليهم

قدرا ﴿ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ بيان للذين أو حال منه أو من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ماهي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في أعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله سبحانه وتعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو لا فيكونون كمن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ في معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز أو الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابى من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع

من النبيين والصديقين) كأفاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا في سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه

في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة ﴿ من النبيين ﴾ يعنى أن المطيعين مع النبيين في الجنة لاتفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضى التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول ﴿ والصديقين ﴾ الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى بكر فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو أفضل اتباع الرسل ﴿ والشهداء ﴾ هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين اشتشهدوا يوم أحد ﴿ والصالحين ﴾ جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة ﴿ وحسن أولئك ﴾ يعنى المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك ﴿ رفيقا ﴾ يعنى في الجنة والرفيق الصاحب سمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد

من النبيين) محمد صلى الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أفاضل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (والشهداء) الذين استشهدوا في سبيل الله (والصالحين) صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وحسن أولئك رفيقا) مرافقة في الجنة

{ والجمع }

(ذلك) مبتدأ خبره (الفضل من الله) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى انما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل بهم عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده ومن هو أهل الفضل ودلت ﴿١١٣﴾ الآية على ان ما يفعل { سورة النساء } الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانفروا ثبات) فاخرجوا الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (أو انفروا جميعا) أى مجتمعين أو مع النبى عليه السلام لان الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم أو انفروا ثبات اذا لم يعم النفير أو انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا

مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت ﴿ذلك﴾ مبتدأ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم ﴿الفضل﴾ صفته ﴿من الله﴾ خبره أو الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة ﴿وكفى بالله عليما﴾ بجزاء من اطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق اهله ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح ﴿فانفروا﴾ فاخرجوا الى الجهاد ﴿ثبات﴾ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ﴿أو انفروا جميعا﴾ مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن مقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما أمكن

والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شئ الا أنى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشئ أشد فرحا بقول النبى صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فانا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وارجو ان أكون معهم بحبي اياهم وان لم أعمل باعمالهم * قوله عز وجل ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب ﴿الفضل من الله﴾ يعنى الذى أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم ﴿وكفى بالله عليما﴾ يعنى بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه * قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا اسلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لانه يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل أن يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره ﴿فانفروا ثبات﴾ أى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية ﴿أو انفروا جميعا﴾ يعنى أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم

(ذلك) المرافقة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفضل من الله) المن من الله (وكفى بالله عليما) بحب ثوبان وكرامته فى الجنة وثوابه ثم علم خروجهم فى سبيل الله فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (خذوا حذركم) (قا وخا ١٥ نى) من عدوكم ولا تخرجوا متفرقين (فانفروا) ولكن اخرجوا (ثبات) جماعات سرية سرية (أو انفروا جميعا) أو اخرجوا

واللام فى (وأن منكم لمن) للابتداء بمنزلتها فى ان الله لغفور ومن موصولة وفى (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن فى ليبطئن أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطؤ بمعنى أبطأ أى تأخر ويقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أى فى الظاهر دون الباطن

يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الامر (فأن أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) المبطئ (قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبنى مثل ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح أو غنيمة (ليقولن) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه (لم يكن) وبالتاء مكى وحفص (بينكم وبينه مودة) وهى اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فأفوز) بالنصب لانه جواب التمنى (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة

كلكم مع نبيكم (وأن منكم) يامعشر المؤمنين (لمن ليبطئن) يقول ليثاقلن عن الخروج فى سبيل الله عبدالله بن أبى وينتظر ما يصيبكم فى السرية (فأن أصابتكم) فى السرية (مصيبة) القتل والهزيمة والشدة (قال) عبدالله بن أبى (قد أنعم الله) من الله (على) بالجلوس (أذ لم أكن معهم) فى تلك السرية (شهيدا) حاضرا (ولئن أصابكم) فى تلك السرية (فضل) فتح وغنيمة (من الله ليقولن) عبدالله بن أبى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) صلة فى الدين ومعرفة فى الصحبة مقدم ومؤخر (ياليتنى كنت) فى الغزاة (معهم فأفوز فوزا عظيما) فأصيب غنائم كثيرة وحظا وافرا ثم أمرهم بالقتال فى سبيل الله وان كانوا

قبل الفوات ﴿وأن منكم لمن ليبطئن﴾ الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبى ناسا يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن ﴿فأن أصابتكم مصيبة﴾ كقتل وهزيمة ﴿قال﴾ أى المبطئ ﴿قد أنعم الله على أذ لم أكن معهم شهيدا﴾ حاضرا فى تلك الغزاة فيصيبنى ما أصابهم ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ كفتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ أكده تنبيها على فرط تحسرهم * وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من ﴿كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال أو حال من الضمير فى ليقولن أو داخل فى المقول أى يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف * وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس

﴿وأن منكم لمن ليبطئن﴾ نزلت فى المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبدالله بن أبى ابن سلول المنافق وكان رأس المنافقين ﴿فأن أصابتكم مصيبة﴾ أى قتل وهزيمة ﴿قال﴾ يعنى هذا المنافق ﴿قد أنعم الله على﴾ يعنى بالقعود ﴿أذ لم أكن معهم﴾ يعنى مع المؤمنين ﴿شهيدا﴾ يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى ما أصابهم ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ أى فتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ يعنى هذا المنافق ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ أى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر ﴿ياليتنى كنت معهم﴾ فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون ﴿فأفوز فوزا عظيما﴾ أى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل

حظا وافرا (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله (ومالكم) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الاثبات للانكار (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى وأى شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم

عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف أى ياقوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا أفوز فى ذلك الوقت أو العطف على كنت ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ﴾ اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ماحكى عنهم ﴿ ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ وعد له الاجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين ﴿ ومالكم ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ لا تقاتلون فى سبيل الله ﴾ حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل ﴿ والمستضعفين ﴾ عطف على اسم الله أى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم

﴿فليقاتل فى سبيل الله﴾ هذا خطاب للمنافق أى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله ﴿الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة﴾ أى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية ﴿ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل﴾ أى فيستشهد ﴿أو يغلب﴾ يعنى يظفر بعدوه من الكفار ﴿فسوف نؤتيه﴾ يعنى فى كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما ﴿أجرا عظيما﴾ يعنى ثوابا وافرا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل ﴿ ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله ﴾ قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدى الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى ﴿والمستضعفين

منافقين فقال (فليقاتل فى سبيل الله) فى طاعة الله (الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة) يختارون الدنيا على الآخرة ويقال نزلت هذه الآية فى المخلصين فليقاتل فى سبيل الله فى طاعة الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة يبيعون الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة على الدنيا ثم ذكر ثوابهم فقال (ومن يقاتل فى سبيل الله) فى طاعة الله (فيقتل) يستشهد (أو يغلب) يظفر على العدو (فسوف نؤتيه) نعطيه فى كلا الوجهين (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة ثم ذكر كراهيتهم القتال فى سبيل الله فقال (ومالكم) يامعشر المؤمنين (لا تقاتلون فى سبيل الله) فى طاعة الله مع اهل مكة (والمستضعفين

الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين
ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا
لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى أهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى

من الاسر وصونهم عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف أى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار أعظمها وأخصها ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد ﴿الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر ففتح مكة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هوله كان كالفعل

من الرجال والنساء والولدان ﴾ قال ابن عباس يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمى من المستضعفين * وفى رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمى ممن عذر الله أنا من الولدان وأمى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير ﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية ﴾ يعنى مكة ﴿ الظالم أهلها ﴾ يعنى الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم أهلها بالشرك ﴿ واجعل لنا من لدنك وليا ﴾ يعنى وليا يلى أمرنا ﴿ وأجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ

من الرجال والنساء والولدان) الصبيان (الذين يقولون) بمكة (ربنا) يا ربنا (أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) المشرك أهلها (واجعل لنا من لدنك) من عندك (وليا) حافظا يعنون عتاب بن أسيد (واجعل لنا من {للضعيف} لدنك) من عندك (نصيرا) مانعا فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم ناصرا وعتابا وليا ثم ذكر قتالهم فى سبيل الله

النصر ولماخرج محمدصلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلاولى لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى الكفار (أن كيد الشيطان) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة ﴿١١٧﴾ الاحتيال (كان ضعيفا) {سورة النساء} لانه غرور لايؤول الى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كأن المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار مادامو ا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن القتال (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال) أى فرض بالمدينة

يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ﴾ فيما يصلون به الى الله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾ فيما يبلغ بهم الى الشيطان ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه ان يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ﴿ أن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لايؤبه به فلا تخافوا أولياء فان اعتمادهم على أضعف شئ وأوهنه ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ أى عن القتال ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ واشتغلوا بما امرتم به ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾

للضعيف من القوى * قوله عز وجل ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ﴾ يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته ﴿ والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الله الطاغوت ﴾ يعنى فى طاعة الشيطان ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ أى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ﴿ أن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وادخال كان فى قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ قال الكلبى نزلت فى عبدالرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة ابن مظعون الجمحى وسعد بن أبى وقاص وجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يارسول الله ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فانى لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ماافترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ أى فرض عليهم جهاد المشركين أمروا بالخروج الى

فقتال (الذين آمنوا) محمد وأصحابه (يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا) أبو سفيان وأصحابه (يقاتلون فى سبيل الطاغوت) فى طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) جند الشيطان (أن كيد الشيطان) صنع الشيطان ومكره (كان ضعيفا) بالخذلان لايخذلهم كما خذلهم يوم بدر ثم ذكر كراهيتهم للخروج مع النبى صلى الله عليه وسلم بالموافاة الى بدر الصغرى فقال (ألم تر) ألم تخبر يا محمد (الى الذين) عن الذين (قيل لهم) قلت لهم بمكة لعبدالرحمن بن عوف الزهرى وسعد بن أبى وقاص الزهرى وقدامة بن مظعون الجمحى ومقداد بن الاسود الكندى وطلحة بن عبدالله التيمى (كفوا أيديكم) عن القتل والضرب فأنى لم أومر بالقتال (وأقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها ومايجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) أعطوا زكاة أموالكم (فلما كتب) فرض (عليهم) بالمدينة (القتال) الجهاد

(اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لاشكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة مافيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون أي ويخشون الناس مثل خشية الله أي مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال اى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أي ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها أشد فأنت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخره خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم أخبر أن الحذر لا ينجي من القدر

اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ﴾ يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق منهم مبتدأ صفته ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه ﴿ أو أشد خشية ﴾ عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان أفعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أي كخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ﴾ استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ سريع التقضي ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ أي ولا تنقصون أدنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم المقدرة * وقرأ ابن كثير

بدر ﴿ أذا فريق منهم ﴾ يعني اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد ﴿ يخشون الناس ﴾ يعني يخافون مشركي مكة ﴿ كخشية الله أو أشد خشية ﴾ أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية ﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ﴾ يعني لم فرضت علينا الجهاد ﴿ لولا أخرتنا الى أجل قريب ﴾ يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول ﴿ قل ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿ متاع الدنيا قليل ﴾ يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل ﴿ والآخرة ﴾ يعني وثواب الآخرة ﴿ خير لمن اتقى ﴾ يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ أي ولا تنقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم

في سبيل الله (اذا فريق منهم) طائفة منهم طلحة ابن عبد الله (يخشون الناس) يخافون أهل مكة (كخشية الله) كخوفهم من الله (أو أشد خشية) بل أكثر خوفا (وقالوا ربنا) يا ربنا (لم كتبت) (ترجع) علينا القتال) قد أوجبت علينا الجهاد في سبيلك (لولا أخرتنا الى أجل قريب) هل لا عافيتنا الى أجل قريب الى الموت (قل) لهم يا محمد (متاع الدنيا) منفعة الدنيا (قليل) في الآخرة (والآخرة) ثواب الآخرة (خير) أفضل (لمن اتقى) الكفر والشرك والفواحش (ولا تظلمون فتيلا) لا ينقص من حسناتهم قدر فتيل وهو الشئ الذي يكون في شق النواة ويقال هو الوسخ الذي يكون بين أصابعك

بقوله (أينماتكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى أين (ولوكنتم فى بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وأن تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عندالله) نسبوها الى الله (وأن تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا اذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عندالله) والمضاف اليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها

وحمزة والكسائى ولايظلمون لتقدم الغيبة ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * « والشر بالشر عندالله مثلان »

أوعلى انه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون ﴿ولوكنتم فى بروج مشيدة﴾ فى قصور أوحصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفالها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه ﴿وأن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وأن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية أى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله سبحانه وتعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها ﴿قل كل من عندالله﴾ أى يبسط ويقبض

ترجع * قوله عز وجل ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى أحد لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت فبين تعالى أنه لاخلاص لهم من الموت واذا كان لابد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهاد أعدائه أفضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لابد لهم من الموت وانه لاينجى منه شئ بقوله ﴿ولوكنتم فى بروج مشيدة﴾ البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص ﴿وأن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله﴾ نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذه الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى المنافقين واليهود حسنة أى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عندالله يعنى من قبل الله ﴿وأن تصبهم سيئة﴾ أى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يعنى من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت الذى حملتنا عليه يامحمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة ﴿قل﴾ أى قل لهم يامحمد ﴿كل من عندالله﴾ يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله وأما السيئة فابتلاء منه

اذاقتلت (أينما تكونوا) يامعشر المؤمنين المخلصين والمنافقين فى بر أوبحر سفر أوحضر (يدرككم الموت) فتموتوا (ولوكنتم فى بروج مشيدة) فى قصور حصينة ثم ذكر مقالة اليهود والمنافقين مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا محمد وأصحابه فقال (وأن تصبهم) يعنى المنافقين واليهود (حسنة) الخصب ورخص السعر وتتابع السنة بالامطار (يقول هذه من عندالله) لما علم فينا الخير (وأن تصبهم سيئة) القحط والجدوبة والشدة وغلاء السعر (يقولوا هذه من عندك) يعنون من شؤم محمد وأصحابه (قل) يامحمد للمنافقين واليهود (كل) من الشدة والنعمة

حسب ارادته ﴿ فالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ﴾ يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى أو حديثا ما كبهائم لا افهام لها أو حادثا من صروف الزمان فيتفكرون فيه فيعلموا أن الباسط والقابض هو الله سبحانه وتعالى ﴿ ما أصابك ﴾ يا انسان ﴿ من حسنة ﴾ من نعمة ﴿ فمن الله ﴾ اى تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت قال ولا أنا ﴿ وما اصابك من سيئة ﴾ من بلية ﴿ فمن نفسك ﴾ لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان

﴿ فالهؤلاء القوم ﴾ أى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا ﴿ لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها ❁ قوله عز وجل ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ يعنى من خير ونعمة ﴿ فمن الله ﴾ يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك ﴿ وما أصابك من سيئة ﴾ يعنى من شدة ومكروه ومشقة وأذى ﴿ فمن نفسك ﴾ يعنى فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفى المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برىء لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك أى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبى ما أصابك من خير فالله هداك له وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية أصابنى وانما يقال أصبتها ويقال فى النعم والمحن أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال أصبت

(فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أى فبما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبه فبما كسبت

(من عند الله فالهؤلاء القوم) يعنى المنافقين واليهود (لا يكادون يفقهون حديثا) قولا ان النعمة والشدة من الله ثم ذكر بماذا تصيبهم النعمة والشدة فقال (ما أصابك) يا محمد (من حسنة) من خصب ورخص السعر وتتابع السنة بالامطار (فمن الله) فمن نعمة الله لك خاطب به محمدا صلى الله عليه وسلم وعنى به قومه (وما أصابك من سيئة) من قحط وجدوبة وغلاء السعر (فمن نفسك) فلقبل طهارة نفسك يطهرك بذلك ويقال ما اصابك من حسنة من فتح وغنيمة فمن الله فمن كرامة وما اصابك من قتل وهزيمة مثل يوم احد فمن نفسك

أيديكم (وأرسلناللناس رسولا) الا مقدرا حتى تنسبوا اليك الشدة أوأرسلنا للناس رسولافاليك تبليغ الرسالة وليس
اليك الحسنة والسيئة (وكفى باللهشهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل

كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها أي رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما * « ولا خارجا من في زور كلام »

﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على رسالتك بنصب المعجزات ﴿ من يطع الرسول فقد اطاع الله ﴾ لانه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله سبحانه وتعالى روى انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك

من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان أصابني خير أومكروه وأصبت حسنة أوسيئة وقيل في معنى الاية ما أصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة أي من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعني فبذنوب أصحابك وهو مخالفتهم اياك * فأن قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية * قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولايشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله عزوجل ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ يعني وأرسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما أرسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ يعني على ارسالك للناس كافة فاينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عزوجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة ولولا

بالاول أي لايكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك اذ يقال في الافعال ما أصبت ولانهم لايقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فاني يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر ولا ينهى الا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة الله

ما اصابك من حسنة من فتح وغنيمة فمن الله فمن كرامة الله وما أصابك من سيئة من قتل وهزيمة مثل يوم أحد فمن نفسك فبذنب أصحابك بتركهم المركز ويقال ما أصابك من حسنة ما عملت من خير فمن الله توفيقه وعونه وما أصابك من سيئة ما عملت من شر فمن نفسك فمن قبل جناية نفسك خذلانه (وأرسلناك للناس) الى الجن والانس (رسولا) بالبلاغ (وكفى بالله شهيدا) على مقالتهم ان الحسنة من الله والسيئة من شؤم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقال وكفى بالله شهيدا (قا وخا ١٦ ني) على قولهم ائتنا بشهيد يشهد بانك رسول الله فلما نزل وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله قال عبد الله بن أبي يأمرنا محمد ان نطيعه دون الله فنزل فيه (من يطع الرسول) فيما يأمره (فقد أطاع الله) لان الرسول

(ومن تولى) عن الطاعة فاعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (و يقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشئ (طاعة) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زور وسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وأبو عمرو (غير الذى تقول) خلاف ماقلت وما أمرت به أو خلاف ماقالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فاعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) فى شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا

وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت ﴿ومن تولى﴾ عن طاعته ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ﴿ويقولون﴾ اذا أمرتهم بأمر ﴿طاعة﴾ أى أمرنا طاعة أو منا طاعة واصله النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات ﴿فاذا برزوا من عندك﴾ خرجوا ﴿بيت طائفة منهم غير الذى تقول﴾ أى زورت خلاف ماقلت لها أو ماقالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت المبنى لانه يسوى ويدبر * وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ يثبته فى صحائفهم للمجازاة أو فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم ﴿فاعرض عنهم﴾ قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم ﴿وتوكل على الله﴾ فى الامور كلها سيما فى شأنهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتأملون فى معانيه

بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا أداء شئ من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ﴿ومن تولى﴾ أى أعرض عن طاعته ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ يعنى حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله عز وجل ﴿ويقولون طاعة﴾ نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بأمرك طاعة أى أمرنا وشأننا طاعة ﴿فاذا برزوا من عندك﴾ أى خرجوا من عندك ﴿بيت طائفة منهم غير الذى تقول﴾ التبييت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذى أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق والذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر ﴿والله يكتب﴾ أى يثبت ويحفظ عليهم ﴿ما يبيتون﴾ يعنى ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق ﴿فأعرض عنهم﴾ أى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم فى ضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم ﴿وتوكل على الله﴾ أى فوض أمرك الى الله فى شأنهم فان الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ يعنى ناصرا لك عليهم * قوله عز وجل ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾

لا يأمر الا ما أمر الله (ومن تولى) عن طاعة الرسول (فما أرسلناك عليهم حفيظا) كفيلا (ويقولون) يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه (طاعة) أمرك طاعة يا محمد مر بما شئت نفعله (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت) غيرت (طائفة) فريق (منهم) من المنافقين (غير الذى تقول) تأمر (والله يكتب) يحفظ عليهم (ما يبيتون) ما يغيرون من أمرك (فاعرض عنهم) ولا تعاقبهم (وتوكل على الله) ثق بالله فيما يصلحون (وكفى بالله وكيلا) كفيلا بالنصرة والدولة لك عليهم (أفلا يتدبرون القرآن) ﴿اصل﴾

يتأملون فى معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر فى أدبار الامر ومايؤل اليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القرآن لايفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم و يدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولوكان من عند غيرالله) كمازعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعانى فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مظانها ان شاء الله تعالى (وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف)

ويتبصرون مافيه وأصل التدبر النظر فى أدبار الشئ ﴿ ولوكان من عند غيرالله ﴾ أى ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على مادل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ماسبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح ﴿ وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف ﴾

أصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشئ أى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر مافيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض ومافيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان أحدا من الخلق لايقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى أسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو مايطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين ومايخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين وأخبارهم ومايأتى فى المستقبل من أمور الغيب التى لايعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ﴿ ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لوكان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لايعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لوكان من عند مخلوق لكان على قياس كلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق مايخبر به عن الغيوب انه كلام الله عزوجل وان مايكون من عند غيرالله لايخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على مالا يقدر عليه غيره عالم بما لايعلمه سواه ❁ قوله عزوجل ﴿ وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف

أفلا يتفكرون فى القرآن انه يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وفيه ما أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم (ولوكان من عند غيرالله) ولوكان هذا القرآن من أحد غيرالله (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) تناقضا كثيرا لا يشبه بعضه بعضا ثم ذكر خيانة المنافقين فقال (واذا جاءهم أمر من الامن) خبر من أمر العسكر أو الفتح أو الغنيمة أصروا عليه حسدا منهم (أو الخوف) وان جاءهم خبر خوف من العسكر أو القتل أو

هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال أو المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر واذاع به والضمير يعود الى الامر أو الى الامن أو الخوف لان أو تقتضى أحدهما (ولو ردوه) أى ذلك الخبر (الى الرسول) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولى الامر منهم) يعنى كبراء الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل

مما يوجب الامن او الخوف ﴿اذاعوا به﴾ افشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحى اليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الاذاعة معنى التحدث ﴿ ولو ردوه ﴾ ولو ردوا ذلك الخبر ﴿الى الرسول والى أولى الامر منهم﴾ الى رأيه ورأى كبار اصحابه البصراء بالامور أو الامراء ﴿لعلمه﴾ على أى وجه يذكره ﴿ الذين يستنبطونه منهم ﴾ يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر

أذاعوا به ﴾ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعنى القتل والهزيمة اذا عوا به أى أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

﴿ واوردوه ﴾ يعنى الامر الذى تحدثوا به ﴿ الى الرسول ﴾ يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره ﴿ والى أولى الامر منهم ﴾ يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى أولى الامر منهم ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب وما ينبغى لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغى أن يكتم من الامور وما ينبغى أن يذاع منها والنبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعانى والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفى الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن أو الخوف الى الرسول والى أولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم

الهزيعة (اذاعوا به) فشوا به (ولو ردوه) لو تركوا خبر العسكر (الى الرسول) حتى يخبرهم الرسول (والى أولى الامر منهم) الى ذوى العقل واللب منهم من المؤمنين يعنى أبا بكر واصحابه (لعلمه) يعنى الخبر الحق (أعلم) (الذين يستنبطونه) يبتغونه أى يطلبون الخبر (منهم) من أبى بكر وأصحابه

أول ما يحفر ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بارسال الرسول وانزال الكتاب ﴿ لاتبعتم
الشيطان ﴾ بالكفر والضلال ﴿ الا قليلا ﴾ أى الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح
اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل أو الا اتباعا قليلا على الندور ﴿ فقاتل فى سبيل الله ﴾ ان تبطوا
وتركوك وحدك ﴿ لاتكلف الا نفسك ﴾ الا فعل نفسك لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم
فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلاة
والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه
السلام وما معه الا سبعون لم يلو على أحد * وقرئ لاتكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على

أعلم بما ينبغى أن يشاع أو يكتم * قوله عز وجل ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ يعنى
ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق
والهداية ﴿ لاتبعتم الشيطان ﴾ يعنى لبقيتم على الكفر والضلالة ﴿ الا قليلا ﴾ اختلف
العلماء فى هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس
والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين
والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار
الفراء وابن جرير الطبرى وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة
واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين
فى الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره
الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشئ
البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم
آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو
ابن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادى * قوله عز وجل ﴿ فقاتل فى سبيل الله
لاتكلف الا نفسك ﴾ نزلت فى مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد
وذلك فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج
فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل فى سبيل الله يعنى لاتدع جهاد العدو والانتصار
للمستضعفين من المؤمنين لاتكلف الا نفسك يعنى لاتكلف فرض غيرك بل جاهد
فى سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لايخلف الميعاد
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال
ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية
على ترك الجهاد والخروج معه وفى الآية دليل على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
أشجع الناس وأعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن
أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق فى قتال أهل الردة من

بفضل ذهنه من المعانى
والتدابير فيما يعضل (ولولا
فضل الله عليكم) بارسال
الرسول (ورحمته) بانزال
الكتاب (لاتبعتم الشيطان)
لبقيتم على الكفر (الا
قليلا) لم يتبعوه ولكن
آمنوا بالعقل كزيد بن
عمرو بن نفيل وقس بن
ساعدة وغيرهما لما ذكر
فى الآى قبلها تبطهم
عن القتال واظهارهم
الطاعة واضمارهم خلافها
قال (فقاتل فى سبيل الله)
ان أفردوك وتركوك
وحدك (لاتكلف الا
نفسك) غير نفسك وحدها
ان تقدمها الى الجهاد فان
الله تعالى ناصرك لا الجنود
وقيل دعا الناس فى بدر
الصغرى الى الخروج وكان
أبو سفيان واعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللقاء
فيها فكره بعض الناس أن
يخرجوا فانزلت فخرج وما
معه الا سبعون ولو لم يتبعه

(ولولا فضل الله) من الله
(عليكم ورحمته) بالتوفيق
والعصمة (لاتبعتم الشيطان)
كلكم (الا قليلا) منهم لا يفشون
الا بالخير ثم أمر نبيه بالجهاد
فى سبيل الله الى بدر الصغرى
فقال (فقاتل فى سبيل الله)
فى طاعة الله (لاتكلف)
لاتؤمر بذلك (الا نفسك

أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك فى شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم اعوذمن انجاز اللئيم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هى الشفاعة فى دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يكن له نصيب منها) من ثواب الشفاعة (ومن يشفع شفاعة سيئة) هى خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضى الله عنهما مالها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشى بالصلح وضده النميمة (يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من أقات على الشئ اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها

وحرض) حضض (المؤمنين) على الخروج معك (عسى الله) وعسى من الله واجب (أن يكف) يمنع (بأس) قتال (الذين كفروا) كفار مكة (والله أشد بأسا) عذابا (وأشد تنكيلا) عقوبة ثم ذكر ثواب من آمن وعقوبة من كفر يعنى أبا بكر وأبا جهل فقال (من يشفع شفاعة حسنة) يوحد أو يصلح بين اثنين (يكن له نصيب منها) أجر من الحسنة (ومن يشفع شفاعة سيئة) يشرك أو ينم (يكن له كفل منها) (بوجهه) وزر منها من السيئة (وكان الله على كل شئ) من الحسنة والسيئة (مقيتا) مقتدرا مجازيا ويقال على قوت كل شئ مقتدرا

بناء الفاعل اى لا نكلفك ألا فعل نفسك لا انا لا نكلف أحدا الا نفسك لقوله ﴿وحرض المؤمنين على القتال﴾ اذ ما عليك فى شأنهم الا التحريض ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يعنى قريشا وقد فعل بان ألقى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا ﴿والله أشد بأسا﴾ من قريش ﴿وأشد تنكيلا﴾ تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك ﴿يكن له نصيب منها﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ يريد بها محرما ﴿يكن له كفل منها﴾ نصيب من وزرها مساو لها فى القدر ﴿وكان الله على كل شئ مقيتا﴾ مقتدرا من أقات على الشئ اذا قدر قال

وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على اساءته مقيتا

بنى حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده ﴿وحرض المؤمنين﴾ يعنى حضهم على الجهاد ورغبهم فى الثواب وليس عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم ﴿عسى الله﴾ أى لعل الله ﴿أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يعنى لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك أن أبا سفيان بداله عن القتال فلم يخرج الى الموعد ﴿والله أشد بأسا﴾ أى أعظم صولة ﴿وأشد تنكيلا﴾ يعنى وأشد عذابا وعقوبة من غيره ❁ قوله عز وجل ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة فى الآية هى شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هى الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم فى جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أى حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ قيل هى النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين ﴿يكن له كفل﴾ أى ضعف وقيل نصيب ﴿منها﴾ أى من وزرها ﴿وكان الله على كل شئ مقيتا﴾ قال ابن عباس يعنى مقتدرا أو مجازيا وأقات على الشئ قدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعنى قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن أبى موسى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فاقبل علينا

(وأذا حييتم) أى سلم عليكم فان التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عندالله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عندالقاء حياك الله أى أطال الله حياتك فابدل ذلك بعدالاسلام بالسلام (بتحية) هى تفعلة من حيا يحي تحية (فحيوا بأحسن منها) أى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شئ منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أوردوها) أى أجيبوها بمثلها وردالسلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أو غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن منها لاهل الملة أو ردوها لاهل الذمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ماقلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لاغرار فى تسليم اى لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه (أن الله كان على كل شئ حسيبا) أى يحاسبكم على كل شئ من التحية وغيرها

اوشهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه ﴿ وأذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ﴾ الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله لما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ماقال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها وحد الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل أو للترديد بين أن يحي المسلم ببعض التحية وبين أن يحي بتمامها وهذا والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب الثواب أو الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه ﴿ أن الله كان على كل شئ حسيبا ﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها ﴿ الله

بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ماشاء * وفى رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره * قوله عز وجل ﴿ وأذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾ التحية تفعلة من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة فى الدنيا أو فى الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به فى الآية يعنى اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه أتم وأحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان فى حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام ﴿ أوردوها ﴾ يعنى أوردوا عليه كما سلم عليكم ﴿ أن الله كان على كل شئ حسيبا ﴾ يعنى محاسبا ومجازيا والمعنى أنه تعالى على كل شئ من رد السلام بمثله أو باحسن منه مجاز

(واذا حييتم بتحية) اذا سلم عليكم بسلام (فحيوا باحسن منها) فردوها بافضل منها فى الزيادة على أهل دينكم وملتكم (أو ردوها) مثل ماسلم عليكم على غير أهل دينكم (ان الله كان على كل شئ) من السلام والرد (حسيبا) مجازيا او شهيدا نزلت فى قوم بخلوا بالسلام

فصل فى فضل السلام والحث عليه

(ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف * قوله أى الاسلام خير معناه أى خصال الاسلام خير (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم * عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن أبى أمامة رضى الله عنه قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشى السلام أخرجه ابن ماجه

فصل فى أحكام تتعلق بالسلام { وفيه مسائل }

المسئلة الاولى فى كيفية السلام

(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بواو العطف فى قوله وعليكم * عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه وروى أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد

المسئلة الثانية فى حكم السلام

الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل وأكمل قال القاضى حسين من أصحاب الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على

الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة فى بيت أو مجلس أو مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والامر للوجوب لان فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم أثموا * عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود

المسئلة الثالثة فى آداب السلام

السنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير * وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن أبى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذى ولفظه قال قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روى عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه فى الصحيحين * وفى رواية لابى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فان كن جمعا جالسات فى مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود * وفى رواية الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لايخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض

المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها

فمن ذلك الذى يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لايسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا

الله لا اله الا هو ﴾ مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ﴿ ليجمعنكم الى يوم القيمة ﴾ أى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة أو مفضين اليه أو فى يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور أو للحساب ﴿ لا ريب فيه ﴾ فى اليوم أو فى الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر

لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء

المسئلة الخامسة فى حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى

اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس ان يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماقال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يانبى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ماقلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ماروى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ماقالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ الله لا اله الا هو ليجمعنكم ﴾ هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور ﴿ الى يوم القيمة ﴾ يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث ﴿ لا ريب فيه ﴾

(الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيمة) أى ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود

ثم وحد نفسه فقال (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) والله ليجمعنكم (الى يوم القيمة) ليوم القيامة فى البعث (لا ريب فيه) لا شك فيه

﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ انكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال ﴿ فمالكم في المنافقين ﴾ فمالكم تفرقتم في أمر المنافقين ﴿ فئتين ﴾ أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى تعالى عليه وسلم في الخروج الا البدر لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن أو قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي فمالكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين ﴿ والله اركسهم

يعني لاشك في ذلك اليوم انه كائن ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ يعني لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لاشك فيها ولاريب * قوله عز وجل ﴿ فمالكم في المنافقين فئتين ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يارسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لانقتلهم فنزلت فمالكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشأم فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى أحد الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الآية فمالكم يامعشر المؤمنين في المنافقين فئتين أي صرتم في أمرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا أن يكون على منهاج واحد في التباين لهم والتبرؤ منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله ﴿ والله أركسهم ﴾ يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى أحكام الكفار

الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه في اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشئ بخلاف ماهو عليه (فمالكم) مبتدأ وخبر (في المنافقين فئتين) أي مالكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين ومالكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدر معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أي شئ يستقر لك في هذه الحال (والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار

(ومن أصدق من الله حديثا) قولا * ثم نزلت في عشرة نفر من المنافقين الذين ارتدوا عن الاسلام ورجعوا من المدينة الى مكة فقال (فمالكم) يامعشر المؤمنين صرتم (في المنافقين) الذين ارتدوا عن الاسلام (فئتين) فرقتين فرقة تحل أموالهم ودماءهم وفرقة تحرم (والله أركسهم) ردهم الى الشرك

(بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا في كفرهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله الله ضالا أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعيير المن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي ودوا

لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء)

﴿ بما كسبوا ﴾ ردهم الى حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشئ مقلوبا ﴿ أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ ان تجعلوه من المهتدين ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ الى الهدى ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا ﴾ تمنوا ان تكفروا ككفرهم ﴿ فتكونون سواء ﴾ فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾ فلا تتولوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان الظاهر بالهجرة أو عن اظهار الدين ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ كسائر الكفرة ﴿ ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ﴾ أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ﴿ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾

﴿ بما كسبوا ﴾ أي بسبب ما اكتسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق ﴿ أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى أتبتغون أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى ﴿ ومن يضلل الله ﴾ يعني عن الهدى ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى ﴿ قوله عز وجل ﴿ ودوا ﴾ يعني تمنى أولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر ﴿ لو تكفرون ﴾ يعني تكفرون انتم يا معشر المؤمنين ﴿ كما كفروا فتكونون سواء ﴾ في الكفر ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ يعني من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم ﴿ حتى يهاجروا ﴾ يعني يسلموا ويهاجروا ﴿ في سبيل الله ﴾ معكم وهي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين في أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله ﴿ فأن تولوا ﴾ يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر ﴿ فخذوهم ﴾ الخطاب للمؤمنين أي خذوهم أيها المؤمنون ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ يعني أين وجدتموهم في الحل والحرم ﴿ ولا تتخذوا منهم وليا ﴾ يعني في هذه الحالة ﴿ ولا نصيرا ﴾ يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى ﴿ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ هذا الاستثناء يرجع

أي مستوون أنتم وهم في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) فلا تتولوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام (فأن تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) أي ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بينكم وبينهم ميثاق)

(بما كسبوا) بنفاقهم وخبث نياتهم (أتريدون أن تهدوا) أن ترشدوا الى دين الله (من أضل الله) عن دينه (ومن يضلل الله) عن دينه (فلن تجد له سبيلا) دينا ولا حجة (ودوا) تمنوا (لو تكفرون) بمحمد والقرآن (كما كفروا فتكونون) معهم (سواء) شرعا في دين الشرك (فلا تتخذوا منهم أولياء) في الدين والعون والنصرة (حتى يهاجروا) حتى يؤمنوا مرة اخرى (الى) ويهاجروا (في سبيل الله) في طاعة الله (فأن تولوا) عن الايمان والهجرة (فخذوهم) فاسروهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) في الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) في الدين والعون والنصرة (ولا نصيرا) مانعا ثم استثنى فقال (الا الذين يصلون) يرجعون يعني من العشرة (الى قوم) يعني قوم هلال بن عويمر الاسلمي (بينكم وبينهم ميثاق) عهد وصلح

استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لايعينه ولايعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيدمناة ﴿أوجاؤكم﴾ عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول أظهر لقوله فان اعتزلوكم * وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون او استئناف ﴿حصرت صدورهم﴾ حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرت وحصرات أو بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف أى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ أى عن ان أو لان او كراهة

الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لاتجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم أو ينتمون اليهم أو يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لايعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال وفى رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذى بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم ﴿أو جاؤكم حصرت صدورهم﴾ يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم أقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا أن لايقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لايقاتلوهم ﴿أن يقاتلوكم﴾ يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لايقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو لجأ الى معاهد أو ترك القتال لانه لايجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة

القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لايعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال . والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال أى فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (أوجاؤكم) عطف على صفة قوم أى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لايقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أى عن قتالكم (أو يقاتلوا قومهم) معكم

(أوجاؤكم) وقد جاؤكم يعنى قوم هلال (حصرت صدوهم) ضاقت قلوبهم من شدة النفقة بسبب العهد (أن يقاتلوكم) لقبل العهد (أو يقاتلو قومهم) لقبل

(ولو الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنها (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فأن اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا الى القتال

يريدون أن يأمنوكم) بالنفاق (ويأمنوا

ان يقاتلوكم ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴾ بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم ﴿ فلقاتلوكم ﴾ ولم يكفوا عنكم ﴿ فأن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ﴾ فان لم يتعرضوا لكم ﴿ والقوا اليكم السلم ﴾ الاستسلام والانقياد ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ فما اذن لكم فى أخذهم وقتلهم ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾ هم أسد وغطفان وقيل بنوعبدالدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ دعوا الى الكفر أوالى قتال المسلمين ﴿ اركسوا فيها ﴾ عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب ﴿ فأن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ﴾ وينبذوا اليكم العهد ﴿ ويكفوا أيديهم ﴾ عن قتالكم

المشركين ومواد عتهم فى هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما أعز الاسلام واهله أمر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو القتل ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما ألقى الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين ﴿ فأن اعتزلوكم ﴾ يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم ﴿ فلم يقاتلوكم ﴾ ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم ﴿ والقوا اليكم السلم ﴾ يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة ❊ قوله عزوجل ﴿ ستجدون آخرين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اسد وغطفان كانوا من حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الأمن من الفريقين وفى رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبدالدار وكانوا بهذه الصفة ﴿ يريدون ان يأمنوكم ﴾ يعنى يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم ﴿ ويأمنوا قومهم ﴾ يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ يعنى كلما دعوا الى الشرك ﴿ اركسوا فيها ﴾ رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه ﴿ فان لم يعتزلوكم ﴾ يعنى فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ﴿ ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم ﴾ أى ولم يلقوا الصلح

قومهم) بالوفاق هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فأن لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا قتالكم (ويلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعتزلوكم أى وان لم ينقادوا لكم بطلب الصلح (ويكفوا أيديهم) عطف عليه ايضا

القرابة (ولو شاء الله لسلطهم) يعنى قوم هلال ابن عويمر (عليكم) يوم فتح مكة (فلقاتلوكم) مع قومهم (فأن اعتزلوكم) تركوكم (فلم يقاتلوكم) مع قومهم يوم فتح مكة (وألقوا اليكم السلم) خضعوا لكم بالصلح والوفاء (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) حجة بالقتل (ستجدون آخرين) من غيرهم من غير قوم هلال أسدا أوغطفان (يريدون أن يأمنوكم) ان يأمنوا منكم على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم بلا اله الا الله (ويأمنوا قومهم) (ولم) من قومهم بالكفر (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا اليه (فان لم يعتزلوكم) فان لم يتركوكم يوم فتح مكة (ويلقوا اليكم السلم) ولم يخضعوا لكم بالصلح (ويكفوا أيديهم)

﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض ﴿ وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم ﴿ وما كان لمؤمن ﴾ وما صح له وليس من شأنه ﴿ أن يقتل مؤمنا ﴾ بغير حق ﴿ الا خطأ ﴾ فانه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة الا للخطأ أو على انه صفة مصدر محذوف أى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع أى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل أو الشخص أو ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لا يقصد به محظور كرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يكون فعل غير المكلف * وقرئ خطأ بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش ابن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر

ولم يكفوا عن قتالكم ﴿ فخذوهم ﴾ يعنى اسرى ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ يعنى حيث ادركتموهم ﴿ وأولئكم ﴾ يعنى أهل هذه الصفة ﴿ جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة * قوله عز وجل ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ﴾ الآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى أطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وأبى جهل ابنى هشام وهما أخوا عياش ابن أبى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتيانى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبى أنيسة حتى اتوا المدينة فأتوا عياشا وهو فى الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثوقا فى الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذى ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير

أى ولم يمسكوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمنا) ابتداء من غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم اباحة دمه (الا خطأ) الا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن ان وقع خطأ ويحتمل ان يكون صفة لمصدر أى الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم

ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم يوم فتح مكة (فخذوهم) وأسروهم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم فى الحل والحرم (وأولئكم) يعنى أسدا وغطفان (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة بينة بالقتل (وما كان لمؤمن) ما جاز لمؤمن عياش بن أبى ربيعة (أن يقتل مؤمنا) حارث بن زيد (الا خطأ) ولا خطأ

﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ ﴾ صفة مصدر محذوف أي قتلا خطأ ﴿ فتحرير رقبة ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق ﴿ مؤمنة ﴾ قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كأحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أو من كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب

لكن يحتمل ان يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ﴿ ودية مسلمة الى أهله ﴾ مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لافرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضي منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل ﴿ الا أن يصدقوا ﴾ الا أن يتصدقوا عليه بالدية أي يعفو عنه والتقدير فعليه دية في كل حال الا في حال التصدق عليه بها ﴿ فان كان من قوم عدو لكم ﴾ فان كان المقتول خطأ من قوم اعداء لكم أي كفرة فالعدو يطلق على الجمع ﴿ وهو مؤمن ﴾ أي المقتول مؤمن ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ يعني اذا اسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهي الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد

به عياش فقتله ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ﴾ أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس ﴿ مؤمنة ﴾ محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ﴿ ودية مسلمة الى أهله ﴾ مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان أورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله ﴿ الا أن يصدقوا ﴾ الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها الى أهله الا حال تصدقهم عليه أو زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف ﴿ فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه

بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من أمري وأمر الحرث ما قد علمت واني لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كانت لمؤمن ان يقتل مؤمنا ألبتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله الا خطأ استثناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطأه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ﴿ ودية مسلمة الى أهله ﴾ أي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه ﴿ الا أن يصدقوا ﴾ يعني الا أن يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفو عنه ﴿ فان كان ﴾ يعني المقتول ﴿ من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أراد انه

(ومن قتل مؤمنا خطأ) بخطأ (فتحرير رقبة مؤمنة) فعليه عتق رقبة مؤمنة بالله ورسوله (ودية مسلمة) كاملة (الى أهله) تؤدى الى أولياء المقتول (الا أن يصدقوا) الا أن يصدق أولياء المقتول الدية على القاتل (فان كان) المقتول (من قوم عدو لكم) حرب لكم (وهو مؤمن) يعني المقتول (فتحرير رقبة مؤمنة) فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله ورسوله وليس عليه الدية وكان الحارث من قوم كانوا احربا لرسول الله صلى الله عليه

(وأن كان)اى المقتول(من قوم بينكم) بين المسلمين (وبينهم ميثاق) عهد(فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا(فمن لم يجد) رقبة أى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهى نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما أمر (حكيما) فيما قدر

(وان كان) المقتول (من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد وصلح (فدية مسلمة) كاملة (الى أهله) تؤدى الى أولياء المقتول (وتحرير رقبة مؤمنة) وعليه عتق رقبة موحدة مصدقة بتوحيد الله (فمن لم يجد) التحرير (فصيام شهرين متتابعين) فعليه صيام شهرين متواصلين لا يفرق فى صيامه بين يومين (توبة من الله) تجاوزا من الله لقاتل الخطأ ان فعل ذلك (وكان الله عليما) بقاتل الخطأ (حكيما) فيما حكم عليه * ثم نزل فى شأن مقيس بن صبابة قاتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الفهرى بعد أخذه دية أخيه هشام (قا وخا ١٨ نى) بن صبابة وارتد بعد ذلك عن دينه ورجع الى مكة كافرا فنزل فيه

فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون ﴿وأن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ أى وان كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا أو كان له وارث مسلم ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين ﴿توبة﴾ نصب على المفعول له أى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته أو على المصدر أى وتاب الله عليكم توبة أو حال بحذف مضاف أى فعليه صيام شهرين ذا توبة ﴿من الله﴾ صفتها ﴿وكان الله عليما﴾ بحاله ﴿حكيما﴾ فيما

اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد ﴿وأن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أى عهد ﴿فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فتجب فيه الدية والكفارة ﴿فمن لم يجد﴾ يعنى الرقبة ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ أى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة ﴿توبة من الله﴾ يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ ﴿وكان الله عليما﴾ يعنى عن قتل خطأ ﴿حكيما﴾ يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

فصل فى أحكام تتعلق بالآية { وفيه مسائل }

المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل

قال الشافعى القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية حالة مغلظة فى مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا ان يقصد رمى مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين أو شعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد

المسئلة الثانية فى حكم الديات

فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير فى قول وفى قول

بدل مقدر وهو الف دينار أو اثناعشر ألف درهم ويدل على ذلك ماروى عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب الف دينار وعلى أهل الورق أثنى عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء ألفى شاة وعلى أهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبدالعزيز وبه قال مالك واحمد والاصل فى ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائى فمن ذهب الى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بان الاصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة فى بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهى ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ✽ وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ألا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل أربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة * وفى رواية أخرى ألا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون فى بطونها أولادها أخرجه النسائى وذهب قوم الى أن الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهرى وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأى وأما دية الخطأ

(فمخففة)

أمر في شأنه ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم

فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم أبناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأى والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شئ لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله اعلم

المسئلة الثالثة في حكم الكفارة

الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا لرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية أو نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه أن يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله تعالى على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطأ والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ﴾ نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى أخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل أي قاصدا قتله لايمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا (فجزاؤه جهنم

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بقتله (فجزاؤه جهنم)

خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدله عذابا عظيما ﴾ لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا أو المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم

كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار أرباب قارع
وادركت ثأرى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم ﴿ خالدا فيها ﴾ يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة ﴿ وغضب الله عليه ﴾ يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا ﴿ ولعنه ﴾ يعنى وطرده عن رحمته ﴿ واعد له عذابا عظيما ﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فامامن دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه فى الصحيحين وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله اله آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائى وزاد النسائى فى رواية ثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت

خالدا فيها) أى ان جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أى انتقم منه وطرده من رحمته (واعد له عذابا عظيما) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم

بقتله (خالدا فيها) بشركه (وغضب الله عليه) بأخذه الدية (ولعنه) بقتله غير قاتل أخيه (وأعد له عذابا عظيما) شديدا بجرأته على الله ثم نزل فى شأن اسامة بن زيد قاتل مرداس بن نهيك الفزارى وكان مؤمنا فنزل فيه

اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء ايضا وهى قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب عن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لايدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الامن تاب وقال بعضهم ماورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لاتوبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فاروى عن جابر بن عبدالله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار اخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وفى رواية ولاتقتلوا أولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك.

فصل

وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن الفاسق يخلد فى النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت فى كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد فى النار بسبب كفره وعن أبى مجلز فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هى جزاؤه فان شاء الله أن يتجاوز عن جزاءه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لايقتضى التأبيد بل معناه دوام الحالة التى هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر الخلود فى حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبدا واذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المراد منه الدوام الذى لاينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور فى الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا فى النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه

﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله ﴾ سافرتم وذهبتم للغزو ﴿ فتبينوا ﴾ فاطلبوا بيان الامر وثباته ولاتعجلوا فيه * وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا فى الموضعين هنا وفى الحجرات من التثبت ﴿ ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام ﴾ لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف أى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام

قد ثبت فى أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جمع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل أولى والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية قال ابن عباس نزلت فى رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرداس ابن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثى فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لايكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لااله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفرلى يارسول الله فقال كيف أنت بلااله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفرله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن اسامة قال قلت يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا * وفى رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بنى سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذى تقدمون عليه ﴿ ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام ﴾ يعنى التحية يعنى لاتقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ماأظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أى استسلم وانقاد لكم وقال لااله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أى لاتقولوا

(ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سرتم فى طريق الغزو (فتبينوا) فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الامر وثباته ولاتتهوكوا فيه (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام) السلم مدنى وشامى وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية اهل الاسلام

(ياأيها الذين آمنوا أذا ضربتم) خرجتم (فى سبيل الله) فى الجهاد (فتبينوا) تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام) لمن اسمعكم لااله الا الله محمد رسول الله مع السلام

(لست مؤمنا) فى موضع النصب بالقول وروى ان مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمى به لسرعة فنائه و تبتغون حال من ضمير الفاعل فى تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم والكاف فى كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشهار بالايمان فافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم

أيضا ﴿ لست مؤمنا ﴾ وانما فعلت ذلك متعوذا * وقرئ مؤمنا بالفتح أى مبذولا له الامان ﴿ تبتغون عرض الحيوة الدنيا ﴾ تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت ﴿ فعند الله مغانم ﴾ لكم ﴿ كثيرة ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ أى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماءكم وأموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم ﴿ فمن الله عليكم ﴾ بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين ﴿ فتبينوا ﴾ وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا

لمن سلم عليكم ﴿ لست مؤمنا ﴾ يعنى لست من أهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة فى بلد أو قرية أوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزنى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذى وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودى أو النصرانى أنا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعى أن الذى هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لأنه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود أو التنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته * قوله عز وجل ﴿ تبتغون عرض الحيوة الدنيا ﴾ يعنى تطلبون الغنيمة التى هى من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها ﴿ فعند الله مغانم كثيرة ﴾ أى غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ يعنى كما كان هذا الذى ألقى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعنى من قبل أن يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين ﴿ فمن الله عليكم ﴾ يعنى بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة ﴿ فتبينوا ﴾ أى ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر

(لست مؤمنا) فتقتلونه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون بذلك ما كان معه من الغنائم (فعند الله مغانم كثيرة) ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن (كذلك كنتم) فى قومكم تأمنون من المؤمنين من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بلا اله الا الله (من قبل) من قبل الهجرة (فمن الله عليكم) بالهجرة من بين الكافرين (فتبينوا) فتثبتوا يقول تفوا حتى لا تقتلوا مؤمنا

محتاطين فى ذلك (لايستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) بالنصب مدنى وشامى وعلى لانه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل

الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ﴿ أن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لااله الاالله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لااله الاالله فقتله اسامة وقال ود لوفر بأهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر ﴿ لايستوى القاعدون ﴾ عن الحرب ﴿ من المؤمنين ﴾ فى موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذى فيه ﴿ غير أولى الضرر ﴾ بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم أو بدل منه * وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال أو الاستثناء * وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير أولى الضرر فقال ابن أم مكتوب وكيف وأنا أعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ﴿ والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا

بالتبيين ﴿ أن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يعنى فلا تتهاونوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عزوجل ﴿ لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ الآية (خ) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال أملى على النبى صلى الله عليه وسلم لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها على فقال والله يارسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فانزل الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عزوجل غير أولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وفى رواية اخرى لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال أكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يارسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لايستوى القاعدون

(أن الله كان بما تعملون) من القتل وغيره (خبيرا) ثم بين ثواب المجاهدين فقال (لايستوى القاعدون من المؤمنين عن الجهاد غير أولى الضرر) الشدة والضعف بالبدن والبصر مثل عبد الله ابن أم مكتوم وعبد الله ابن جحش الاسدى بخروج أنفسهم (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم) بنفقة أموالهم (وأنفسهم

لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أى بدرجة اوعلى المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه اوالحال بمعنى ذوى درجة ﴿ وكلا ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿ وعدالله الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجرا أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما ﴿ درجات منه

من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول وأضافها الى البخارى ومسلم ولم أجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لا يعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله غير اولى الضرر يعنى أولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر أقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال رسول صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس رضى الله عنه قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله عز وجل ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ﴾ يعنى فضيلة فى الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولى الضرر فضل الله المجاهدين على أولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة ﴿ وكلا ﴾ يعنى كلا من المجاهدين والقاعدين ﴿ وعدالله الحسنى ﴾ يعنى الجنة بايمانهم ﴿ وفضل الله المجاهدين ﴾ يعنى فى سبيل الله ﴿ على القاعدين ﴾ يعنى الذين لا عذر لهم ولا ضرر ﴿ أجرا عظيما ﴾ يعنى ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى ﴿ درجات منه ﴾ قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة فى الاسلام درجة والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هى سبع وهى التى ذكرها الله فى سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم

(فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وكلا) أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول أول لقوله (وعدالله) والثانى (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما درجات منه

فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين) بغير الضرر (درجة) فضيلة (وكلا) كلا الفريقين المجاهدين والقاعدين (وعدالله الحسنى) الجنة بالايمان (وفضل الله المجاهدين) بالجهاد (على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة (درجات منه) فضائل من الله فى الدرجات

ومغفرة ورحمة ﴾ كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لماعسى ان يفرط منهم ﴿ رحيما ﴾ بما وعدلهم

قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهى يارسول الله قال الجهاد فى سبيل الله (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عزوجل فى الآية الاولى درجة واحدة وذكر فى هذه الآية درجات فما وجه الحكمة فى ذلك قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما فى الحديث والله أعلم * قوله تعالى ﴿ ومغفرة ﴾ يعنى لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ﴿ ورحمة ﴾ يعنى رأفة بهم ﴿ وكان الله غفورا ﴾ يعنى لذنوب عباده المؤمنين ﴿ رحيما ﴾ يعنى بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عزوجل قال قال أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان أرجعه ارجعته بما اصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائى

فصل

اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لاعذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهليهم وجيرانهم وسواء فى ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية عن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم

ومغفرة ورحمة) قيل انتصب اجرا بفضل لانه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه اسواطا أى ضربات وأجرا عظيما على انه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها مغفرة ورحمة باضمار فعلهما أى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبى عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية (وكان الله غفورا) بتكفير العذر (رحيما) بتوفير الاجر ونزل فيمن اسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا

(ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن تاب عن القعود وخرج الى الجهاد (رحيما) لمن مات على التوبة * ثم نزل فى شأن النفر الذين قتلوا يوم بدر وكانوا خمسين رجلا ارتدوا عن الاسلام فقتل عامتهم

فقتل كافرا (أن الذين توفيهم الملائكة) يجوز ان يكون ماضيا القراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفى قبض الروح والملائكة ملك الموت واعوانه (ظالمى أنفسهم) حال من ضمير المفعول فى توفاهم أى فى حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة (قالوا) أى الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا فى شئ من الدين (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (فى الارض) أرض مكة فاخرجونا كارهين (قالوا) أى الملائكة موبخين لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه

﴿ أن الذين توفيهم الملائكة ﴾ يحتمل الماضى والمضارع * وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ فى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى اناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة توبيخا لهم ﴿ فيم كنتم ﴾ فى أى شئ كنتم من أمر دينكم ﴿ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ﴾ اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن اظهار الدين واعلاء كلمة الله ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا ﴿ الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ الى قطر آخر

على من قرب منهم من المسلمين أو بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل فى هذا الفرض أعنى فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه ان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ ان الذين توفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴾ الآية نزلت فى أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكة بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى التوفى هنا قولان أحدهما انه قبض ارواحهم الثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمى أنفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى أى الفريقين كنتم أفى فريق المسلمين أم فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم ﴿ قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين ﴿ فى الارض ﴾ يعنى فى أرض مكة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال لهم الملائكة ﴿ ألم تكن أرض الله وسعة فتهاجروا فيها ﴾ يعنى

فقال (أن الذين توفيهم الملائكة) قبضتهم الملائكة يوم بدر (ظالمى أنفسهم) بالشرك (قالوا) قالت لهم الملائكة حين القبض (فيم كنتم) ماذا كنتم تصنعون بمكة (قالوا كنا مستضعفين) مقهورين ذليلين (فى الارض) فى أرض مكة فى أيدى الكفار (قالوا) قالت لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله) أرض المدينة (واسعة) آمنة (فتهاجروا فيها) اليها

وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) خبران فأولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الابهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع أنجز (وكان الله عفوا غفورا) لعباده قبل أن يخلقهم

(فأولئك) النفر (مأواهم) مصيرهم (جهنم وساءت مصيرا) صاروا اليه ثم بين أهل العذر فقال (الا المستضعفين من الرجال) الشيوخ (اللهم) والضعفاء (والنساء والولدان) الصبيان (لا يستطيعون حيلة) حيلة الخروج (ولا يهتدون سبيلا) لا يعرفون طريقا (فأولئك عسى الله) وعسى من الله واجب (أن يعفو عنهم) فيما كان منهم (وكان الله عفوا) لما كان منهم (غفورا)

كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة ﴿ فأولئك مأواهم جهنم ﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها ﴿ وساءت مصيرا ﴾ مصيرهم أو جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشار اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه أو حال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه ﴿ وكان الله عفوا غفورا

الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين وأعلمنا بكذبهم ﴿ فاولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ مأواهم ﴾ يعنى منزلهم ﴿ جهنم وساءت مصيرا ﴾ يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى ﴿ الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ﴾ يعنى لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ﴿ ولا يهتدون سبيلا ﴾ يعنى ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة ﴿ فاولئك ﴾ يعنى المستضعفين واهل الاعذار ﴿ عسى الله ان يعفو عنهم ﴾ يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله ﴿ وكان الله عفوا غفورا ﴾ قال ابن عباس كنت أنا وأمى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة

ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا ﴾ متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو أيضا من الرغام ﴿ وسعة ﴾ فى الرزق واظهار الدين ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت ﴾ وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا * « سأترك منزلى لبنى تميم »

﴿ فقد وقع أجره على الله

اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ٭ قوله عزوجل ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة﴾ قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوى ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم أى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وانشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة فى معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى أى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عزوجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة وابعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة اخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فأنزل الله عزوجل ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت ﴾ يعنى قبل بلوغه الى مهاجره ﴿ فقد وقع اجره على الله ﴾ يعنى فقد وجب أجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال

بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (كثيرا وسعة) فى الرزق أو فى اظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالامن (ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير فى يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجرة وهو عطف على يخرج (فقد وقع أجره على الله) أى حصل له الاجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من

لمن تاب منهم (ومن يهاجر فى سبيل الله) فى طاعة الله (يجد فى الارض) فى أرض المدينة (مراغما) محولا وملجأ (كثيرا وسعة) فى المعيشة وأما نزلت هذه الآية فى اكثم بن صيفى ثم نزلت فى جندع بن ضمرة شيخ كان بمكة هاجر من مكة الى المدينة فأدركه الموت بالتنعيم ثوابه مثل ثواب المهاجرين فات جيدا فنزلت فيه (ومن يخرج من بيته) بمكة (مهاجرا الى الله) الى طاعة الله (ورسوله) الى رسوله بالمدينة (ثم يدركه الموت) بالتنعيم (فقد وقع أجره) وجب ثواب هجرته (على الله

خلقه (وكان الله غفورا رحيما) قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهد أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت في طريقه فقد وقع اجره على الله (وأذا ضربتم في الارض) سافرتم فيها فالضرب في الارض هو السفر (فليس عليكم جناح) حرج (أن تقصروا) في أن تقصروا (من الصلاة) من اعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى ان القصر رخصة في السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وأما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر و يطمئنوا اليه

وكان الله غفورا) لما كان منه في الشرك (رحيما) بما كان منه في الاسلام (وأذا ضربتم) سافرتم (في الارض) في سبيل الله (فليس عليكم جناح) مأثم (أن تقصروا من الصلوة) من صلاة المقيم (باسقاط)

وكان الله غفورا رحيما ﴾ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فمات فيه ﴿ وأذا ضربتم في الارض ﴾ سافرتم ﴿ فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ﴾ بتنصيف ركعاتها ونفي الجرح فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتم في السفر وان عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت ياعائشة واوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش

بعضهم انما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا وكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا * قوله عز وجل ﴿ واذا ضربتم في الارض ﴾ يعني اذا سافرتم فيها ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أى خرج واثم ﴿ ان تقصروا من الصلاة ﴾ يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم أره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في اداءها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر

﴿ أن خفتم ان يفتنكم الذين كفروا أن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴾ شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره

باسقاط بعض ركعات الصلاة أولى ﴿ ان خفتم أن يفتنكم ﴾ يعنى يغتالكم ويقتلكم فى الصلاة ﴿ الذين كفروا ﴾ ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر فى حال الامن فى السفر جائز ويدل عليه ماروى عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن فى ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن أمرنا أن نصلى ركعتين فى السفر أخرجه النسائى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذى والنسائى وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف مادل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا فى حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب فى الوقوع * قوله عز وجل ﴿ ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴾ اى ظاهر العداوة فلعلمى بهذا رخصت لكم فى قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع

﴿ فصل فى احكام تتعلق بالآية { وفيه مسائل } ﴾

﴿ المسئلة الاولى ﴾

أو أخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الاكمال فى السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق ممن تلزم طاعته كولى القصاص اذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان أردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لان لا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومئ على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (أن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فتحرزوا عنهم

(أن خفتم) علمتم (أن يفتنكم) أن يقتلكم (الذين كفروا) فى الصلاة (أن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) ظاهر العداوة وهى صلاة الخوف * ثم بين كيف يصلون فقال

في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب ان أكثر العلماء الى القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص واليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا ويدل على ذلك ماروى البغوى بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يارسول الله بابي انت وأمي وقصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب على اخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح انما تستعمل في الرخصة لافيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع

المسئلة الثانية

اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد

المسئلة الثالثة

ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثورى يجوز ذلك

المسئلة الرابعة

اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس أيضا وقال عمر وبن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فانهم لايجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في

﴿ وأذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو ﴿ وليأخذوا اسلحتهم ﴾ أي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة

في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد واسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

فصل

قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن أبي أيوب الانصاري أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل ﴿ واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة ﴾ الآية روى عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن أبي عياش المرزوقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ يعني اذا حان وقت الصلاة وأقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين

(وأذا كنت) يا محمد (فيهم) في أصحابك (فاقمت لهم الصلوة) فاردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف

(وأذا كنت فيهم) معهم شهيدا (فأقمت لهم الصلوة) فأممت لهم في الصلاة فكبروا بتكبير وامعك (فلتقم) فلتكن (طائفة منهم معك) في الصلاة (وليأخذوا أسلحتهم

والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) أي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك يعني الصلاة (فليكونوا من ورائكم) أي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) في موضع رفع صفة لطائفة (فليصلوا معك) أي ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما يقاتل به واخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أي تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة

الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم ﴿فاذا سجدوا﴾ يعني المصلين ﴿فليكونوا﴾ أي غير المصلين ﴿من ورائكم﴾ يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ لاشتغالهم بالحراسة ﴿فليصلوا معك﴾ ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رحمه الله عنه يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله أمروا باخذ السلاح

قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون أسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط ﴿فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو ﴿فليصلوا معك﴾ الركعة الثانية التي بقيت عليك وتموا بقية صلاتهم ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في أول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلاجرم أن الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة ﴿ود الذين كفروا﴾ يعني تمنى الكفار ﴿لو تغفلون﴾ يعني لو وجدوكم غافلين ﴿عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾

فاذا سجدوا) ركعوا ركعة واحدة (فليكونوا) فليرجعوا (من ورائكم) الى مصاف أصحابهم بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى) التي بازاء العدو (لم يصلوا معك) الركعة الاولى (فليصلوا معك) الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) من عدوهم (وأسلحتهم) وليأخذوا سلاحهم معهم (ود) تمنى (الذين كفروا) يعني بني أنمار (لو تغفلون عن أسلحتكم) فتنسونها (وأمتعتكم) تخلون متاع الحرب

(يعنى)

يعنى فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحـدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

فصل فى أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف

{ وفيه مسائل } المسئلة الاولى

قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبى حنيفة صـلاة الخوف كانت خاصـة بالنـبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعـده فعلها وقال المزنى من أصحاب الشافعى كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصـلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامـة الصـلاة مشروطة بكون النبى صلى الله عليـه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت فى حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة بان هذا وان كان قد خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون فى هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء الا أن يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصـة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من أموالهم صـدقة فاذا كان هو المخـاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعـده من الائمة كان كذلك قوله واذ كنت فيهم وأجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم

المسئلة الثانية

قال الخطابى صلاة الخوف أنواع صلاها النبى صلى الله عليه وسلم فى ايام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى فى ذلك كله ماهو الاحوط للصلاة وأبلغ فى الحراسة فهى مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو فى غير جهة القبلة فرق الامام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلى بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثـانية أتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسـون وتأتى الطائفة الثانية التى كانت تحرس فيصلى بهم الركعة الثانية ويثبت جالسـا فى التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ماروى عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتى معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسـهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته

ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم أخرجاه فى الصحيحين الذى صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ فى حراسة العدو أما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها أحوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجىء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا فى الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى أن الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم فى صلاتهم ثم تأتى الطائفة الثانية فتصلى مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتى الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتم ركعتين وأربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه النسائى قال ابو بكر بن السنى سمع الزهرى من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذى أخرجاه فى الصحيحين عن أبن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا فى مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفى رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرج فى الصحيحين اخذ الاوزاعى واشهب المالكى وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهى فى حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمنفرد فى حكم صلاته

المسئلة الثالثة

فيما اذا كان العدو فى ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروى عن جابر بن عبد الله

(قال)

﴿ ولاجناح عليكم أن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم ﴾ رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب ﴿ وخذوا حذركم ﴾ أمرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو

قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف المؤخر فى نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا فى الركعة الاولى فقام صف المؤخر فى نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخارى طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعى ومن وافقه فيما اذا كان العدو فى جهة القبلة

المسئلة الرابعة

اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالركوع والسجود الى أى جهة كانت هذا مذهب الشافعى ومذهب أبى حنيفة انهم لا يصلون فى هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة فى كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم * وقوله عزوجل ﴿ ولاجناح عليكم ﴾ أى ولا اثم ولا حرج عليكم ﴿ ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم ﴾ قال ابن عباس رخص الله لهم فى وضع السلاح فى حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين ﴿ وخذوا حذركم ﴾ يعنى راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بنى محارب وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله

(ولاجناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا) فى أن تضعوا (أسلحتكم وخذوا حذركم) رخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو

(فيميلون عليكم) يحملون عليكم (ميلة واحدة) حملة واحدة فى الصلاة ثم رخصهم فى وضع السلاح فقال (ولاجناح عليكم) لاحرج عليكم (أن كان بكم أذى من مطر) شدة من مطر (أو كنتم مرضى) جرحى (أن تضعوا أسلحتكم) سلاحكم (وخذوا حذركم) من عدوكم

﴿أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى ﴿فاذا قضيتم الصلوة﴾ اديتم وفرغتم منها ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ فدوموا على الذكر في جميع الاحوال أو اذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فأدوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين ﴿فاذا اطمأننتم﴾ سكنت قلوبكم من الخوف ﴿فاقيموا الصلوة﴾ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها وأتوا بها تامة ﴿أن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ فرضا محدودا لاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها

عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك مني الآن فقال لا احد فقال أتشهد أن لا أله الا الله وأن محمد عبده ورسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن اشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له ويلك ياغورث مامنعك منه فقال والله لقد أهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ماأدرى من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم ﴿أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾ يعني يهانون به ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فاذا قضيتم الصلوة﴾ يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم ﴿قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ فانما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح ﴿فاذا اطمأننتم﴾ يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب ﴿فاقيموا الصلوة﴾ يعني فاتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في أوطانكم فاقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلوة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ﴿أن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة

الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلوة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أي دوموا على ذكر الله في جميع الاحوال أو فاذا أردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود (فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فاقيموا الصلوة فاتموها بطائفة واحدة او اذا اقمتم فاتموا ولا تقصروا او اذا اطمأننتم بالصحة فاتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا باوقات

(ان الله أعد للكافرين) بني انمار (عذابا مهينا) يهانون به ويقال شديدا (فاذا قضيتم الصلوة) فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) فصلوا لله (قياما) للصحيح (وقعودا) للمريض (وعلى جنوبكم) للجريح والمريض (فاذا اطمأننتم) رجعتم الى منازلكم وذهب عنكم الخوف (فاقيموا الصلوة) فاتموا الصلوة أربعا (أن الصلوة كانت) صارت (على المؤمنين كتابا موقوتا) مفروضا معلوما في السفر والحضر للمسافر ركعتان وللمقيم اربع ثم حثهم على (فلا يجوز)

معلومة (ولاتهنوا) ولاتضعفوا ولا تتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون) أى ليس ماتجدون من الالم بالجرح والقتل مختصابكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فمالكم لاتصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله مالا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان و من الثواب العظيم فى الآخرة (وكان الله ﴿ ١٥٩ ﴾ عليما) بما يجد ﴿ سورة النساء ﴾ المؤمنون من الالم (حكيما) فى تدبير أمورهم روى ان طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جارله اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل (أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى محقا

فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالايتاء بها كيف ماامكن وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لايصلى المحارب حتى يطمئن ﴿ ولاتهنوا ﴾ ولاتضعفوا ﴿ فى ابتغاء القوم ﴾ فى طلب الكفار بالقتال ﴿ أن تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون ﴾ الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب مالايرجوعدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها * وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولاتهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهى عن الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى ﴿ وكان الله عليما ﴾ باعمالكم وضمائركم ﴿ حكيما ﴾ فيما يأمر وينهى ﴿ أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق

فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أى حال كان من خوف أوأمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا فى الحضر أربع ركعات وفى السفر ركعتين * قوله عز وجل ﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ﴾ سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعنى ولا تضعفوا ولاتتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب أبى سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة فى ذلك وألزمهم بها فقال تعالى ﴿ أن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ﴾ يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصابكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لاتصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لايقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى ﴿ وترجون من الله مالا يرجون ﴾ يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ يعنى انه تعالى لايأمركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم * قوله عز وجل ﴿ أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعا من جار

طلب أبى سفيان وأصحابه بعد يوم أحد فقال (ولا تهنوا)لاتعجزوا ولاتضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب أبى سفيان واصحابه (ان تكونوا تألمون) تتوجعون بالجراحة (فانهم يألمون) يتوجعون بالجراحة(كما تألمون)تتوجعون بالجراحة (وترجون من الله) ثوابه وتخافون عذابه(مالايرجون) ذلك (وكان الله عليما) بجراحتكم (حكيما) حكم عليكم ابتغاء القوم ثم بين قصة طعمة بن أبيرق سارق الدرع واليهودى زيد بن سمين الذى رمى بالسرقة فقال (أنا أنزلنا اليك الكتاب) جبريل بالقرآن (بالحق) لتبيان

لتحكم بين الناس ﴾ نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل ﴿ بما أراك الله ﴾ بما عرفك الله وأوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى الى ثلاثة مفاعيل ﴿ ولا تكن للخائنين ﴾ أى لاجلهم والذب عنهم ﴿ خصيما ﴾ للبراء ﴿ واستغفر الله ﴾ مما هممت به ﴿ أن الله كان غفورا رحيما ﴾ لمن يستغفره

له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن أبيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل ﴿ لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ يعنى بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية فى قوة الظهور روى عن عمر انه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أرانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه ﴿ ولا تكن ﴾ يعنى يا محمد ﴿ للخائنين خصيما ﴾ يعنى ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له ﴿ واستغفر الله ﴾ يعنى مما هممت به من معاقبة اليهود وقيل من جدالك عن طعمة ﴿ أن الله كان غفورا ﴾ يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم ﴿ رحيما ﴾ يعنى بعباده المؤمنين

فصل

وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها

(ان)

(لتحكم بين الناس بما اراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما الهمك بالنظر فى اصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه (ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين خصيما) مخاصما اى ولا تخاصم اليهود لاجل بنى ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما

الحق والباطل (لتحكم بين الناس) بالحق بين طعمة وزيد بن سمين (بما أراك الله) بما علمك الله فى القرآن وبين (ولا تكن للخائنين) بالسرقة يعنى طعمة (خصيما) معينا (واستغفر الله) تب الى الله من همك بضرب اليهودى زيد ابن سمين (أن الله كان غفورا رحيما) لمن مات على التوبة ويقال غفور الذنب الذى هممت رحيما بك

ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴿ يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله أو له ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ﴿ أن الله لايحب من كان خوانا ﴾ مبالغا فى الخيانة مصرا عليها ﴿ أثيما ﴾ منهمكا فيها روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه فى قوله ولاتكن للخائنين خصيما ولم تخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر مايأتيه من الوحى السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مايوجب القدح فى شهادتهم هم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لووقع ذلك الامر لكان خطأ فى نفس الامر فأمره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم من طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب أمته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عزوجل فما يقع منه على وجه التأويل أوسهو أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم ❁ قوله عزوجل ﴿ ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ يعنى ولاتجادل يامحمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقعها فى العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أى فلاتخاصم الخائن ولاتجادل عنه ﴿ أن الله لايحب من كان خوانا أثيما ﴾ يعنى خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودى وهو برئ وانما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات ويروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه

و لاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق أوذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته (أن الله لايحب من كان خوانا أثيما) وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة أنه مفرط فى الخيانة وركوب المآثم وروى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضى الله عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لايؤاخذ عبده

(ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) بالسرقة (أن الله لايحب من كان خوانا) خائنا بالسرقة (أثيما) فاجرا بالحلف الكاذب والبهتان

فى اول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة (اذ يبيتون) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (ما

لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما علم إحاطة (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جادلتم) خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو اولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم (عنهم) عن طعمة وقومه (فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرئ عنه أى عن طعمة (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (ومن يعمل سوء) ذنبا دون الشرك

ونقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله ﴿يستخفون من الناس﴾ يستترون منهم حياء وخوفا ﴿ولا يستخفون من الله﴾ وهو احق بان يستحيى ويخاف منه ﴿وهو معهم﴾ لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه ﴿اذ يبيتون﴾ يدبرون ويزورون ﴿ما لا يرضى من القول﴾ من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿وكان الله بما يعملون محيطا﴾ لا يفوت عنه شئ ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ مبتدأ وخبر ﴿جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا﴾ جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا أو صلة عند من يجعله موصولا ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا﴾ محاميا يحميهم من عذاب الله ﴿ومن يعمل سوأ﴾ قبيحا يسوء به

يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة * قوله عز وجل ﴿يستخفون من الناس﴾ يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن أبيرق ﴿ولا يستخفون من الله﴾ يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم ﴿وهو معهم﴾ يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب ﴿اذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ يعنى يضمرون ويقدرون ويزورون فى أذهانهم وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به ﴿وكان الله بما يعملون محيطا﴾ يعنى انه تعالى لا يخفى عليه شئ من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ها للتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه ﴿جادلتم عنهم﴾ يعنى خاصمتم عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم فى الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد أن يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه ﴿فى الحيوة الدنيا﴾ وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفى قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة فى الحياة الدنيا ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة﴾ يعنى اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ﴿أم من يكون عليهم وكيلا﴾ يعنى محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم * قوله عز وجل ﴿ومن يعمل سوأ﴾

على البرئ (يستخفون) يستحيون (من الناس) بالسرقة (ولا يستخفون من الله) لا يستحيون من الله (وهو معهم) عالم بهم (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يقول يؤلفون ويقولون من القول (او يظلم) ما لا يرضى الله ولا يرضونه مقدم ومؤخر (وكان الله بما يعملون) ويقولون (محيطا) عالما (ها أنتم هؤلاء) أنتم يا قوم طعمة يعنى بنى ظفر (جادلتم) خاصمتم (عنهم) عن طعمة (فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله) يخاصم الله (عنهم) عن طعمة (يوم القيمة أم من يكون عليهم) على طعمة (وكيلا) كفيلا من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) سرقة

أو يظلم نفسه) بالشرك أو سوء قبيحا … تعدى ضرره الى الغير} … { كافعل طعمة بقتادة واليهودي

غيره ﴿ أو يظلم نفسه ﴾ بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ بالتوبة ﴿ يجد الله غفورا ﴾ لذنوبه ﴿ رحيما ﴾ متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ﴿ ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ﴾ فلا يتعداه وباله كقوله تعالى وان اسأتم فلها ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ صغيرة أو مالاعمد فيه ﴿ أو اثما ﴾ كبيرة أو ما كان عن عمد ﴿ ثم يرم به بريئا ﴾ كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان أو ﴿ فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ﴾ بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون

أو يظلم نفسه ﴾ نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت فى قومه الذين جادلوا عنه وقيل هى عامة فى كل مسئ ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسئ به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون فى الاكثر ايصالا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعنى فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ أى قبيحا أو يظلم نفسه برميه لبرئ وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ يعنى من ذنوبه ﴿ يجد الله غفورا رحيما ﴾ فى هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه عم الكل والحكم الثانى ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم أنه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ﴿ ومن يكسب اثما ﴾ يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به ﴿ فانما يكسبه على نفسه ﴾ يعنى انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضرر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فانى لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت فى طعمة ايضا ﴿ وكان الله عليما ﴾ يعنى بسارق الدرع ﴿ حكيما ﴾ يعنى اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته ﴿ ومن يكسب خطيئة أو اثما ﴾ قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ﴿ ثم يرم به بريأ ﴾ يعنى ثم يقذف بما جناه بريأ منه وهو نسبة السرقة الى اليهودى ولم يسرق فأن قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير فى قوله ثم يرم به * قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ ﴿ فقد احتمل بهتانا ﴾ البهتان من البهت وهو الكذب الذى يتحير فى عظمه ﴿ واثما مبينا ﴾ يعنى ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البرئ باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل

اويظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) أو كبيرة أو الاول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب

(أو يظلم نفسه) بالحلف الباطل والبهتان على البرئ (ثم يستغفر الله) يتب الى الله (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) حيث قبل توبته (ومن يكسب اثما) سرقة ويحلف بالله كاذبا (فانما يكسبه) عقوبته (على نفسه وكان الله عليما) يعنى بسارق الدرع (حكيما) حكم عليه بالقطع (ومن يكسب خطيئة) سرقة (أو اثما) أو يحلف بالله كاذبا (ثم يرم به) بما سرق (بريئا) زيد بن سمين (فقد احتمل) فقد أوجب على نفسه (بهتانا) عقوبة بهتان عظيم(واثما مبينا) وعقوبة

الاثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه مالاعلم له به (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير فى منهم يعود الى الناس عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بان الجانى صاحبهم (وما يضلون الا أنفسهم) لان وباله عليهم (ومايضرونك من شئ) لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك (وأنزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) والسنة (وعلمك مالم تكن تعلم) من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الامور وضمائر القلوب (وكان فضل الله عليك عظيما) فيما علمك وأنعم عليك

مقترف الآخر ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ باعلام ماهم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه للتعظيم ﴿لهمت طائفة منهم﴾ أى من بنى ظفر ﴿أن يضلوك﴾ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه ﴿ومايضلون الا انفسهم﴾ لانه مازلك عن الحق وعادوباله عليهم ﴿ومايضرونك من شئ﴾ فان الله سبحانه وتعالى عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر أى شيأ من الضرر ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم﴾ من خفيات الامور أو من أمور الدين والاحكام ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ اذ لافضل أعظم

﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعنى يا محمد بالنبوة ورحمته يعنى بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿لهمت طائفة منهم﴾ يعنى من بنى ظفر وهم قوم طعمة ﴿أن يضلوك﴾ يعنى عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمى بها اليهودى ﴿ومايضلون الا أنفسهم﴾ يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه برئ فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم ﴿ومايضرونك من شئ﴾ يعنى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فانت ماوقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وماخطر ببالك أن الامر على خلاف ذلك وقيل معناه ومايضرونك من شئ فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لايضره أحد ﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ يعنى القرآن ﴿والحكمة﴾ يعنى القضاء بهما يعنى واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك فى الشبهات ﴿وعلمك مالم تكن تعلم﴾ يعنى من احكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب مالم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم مالم تكن تعلم ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ يعنى ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ماانزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من أرادك بسوء ففى هذه الآية تنبيه من الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب

ذنب بين (ولولا فضل الله عليك) من الله عليك بالنبوة (ورحمته) بارسال جبريل اليك (لهمت) أضمرت وارادت (طائفة منهم) من قوم طعمة (أن يضلوك) ان يخطؤك عن الحكم (ومايضلون) عن الحكم (الا أنفسهم ومايضرونك من شئ) بشئ لان مضرته على من شهد بالزور (وانزل الله عليك الكتاب) جبريل بالقرآن (والحكمة) بين فيه الحلال والحرام والقضاء (وعلمك) بالقرآن من الاحكام والحدود (مالم تكن تعلم) قبل القرآن (وكان فضل الله عليك عظيما) بالنبوة { حقه }

(لاخير فى كثير من نجواهم) من تناجى الناس (الامن أمر بصدقة) الانجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير (أو معروف) أى قرض أو اغاثة ملهوف أو كل جيل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أو أصلاح بين الناس) أى اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الامن أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يؤتيه أبو

من النبوة ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم ﴾ من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى أو من تناجيهم فقوله ﴿ الامن أمر بصدقة أو معروف ﴾ على حذف مضاف أى الانجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسر به ﴿ أو أصلاح بين الناس ﴾ أو اصلاح ذات بين ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ بنى الكلام على الامر ورتب

حقه ﴿ قوله عز وجل ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم ﴾ يعنى من نجوى قوم طعمة وقيل هى عامة فى جميع مايتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ماتفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا و ناجيته ساررته وأصله أن يخلو فى نجوة من الارض وقيل اصله من النجى والمعنى لا خير فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه ﴿ الامن أمر بصدقة ﴾ يعنى الا فى نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها ﴿ أو معروف ﴾ يعنى أو أمر بطاعة الله ومايجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها ﴿ أو أصلاح بين الناس ﴾ يعنى الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ماكانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وأمر به ﴿ عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الحالقة أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل ابن سعد رضى الله عنه ان أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمى خيرا زاد مسلم فى رواية له قالت ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعنى هذه اشياء التى ذكرت ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ يعنى فى الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ﴿ أجرا عظيما ﴾

(لاخير فى كثير من نجواهم) من نجوى قوم طعمة (الا من أمر بصدقة) حث على صدقة المساكين (أو معروف) أو قرض لانسان (أو اصلاح بين الناس) بين طعمة وزيد بن سمين اليهودى (ومن يفعل ذلك) الصدقة والقرض والاصلاح (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله (فسوف نؤتيه) نعطيه (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة

الجزء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله سبحانه وتعالى لان الاعمال بالنيات وان من كل فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات في جنبه من اعراض الدنيا * وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل ﴿ نوله ما تولى ﴾ نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ﴿ ونصله جهنم ﴾ وندخله فيها * وقرئ بفتح النون من صلاه ﴿ وساءت مصيرا ﴾ جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما أو احدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها أو لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ﴿ أن الله لا يغفر أن يشرك به

لاحد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله * قوله عز وجل ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ نزلت في طعمة أيضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان وأصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعاد الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان ﴿ نوله ما تولى ﴾ أي نكله في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه ﴿ ونصله جهنم ﴾ يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء ﴿ وساءت مصيرا ﴾ يعني وبئس المرجع الى النار روي ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة * قوله عز وجل ﴿ أن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ نزلت في طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا

الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا (ونصله جهنم) في العقبى (وساءت مصيرا) قيل هي في طعمة وارتداده (أن الله لا يغفر أن يشرك به

(ومن يشاقق) يخالف (الرسول) في التوحيد والحكم وهو طعمة (من بعد ما تبين له الهدى) التوحيد والحكم وهو طعمة (ويتبع) يتخذ (غير سبيل) دين (المؤمنين) يختر على دين المؤمنين دين أهل مكة الشرك (نوله ما تولى) نتركه الى ما اختار في الدنيا (ونصله جهنم) في الآخرة (وساءت مصيرا) صار اليه (أن الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه مثل طعمة

{ وقال }

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا أنى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جرءة وماتوهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فماترى حالى عند الله سبحانه وتعالى فنزلت ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله عز وجل ﴿ أن يدعون من دونه الا اناثا ﴾ يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب غير انى لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جرءة على الله عز وجل وماتوهمت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لايغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها فى حال الشرك ﴿ ويغفر مادون ذلك ﴾ يعنى مادون الشرك ﴿ لمن يشاء ﴾ يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه • فأن قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه الصورة وما فائدة ذلك *قلت فائدة ذلك التأكيد أولان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت فى سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه فى سبب ارتداده وموته على الشرك *قوله عز وجل ﴿ أن يدعون من دونه الا أناثا ﴾ نزلت فى أهل مكة يعنى مايعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناثا أقوال أحدها انهم كانوا يسمون أصنامهم باسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بن فلان والقول الثانى اناثا يعنى أمواتا قال الحسن كل شئ لاروح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحى كما ان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره فى هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الصواب (ان يدعون من دونه) مايعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهن هن بنات الله

(ويغفر مادون ذلك) دون الشرك (لمن يشاء) لمن كان أهلا لذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الهدى (أن يدعون من من دونه) مايعبد أهل مكة من دون الله (الا اناثا) اصناما بلا روح اللات والعزى ومناة

انثى بنى فلان وذلك امالتأنيث اسمائها كما قال

وما ذكر فان يكبر فأنثى * شديدالازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ماكان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة أولانها كانت جادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون مايسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد واناثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتثقيل والتخفيف وهو جمع وثن كأسد وأسد وأسدو اثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة ﴿ وأن يدعون ﴾ وان يعبدون بعبادتها ﴿ الاشيطانا مريدا ﴾ لانه الذى أمرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها ﴿ لعنه الله ﴾ صفة ثانية للشيطان ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان مايشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافات فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افظع الضلال الثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ﴿ ولأضلنهم ﴾ عن الحق ﴿ ولأمنينهم ﴾ الامانى الباطلة كطول الحياة وان لابعث ولا عقاب

والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله ﴿ وأن يدعون ﴾ أى ومايعبدون ﴿ الاشيطانا مريدا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة ﴿ لعنه الله ﴾ أى أبعده الله وطرده عن رحمته ﴿ وقال ﴾ يعنى ابليس ﴿ لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ماأطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ﴿ ولأضلنهم ﴾ عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق ﴿ ولأمنينهم ﴾ قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبى أمنيهم انه لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى وقيل أزين

(الاشيطانا) لانه هو الذى أغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لأتخذن) صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (ولأضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين ولوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل (ولأمنينهم) ولالقين فى قلوبهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال

(وأن يدعون) مايعبدون (الاشيطانا مريدا) متمردا شديدا (لعنه الله) طرده الله من كل خير (و قال) ابليس (لأتخذن) لاستوابن و لاستزلن (من عبادك نصيبا مفروضا) حظا معلوما فما أطيع فيه فهو مفروضه مأموره ويقال من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون فى النار (ولأضلنهم) عن الهدى (ولأمنينهم) لارجينهم أن لاجنة ولانار

﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام﴾ يشقونها لتحريم ما احل الله وهو عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ عن وجهه وصورته أو صفته ويندرج فيه ما قيل من فقء أعين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا واتاه فعلا ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله﴾ بايثاره ما يدعوه اليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى الى طاعته ﴿فقد خسر خسرانا مبينا﴾ اذ ضيع رأس ماله

لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل امنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام﴾ يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره أنس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله﴾ يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر ﴿فقد خسر خسرانا مبينا﴾ لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الآية سؤال الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر

(ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير أي لاحملنهم على أن يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقأ عين الحامي واعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم أو بالوشم أو بنفي الانساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) وأجاب الى ما دعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) في الدارين

(ولآمرنهم فليبتكن) فليشققن (آذان الانعام) وهي البحيرة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) دين الله (ومن يتخذ الشيطان) يعبد الشيطان (وليا) ربا (من دون الله فقد خسر) غبن (خسرانا مبينا) غبنا بينا بذهاب الدنيا والآخرة

وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار ﴿ يعدهم ﴾ مالا ينجزه ﴿ ويمنيهم ﴾ مالا ينالون ﴿ ومايعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان اوليائه ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله ﴿ والذين آمنو وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار

القليل وقال فى موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان كفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين فى العدد لكنهم اقل من المؤمنين فى الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الآخرة وأنشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ماأراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعنى الذين هم أهل النار * السؤال الثانى من أين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولا منينهم ولآمرنهم وقال فى الاعراف ولاتجد أكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التى يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثانى قال ابن الانبارى المعنى لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لأنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردى من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لايؤمنون * وقوله عزوجل ﴿ يعدهم ويمنيهم ﴾ يعنى الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لايلتفت الى شئ منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ماأراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ماهو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لاجنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ يعنى باطلا وضلالا ﴿ أولئك ﴾ يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا ﴿ مأواهم جهنم ﴾ يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم ﴿ ولا يجدون عنها ﴾ يعنى عن جهنم ﴿ محيصا ﴾ يعنى مفرا ومعدلا يعنى لايعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ يعنى من تحت المساكن والغرف

(يعدهم) يوسوس اليهم ان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (ويمنيهم) ما لاينالون (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) هو ان يرى شيأ يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان فى الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار

(يعدهم) الشيطان ان لاجنة ولانار (ويمنيهم) يرجيهم ان الدنيا لاتفنى (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) باطلا وكذبا (أولئك) الكفار (مأواهم) مصيرهم (جهنم ولا يجدون عنها محيصا) مفرا وملجأ (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سندخلهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت غرفها ومساكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء واللبن والعسل

خالدين فيهاابداوعد الله حقا ﴾ اى وعده وعداوحق ذلك حقافالاول مؤكدلنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعدوالثانى مؤكدلغيره ويجوزان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعدالله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ﴿ومن أصدق من الله قيلا ﴾ جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعدالله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله ﴿ ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب ﴾ اى ليس ماوعدالله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولابامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحو أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولاامانى أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أونصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال ﴿ من يعمل سوأ يجزبه ﴾ عاجلا أو آجلا لما روى انها لما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اماتحزن اما تمرض امايصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو

﴿خالدين فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ أبدا ﴾ بلاانتهاء ولاغاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لاانقطاع له ولايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها أبدا دليل على أن الخلود لايفيد التأبيد والدوام لانه لوأفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لاينقطع ✽قوله عزوجل ﴿ وعدالله حقا ﴾ يعنى وعدالله ذلك الذى ذكر وعدا حقا ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ يعنى ليس أحد أصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعدالله حقا ✽ قوله عزوجل ﴿ ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب ﴾ الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه وأراده وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح ﴿ من يعمل سوأ يجز به ﴾ قال الضحاك يقول ليس لكم ماتمنيتم وليس

خالدين فيها أبدا)وقرأ النخعي سيدخلهم (وعدالله حقا) مصدران الاول مؤكدلنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفى أى لا احد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعدالله الصادق لاوليائه (ليس بأمانيكم) ليس الامر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الاصنام (ولا أمانى أهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (من يعمل سوأ يجزبه) أى من المشركين وأهل الكتاب

(خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لايموتون ولايخرجون منها (أبدا وعدالله) فى جهنم والجنة (حقا) كائنا صدقا (ومن أصدق من الله قيلا) وعدا (ليس بأمانيكم) ليس كما تمنيتم يامعشر المؤمنين ان لاتؤاخذوا بسوء بعد بعد الايمان (ولا أمانى أهل الكتاب)ولا كما تمنى أهل الكتاب لقولهم مانعمل بالنهار من الذنوب يغفر بالليل ومانعمل بالليل يغفر بالنهار (من يعمل سوأ) شرا (يجز به) المؤمن فى الدنيا أو بعد الموت قبل دخول الجنة والكافر فى الآخرة قبل دخول

ذاك ﴿ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعضها أو شيأ منها فان كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها ﴿ من ذكر أو انثى ﴾

لاهل الكتاب ما غنوا ولكن من عمل سوأ يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيآته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله ﴿ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصراني وكافر قال ابن عباس رضي الله عنهما هي عامة في حق كل من عمل سوأ يجز به الا أن يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله وأينا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصتْ واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره واما من كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم ✽ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا اقرئك آية انزلت علي قلت بلى يارسول الله قال فاقرأنيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبي بكر قلت يارسول الله بأبي انت وأمي وأينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له اسناد صحيح ✽ وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله ✽ قوله عز وجل ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى

بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى

النار وبعد دخول النار (ولا يجد له من دون الله) من عذاب الله (وليا) قريبا ينفعه (ولا نصيرا) مانعا يمنعه (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات فيما بينه وبين ربه (من ذكر أو أنثى) من رجال أو نساء

(وهو)

وهو مؤمن) فقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام فى من يعمل وفيه اشارة الى أن الاعمال ليست من الايمان (فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكي وأبو عمرو و أبو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو النقرة فى ظهر النواة والراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل سوأ يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمنى أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم النواة (ومن أحسن دينا) أحكم دينا وأحسن قولا (ممن أسلم وجهه لله) أخلص دينه و عمله لله (وهو محسن) موحد محسن بالقول والفعل (واتبع ملة ابراهيم حنيفا

فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أى كائنة من ذكر أو انثى ومن للابتداء ﴿ وهو مؤمن ﴾ حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله ﴾ اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية ﴿ وهو محسن ﴾ آت بالحسنات تارك للسيئات ﴿ واتبع ملة ابراهيم ﴾ الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها ﴿ حنيفا ﴾ مائلا

وهو مؤمن ﴾ قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من فى قوله من الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ النقير نقرة فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على السبيل المبالغة فى نفى الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان ﴿ قوله عز وجل ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعنى ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذى كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الاسلام مبنى على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعنى انقاد لله وخضع له فى سره وعلانيته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله * الامر الثانى من مبانى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى فى عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت وقال ابن عباس فى تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر فى قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له ﴿ واتبع ملة ابراهيم ﴾ يعنى دين ابراهيم عليه السلام ﴿ حنيفا ﴾ يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز

(وهو مؤمن) وهو مع ذلك مؤمن مصدق بإيمانه (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) لا ينقص من حسناتهم قدر نقير وهو النقرة التى على ظهر

عن سائر الاديان وهو حال من المتبع أو من الملة أو من ابراهيم ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودتخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترافقان فى الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جئ بها للترغيب فى اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت

أن يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فأن قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب * قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته * قوله عز وجل ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ يعنى صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله فى كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى فى الله وعادى فى الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد فى معنى الخلة التى هى بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلة للاختلال الذى يلحق الانسان

(واتخذ الله ابراهيم خليلا) هو فى الاصل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهى جملة اعتراضية لامحل لها من الاعراب كقوله والحوادث جة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لانك تعطى الناس ولا تسأ لهم وفى قوله

مسلما (واتخذ الله ابراهيم خليلا) مصافيا

فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا

فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هى تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا فى السبب الذى من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذى بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لوكان ابراهيم يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لوحملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قدجئنا بالميرة فانا نستحى ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التى معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هى ملائى بأجود دقيق يكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلى الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملئكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط أن تسموا الله فى أوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

فصل

وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لوكنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر خليلا ﴿ وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لوكنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله

﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال ﴿وكان الله بكل شئ محيطا﴾ احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ﴿ويستفتونك فى النساء﴾ فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة ابن حصين اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك أمرت ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم ﴿ومايتلى عليكم فى الكتاب﴾ عطف على اسم الله تعالى أو ضميره المستكن فى يفتيكم

صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء فى حديث عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا وأنا حبيب الله ولا فخر أخرجه الترمذى بأطول منه * قوله عز وجل ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ قال أهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال مافى السموات ومافى الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما ﴿وكان الله بكل شئ محيطا﴾ يعنى عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لايشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله عز وجل ﴿ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾ الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن فى أول السورة وقالت عائشة هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفى رواية قالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يارسول الله كيف ترث المرأة والصغير فاجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد الله يفتيكم فى شأن النساء وحالهن ﴿ومايتلى عليكم فى الكتاب﴾ يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النساء بما أنزل فى كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم وانها فى اللوح المحفوظ وأن العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وان المخل بها

(ولله مافى السموات ومافى الارض) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى .لانه منزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) عالما (ويستفتونك فى النساء) ويسألونك الافتاء فى النساء والافتاء تبيين المبهم (قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم فى الكتاب

(ولله مافى السموات ومافى الارض) من الخلق والعجائب كلهم عبيده واماؤه (وكان الله بكل شئ) من أهل السموات والارض (محيطا) عالما (ويستفتونك فى النساء) يسألونك فى ميراث النساء سأله ذلك عيينة (قل الله يفتيكم) يبين لكم (فيهن) فى ميراثهن (ومايتلى عليكم) ويبين ما قرئ عليكم (فى الكتاب) فى أول

فى يتامى النساء) أى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب آى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن و الاضافة بمعنى من (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) مافرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) أى فى ان تنكحوهن لجمالهن أو عن ان تنكحوهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال

وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى ما فى القرآن من قوله تعالى يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلو على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى ﴿فى يتامى النساء﴾ صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله أى يتلى عليكم فى شأنهن والا فبدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه * وقرئ ييامى بياءين على انه أيامى فقلبت همزته ياء ﴿اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ أى فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ فى ان تنكحوهن أو عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء

ظالم ﴿فى يتامى النساء﴾ قيل معناه فى النساء اليتامى وقيل فى اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت فى يتامى أم كحة ﴿اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ يعنى وترغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة فى أموالهن (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق * قوله عز وجل ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث

هذه الصورة (فى يتامى النساء) فى بنات أم كحة (اللاتى لا تؤتونهن) لا تعطونهن (ما كتب لهن) ما وجب لهن من الميراث وقد بين الله هذه الآية فى أول هذه السورة (وترغبون أن تنكحوهن) يعنى ترغبون عن نكاحهن (و قا خا ٢٣ نى) لقبل دمامتهن فاعطوا أموالهن لكى ترغبوا فى نكاحهن لقبل مالهن (والمستضعفين من الولدان) ويبين لكم ميراث الصبيان

لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل فى ميراثهم وماله (وماتفعلوا من خير) شرط وجوابه (فأن الله كان به عليما) أى فيجازيكم عليه (وأن امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب أوضرب (أواعراضا) عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبرسن أودمامة أوسوء فى خلق أوخلق أوملال أو طموح عين الى أخرى أوغير ذلك (فلاجناح عليهما أن يصلحا بينهما) كوفى يصالحا غيرهم أى يتصالحا وهوأصله فابدلت التاء صادا وأدغمت (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أوعن بعضها أوتهب له بعض المهر أوكله

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أيضا عطف عليه أى ويفتيكم أومايتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوزان ينصب وان تقوموا باضمار فعل أى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم أوللقوام بالنصفة فى شأنهم ﴿ وماتفعلوا من خير فأن الله كان به عليما﴾ وعد لمن آثر الخير فى ذلك ﴿ وأن امرأة خافت من بعلها ﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر ﴿ نشوزا ﴾ تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها ﴿ أو اعراضا ﴾ بان يقل مجالستها ومحادثتها ﴿ فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا ﴾ ان يتصالحا بان تحط

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن ﴿وماتفعلوا من خير فأن الله كان به عليما﴾ يعنى فيجازيكم عليه ﴿قوله عزوجل ﴿وأن امرأة خافت من بعلها نشوزا أواعراضا﴾ (ق) عن عائشة رضى الله عنها فى قوله عزوجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لايستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له أمسكنى لاتطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله عزوجل فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفى زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فاراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لاتطلقنى ودعنى أقوم على أولادى واقسم لى كل شهرين ان شئت وان شئت فلاتقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الى فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعنى علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لايحصل الاعند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعنى من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعنى بغضا وقيل هوترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قديكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله عزوجل أواعراضا يعنى بوجهه عنها أويعبث فى وجهها أويترك مضاجعتها أويسئ عشرتها أويشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة فى القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أويشتغل بغيرها ﴿فلاجناح عليهما﴾ يعنى فلاحرج ولااثم على الزوج والمرأة ﴿أن يصالحا﴾ من المصالحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح ﴿بينهما صلحا﴾ يعنى فى القسمة

(وأن تقوموا لليتامى بالقسط) ويبين لكم ان تقوموا بحفظ مال اليتامى بالقسط بالعدل (وماتفعلوا من خير) من احسان الى هؤلاء (فأن الله كان به) وبنياتكم (عليما وأن امرأة) يعنى عميرة (خافت من بعلها) علمت من زوجها سعد بن الربيع (نشوزا) ترك مجامعتها (أواعراضا) ترك محادثتها ومجالستها (فلا جناح عليهما) على الزوج والمرأة (ان يصلحا بينهما) يعنى بين المرأة والزوج (صلحا) معلوما ترضى (والنفقة)

أوالنفقة (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شئ أو والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة
شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الانفس الشح)
أي جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا ولاتنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لاتكاد تسمح بقسمها والرجل لايكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب مافيه راحته وأحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وأن تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض و مايؤدي الى الاذى والخصومة (فأن الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أذم بني آدم وامرأته من أجلهم فنظرت اليه وقالت الحمدلله على اني واياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين

له بعض المهر أو القسم أو تهب له شيأ تستميله به * وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما أو هو محذوف * وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح ﴿ والصلح خير ﴾ من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ولايجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله ﴿ واحضرت الانفس الشح ﴾ ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلاتكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولاالرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغي اذا كرهها او احب غيرها ﴿ وأن تحسنوا ﴾ في العشرة ﴿ وتتقوا ﴾ النشوز والاعراض ونقص الحق ﴿ فأن الله كان بما تعملون ﴾ من الاحسان والخصومة ﴿ خبيرا ﴾ عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب

والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وأنا اريد أن أتزوج امرأة جميلة شابة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولاتجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بأحسان وان أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس رضي الله عنهما فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها ﴿ والصلح خير ﴾ يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة ﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها ﴿ وأن تحسنوا وتتقوا ﴾ هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا أيها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها أمانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها ﴿ فأن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يعني فيجازيكم باعمالكم * قوله عزوجل

به المرأة عن الزوج (والصلح) على رضا المرأة (خير) من الجور والميل (و احضرت الانفس الشح) جبلت الانفس على الشح والشح البخل فتبخل بنصيب زوجها ويقال طمعها بحرها الى ان ترضى (وأن تحسنوا) تسووا بين الشابة والعجوز في القسمة والنفقة (وتتقوا) الجور والميل (فأن الله كان بما تعملون) من الجور والميل (خبيرا

(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء)ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل ألبتة فتمام العدل أن يسوى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والمحالمة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه (ولو حرصتم) بالغتم في تحرى ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعني ان اجتنب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا كان فيه وان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة (وأن تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فأن الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وأن يتفرقا) أي ان لم يصطلح الزوجان على شئ وتفرقا بالخلع أو بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد منهما (من سعته) من غناه أي يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا

الشرط اقامة السبب مقام المسبب ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ﴿ ولو حرصتم ﴾ أي على تحري ذلك وبالغتم فيه ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴿ وأن تصلحوا ﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن ﴿ وتتقوا ﴾ فيما يستقبل من الزمان ﴿ فأن الله كان غفورا رحيما ﴾ يغفر لكم مامضى من ميلكم ﴿ وأن يتفرقا ﴾ وقرئ وان يتفارقا أي وان يفارق كل منهما صاحبه ﴿ يغن الله كلا ﴾ منهما عن الآخر ببدل اوسلو ﴿ من سعته ﴾ غناه وقدرته

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ يعني ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم ﴿ ولو حرصتم ﴾ يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل * عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي * قوله عز وجل ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل كالشئ المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها ﴿ وأن تصلحوا ﴾ يعني بالعدل في القسم ﴿ وتتقوا ﴾ يعني الجور في القسم ﴿ فأن الله كان غفورا ﴾ يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض ﴿ رحيما ﴾ يعني بكم حيث لم يكلفكم مالا تقدرون عليه ﴿ وأن يتفرقا ﴾ يعني ان لم يصطلحا وأرادا الفرقة ﴿ يغن الله كلا من سعته ﴾ يعني من

ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) في الحب (ولو حرصتم) جهدتم (فلا تميلوا)بالبدن (كل الميل) الى الشابة (فتذروها) الاخرى يعني المرأة { فضله } العجوز (كالمعلقة) كالمسجونة لا أيم ولا ذات بعل (وأن تصلحوا وتتقوا) تسووا وتتقوا الميل والجور (فأن الله كان غفورا) لمن تاب من الميل والجور (رحيما) على من مات على التوبة (وأن يتفرقا) يعني المرأة والزوج بالطلاق (يغن الله كلا) يعني الزوج والمرأة (من سعته)من رزقه الزوج بامرأة آخرى والمرأة بزوج آخر

﴿ وكان الله واسعا حكيما ﴾ مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الارض ﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا اوبأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص ﴿ وأياكم ﴾ عطف على الذين ﴿ أن اتقوا الله ﴾ بأن اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى

فضله ورزقه والمعنى يغنى الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفى هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق ﴿ وكان الله واسعا ﴾ يعنى واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غناه ﴿ حكيما ﴾ يعنى فيما أمر به ونهى عنه

فصل

فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهن فى القسم فان ترك التسوية بينهن فى فعل القسم عصى الله عز وجل فى ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط فى البيتوتة أما فى الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان فى نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوى بينهن ولايجب عليه قضاء عوض هذه الليالى للقديمات ويدل على ذلك ماروى أبو قلابة عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جازله أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولايجب عليه أن يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه فى البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخارى مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولله مافى السموات ومافى الارض ﴾ يعنى عبيدا وملكا قال أهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى من سعته وفضله أشار الى مايوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لاتفنى خزائنه ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعنى من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة ﴿ وأياكم ﴾ يعنى ووصيناكم يا أهل القرآن فى كتابكم ﴿ أن اتقوا الله ﴾ أى بان تتقوا الله وهو أن

فالسعة بالغنى والقدرة والواسع الغنى ثم المقتدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله مافى السموات ومافى الارض خلقا والمتملكون عبيده رقا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أوباوتوا (وأياكم) عطف على الذين أوتوا (أن اتقوا الله) بان اتقوا أو تكون ان المفسرة لان التوصية فى معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة مازال يوصى الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى

(وكان الله واسعا) لهما فى النكاح (حكيما) فيما حكم عليهما من العدل وكان لاسه ابن ربيع امرأة أخرى شابة يميل اليها فنهاه الله عن ذلك وأمره بالتسوية بين العجوز والشابة (ولله مافى السموات من الخزائن (ومافى الارض من الخزائن وغير ذلك (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب (من قبلكم) يعنى أهل التوراة فى التوراة واهل الانجيل فى الانجيل وأهل كل كتاب فى كتابهم (وأياكم) يا أمة محمد فى كتابكم (أن اتقوا الله) أطيعوا الله

يسعدون عنده (وأن تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فأن لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حيدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى أصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (أن يشأ يذهبكم) يعدمكم (أيها الناس ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا

(وأن تكفروا) بالله (فأن لله ما فى السموات) من الملائكة جنود (وما فى الارض) من الجن والانس وغير ذلك جنود (وكان الله غنيا) عن ايمانكم (حميدا) لمن وحده ويقال محمودا فى أفعاله يشكر اليسير ويجزى الجزيل (ولله ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق (وكفى بالله وكيلا) ربا (أن يشأ يذهبكم) يهلككم (أيها الناس ويأت بآخرين) يخلق خلقا خيرا منكم ﴿ من ﴾

القول ﴿ وأن تكفروا فأن لله ما فى السموات وما فى الارض ﴾ على ارادة القول أى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله ﴿ وكان الله غنيا ﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿ حيدا ﴾ فى ذاته حمد اولم يحمد ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الارض ﴾ ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حيدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حيدا ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ﴿ أن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴾ يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ﴿ ويأت بآخرين ﴾ ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا

توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم ﴿ وأن تكفروا ﴾ يعنى وان تجحدوا ما أوصاكم به ﴿ فأن لله ما فى السموات وما فى الارض ﴾ يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه ﴿ وكان الله غنيا ﴾ يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم ﴿ حميدا ﴾ يعنى محمودا على نعمه عليهم ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا * فأن قلت ما الفائدة فى تكرير قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض * قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به أما الآية الاولى فمعناها فان لله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما فى السموات وما فى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصى وقيل لما بين ان له ما فى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه أنه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما فى السموات وما فى الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا أى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما فى السموات والارض وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير * قوله عز وجل ﴿ أن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد المشركين والمنافقين ﴿ ويأت بآخرين ﴾ بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك

آخرين مكان الانس ﴿ وكان الله على ذلك ﴾ من الاعدام والايجاد ﴿ قديرا ﴾ بليغ القدرة لايعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لماروى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة ﴿ فعندالله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه كلاشئ أو فعندالله ثواب الدارين فيعطى كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزده له فى حرثه الآية ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته ﴿ شهداء لله ﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله سبحانه وتعالى وهو خبر ثان او حال

من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله ﴿ وكان الله على ذلك قديرا ﴾ يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا فى القدرة لايمتنع عليه شئ أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء ❊ قوله عز وجل ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ﴾ يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت فى المنافقين لانهم كانوا لايصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ماينالونه من الغنيمة ﴿ فعندالله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وماينالونه من الغنيمة مخطؤن فى قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ماأراد وصرف عنه من شرها ماأراد وليس له ثواب فى الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعندالله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ماقدرله ويجزيه فى الآخرة خير الجزاء ﴿ وكان الله سميعا ﴾ يعنى لاقوالهم ومايسرونه من طلب ثواب الدنيا ﴿ بصيرا ﴾ يعنى بنياتهم ومافى نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله ❊ قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾ قال السدى ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لايظلم الغنى فانزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق فهى خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على

آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعندالله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه أخسهما (وكان الله سميعا) للاقوال (بصيرا) بالافعال وهو وعد ووعيد (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين فى اقامة العدل حتى لاتجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أى تقيمون شهاداتكم

واطوع لله (وكان الله على ذلك) على اهلاككم وتخليق غيركم (قديرا من كان يريد ثواب الدنيا) منفعة الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه (فعندالله ثواب الدنيا) فليعمل لله فان ثواب الدنيا (والآخرة) بيدالله (وكان الله سميعا) لمقالتكم (بصيرا) بأعمالكم (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) يقول كونوا قوالين بالعدل فى الشهادة

لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على نفسه هى الاقرار على نفسه لانه فى معنى الشهادة عليها بالزام
الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها فى الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه
على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (أو الوالدين والاقربين) أى
ولو كانت الشهادة على
آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم
(أن يكن) المشهود عليه
(غنيا) فلا يمنع الشهادة
عليه لغناه طلبا لرضاه (أو
فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه
(فالله أولى بهما) بالغنى
والفقير أى بالنظر لهما
والرحمة وانما ثنى الضمير فى
بهما وكان حقه أن يوحد
لان المعنى ان يكن أحد
هذين لانه يرجع الى مادل
عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو
جنس الغنى والفقير كانه
قيل فالله أولى بجنسى الغنى
والفقير أى بالاغنياء
الفقراء (فلا تتبعوا الهوى)
ارادة (أن تعدلوا) عن الحق
من العدول أو كراهة ان
تعدلوا بين الناس من العدل
(وأن تلوا) بواو واحدة
وضم اللام شامى وحمزة من
الولاية (أو تعرضوا) أى
وان وليتم اقامة الشهادة أو
اعرضتم عن اقامتها غيرهما
تلووا بواوين وسكون
اللام من اللى أى وان تلووا
ألسنتكم عن شهادة الحق
وحكومة العدل أو تعرضوا
عن الشهادة بما عندكم

﴿ ولو على انفسكم ﴾ ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقوا عليها لان الشهادة بيان الحق
سواء كان عليه أو على غيره ﴿ أو الوالدين والاقربين ﴾ ولو كانت على والديكم واقاربكم
﴿ أن يكن ﴾ أى المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له ﴿ غنيا أو فقيرا ﴾ فلا تمتنعوا
عن اقامة الشهادة أو لا تجوروا فيها ميلا او ترحما ﴿ فالله أولى بهما ﴾ بالغنى والفقير وبالنظر
لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير
فى بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والالوحد ويشهد عليه انه
قرئ فالله أولى بهم ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ لان تعدلوا عن الحق وكراهة ان تعدلوا
من العدل ﴿ وأن تلووا ﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل. قرا نافع وابن كثير وأبو
بكر وأبو عمرو وعاصم والكسائى باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية
ساكنة. وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها ﴿ أو تعرضوا ﴾

أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة فى القيام بالعدل فى جميع
الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس رضى الله عنهما كونوا قوامين بالعدل فى جميع
الشهادات على من كانت شهداء لله يعنى أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول
الحق فى شهادته ﴿ ولو على أنفسكم ﴾ يعنى ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد
أن يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة فى كونه موجبا
للحق عليه ﴿ أو الوالدين والاقربين ﴾ يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين
من ذوى رحمه أو أقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الاقارب
فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى
﴿ أن يكن ﴾ يعنى المشهود عليه ﴿ غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ يعنى منكم والمعنى
كلوا أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير
الى المعنى دون اللفظ يعنى فالله أولى بالغنى وبالفقير ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾
يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق فى أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا
متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى
﴿ وأن تلووا ﴾ قرئ بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس
رضى الله عنهما يلوى لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها ﴿ أو تعرضوا ﴾ يعنى
أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل
معناه وأن تلووا عن القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل
فى الشهادة من قولهم لويت الشئ اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا
يعنى تميلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من
الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه فلا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم

(ولو على أنفسكم أو
الوالدين والاقربين) فى الرحم (أن يكن) الوالدان (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أحق بحفظهما (فان الله)
فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) ان لا تعدلوا فى الشهادة (وأن تلووا) تلجلجوا (أو تعرضوا) لا تقيموا الشهادة عند الحكام

وتمنعوها (فأن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الايمان ودوموا عليه أو لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمنافقين أى ياأيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (باللهورسوله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذى نزل على رسوله) اى الفرقان (والكتاب الذى أنزل من قبل) أى جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وانزل مكى وشامى وأبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما وغيرهم وانما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لان الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر باللهوملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقدضل ضلالا بعيدا) لان الكفر ببعضه كفر بكله (أن الذين آمنوا) بموسى عليه السلام

عن ادائها ﴿ فأن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ خطاب للمسلمين أو المنافقين أو لمؤمنى أهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت ﴿ آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ﴾ اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم أو آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس * وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل بفتح النون والهمزة والزاء والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴾ أى ومن يكفر بشئ من ذلك ﴿ فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ﴿ أن الذين آمنوا ﴾ يعنى اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام

﴿ فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يعنى انه تعالى يجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى عبدالله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبدالله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الآية ياأيها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعنى آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى ياأيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى ياأيها الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى ياأيها الذين آمنوا فى الماضى والحال آمنوا فى المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان ﴿ والكتاب الذى نزل على رسوله ﴾ يعنى القرآن ﴿ والكتاب الذى انزل من قبل ﴾ يعنى وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التى أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ * قوله عز وجل ﴿ أن الذين آمنوا

(فأن الله كان بما تعملون) من كتمان الشهادة واقامتها (خبيرا) نزلت فى مقيس ابن حبابة كانت عنده شهادة على أبيه (ياأيها الذين آمنوا) يوم الميثاق وكفروا بعد ذلك (آمنوا) اليوم (باللهورسوله) ويقال سماهم بأسماء آبائهم يعنى ياأبناء الذين آمنوا نزلت هذه الآية فى عبدالله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبدالله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل التوراة نزل فيهم ياأيها الذين (قا و خا ٢٤ نى) آمنوا بموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد (والكتاب الذى نزل على رسوله) محمد يعنى القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) من قبل محمد والقرآن على سائر الانبياء (ومن يكفر باللهوملائكته) أو بملائكته (وكتبه) أو بكتبه (ورسله) أو برسله (واليوم الآخر) أو بالبعث بعد الموت (فقد ضل ضلالا بعيدا) فلما نزلت هذه الآية دخلوا فى الاسلام ثم نزل فى الذين لم يؤمنوا بمحمد والقرآن فقال (أن الذين آمنوا) بموسى

﴿ ثم كفروا ﴾ حين عبدوا العجل ﴿ ثم آمنوا ﴾ بعد عوده اليهم ﴿ ثم كفروا ﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ﴾ اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ﴾ يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع انذرتهم تهكما بهم ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾

ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعنى بألسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها فى الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان فى قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكى عن على بن أبى طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم الى أن توبته مقبولة * قوله عز وجل ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ يعنى ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعنى من كفرهم ﴿ ولا ليهديهم سبيلا ﴾ يعنى طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله عز وجل ﴿ بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما ﴾ يعنى أخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب أى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ يعنى يتخذون اليهود أولياء وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك

بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) الى النجاة أو الى الجنة أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

(ثم كفروا) بعد موسى (ثم آمنوا) بعزير (ثم كفروا) بعد عزير بالمسيح (ثم ازدادوا كفرا) ثم استقاموا على الكفر بمحمد والقرآن (لم يكن الله ليغفر لهم) ما قاموا على ذلك (ولا ليهديهم سبيلا) دينا وصوابا وطريق هدى ثم نزل فى المنافقين قوله (بشر المنافقين) عبد الله بن أبى وأصحابه ومن يكون الى يوم القيامة منهم (بأن لهم عذابا أليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم ثم بين صفتهم فقال (الذين يتخذون الكافرين) يعنى اليهود (أولياء) فى العون والنصرة (من دون المؤمنين) المخلصين

أيبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة و النصرة ويقولون لايتم أمر محمد عليه السلام (فأن العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالنبي عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (في الكتاب) القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أي أنه اذا سمعتم أي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن مافادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع مافي حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو مانزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمين عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (أنكم اذا مثلهم) أي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يردبه التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء

في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى اريد الذين أو هم الذين ﴿ ايبتغون عندهم العزة ﴾ أيتعززون بموالاتهم ﴿ فأن العزة لله جميعا ﴾ لايتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب ﴾ يعني القرآن وقرأ * عاصم نزل * وقرأ الباقون نز على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله ﴿ أن اذا سمعتم آيات الله ﴾ وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم ﴿ يكفر بها ويستهزأ بها ﴾ حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ الذي هو جزاء الشرط عما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها ﴿ أنكم اذا مثلهم ﴾ في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفر أن رضيتم بذلك أولان

ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ﴿ أيبتغون عندهم العزة ﴾ يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ فأن العزة لله جميعا ﴾ يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴿ وقد نزل عليكم ﴾ يا معشر المسلمين ﴿ في الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ﴾ قال المفسرون الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا أنزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤن به في مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ يعني يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة ﴿ أنكم اذا مثلهم ﴾ يعني انكم ياأيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا

(أيبتغون) أيطلبون (عندهم) عند اليهود (العزة) القدرة والمنعة (فأن العزة) المنعة والقدرة (لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب) أمر لكم في القرآن اذ أنتم بمكة (أن اذا سمعتم آيات الله) ذكر محمد والقرآن (يكفر بها) بمحمد والقرآن (ويستهزأ بها) بمحمد والقرآن (فلا تقعدوا) فلا تجلسوا (معهم) في الخوض (حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يكون خوضهم وحديثهم في غير محمد والقرآن (أنكم اذا) اذا جلستم معهم بغير كره (مثلهم) في الخوض

معهم معصية ﴿أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء ﴿الذين﴾ بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم ﴿يتربصون بكم﴾ ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو اخفاق ﴿فأن كان لكم فتح من الله﴾ نصرة وغنيمة ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾ مظاهرين فاشركونا فى الغنيمة ﴿وأن كان للكافرين نصيب﴾ سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لانه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لحظة من الدنيا يصيبونها ﴿قالوا﴾ للكافرين ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا

الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ﴿أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر أو للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ما انكم تنطقون ﴿الذين يتربصون بكم﴾ ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره ﴿فأن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿وأن كان للكافرين نصيب﴾ من الحرب فانها سجال ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾ أى قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على أمر دنيوى

يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر أو خالط أهله كان فى الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض فى بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح ﴿أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ أى انهم اجتمعوا فى الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم فى عذاب جهنم يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿الذين يتربصون بكم﴾ نزلت فى المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر ﴿فأن كان لكم فتح من الله﴾ أى ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين لكم ﴿ألم نكن معكم﴾ يعنى فى الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة ﴿وأن كان للكافرين نصيب﴾ أى دولة وظهور على المسلمين ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين للكفار ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ يعنى من صلاتهم والدخول فى دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار * فأن قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى

والاستهزاء ﴿أن الله جامع المنافقين﴾ منافقى أهل المدينة عبدالله بن أبى وأصحابه ﴿والكافرين﴾ كفار أهل مكة أبى جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه ﴿فى جهنم جميعا﴾ ثم بين منهم فقال ﴿الذين يتربصون بكم﴾ ينتظرون بكم يعنى الدوائر والشدة ﴿فأن كان لكم فتح﴾ نصرة وغنيمة ﴿من الله قالوا﴾ يعنى المنافقين للمخلصين ﴿ألم نكن معكم﴾ على دينكم أعطونا من الغنيمة ﴿وأن كان للكافرين﴾ لليهود ﴿نصيب﴾ ﴿ظفر﴾ دولة ﴿قالوا﴾ لليهود ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ ألم نفش سر محمد اليكم ونخبركم به ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ من قتال المؤمنين ونخبر عنكم المؤمنين

مما أصبتم (فالله يحكم بينكم)أيها المؤمنون والمنافقون(يوم القيمة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنـة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى فى القيـامة بدليل أول الآية كذا عن على رضى الله عنه أو حجة كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (أن المنـا فقين يخادعون الله) أى يفعلون مايفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من أظهر الايمـان وابطن الكفر أو أوليـاء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفـا لهم (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعـل المغـالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار فى العقبى والخـادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خـداعهم (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسـالى) متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى

سريع الزوال ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للـكافرين على المؤمنـين سبيلا ﴾ حينئذ او فى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفى ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدة ﴿ أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة ﴿ وأذا قاموا الى الصـلوة قاموا كسالى ﴾ متثاقلين

ظفر الكافرين نصيبا *قلت تعظيما لشـأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السمـاء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فـا هو الاحظ دنىء ونصيب خسيس لايبقى منه الامانالوه فى الدنيا ولهم فى الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيمة ﴾ يعنى الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنـافقين فى الدنيا لالاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيـامة ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ فيه قولان أحدهمـا وهو قول على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم ان المراد به يوم القيامة بدليل أنه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل على بن أبى طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكليـة حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احـد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لايجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسـائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لايرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لايقتل بالذمى بدليل هذه الآية * قوله عز وجل ﴿ أن المنـافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ يعنى يعـاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معنـاه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب وقيل أنهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين ﴿ واذا قاموا الى الصلوة ﴾ يعنى المنافقين ﴿ قاموا كسالى ﴾ يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسـل انهم يتعبون بها لانهم لايريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا

(فالله يحكم بينكم) يامعشر المنافقين واليهود (يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين) لليهود (على المؤمنين سبيلا) دولة دائما (أن المنـافقين) عبد الله ابن أبى وأصحـابه (يخادعون الله) يكذبون الله فى السر ويخالفونه يظنون انهم يخادعون الله (وهو خادعهم) يوم القيـامة على الصراط حين يقول المؤمنون فى السير ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لايرجعون (واذاقاموا الى الصلوة) أتوا الى الصلاة(قاموا كسالى)

بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران (يراؤن الناس) حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراآة مفاعلة من الرؤية لأن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أولا يذكرون الله بالتسبيح

والتهليل الا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أي مرددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يدفع فلا يقر في جانب واحد الا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب (بين ذلك) بين الكفر والايمان (لا الى هؤلاء) لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

اتوا متثاقلين (يراؤن الناس) اذا رأوا الناس أتوا وصلوا واذا لم يروا لم يأتوا ولم يصلوا (ولا يذكرون الله) لا يصلون لله (الا قليلا) رياء وسمعة (مذبذبين بين ذلك) مترددين بين الكفر والايمان كفر السر وايمان العلانية (لا الى هؤلاء) ليسوا مع المؤمنين في السر فيجب لهم ما يجب للمؤمنين (ولا الى هؤلاء) (الكافرين) وليسوا مع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضلل الله) عن دينه وحجته في السر (فلن تجد له سبيلا) دينا ولا حجة في السر (يا أيها الذين آمنوا) بالعلانية يعني عبد الله بن أبي وأصحابه (لا تتخذوا

كالمكره على الفعل * وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان ﴿ يراؤن الناس ﴾ ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فان المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون أي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشئ مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد * وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل * و قرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة ﴿ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ الى الحق والصواب ونظير قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

لأن الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور ﴿ يراؤن الناس ﴾ يعني أنهم لا يقومون الى الصلاة الا لأجل الرياء والسمعة لا لأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق ﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ قال ابن عباس انما قال ذلك لأنهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لأن الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ يعني متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله عز وجل ﴿ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ يعني طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنو الا تتخذوا

الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فى تعذيبكم (أن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) أى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لانه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الاسفل فى العقبى تعديلا ولانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفى غير الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء (ولن تجد لهم نصيرا يمنعهم من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور فى ولن تجد لهم نصيرا (وأصلحوا) ما أفسدوا من اسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه ﴿ ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ﴾ وهو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض • وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهى لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لانه يجمع على ادراك ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ يخرجهم منه ﴿ الا الذين تابوا ﴾ عن النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ ما افسدوا من اسرارهم وأحوالهم

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يارسول الله من نتولى فقال المهاجرين ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ يعنى أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى ﴿ أن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ﴾ يعنى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هى توابيت من حديد مقفلة عليهم فى النار • فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر • قلت ان المنافق مثل الكافر فى الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء أسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر وقيل هو الذى يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب مايفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين • قوله عز وجل ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ يعنى ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى ﴿ الا الذين تابوا ﴾ يعنى من النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ يعنى أصلحوا

الكافرين) يعنى اليهود (أولياء) فى التعزز (من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يامعشر المنافقين (أن تجعلوا لله) لرسول الله (عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة وعذرا بينا بالقتل (أن المنافقين) عبدالله بن أبى وأصحابه (فى الدرك الاسفل من النار فى النار لقبل شرورهما ومكرهم وخيانتهم مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا (الا الذين تابوا) من النفاق وكفر السر (وأصلحوا) فيما بينهم وبين ربهم

(واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لايعذب المؤمن الشاكر فقال (مايفعل الله بعذابكم أن شكرتم) لله (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل أي أي شئ يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ماعليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون

في حال النفاق ﴿ واعتصموا بالله ﴾ وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ لايريدون بطاعتهم الا وجهه سبحانه وتعالى ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ ومن عدادهم في الدارين ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ فيساهمونهم فيه ﴿ مايفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم ﴾ أيتشفى به غيظا أو يدفع به ضرا أو يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر فيعرف المنعم فيؤمن به ﴿ وكان الله شاكرا ﴾ مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل ﴿ عليما ﴾ بحق شكركم وايمانكم

الاعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿ واعتصموا بالله ﴾ يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ يعني وأخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى ﴿ فأولئك ﴾ يعني التائبين من النفاق ﴿ مع المؤمنين ﴾ يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ يعني في الآخرة * قوله عز وجل ﴿ مايفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم ﴾ هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لايعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لايزيد في ملكه وتركه عقوبته لاينقص من سلطانه لانه الغني الذي لايحتاج الى شئ من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر أوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لاينفع مع عدم الايمان ولان الواو لاتوجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته أولا الى ماعليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر ﴿ وكان الله شاكرا ﴾ يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر ﴿ عليما ﴾ يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك

من المكر والخيانة (واعتصموا بالله) تمسكوا بتوحيد الله في السر (واخلصوا دينهم) توحيدهم (لله فأولئك مع المؤمنين) في السر ويقال في الوعد ويقال من المؤمنين في السر والعلانية ويقال مع المؤمنين في الجنة (وسوف يؤت الله) يعطي الله (المؤمنين) المخلصين (أجرا عظيما) ثوابا وافرا في الجنة (مايفعل الله بعذابكم) مايصنع الله بعذابكم (أن شكرتم) ان وحدتم في السر (وآمنتم) صدقتم بايمانكم في السر (وكان الله شاكرا) يشكر اليسير ويجزي الجزيل (عليما) لمن يشكر ولمن لايشكر

الجزء السادس

ياغياث المستغيثين

﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم ﴾ الاجهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت *وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أى ولكن الظالم يفعل

---

*قوله عز وجل ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم ﴾ قال أهل المعانى يعنى انه تعالى لايحب الجهر بالسوء ولاغير الجهر به أيضا من القول يعنى من القول القبيح الامن ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الاجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لايجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة ووقوع ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى أو غصب ونحو ذلك وان شوتم جازله ان يشتم بمثله ولايزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الاول وفى رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لايحب الله ان يدعو أحد على أحد الا أن يكون مظلوما فانه قد أرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صبر فهو خيرله وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلايدع عليه ولكن ليقل اللهم أعنى عليه اللهم استخرج لى حقى اللهم حل بينى وبين مايريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ماصنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلايحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتى وقال مقاتل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وذلك ان رجلا نال منه والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد

(لايحب الله الجهر بالسوء من القول) ولاغير الجهر ولكن الجهر أفحش (الامن ظلم) الاجهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لايحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه

(لايحب الله الجهر بالسوء) بالشتم (من القول الامن ظلم) فقد أذن له بالدعاء ويقال ولا من ظلم

وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لاحد بسوء وأن كان على وجه الانتصار بعدما أطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء الخير واخفاءه تسببا للعفو فقال (أن تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه) فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أى تمحوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فأن الله كان عفوا قديرا) أى انه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته (أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

مالا يحبه الله ﴾ وكان الله سميعا ﴾ لكلام المظلوم ﴿ عليما ﴾ بالظالم ﴿ أن تبدوا خيرا ﴾ طاعة وبرا ﴿ أو تخفوه ﴾ أو تفعلوه سرا ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فأن الله كان عفوا قديرا ﴾ أى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ﴿ أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر بعضهم

عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله شتمنى فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية ﴿ وكان الله سميعا ﴾ يعنى لدعاء المظلوم ﴿ عليما ﴾ بما فى قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق * قوله عز وجل ﴿ أن تبدوا خيرا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء ﴿ أو تخفوه ﴾ يعنى تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة فى قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثانى التخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر فى قسمين أيضا وهما ايصال نفع اليهم فى السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى أن تبدوا خيرا أو تخفوه أو رفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ فيدخل فى هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة ﴿ فأن الله كان عفوا قديرا ﴾ يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه * قوله عز وجل ﴿ أن الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ نزلت فى اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ﴿ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ يعنى ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله

(وكان الله سميعا) لدعاء المظلوم (عليما) بعقوبة الظالم نزلت فى أبى بكر شتمه رجل (أن تبدوا خيرا) ان تردوا جوابا حسنا (أو تخفوه) ولا تحتقروا (أو تعفوا) تجاوزوا (عن سوء) عن مظلمة (فأن الله كان عفوا) متجاوزا للمظلوم (قديرا) بعقوبة الظالم (أن الذين يكفرون بالله ورسله) يعنى كعبا وأصحابه (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بالنبوة والاسلام (ويقولون نؤمن ببعض) ببعض الكتب والرسل (ونكفر ببعض) ببعض الكتب

(ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أى دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبدالله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) فى الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعها (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) أى الثواب الموعود لهم (وكان الله غفورا) يستر السيآت (رحيما) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جلة كما أتى به موسى عليه السلام نزلت

﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ﴿ أولئك هم الكافرون ﴾ هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا ﴿ حقا ﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أى يقينا محققا ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴾ اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعدد العمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى ﴿ أولئك سوف نؤتيهم أجورهم ﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر * وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما فرط منهم ﴿ رحيما ﴾ عليهم بتضعيف

﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ يعنى بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ هم الكافرون حقا ﴾ يعنى يقينا وانما قال ذلك توكيدا الكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء فلزم الايمان بجميعهم ﴿ وأعتدنا ﴾ يعنى وهيأنا ﴿ للكافرين عذابا مهينا ﴾ يعنى يهانون فيه ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق ﴿ ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴾ يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ سوف نؤتيهم أجورهم ﴾ يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم

والرسل (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك) بين الكفر والايمان (سبيلا) دينا (أولئك هم الكافرون (فى حال) حقا) البتة (واعتدنا للكافرين) لليهود وغيرهم (عذابا مهينا) يهانون به ويقال شديدا (والذين آمنوا بالله ورسله) وهو عبدالله بن سلام وأصحابه (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بين النبيين وبين الله بالنبوة والاسلام (أولئك سوف نؤتيهم) نعطيهم (أجورهم) ثوابهم فى الآخرة (وكان الله غفورا) لمن تاب منهم (رحيما) لمن مات على التوبة

(يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (كتابا من السماء) أى جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وانما أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم فى أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا أى أرناه جهرة (فأخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بظلمهم) على أنفسهم بسؤال شئ فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فانه قال رب أرنى انظر اليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم

حسناتهم ﴿ يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ نزلت فى احبار اليهود قالوا أن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ جواب الشرط مقدر أى ان استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ عيانا أى ارناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ نار جاءت من قبل السماء فاهلكتهم ﴿ بظلمهم ﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا

فى حال الكفر * قوله عز وجل ﴿ يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ يعنى يسألك يامحمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتواة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهدا لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت * قوله عز وجل ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ يعنى أعظم من الذى سألوك يامحمد ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يامحمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم فى التعنت ﴿ فقالوا ﴾ نعنى أسلاف هؤلاء اليهود ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ يعنى عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ يعنى بسبب ظلمهم

(يسئلك أهل الكتاب) كعب وأصحابه (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) جملة كالتوراة ويقال ان تنزل عليهم كتابا فيه خيرهم وشرهم وثوابهم وعقابهم (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) مما سألوك (فقالوا أرنا الله جهرة) معاينة (فأخذتهم الصاعقة) فأحرقتهم النار (بظلمهم) بتكذيبهم موسى وجراءتهم على الله

(ثم اتخذوا العجل) الها (من بعدما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع (فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنالهم) والطورمظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عندالدخول رؤسكم (وقلنا لهم لاتعدوا) لاتجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان العين وتشديدالدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة أبى الأأنه أدغم التاء فى الدال وأبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء الى العين (فى السبت) بأخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا مؤكدا

﴿ ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات ﴾ هذه الجناية الثانية التى اقترفها أيضا اوائلهم والبينات المعجزات ولايجوز حلها على التوراة اذلم تأتهم بعد ﴿ فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿ وقلنالهم ادخلوا الباب سجدا ﴾ على لسان موسى والطور مطل عليهم ﴿ وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت ﴾ على لسان داود عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود * وقرأ ورش عن نافع لاتعدوا على ان أصله لاتعتدوا فادغمت التاء فى الدال * وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾

وسؤالهم الرؤية ﴿ ثم اتخذوا العجل ﴾ يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه ﴿ من بعد ماجاءتهم البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فانى قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات مافيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفى قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم ﴿ وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ يعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهى المعجزات الباهرات التى أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ يعنى ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلاينقضوا العهد والميثاق ﴿ وقلنالهم ﴾ يعنى والطور يظلهم ﴿ ادخلوا الباب سجدا ﴾ فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم ﴿ وقلنالهم لاتعدوا فى السبت ﴾ يعنى وقلنا لهم لاتجاوزوا فى يوم السبت الى مالايحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك فى يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهى عن العمل والكسب فى يوم السبت ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ يعنى وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى

(ثم اتخذوا العجل) عبدوا العجل (من بعدما جاءتهم البينات) الامر والنهى (فعفونا عن ذلك) تركناهم ولم نستأصلهم (وآتينا) أعطينا (موسى سلطانا مبينا) حجة بينة اليد والعصا (ورفعنا فوقهم) قلعنا ورفعنا وحبسنا فوق رؤسهم (الطور) الجبل (بميثاقهم) بأخذ ميثاقهم (وقلنالهم ادخلوا الباب) باب أريحاء (سجدا) ركعا (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) يوم السبت بأخذ الحيتان (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)وثيقا فى محمد صلى الله عليه وسلم (فبما)

(فبمانقضهم) أى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الابنقض العهد وماعطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) أى معجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الانبياء) كزكريا ويحيي وغيرهما (بغيرحق) بغير سبب يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أى محجوبة لايتوصل اليها شئ من الذكر والوعظ (بل طبع الله عليها بكفرهم) هورد وانكار لقولهم قلوبنا غلف (فلا يؤمنون الاقليلا) كعبدالله ابن سلام وأصحابه (وبكفرهم) معطوف على فبما نقضهم أوعلى مايليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) هوالنسبة الى الزنا

على ذلك وهو قولهم سمعا واطعنا ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ أى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم مافعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوزان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وماعطف عليه الى قوله فبظلم لابما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلايعمل فى جاره ﴿ وكفرهم بآيات الله ﴾ بالقرآن أو بما جاء فى كتابهم ﴿ وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ﴾ أوعية للعلوم أو فى اكنة مما تدعونا اليه ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم أوخذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر فى المواعظ ﴿ فلايؤمنون الا قليلا ﴾ منهم كعبدالله بن سلام أوايمانا قليلا اذلاعبرة به لنقصانه ﴿ وبكفرهم ﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع أوعلى قوله فبما نقضهم ويجوزان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ يعنى نسبتها الى الزنا

﴿ فبمانقضهم ميثاقهم ﴾ يعنى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم مافعلنا ﴿ وكفرهم بآيات الله ﴾ يعنى وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه ﴿ وقتلهم الانبياء ﴾ يعنى بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم ﴿ بغير حق ﴾ يعنى بغير استحقاق لذلك القتل ﴿ وقولهم قلوبنا غلف ﴾ يعنى وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهى لاتفقه ماتقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعنى قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ماندعونا اليه فردالله عليهم بقوله ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ يعنى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ يعنى ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لايؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هوعبدالله ابن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود ✽ قوله عز وجل ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ يعنى حين رموها بالزنا وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قدظهر عندولادة مريم من المعجزات مايدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم ✽ قوله عزوجل

(فبمانقضهم) فبنقضهم (ميثاقهم) فعلنا بهم مافعلنا (وكفرهم بآيات الله) وبكفرهم بمحمد والقرآن ضربت عليهم الجزية (وقتلهم) وبقتلهم (الانبياء بغيرحق) بلاجرم أهلكناهم (وقولهم) وبقولهم (قلوبنا غلف) أوعية لكل علم وهى لاتعى كلامك وعلمك (بل طبع الله عليها) بل ليس كماقالوا ولكن ختم الله على قلوبهم (بكفرهم) بمحمد والقرآن (فلايؤمنون) بمحمد والقرآن (الاقليلا) عبدالله بن سلام وأصحابه (وبكفرهم) بعيسى والانجيل (وقولهم) وبقولهم (على مريم بهتانا عظيما) وهى الفرية جعلناهم خنازيرا

(وقولهم أنا قتلنا المسيح) سمى مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح أو لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمى مسيحا بمعنى الماسح (عيسى ابن مريم رسول الله) هم

لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذى نزل عليه ذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لايؤمنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك

﴿وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ أى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله سبحانه وتعالى بمدحه أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح ﴿وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لكم﴾ روى ان رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله سبحانه وتعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله سبحانه وتعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لابقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أو فى الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس أو الى

﴿وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله ﴿وماقتلوه وماصلبوه﴾ وفى قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثانى انه من قول الله لاعلى وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى أبدل ذكرهم فى عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * قوله عز وجل ﴿ولكن شبه لهم﴾ يعنى ألقى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء فى صفة التشبيه الذى شبه على اليهود فى أمر عيسى عليه السلام فروى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشترى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفى رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا آخر فجحد

(وقولهم) وبقولهم (أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) أهلك الله صاحبهم ططيانوس (وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) ألقى شبه عيسى على ططيانوس فقتلوه بدل عيسى

ضمير المقتول لدلالة اناقتلنا على ان ثمه قتيلا ﴿ وأن الذين اختلفوا فيه ﴾ فى شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله سبحانه وتعالى يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال بعضهم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ﴿ لفى شك منه ﴾ لفى تردد والشك كما يطلق على مالا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل

كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ماتجعلون لى ان أنادلكم على المسيح فجعلواله ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان أعداء الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يانبى الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عزوجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب ماذكرنا عن وهب بن منبه من أن شبه عيسى ألقى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين أحيط به وبهم من غير مسئلة عيسى أياهم ذلك ولكن ليخزى الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون ألقى شبهه على بعض أصحابه بعدما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود ان الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفى أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ﴿ وأن الذين اختلفوا فيه ﴾ يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود ﴿ لفى شك منه ﴾ يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى

خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وأن الذين اختلفوا فيه) فى عيسى يعنى اليهود قالوا أن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا الله وابن الله وثالث ثلاثة (لفى شك منه

(وأن الذين اختلفوا فيه) فى قتله (لفى شك منه) من قتله

مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح أحدهما لان المراد انهم شاكون مالهم به من علم ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه أى فى قتله لفى شك منه أى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وماقتلوه يقينا) أى قتلا يقينا أو ماقتلوه متيقنين أو ماقتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه أى حق انتفاء قتله حقا (بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه لغير الله أو الى السماء (وكان الله عزيزا) فى انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من رفعه اليه (وأن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ونحوه ومامنا الا له مقام معلوم والمعنى ومامن اليهود

العلم ولذلك أكده بقوله ﴿ مالهم به من علم الا اتباع الظن ﴾ استثناء منقطع أى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فيتصل الاستثناء ﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا كقول الشاعر

كذاك تخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ لايغلب على مايريده ﴿ حكيما ﴾ فيما دبر لعيسى عليه الصلاة والسلام لا يعبث ﴿ وأن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ﴾ أى ومامن أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به فقوله

﴿ مالهم به من علم ﴾ يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره ﴿ الا اتباع الظن ﴾ يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن علم وحقيقة ﴿ وماقتلوه يقينا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ماقتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ماوقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعنى علمه علما تاما وأصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى مابعده تقديره وماقتلوه ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية * قوله عز وجل ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده ﴿ حكيما ﴾ يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم ينطيونس بن اسبيسانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيما حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة * قوله عز وجل ﴿ وأن من أهل الكتاب ﴾ يعنى ومامن أحد من أهل الكتاب ﴿ الا ليؤمنن به ﴾ يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الا ليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لاوجه له لانه لم يجر للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه أولى ﴿ قبل موته ﴾ اختلف

(مالهم به) بقتله (من علم الا اتباع الظن) ولا الظن (وماقتلوه يقينا) أى يقينا ماقتلوه (بل رفعه الله اليه) الى السماء (وكان الله عزيزا) بالنقمة من أعدائه (حكيما) بالنصرة لاوليائه نجى نبيه وأهلك صاحبهم (وأن من) ومامن (أهل الكتاب) (المفسرون) اليهود والنصارى أحد (الا ليؤمنن به) بعيسى انه لم يكن ساحرا ولا الله ولا ابنه ولا شريكه (قبل موته) قبل خروج نفسه

ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان أحدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا روى انه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات و يلبث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون

المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اذا وقع فى اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو تردى من شاهق أوسقط عليه جدار أو أكله سبع أومات فجأة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول أمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب الا لىؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى

والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله يعنى اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى انه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام أو الضمير فى به يرجع الى الله أو الى محمد صلى الله عليه وسلم والثانى الى الكتابى

بعد نزول عيسى ثم يموت بعد كل يهودى يكون فى زمنهم

ويدفنون ﴿ ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ أى فبأى ظلم منهم ﴿ حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ﴾ يعنى ماذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا

المال فلا يقبله أحد أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لاينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير * وقوله ويضع الجزية يعنى لايقبلها ممن بزلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بزل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فدل على ان الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية ومامن أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه * قوله عز وجل ﴿ ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ﴾ يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهدوا على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عز وجل ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ يعنى فبسبب ظلم منهم ﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ يعنى ما حرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر

(ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهى ماذكر فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ماحرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ماعدد قبل هذا

(ويوم القيمة يكون) عيسى (عليهم شهيدا) بالبلاغ (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يقول فبظلمهم

﴿ والكبائر ﴾

﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ﴾ ناسا كثيرا أوصدا كثيرا ﴿ وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ﴾ كان الربا محرما عليهم كما هومحرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ دون من تاب وآمن ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه

والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا ألها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ماذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى فى معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ماوصفهم الله به فى كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبرالله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغى بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوارة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيأ انتهى اليه فتركته ولقد انصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقدذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب فى المستقبل * فأن قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ماسيقع منهم * قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخرالدين فى تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ﴾ ثم انهم مع ذلك فى غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قدنهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها فى الدنيا والآخرة أما التشديد فى الدنيا فهو ماتقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد فى الآخرة فهو المراد بقوله تعالى ﴿ وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله عزوجل ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم ﴾ يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عزوجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم

كثيرا (وأخذهم الربوا وقدنهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وأكلهم أموال الناس (بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن (عذابا أليما) فى الآخرة (لكن الراسخون فى العلم) أى الثابتون فيه المتقنون كابن سلام واضرابه (منهم) من أهل

(وبصدهم عن سبيل الله عن ذكر دين الله (كثيرا وأخذهم الربا) وباستحلال الربا (وقدنهوا عنه) فى التوراة (وأكلهم) وبأكلهم (أموال الناس بالباطل) بالظلم والرشوة حرمنا عليهم طيبات الثروب من الشحوم ولحم الابل وألبانها أحلت لهم كانت عليهم حلالا (واعتدنا للكافرين منهم) من اليهود (عذابا أليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم (لكن الراسخون) البالغون (فى العلم) فى علم التوراة (منهم) من أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه يقرون بالقرآن وسائر الكتب وان لم تقربه اليهود

﴿ والمؤمنون ﴾ أى منهم أو من المهاجرين والانصار ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴾ خبر المبتدأ ﴿ والمقيمين الصلوة ﴾ نصب على المدح أن جعل يؤمنون الخبر لاولئك أو عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى يؤمنون بالكتب والانبياء * وقرأ نافع بالرفع عطفا على الراسخون أو على الضمير فى يؤمنون أو على انه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم ﴿ والمؤتون الزكوة ﴾ رفعه لاحد الاوجه المذكورة

وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه أولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبدالله بن سلام وأصحابه الذين اسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والمؤمنون ﴾ يعنى بالله ورسله ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك ﴾ يعنى بالقرآن الذى انزل اليك ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى أنزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما انزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك ﴿ والمقيمين الصلوة ﴾ اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الا أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغى ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانبارى ما روى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه عن أمثلة وشواهد وربما غبى عليه ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفؤه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة أهم الراسخون فى العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا

الكتاب (والمؤمنون) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى سائر الكتب (والمقيمين الصلوة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبدالله والمقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره

(والمؤمنون) وجلة المؤمنين (يؤمنون بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر الانبياء (والمقيمين الصلوة) المتمين الصلوات الخمس

{ والعرب }

﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب ومايصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية ﴿أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح * وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء ﴿أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده﴾ جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا

والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداد وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم طيبون ومن هذا المعنى تقول جاءنى قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثانى ان المقيمين الصلاة غير الراسخين فى العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبرى القول الثانى واختاره * قوله عزوجل ﴿ والمؤتون الزكوة ﴾ عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب ﴿أولئك﴾ يعنى من هذه الاوصاف صفته ﴿سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ يعنى سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة * قوله عزوجل ﴿ أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قال سكين وعدى بن زيد يامحمد مانعلم ان الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جلة واحدة فاجاب الله عزوجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يامحمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يامعشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين فى هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يامعشر اليهود معترفون بذلك وماأنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جلة واحدة مثل ماأنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جلة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا فى نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا فى نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عزوجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبى بعث بشريعة وأول نذير

(والمؤتون الزكاة) مبتدأ (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) عطف عليه والخبر (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) وبالياء حمزة (أنا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه فى الوحى اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كهود و صالح و شعيب

(والمؤتون الزكوة) المؤدون زكاة أموالهم أيضا يقرون بالقرآن وسائر الكتب (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت أيضا يقرون بالقرآن وسائر الكتب وكل هؤلاء يقرون بالقرآن وسائر الكتب ان لم يقربها اليهود ثم بين ثوابهم فقال (أولئك سنؤتيهم) سنعطيهم (أجرا عظيما) ثوابا وافرا فى الجنة (أنا أوحينا اليك) ارسلنا اليك جبريل بالقرآن (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) من بعد نوح

وغيرهم (وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أي أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (ورسلا) نصب بمضمر في معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا (قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه

من السماء واحتجاج عليهم بان أمره في الوحي كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان ﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ﴿ ورسلا ﴾ نصب بمضمر دل عليه أوحينا اليك كأرسلنا أو فسره ﴿ قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ أى من قبل هذه السورة أو اليوم

على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام وكان أطول الانبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال ﴿ وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ﴾ وهم أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر ﴿ وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ﴾ يعنى وآتينا داود كتابا مزبورا يعنى مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجئ الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدى زاد البرقانى قلت والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام ❊ قوله عز وجل ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود مالموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعنى سميناهم فى القرآن وعرفناك أخبارهم والى من بعثوا وماورد عليهم من قومهم ﴿ ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعانى الذى نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من

(وأوحينا الى ابراهيم) أرسلنا جبريل أيضا الى ابراهيم (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أعطينا (داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك) سميناهم لك (من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) (لم يذكر)

وكلم الله موسى تكليما ﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ﴾ نصب على المدح أو باضمار ارسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطأ لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ فيقولوا

لم يذكر ولم يسم * قوله عز وجل ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان أفعال المجاز لاتؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل مايوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل لكن لاتحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كله بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لاأفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لوسمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل فى خلقك شئ يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شبها بكلامى أشد مايسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ﴾ يعنى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا الى خلقى مبشرين من أطاعنى واتبع أمرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف أمرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتاب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة أولى * قوله عز وجل ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله

شرط القص علينا كل ذلك (وكلم الله موسى تكليما) أى بلا واسطة (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح أى أعنى رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا واللام فى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ماسبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فانها مما يعرف

لم نسمهم لك (وكلم الله موسى تكليما رسلا) كل هؤلاء الرسل أرسلناهم (مبشرين) بالجنة لمن آمن بالله (ومنذرين) من النار لمن لايؤمن بالله (لئلا) لكى لا (يكون للناس على الله حجة) يوم القيامة (بعد الرسل) بعد ارسال الرسل اليهم لكى لايقولوا لم لم ترسل الينا الرسل

اولا ارسلت الينا رسلا فينبهنا ويعلمنا مالم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ لا يغلب فيما يريده ﴿ حكيما ﴾ فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحى والاعجاز ﴿ لكن الله يشهد ﴾ استدراك عن مفهوم ماقبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو انهم انكروه ولكن الله يبينه ويقرره ﴿ بما أنزل اليك ﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوتك

بالعقل (وكان الله عزيزا) فى العقاب على الانكار (حكيما) فى بعث الرسل للانذار ولما نزل أنا أوحينا اليك قالوا مانشهد لك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة

(وكان الله عزيزا) بالنقمة لمن لا يجيب رسله (حكيما) حكم عليهم اجابة الرسل ثم نزل فى أهل مكة لقولهم سألنا أهل الكتاب عنك فلم يشهد أحد منهم انك نبي مرسل (لكن الله يشهد) وان لم يشهد غيره (بما أنزل اليك) يعنى جبريل بالقرآن

فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات * فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم ﴿ ق ﴾ عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ماظهر منها ومابطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين * قوله عز وجل ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ يعنى فى انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله ﴿ حكيما ﴾ يعنى فى ارساله الرسل * قوله عز وجل ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله أعلم انكم لتعلمن انى رسول الله فقالوا مانعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء

روى انه لما نزل انا أوحينا اليك قالوا مانشهد لك فنزلت ﴿ أنزله بعلمه ﴾ انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوالنبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ أى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ﴿ أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق فى الضلال وأبعد عن الانقلاع عنه

مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعنى ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا اليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا أن القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى أنزله عليك ﴿ أنزله بعلمه ﴾ يعنى أنه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ يعنى يشهدون بان الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ يعنى وحسبك يا محمد أن الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن الذين كفروا ﴾ يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود ﴿ وصدوا عن سبيل الله ﴾ يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته وألقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ يعنى عن طريق الهدى

(أنزله بعلمه) أى أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله اليك وانك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدا وان لم يشهد غيره (أن الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا لانجده فى كتابنا (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الرشد

(أنزله بعلمه) بامره (والملائكة يشهدون) على ذلك (وكفى بالله شهيدا) وان لم يشهد غيره (أن الذين كفروا) بمحمد والقرآن (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن دين الله وطاعته (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الهدى

(أن الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ما داموا على الكفر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أي بالاسلام أو هو حال أي محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد (وأن تكفروا فأن لله ما في السموات والارض) فلا يضره كفركم (وكان الله عليما) بمن يؤمن وبمن يكفر

﴿ أن الذين كفروا وظلموا ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا يعسر عليه ولا يستعظمه ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد ﴿ فآمنوا خيرا لكم ﴾ أي ايمانا خيرا لكم أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه ﴿ وأن تكفروا فأن لله ما في السموات والارض ﴾ يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه ﴿ وكان الله عليما ﴾

﴿ أن الذين كفروا وظلموا ﴾ يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى ﴿ ولا ليهديهم طريقا ﴾ يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون ﴿ الا طريق جهنم ﴾ يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم أهل لذلك ﴿ خالدين فيها ﴾ يعني في جهنم ﴿ أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ يعني هينا * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس ﴾ هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب ﴿ قد جاءكم الرسول ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بالحق ﴾ يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق ﴿ من ربكم ﴾ يعني من عند ربكم ﴿ فآمنوا خيرا لكم ﴾ يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي أنتم عليه ﴿ وأن تكفروا ﴾ يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم ﴿ فأن لله ما في السموات والارض ﴾ يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على ما يشاء ﴿ وكان الله عليما ﴾ يعني

(أن الذين كفروا) بمحمد والقرآن (وظلموا) هم الذين أشركوا بالله (لم يكن الله ليغفر لهم) ما قاموا على ذلك (ولا ليهديهم طريقا) طريق الهدى (الا طريق جهنم خالدين فيها) مقيمين في النار لا يموتون ولا يخرجون منها (أبدا وكان ذلك) الخلود والعذاب (على الله يسيرا) هينا (يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الرسول) محمد (بالحق) بالتوحيد والقرآن (من ربكم فآمنوا) بمحمد والقرآن (خيرا لكم) مما ﴿بما يكون﴾ أنتم عليه (وأن تكفروا) بمحمد والقرآن (فأن لله ما في السموات والارض) كلهم عبيده واماؤه (وكان الله عليما) بمن يؤمن

(حكيما) لايسوى بينهما فى الجزاء (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) لاتجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حق المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (ولاتقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم) لاابن الله (رسول الله) خبر المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وكلمته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام (ألقاها الى مريم) حال وقدمعه مرادة أى أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لما أنه يحيي القلوب (منه) أى بتخليقه

باحوالهم ﴿ حكيما ﴾ فيما دبر لهم ﴿ ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ﴾ الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه أوفق لقوله ﴿ ولا تقولوا على الله الا الحق ﴾ يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد ﴿ انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم ﴾ أوصلها اليها وحصلها فيها ﴿ وروح منه ﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل

بما يكون منكم لايخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله ﴿ حكيما ﴾ يعنى فى تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل ﴿ ياأهل الكتاب ﴾ نزلت هذه الآية فى النصارى وذلك ان الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بابطال ماتعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا فى عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون فى عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذى أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولس تنصر ودس هذا فى دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتى قصته فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا فى أمر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا فى التقصير فى أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولود لغير رشدة وغلت النصارى فى رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب ﴿ لاتغلوا فى دينكم ﴾ وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو فى الدين حرام والمعنى لاتفرطوا فى أمر عيسى ولاتحطوه عن منزلته ولاترفعوه فوق قدره ومنزلته ﴿ ولاتقولوا على الله الا الحق ﴾ يعنى لاتقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لاتصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم أرشدهم الى طريق الحق فى أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى ﴿ انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك ﴿ وكلمته ﴾ هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة ﴿ ألقاها الى مريم ﴾ يعنى أوصلها الى مريم ﴿ وروح منه ﴾ يعنى انه كسائر

وبمن لايؤمن (حكيما) حكم عليهم ان لايعبدوا غيره • ثم نزل فى نصارى أهل نجران النسطورية وهم الذين قالوا عيسى ابن الله واليعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله والمرقوسية وهم الذين قالوا ثالث ثلاثة والملكانية وهم الذين قالوا عيسى والرب شريكان فانزل الله فيهم (ياأهل الكتاب لاتغلوا) لاتشددوا (فى دينكم) فانه ليس بحق (ولاتقولوا على الله الا الحق) الصدق (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم) وصار بكلمة من الله مخلوقا (وروح منه) وبأمر منه

سمى روحا لانه كان يحيي الاموات أو القلوب ﴿ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ﴾ أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله أو الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة ﴿ انتهوا ﴾ عن التثليث ﴿ خيرا لكم ﴾ نصبه لما سبق ﴿ انما الله أله واحد ﴾ أى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما ﴿ سبحانه أن يكون له ولد ﴾ أى أسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعاد له مثل ويتطرق اليه الفناء ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض ﴾

الارواح التى خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وأنما أضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه وقيل أدخل النكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل ❁ قوله عز وجل ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ يعنى فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاءكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها ❁ قوله عز وجل ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾ يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة أقانيم وذلك انهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فأثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة ﴿ انتهوا خيرا لكم ﴾ يعنى يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى ﴿ انما الله أله واحد ﴾ ثم نزه نفسه عن الولد فقال ﴿ سبحانه أن يكون له ولد ﴾ يعنى لا ينبغى أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده

وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وبه أجاب على بن الحسين ابن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم ان فى كتابكم حجة على ان عيسى من الله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدأ (أله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه أن يكون له ولد) أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) بيان لتنزهه مما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه اذ البنوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح فى الاجسام وهو يتعالى عن

صار ولدا بلا اب (فآمنوا بالله ورسله) جملة الرسل عيسى وغيره (ولا تقولوا ثلاثة)ولد ووالد وزوجة (انتهوا) عن مقالتكم وتوبوا (خيرا لكم) من مقالتكم (انما الله أله واحد) بلا ولد ولا شريك (سبحانه) نزه نفسه (أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض) (وملكه)

أن يكون جسما (وكفى بالله وكيلا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأى شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) أى لن يأنف (أن يكون عبدا لله) هو رد على النصارى (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) أى الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجاز او تشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتى ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثانى على الاول لكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لان الآية تدل على أن الملائكة المقربين باجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة ولان المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هى التى تورث الحمقاء أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرئ الاكمه

ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه ﴿ لن يستنكف المسيح ﴾ لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لا يرى أثره عليك ﴿ أن يكون عبدا لله ﴾ من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام وأى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ عطف على المسيح أى ولا يستنكف الملائكة المقربون

وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ يعنى انه تعالى كاف فى تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم * قوله عز وجل ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ﴾ وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعنى لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أى أنفت منه واصله من نكفت الشئ نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبدا لله ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ يعنى ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم

عبيدا (وكفى بالله وكيلا) ربا للخلق وشهيدا على ما قال من خبر عيسى (لن يستنكف المسيح) لن يأنف المسيح (أن يكون عبدا لله) ان يقر بالعبودية لله نزلت هذه الآية فى قوله انه عار على صاحبنا ما تقول يا محمد فانزل الله انه ليس بعار ان يكون عيسى عبدا لله (ولا الملائكة المقربون) يقول ولا تأنف الملائكة المقربون حملة العرش ان يقروا بالعبودية لله

والابرص ويحيي الموت وينبئ بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم فبرؤه من العبودية فقيل لهم هذه الاوصاف في الملائكة أتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا الحديث (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يترفع ويطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله

ان يكون عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ ومن يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق ﴿فسيحشرهم اليه جميعا﴾ فيجازيهم ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله

حملة العرش والكروبيون وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او أنهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله * قوله عز وجل ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه ﴿فسيحشرهم اليه جميعا﴾ يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيأ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحات ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

(ومن يستنكف) يأنف (عن عبادته) عن الاقرار بعبوديته (ويستكبر) عن الايمان بالله (فسيحشرهم اليه) يوم القيامة (جميعا) الكافر والمؤمن (فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فيوفيهم) فيوفرهم (أجورهم) ثوابهم في الجنة (ويزيدهم من فضله) كرامته (واما الذين)

واماالذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غيرمطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هومثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحد هما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله تعالى بعد هذا فاماالذين آمنوا بالله واعتصموا به والثانى أن الاحسان الى غيرهم ممايغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (ياأيهاالناس قدجاءكم برهان من ربكم) أى رسوله يبهرالمنكر بالاعجاز (وأنزلنااليكم نورامبينا) قرآنا يستضاء به فى ظلمات الحيرة (فأماالذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن

وأماالذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيرا ﴾ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أولمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة ﴿ ياأيهاالناس قدجاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ﴾ عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أى قدجاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولاعلة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالقرآن ﴿ فأماالذين آمنوا بالله واعتصموا به

﴿وأماالذين استنكفوا واستكبروا﴾ يعنى الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى ﴿ فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله ﴾ يعنى من سوى الله لانفسهم ﴿ وليا ﴾ يعنى ينجيهم من عذابه ﴿ ولانصيرا ﴾ يعنى ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته يقى فى الآية سؤال وهو ان التفصيل غيرمطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكرفريقين وهو قوله فاماالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم واماالذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكرفريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لااشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى والوجه الثانى ان الاحسان الى غيرهم ممايغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عزوجل ﴿ يا أيهاالناس ﴾ خطاب للكافة ﴿ قدجاءكم برهان من ربكم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عزوجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرة التى تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق ﴿ وأنزلنا اليكم نورا مبينا ﴾ يعنى القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلب فسماه نورا لهذا المعنى ﴿ فأماالذين آمنوا بالله ﴾ يعنى صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب ﴿ واعتصموا به ﴾ يعنى بالله فى أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموا به أى وتمسكوا بالنور وهوالقرآن الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه

(وأماالذين استنكفوا) انفوا (واستكبروا) عن الايمان بمحمد والقرآن (فيعذبهم عذابا اليما) وجيعا (ولا يجدون لهم من دون الله) من عذاب (وليا) قريبا ينفعهم (قا و خا ٢٨ نى) (ولانصيرا) مانعا يمنعهم من عذاب الله (ياأيها الناس) ياأهل مكة (قدجاءكم برهان من ربكم)رسول من ربكم محمد صلى الله عليه وسلم (وأنزلنا اليكم) الى نبيكم (نورامبينا) كتابا مبينا الحلال والحرام(فأماالذين آمنوا بالله) وبمحمد والقرآن (واعتصموا به) تمسكوا بتوحيد الله

فسيدخلهم فى رحمة منه ﴾ فى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب ﴿ وفضل ﴾ احسان زائد عليه ﴿ ويهديهم اليه ﴾ الى الله سبحانه وتعالى وقيل الى الموعود ﴿ صراطا مستقيما ﴾ هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة ﴿ يستفتونك ﴾ أى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزلت فى الاحكام ﴿ قل الله يفتيكم فى الكلالة ﴾ سبق تفسيرها فى أول السورة

وسلم ﴿ فسيدخلهم فى رحمة منه ﴾ يعنى فسيدخلهم فى رحمته التى ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس رضى الله عنهما الرحمة الجنة ﴿ وفضل ﴾ يعنى ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴾ يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله عز وجل ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ﴾ نزلت فى جابر بن عبد الله الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يعودانى رضى الله عنه ماشيين فاغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فافقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف أصنع فى مالى كيف أقضى فى مالى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة * وفى رواية فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال هكذا نزلت * وفى رواية للترمذى وكان لى تسع أخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع أخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى فأفقت فقلت يارسول الله ألا أوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركنى فقال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت أن امارتك تحملنى أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد

(فسيدخلهم فى رحمة منه) أى جنة (وفضل) زيادة النعمة (ويهديهم) ويرشدهم (اليه) الى الله أو الى الفضل أو الى صراطه (صراطا مستقيما) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت

(فسيدخلهم فى رحمة منه) فى جنة (وفضل) كرامة منه مقدم ومؤخر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يثبتهم على طريق مستقيم فى الدنيا مقدم ومؤخر يقول يثبتهم فى الدنيا على الايمان ويدخلهم فى الآخرة الجنة (يستفتونك) يسألونك يا محمد نزلت هذه الآية فى جابر بن عبد الله الانصارى سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان لى أختا مالى منها ان ماتت فقال الله يسألونك يا محمد عن ميراث الكلالة (قل الله يفتيكم) يبين لكم (فى الكلالة) فى ميراث الكلالة والكلالة ما خلا الوالد والولد ثم

(أن امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة أى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله أخت) أى لاب وأم أو لاب (فلها نصف ماترك) أى الميت (وهو يرثها) أى الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (أن لم يكن لها ولد) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض باهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) أى فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فلهما الثلثان مماترك وأن كانوا أخوة) أى وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة

﴿ أن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك ﴾ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو أب لانه جعل أخوها عصبة وابن الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف ﴿ وهو يرثها ﴾ أى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ﴿ أن لم يكن لها ولد ﴾ ذكرا كان أو انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة آن فسرت بالميت ﴿ فأن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مماترك ﴾ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿ وأن كانوا أخوة

هذا رحمك الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم فى أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد * قوله عز وجل ﴿ أن امرؤ هلك ﴾ يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة ﴿ ليس له ولد ﴾ يعنى ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد ﴿ وله أخت ﴾ يعنى ولذلك الهالك أخت واراد بالاخت من أبيه وأمه أو من أبيه ﴿ فلها نصف ماترك ﴾ يعنى فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند أبى حنيفة وأهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة * قوله عز وجل ﴿ وهو يرثها أن لم يكن لها ولد ﴾ يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت أخا من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه ﴿ فأن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مماترك ﴾ أراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان مماترك الميت ﴿ وأن كانوا أخوة

بين فقال (أن امرؤ هلك) مات (ليس له ولد) ولا والد (وله أخت) من أبيه وأمه أو من أبيه (فلها نصف ماترك) الميت من المال (وهو يرثها) ان ماتت (أن لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى (فأن كانتا اثنتين) أختين من أب وأم أو أب (فلهما الثلثان مماترك) ماترك الميت من المال (وأن كانوا أخوة

رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ﴾ أصله وان كانوا أخوة وأخوات فغلب المذكر ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفين ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

﴿ سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ﴾ يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من أخواته الاناث ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوى وفيه نظر لانه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه فى الحجة التى أمره عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فامره أن يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا فى أهل منى ببراءة ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبى بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوى ثم نزلت فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة المائدة ﴾

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها

(رجالا ونساء) ذكورا واناثا (فللذكر) منهم (مثل حظ الانثيين يبين الله لكم) الحق فهو مفعول يبين (أن تضلوا) كراهة أن تضلوا (والله بكل شئ عليم) يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

﴿ سورة المائدة مدنية وهى مائة وعشرون آية ﴾

رجالا ونساء) ذكرا وانثى من أب وأم أو من أب (فللذكر مثل حظ) نصيب (الانثيين يبين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) لكى لا تخطؤا فى قسمة المواريث (والله بكل شئ) من قسمة المواريث وغيرها (عليم)

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المائدة وهى كلها مدنية ﴾

(قوله من قرأ سورة النساء الخ) هذا حديث موضوع مفترى على أبى بن كعب رضى الله عنه كما ذكره المحدثون كفاية مصححه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التى عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف ومايعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر

*فان قلت لم خص النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فاكد اجتناب الظلم فى هذه الاربعة أشهر وان كان لايجوز الظلم فى شئ من جميع اشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن قال البغوى روى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها وهى قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الاما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وماعلمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر فى قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ يعنى العهود قاله الجماعة واختلفوا فى المراد بهذه العقود التى أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى ياأيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التى عهدتها اليكم فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس رضى الله عنهما هى عهود الايمان وما أخذه على عباده فى القرآن فيما احل وحرم وقيل هى العقود التى كانت فى الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذى كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكرلنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا فى الاسلام وقيل بل هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهى عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف أو ماعقد الله عليكم وماتعاقدتم بينكم والظاهر انها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أتموا العهود التى بينكم وبين الله أو بين الناس ويقال أتموا الفرائض التى أفرضت عليكم مع القبول يوم الميثاق

على المشترك بين الوجوب والندب ﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ تفصيل للعقود والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات أربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خزو ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة التشبيه ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ الا محرم مايتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو الا مايتلى عليكم تحريمه ﴿ غير محلى الصيد ﴾ حال من الضمير فى لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول

والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبرى وأولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه أوفوا أيها المؤمنون بعقود الله التى أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى ﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان لكن خص فى التعارف بما عدا السباع والضوارى من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حى لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر فى قول جميع أهل اللغة واختلفوا فى معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما أضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبى بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه مايحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى الاجنة التى توجد ميتة فى بطون أمهاتها اذا ذبحت أو نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعى ويدل عليه ماروى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذى وابن ماجه وفى رواية أبى داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد فى بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى الطبرى عن ابن عمر فى قوله أحلت لكم بهيمة الانعام قال مافى بطنها قال عطية العوفى قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فأخذ ابن عباس رضى الله عنهما بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة مافى بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لايحل أكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام * قوله عزوجل ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ يعنى فى القرآن تحريمه وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عزوجل من بهيمة الانعام ﴿ غير محلى الصيد

بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم بهيمة الانعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم فى البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا مايتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الاشياء

وفى هذا الكتاب (أحلت لكم بهيمة الانعام) رخصت عليكم صيد البرية مثل بقر الوحش وحمر الوحش والظباء (الا مايتلى عليكم) الا ماحرم عليكم فى هذه السورة (غير محلى الصيد) غير مستحلى

﴿ وانتم ﴾

﴿ وأنتم حرم ﴾ حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهوالمحرم ﴿ أن الله يحكم مايريد ﴾ من تحليل و تحريم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائرالله ﴾ يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر أى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائرالله أى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده

وأنتم حرم ﴾ يعنى أحلت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون فى حال الاحرام فلايجوز للمحرم أن يقتل صيدا فى حال احرامه ﴿ أن الله يحكم مايريد ﴾ يعنى ان الله يقضى فى خلقه مايشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما أراد تحريمه وفرض مايشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده ٭قوله عزوجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائرالله ﴾ نزلت فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكرى أتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ألام تدعوالناس فقال الى شهادة أن لااله الاالله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى أمراء لاأقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافروخرج بقفا غادر وماالرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قدلفها بالليل سواق حطم ٭ ليس براعى أبل ولا غنم
ولابجزار على ظهر وضم ٭ باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ٭ خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدالهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قد قلدالهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله ياأيهاالذين آمنوا لاتحلوا شعائرالله قال ابن عباس رضى الله عنهما هى المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شئ كان له حلالا أخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند أبى حنيفة لايجوز اشعار الهدى بل

لامحلين الصيد (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد كانه قيل أحللنا لكم بعض الانعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهوالمحرم (أن الله يحكم مايريد) من الاحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ماحرم (ياأيهاالذين آمنوا لا تحلوا شعائرالله) جمع شعيرة وهى اسم مااشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بهامن الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر

الصيد (وأنتم حرم) أوفى الحرم (أن الله يحكم مايريد) يقول يحل ويحرم مايريد فى الحل والحرم (ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائرالله) لاتستحلوا ترك المناسك

(ولا الشهر الحرام) أى أشهر الحج (ولا الهدى) وهو ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أوغيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا فى أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد فمجاز ان يراد بها ذوات القلائد وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها اشرف الهدى كقوله وجبريل وميكائل كانه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى أى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير فى آمين (فضلا من ربهم) أى ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم أى لا يتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم

كلها (ولا الشهر الحرام) يقول ولا الغارة فى شهر الحرام (ولا الهدى) يقول ولا أخذ الهدى الذى يهدى الى البيت (ولا القلائد) يقول ولا أخذ القلائد التى تقلد بمجئ الشهر الحرام (ولا آمين البيت الحرام) يقول ولا الغارة على المتوجهين الى بيت الله الحرام وهم حجاج اليمامة قوم بكر بن وائل المشرك وتجار شريح بن ضبيعة المشرك (يبتغون فضلا) يطلبون رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضوانا) من ربهم بالحج ويقال يبتغون يطلبون فضلا رزقا بالتجارة ورضوانا من ربهم مقدم ﴿ كانوا ﴾ .

﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ بالقتال فيه أو بالسبى ﴿ ولا الهدى ﴾ ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع جدية السرج ﴿ ولا القلائد ﴾ أى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى أو القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن . والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ قاصدين لزيارته ﴿ يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ أى يثيبهم ويرضى عنهم

قال يكره ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هى ان تصيد وأنت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيأ من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التى نهى عنها ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ أى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقص هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد أحللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسئ فى سورة براءة ﴿ ولا الهدى ولا القلائد ﴾ الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * وأعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وأبلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ يعنى ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها ﴿ يبتغون ﴾ يعنى يطلبون ﴿ فضلا من ربهم ﴾ يعنى الرزق والارباح فى التجارة ﴿ ورضوانا ﴾ يعنى ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين

والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لايعمل وفائده استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذروى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوالهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ

كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لاينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم مايصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى انه لامنسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ماندبنا الى أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ماعليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على ان المشرك لوقلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم * قوله عز وجل

(واذا حللتم) خرجتم من الاحرام (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلى الصيد وأنتم حرم (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامى وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ماقبله وهو لايجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة و معنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى والبر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار

تبتغون على خطاب المؤمنين ﴿ واذا حللتم فاصطادوا ﴾ اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحضر على الاباحة مطلقا * وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم وأحل ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ لايحملنكم أو لا يكسبنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم و هو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل * وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر كعطشان وسكران ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ لان صدوكم عام الحديبية * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لايجرمنكم ﴿ أن تعتدوا ﴾ بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب * ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ﴿ ولاتعاونوا على الاثم والعدوان ﴾

﴿ واذا حللتم ﴾ يعنى من احرامكم ﴿ فاصطادوا ﴾ هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر أباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ﴿ ولايجرمنكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لايحملنكم وقيل معناه لايكسبنكم ولايدعوكم ﴿ شنآن قوم ﴾ يعنى بغض قوم وعداوتهم ﴿ أن صدوكم ﴾ يعنى لان صدوكم ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ والمعنى لايحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ﴿ أن تعتدوا ﴾ عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ يعنى ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة ﴿ ولاتعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ يعنى ولايعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس

ومؤخر (واذا حللتم) خرجتم من الحرم بعد ايام التشريق (فاصطادوا) صيد البرية ان شئتم (ولايجرمنكم)ولا يحملنكم (شنآن قوم) بغض أهل مكة (أن صدوكم) بان صرفوكم (عن المسجد الحرام) عام الحديبية (أن تعتدوا) تظلموا على حجاج قوم بكر بن وائل (وتعاونوا على البر) على الطاعة (والتقوى) ترك المعاصى (ولاتعاونوا على الاثم) على المعصية (والعدوان) الاعتداء والظلم على حجاج قوم بكر بن وائل ﴿ واتقوا ﴾

(واتقوا الله أن الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه

للتشفي والانتقام ﴿واتقوا الله أن الله شديد العقاب﴾ فانتقامه أشد ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية ﴿والدم﴾ أي الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه ﴿والمنخنقة﴾ أي التي ماتت بالخنق ﴿والموقوذة﴾ المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته ﴿والمتردية﴾ التي تردت من علو أو في بئر فماتت ﴿والنطيحة﴾ التي نطحتها

﴿واتقوا الله﴾ أي واحذروا الله ان تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه ﴿أن الله شديد العقاب﴾ يعني لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ بين الله تعالى في أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك * قوله عز وجل ﴿وما أهل لغير الله به﴾ يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿والمنخنقة﴾ قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق ﴿والموقوذة﴾ يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك ﴿والمتردية﴾ يعني التي تتردى من مكان عال فتموت أو في بئر فتموت والتردي هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم ﴿والنطيحة﴾ يعني التي تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم أثبتت الهاء في النطيحة

ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حرمت عليكم الميتة) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها (والدم) أي المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير) وكله نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت

(واتقوا الله) اخشوا الله فيما امركم ونهاكم (ان الله شديد العقاب) اذا عاقب لمن ترك ما امر به ثم بين ما حرم عليهم فقال حرمت عليكم الميتة يقول حرمت عليكم أكل الميتة التي امر بذبحها (والدم) الدم المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) يقول وما ذبح بغير اسم الله متعمدا (والمنخنقة) وهي التي اختنقت بالحبل حتى تموت (والموقوذة) وهي التي تضرب بالخشب حتى تموت (والمتردية) وهي التي تتردى من جبل أو من بئر فتموت (والنطيحة) وهي التي نطحت صاحبتها فتموت

أخرى فاتت بالنطح والتاء فيها للنقل ﴿ وما اكل السبع ﴾ وما أكل منه السبع فات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم تحل ﴿ الاماذ كيتم ﴾ الاما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع

مع أنها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعنى كف مخضوبة وعين مكحولة * قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتى فعيلة بالهاء وهى في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقبيلة بنى فلان * قوله عز وجل ﴿ وما أكل السبع ﴾ قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لان ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقى منه ﴿ الا ما ذكيتم ﴾ يعنى الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما أكل السبع وهذا قول على بن أبى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الاول وأما كيفية ادراكها فقال اكثر أهل العلم من المفسرين ان أدركت ذكاته بان توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فاكله جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم الى أن السبع اذا جرح فاخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانبارى لان معنى التذكية أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة وأصل الذكاة في اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم وكماله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك * قوله

بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (الاماذكيتم) الاما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها

(وما أكل السبع) وهى فريسته (الاماذكيتم) الا ماادركتم وفيه الروح فذبحتم

حلت (وماذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليهـا تسمى الانصاب واحدها نصب أوهو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) فى موضع الرفع بالعطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتـة وكـذا

والاستقسام بالازلام وهى القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا أوغزوا أو تجارة اونكاحا أوغير ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لافرق بين هذا وبين قول المنجمين لاتخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفى شرح التأويلات ردهذا وقال لايقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز ان يجعل الله فى النجوم معانى واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة فى ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء

والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد ﴿ وماذبح على النصب ﴾ النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليهـا ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام أوعلى أصلها بتقدير وماذبح مسمى على الاصنام وقيل هوجمع والواحد نصـاب ﴿ وأن تستقسموا بالازلام ﴾ اى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج النهى تجنبوا عنـه وان خرج الغفل اجالوها ثانيـا فمعنى الاستقسـام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هواستقسام الجزور بالاقداح على الانصباء

عزوجل ﴿ وماذبح على النصب ﴾ يعنى وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه أنصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وماذبح على اسم النصب أولاجل النصب فهو حرام ﴿ وأن تستقسموا بالازلام ﴾ يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهليه اذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا فى نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربى لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصـق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التى كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهى النرد وكلها حرام لايجوز اللعب بشئ منها ✽ عن قطن بن قبيصة رضى الله عنه عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ماعبد

(وما ذبح على النصب) الصنم (وأن تستقسموا بالازلام وهى القداح التى كانوا يقتسمون بها السهام الناقصة ويقال حرم عليكم الاشتغال بالازلام وهى القداح التى كانت مكتوبة على جانب أمرنى ربى وعلى جانب آخر نهانى ربى يعملون بها فى أمورهم فنهاهم اعن الله

المعلومة (ذلكم فسـق)الاستقسام بالازلام خروج عن الطـاعة ويحتمل أن يعود الى كل محرم فى الآية (اليـوم)ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معنـاه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولهـا وقد نزلت يوم الجمعـة و كان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسـوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله تعـالى وفى بوعده من اظهـاره عـلى الدين كله (فلاتخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخـوف من الكفـار و انقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (واخشـون) بغير ياء فى الوصـل والوقف أى أخلصوا الى الخشية (اليوم) ظرف لقوله (أكملت لكم دينكم) بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك أى كفينا من كنا نخافه أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه فى تكليفكم

ذلك (ذلكم) الذى ذكرت لكم من المعاصى والحرام (فسق) استعماله فسق واستحلاله كفر (اليوم) يوم الحج الاكبر حجة الوداع (يئس الذين كفروا) كفار مكة (من دينكم) ن رجوع دينكم الى دينهم بعدما تركتم دينهم وشرائع دينهم (فلاتخشوهم) فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم (واخشون) فى ترك اتبـاع (اليهود) محمد ودينه وموافقتهم (اليوم) يوم الحج (أكملت لكم دينكم) بينت لكم شرائع دينكم من الحلال والحرام والامر والنهى

المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ﴿ ذلـكم فسق ﴾ اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به صنم أو الميسر المحرم أو الى تنـاول ما حرم عليهم ﴿ اليوم ﴾ لم يرد به يوما بعينه وانمـا اراد الحـاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة بحجة الوداع ﴿ يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ أى من أبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره أو من ان يغلبوكم عليه ﴿ فلاتخشوهم ﴾ ان يظهروا عليكم ﴿ واخشون ﴾ واخلصوا الخشية لى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ بالنصر والاظهار

من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوى بسند الثعلبى عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكون أو استقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة * قوله عز وجل ﴿ ذلكم فسق ﴾ يعنى ما ذكر من هذه المحرمات فى هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحـلال الى الحرام وقيـل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول أصح ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ يعنى يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفـارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون فى أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسـلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانمـا المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم ترد يوما بعينه يعنى وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينـا ويوم لنا * ويوم نسـاء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنـا ولم يقصد ليوم واحد معين ﴿ فلاتخشوهم ﴾ فلاتخافوا الكفار أيها المؤمنين الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم ﴿ واخشون ﴾ أى وخافوا مخالفة أمرى وأخلصوا الخشية لى * قوله عز وجل ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ نزلت هذه الآية فى يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضدا الناقة تندق وبركت لثقل الوحى وذلك فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق)عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر

على الاديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين

اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأى آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر انى لا علم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس رضى الله عنهما فانها نزلت فى يوم عيدين فى يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده وروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها أحدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة أحدى عشرة من الهجرة ۞ وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أى حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه انى أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانبارى اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما فى وقته وكذلك الوقت الثانى تاما فى وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التى تعبد الله عز وجل بها عباده فى الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالما فى أول وقت البعثة بان ما هو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم وأما فى آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الا أن الاول كمال الى يوم مخصوص والثانى كمال الى يوم القيامة فلاجل

من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين القياس

الاجتهاد ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ﴾ بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ﴿ ورضيت لكم الاسلام ﴾ اخترته لكم ﴿ دينا ﴾ من بين الاديان وهو الدين عندالله لاغير ﴿ فمن اضطر ﴾ متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهوان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات ﴿ فى مخمصة ﴾ مجاعة ﴿ غير متجانف لاثم ﴾ غيرمائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا

هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ﴾ يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لانعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه أنه تعالى أنجزلهم ماوعدهم فى قوله ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة أن دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامرى والانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذى أكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولاتفارقوه * روى البغوى بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عزوجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ماصحبتموه وروى الطبرى عن قتادة قال ذكرلنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم فى الخير حتى يجئ الاسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول أياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزى * قوله عزوجل ﴿ فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم ﴾ هذه الآية تمام ما تقدم ذكره فى المطاعم التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن المحرمات وان كانت محرمة الا أنها قدتحل فى حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ماتقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو المرضى عندالله ومعنى الآية فمن اضطر أى أجهد وأصيب بالضر الذى لايمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى فى مخمصة يعنى فى مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عندالجوع غيرمتجانف لاثم يعنى غيرمائل الى اثم أومنحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة أوالى غيرها فى المجاعة فليأكل غيرمتجانف لاثم وهوأن يأكل فوق الشبع وهوقول فقهاء العراق وقيل معناه غيرمتعرض لمعصية فى مقصد وهو قول

(وأتممت عليكم نعمتى) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (ورضيت لكم الاسلام دينا) حال اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذا مابعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة أو الى غيرها (فى مخمصة) مجاعة (غير) حال (متجانف لاثم) مائل الى اثم اى غير متجاوز سدالرمق

(وأتممت عليكم نعمتى) منى ان لايجتمع معكم بعد هذا اليوم مشرك بعرفات ومنى والطواف والسعى بين الصفا والمروة (ورضيت لكم) اخترت لكم (الاسلام دينا فمن اضطر) أجهد الى أكل الميتة عندالضرورة (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لاثم) غيرمتعمد للمعصية ويقال غيرمتعمد للاكل بغيرضرورة

أو متجاوز احد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ لا يؤاخذه بأكله ﴿ يسئلونك ماذا أحل لهم ﴾ لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما أحل لهم ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه

فقهاء الحجاز ﴿ فأن الله غفور رحيم ﴾ يعنى لمن أكل من الميتة فى حال الجوع والاضطرار ❁ قوله عز وجل ﴿ يسئلونك ماذا أحل لهم ﴾ روى الطبرى بسنده عن أبى رافع قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يارسول الله قال أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرنى أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فأمرنى بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مايحل لنا من هذه الامة التى أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع فى قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالى فدخل عاصم وسعد بن أبى خيثمة وعويمر ابن ساعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى وأخرج حديث أبى رافع الحاكم فى صحيحه قال البغوى فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاد فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوى وهذا القول أصح فى سبب نزولها ❁ وأما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعنى يسألك أصحابك يا محمد ما الذى أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل كانهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ يعنى قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعنى ماذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ باهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

(فأن الله غفور) لا يؤاخذه بذلك (رحيم) بأباحة المحظور للمعذور (يسئلونك) فى السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لان يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وما ذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلى عليهم ماحرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال (قل أحل لكم الطيبات) أى ماليس بخبيث منها أو هو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب الله أو سنة أو اجماع أو قياس

(فان الله غفور) ان أكل شبعا (رحيم) حين رخص عليه أكل الميتة عند الضرورة قوتا ويكره شبعا (يسئلونك) يا محمد يعنى بذلك زيد بن مهلهل الطائى وعدى بن حاتم الطائى وكانا صيادين (ماذا أحل لهم) من الصيد (قل أحل لكم الطيبات) المذبوحات من الحلال

ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب اوما لم يدل نص ولا قياس على حرمته ﴿ وماعلمتم من الجوارح ﴾ عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ماعلمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير ﴿ مكلبين ﴾ معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر أولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم ﴿ تعلمونهن ﴾ حال ثانية أواستئناف ﴿ مما علمكم الله ﴾ من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى أومكتسب

فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصافيما يحل ويحرم من الاطعمة ﴿قوله عزوجل ﴿ وماعلمتم من الجوارح مكلبين ﴾ يعنى واحل صيد ماعلمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وماعلمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ماجرحتم بالنهار أى اكتسبتم مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح ﴿ تعلمونهن ﴾ يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد ﴿ مما علمكم الله ﴾ يعنى من العلم الذى علمكم الله فى الآية دليل على انه لايجوز صيد جارحة مالم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها أمور منها أنه اذا أشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لا ينفر منه اذا أراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فانى أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لاتدرى أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلا تأكل

فحذف المضاف أوتجعل ماشرطية وجوابها فكلوا (من الجوارح) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة ويشترط للحل الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أولان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد (تعلمونهن) حال أواستئناف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أنحرهم دراية فكم من أخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عن لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من التكليف

(وماعلمتم من الجوارح) من الكواسب (مكلبين) معلمين وان قرأت بخفض اللام فهم اصحاب الكلاب (تعلمونهن) تؤدبونهن اذا أكلن الصيد حتى لا يأكلن (مما علمكم الله) كما

بالعقل الذى هو منحة منه سبحانه وتعالى أو مما علمكم الله ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿ فكلوا مما امسكن عليكم ﴾ وهو ما لم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لايشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لايشترط مطلقا ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله أو لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته ﴿ واتقوا الله ﴾ فى محرماته ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ فيؤاخذكم

واختلف العلماء فيما اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيأ فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وهو أصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم فى أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لماروى عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا أو المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فأخذ وقتل فانه لايحل الا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله انا بارض قوم اهل كتاب أفنأكل فى آنيتهم وبارض صيد أصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وماصدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل ۞ قوله عز وجل ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ دخلت من فى قوله مما للتبعيض لانه انما احل أكل بعد الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى اذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدى اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير فى عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح أى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الاكل يعنى واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسيأتى بيان هذه المسئلة فى سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فيما أحل لكم وحرم عليكم ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل مانهاه عنه

(فكلوا مما أمسكن عليكم) الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه فان أكل منه لم يأكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازى ونحوه فاكله لايحرمه وقد عرف فى موضعه والضمير فى (واذكروا اسم الله عليه) يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أى سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة أمره فى هذا كله (أن الله سريع الحساب) انه محاسبكم على افعالكم

أدبكم الله (فكلوا مما أمسكن عليكم) لكم الكلاب المعلمة (واذكروا اسم الله عليه) على ذبح الصيد ويقال على ارسال الكلب عليه (واتقوا الله) اخشوا الله فى أكل الميتة (أن الله سريع الحساب) شديد العقاب ويقال اذا حاسب

بمـاجل ودق ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتـاب حل لكم ﴾ يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام

﴿قوله عز وجل ﴿ اليوم أحل لكم الطيبـات ﴾ انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التى سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذى انزلت فيـه هذه الآية أو اليوم الذى تقدم ذكره فى قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام فى ذلك اليوم وفى معنى الطيبات فى الآية المتقدمة ﴿ قوله عز وجل ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ يعنى وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم من سـائر الامم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فامامن دخل فى دينهم بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بنى تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسـعود ومذهب الشـافعى ان من دخل فى دين أهل الكتـاب بعد نزول القرآن فانه لاتحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لابأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبى رباح والشعبى وعكرمة وقتادة والزهرى والحكم وحماد وهو مذهب أبى حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشـافعى وأجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسـائر اهل الشرك من مشركى العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهى محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لايختلف من تولاه من كتابى أو غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتـاب بالذكر دل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى أو نصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لايحل ذلك وهو قول ربيعـة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى أو النصرانى وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا

ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرره تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أى ذبائحهم لان سائر الاطعمة لايختص حلها

لحسابه سريع (اليوم) يوم الحج (أحل لكم الطيبات) المذبوحات من الحـلال (وطعام الذين) ذبائح الذين (أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (حل لكم) حلال لكم ما كان حلالا

سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم ﴿وطعامكم حل لهم﴾ فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولوحرم عليهم لم يجز ذلك ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ اى الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنهما

ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولا وجه للنسخ * قوله عز وجل ﴿وطعامكم حل لهم﴾ يعنى ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم أن تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى أن نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة فى ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين * ثم قال تعالى ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت انى أخشى أن افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر أو العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * قوله عز وجل ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعنى وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعى قال لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء فى حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من

بالملة (وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (والمحصنات من المؤمنات) هى الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هن الحرائر الكتابيات أو العفائف

(وطعامكم) ذبائحكم (حل لهم) حلال لهم تأكل اليهود وتأكل النصارى ذبيحة المسلمين (والمحصنات) تزويج الحرائر العفائف (من المؤمنات) حل لكم حلال لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يقول تزويج الحرائر العفائف من أهل

لاتحل الحربيات ﴿ اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها ﴿ محصنين ﴾ اعفاء بالنكاح ﴿ غير مسافحين ﴾ غير مجاهرين بالزنا ﴿ ولامتخذى أخدان ﴾ مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ﴿ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذاقمتم الى الصلوة ﴾ أى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت

أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لاتحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب * قوله عز وجل ﴿ اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ يعنى مهورهن وهوالعوض الذى يبذله الزوج للمرأة ﴿ محصنين غير مسافحين ﴾ يعنى متعففين بالتزوج غيرزانين ﴿ ولامتخذى أخدان ﴾ يعنى ولامنفردين ببغى واحدة قدخادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجربها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهوالزنا واتخاذ الصديق وهوالخدن وأحله على جهة الاحصان وهوالتزويج بعقد صحيح ﴿ ومن يكفر بالايمان ﴾ يعنى ومن يجحدما أمرالله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به من عندالله ﴿ فقد حبط عمله ﴾ يعنى فقدبطل ثواب عمله الذى كان عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة وقيل فى معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقدخاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا أن ناسامن المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعنى نساءأهل الكتاب وهم على غير ديننا فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقدحبط عمله وهوفى الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولاأن الله قدرضى أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذى يخرجن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم فى الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا أن ذلك غير حاصل لهم فى الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل ان من أحل ماحرم الله أوحرم ماأحل الله أوجحد بشئ مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم ﴿ وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ اذامات على ذلك وهذا الشرط لابد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة ﴾ يعنى اذا أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر فى البر أى اذا أردت

الكتابيات (اذا آتيتموهن أجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين (ولامتخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وماأحل الله وحرم (فقدحبط) بطل (عمله وهوفى الآخرة من الخاسرين يا أيهاالذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة

الكتاب حلال لكم (اذا آتيتموهن) بينتم لهن (أجورهن) مهورهن فوق مهربغى (محصنين) كونوا معهن متزوجين (غير مسافحين) غيرمعلنين بالزنا (ولامتخذى أخدان). يقول ولايكون لهاخليل يزنى بها فى السرثم نزلت فى نساء اهل مكة افتخرن على نساء المؤمنين فقال (ومن يكفر بالايمان) بالتوحيد (فقدحبط عمله) فى الدنيا (وهوفى الآخرة من الخاسرين) من المغبونين بذهاب الجنة ودخول النار (ياأيهاالذين آمنوا اذاقمتم الى الصلوة) وأنتم على غير وضوء فعلمكم كيف تصنعون

القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة أو اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك

التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبى صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام الى الصلاة أن يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى وقيل هذا أعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ماروى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة أخرجه مسلم والقول الاول هو المختار فى معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة فى هذه الآية أربعة ❁ الاول غسل الوجه وهو قوله عز وجل ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والوضوء من الاعمال فيجب أن يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان

فاغسلوا وجوهكم) أى أذا اردتم القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن أى أذا أردت ان تقرأ القرآن فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب للابسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضئون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ

فقال (فاغسلوا وجوهكم

﴿ وأيديكم الى المرافق ﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم أومتعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة الى المرافق ولوكان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم أوخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكأن الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والالم تكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما

النية ليست شرطالصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بانا انما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فأن كانت كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر مانزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لايجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لايكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لايجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه ❁ الفرض الثاني قوله عز وجل ﴿ وأيديكم الى المرافق ﴾ يعنى واغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هومن الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبى بكر بن داود الظاهرى انه لايجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذى آمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لايجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وماجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل ولان الحد لايدخل في المحدود فوجب أن لايجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم ويعضده من السنة ماصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه

وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في الحالتين معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه عليه السلام لايسرى به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله الى المرافق لادليل فيه على أحد الامرين فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهماملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب والشافعي باليقين فاوجب أقل مايقع

عليه اسم المسح واخذنا ببيان النبي عليه السلام وهو ماروى انه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وارجلكم الى الكعبين) بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم بالجر بالعطف على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح ان النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ماعلمت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما أمر بغسل هذه الاعضاء لتطهرها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا أراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلى الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمما (قا و خا ٣١ نى) أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما ان ذلك أبلغ في التعظيم

لم تميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل و بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لايقتضى الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه اقل مايقع عليه الاسم اخذا باليقين وابوحنيفة رضي الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضي الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط ﴿ وأرجلكم الى الكعبين ﴾ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذالمسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء الى وجوب

الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه * الفرض الثالث قوله عز وجل ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية أخرى عنه انه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ماينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح مايقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ماروى عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدا الناصية بربع رأس * الفرض الرابع قوله عز وجل ﴿ وأرجلكم الى الكعبين ﴾ اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضا ويروى عن أنس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي أنه قال انما هو المسح على الرجلين ألا ترى ان ماكان عليه الغسل جعل عليه التيمم وماكان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة

(وأرجلكم) فوق الخفين (الى الكعبين) وان قرأت بنصب اللام يرجع الى الغسل

الترتيب * وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة

ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة وأصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه أيضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانبارى وأبو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح فى الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما اتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا أن مسح الرأس أخف والذى يدل على ان المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس فى الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعنى وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء وأما من جعل كسر اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة فى الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الأمن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما فى وجوب غسل الرجلين كما فى قوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم

= اختلاف العلماء فى ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما فى قوله تعالى وأيديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل

قد تقدم ان الفروض المذكورة فى هذه الآية أربعة وهى غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعى بهذه الآية على وجوب النية فى الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعى ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب فى الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء فى الوضوء على الولاء كما ذكره الله فى هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب فى الوضوء غير واجب احتج الشافعى على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد فى قصة السعى بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان أفعال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد فى نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت ان ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه فى هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله

(ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه أن عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى رضى الله عنه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك =

= ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية بعد قوله فاقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ❁ عن عبد خير قال أتانا على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتى باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض و نثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده فى الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمين ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود ❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف الطهور فدعا بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السباحتين فى أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم او قال ظلم واساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذى وصححه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر رضى الله عنه قال أخبرنى عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع وأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى اخرجه مسلم ❁ عن خالد رضى الله عنه عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين أو ثلاثا ❁ عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخارى ❁ عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذى وقال وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله مامن مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فأذا قائل بين يدى يقول التى قبلها أجود فنظرت فأذا عمر قال انى

(قد رأيتك)

﴿ وأن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فاغتسلوا ﴿ وأن كنتم مرضي أوعلى سفر أوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ﴾ سبق تفسيره

قد رأيتك جئت آنفا قال مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أومع آخر قطر الماء فأذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أومع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أومع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبدالله المجمر عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل * وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله * وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه * قوله عز وجل ﴿ وأن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ أي اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين اما بخروج المني على أي صفة كان من احتلام أوغيره أو بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء يخلل بهما أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله تعالى ﴿ وأن كنتم مرضى أوعلى سفر أوجاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب * قوله عز وجل

(وأن كنتم جنبا فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم (وأن كنتم مرضى أوعلى سفر أوجاء أحد منكم) قال الرازي معناه وجاء حتى لايلزم المريض والمسافر التيم بلا حدث (من الغائط) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أولامستم النساء) جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه

(وأن كنتم جنبا فاطهروا) بالماء أي فاغسلوا بالماء (وأن كنتم مرضى) من الجدري أو الجراحة نزلت في عبدالله بن عوف (أوعلى سفر أوجاء أحد منكم من الغائط) أو تغوطتم أوبلتم (أولامستم) جامعتم (النساء فلم تجدوا ماء) فلم تقدروا على الماء (فتيمموا صعيدا طيبا) فتعمدوا الى تراب نظيف (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) من التراب

مايريدالله ليجعل عليكم من حرج) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذى واثقكم به اذقلتم سمعنا وأطعنا) أى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان (واتقوا الله) فى نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله

ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة ﴿ مايريدالله ليجعل عليكم من حرج ﴾ أى ما يريد الامر بالطهارة للصلاة أو الامر بالتيمم تضييقا عليكم ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ لينظفكم أو ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى مايريدالله ان يجعل عليكم من حرج حتى لايرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لاتقدر بعد المزيدة ﴿ وليتم ﴾ ليتم بشرعه ماهو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم ﴿ نعمته عليكم ﴾ فى الدين أو ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمته والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر أو أكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض أو سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم فى شكره ﴿ وميثاقه الذى واثقكم به اذقلتم سمعنا واطعنا ﴾ يعنى الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان ﴿ واتقوا الله ﴾ فى انساء نعمة ونقض ميثاقه ﴿ أن الله عليم بذات الصدور ﴾ أى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله

﴿ مايريدالله ليجعل عليكم من حرج ﴾ يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ يعنى من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب ﴿ وليتم نعمته عليكم ﴾ يعنى ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعنى تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج * قوله عز وجل ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ يعنى ما أنعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى ﴿ وميثاقه الذى واثقكم به ﴾ يعنى واذكروا عهده الذى عاهدكم به أيها المؤمنون ﴿ اذقلتم سمعنا وأطعنا ﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذى أخذه عليهم فى يوم ألست بربكم قالوا بلى ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ﴿ أن الله عليم بذات الصدور ﴾ يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو أن يقوم لله

(مايريدالله ليجعل عليكم من حرج) من ضيق (ولكن يريد ليطهركم) بالتيمم من الاحداث والجنابة (وليتم) ولكى يتم (نعمته) منته (عليكم) بالتيمم والرخصة (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا نعمته ورخصته (واذكروا نعمة الله) احفظوا منة الله (عليكم) بالايمان (وميثاقه) عهده (الذى واثقكم به) أمركم به يوم الميثاق (اذقلتم سمعنا) قولك يا ربنا (وأطعنا) أمرك (واتقوا الله) اخشوا الله فيما أمركم ونهاكم (أن الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الوفاء والنقض (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) قوالين (لله (بالحق)

شهداء بالقسط) بالعدل (ولايجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب الى التقوى نهاهم أولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واتقوا الله) فيما أمر ونهى (أن الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثانى محذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم)والوعيد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى لايفارقونها (ياأيها الذين آمنوا اذكروا

شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألاتعدلوا ﴾ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لايحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالايحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ أى العدل أقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدمانهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فماظنك بالعدل مع المؤمنين ﴿واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون ﴾ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم امالاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود أولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ هذا من عادته تعالى ان يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا

بالحق فى كل مايلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه ﴿شهداء بالقسط﴾ يعنى وتشهدون بالعدل يقول لاتحاب فى شهادتك أهل ودك وقرابتك ولاتمنع شهادتك أهل بغضك وأعداءك أقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل ﴿ ولايجرمنكم شنآن قوم ﴾ ولايحملنكم بغض قوم ﴿ على ألا تعدلوا ﴾ على ترك العدل فيهم لعداوتهم ﴿ اعدلوا ﴾ أمر الله بالعدل فى كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو ﴿ هو أقرب للتقوى ﴾ أى العدل أقرب للتقوى ﴿ واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون ﴾ يعنى ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل ✽ قوله عز وجل ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعنى عملوا بما واثقهم الله به وأوفوا بالعهود التى عاهدهم عليها ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ هذا بيان للوعد كأنه لماتقدم ذكر الوعد فقيل أى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجزلهم الوعد فانه تعالى لايخلف الميعاد ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ يعنى والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ هذه الآية نص قاطع فى أن الخلود فى النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعنى الملازم له ✽ قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا

شهداء بالقسط) بالعدل (ولايجر منكم) لايحملنكم (شنآن قوم) بغض شريح بن شرحبيل (على ألاتعدلوا) بين حجاج قوم بكر بن وائل (اعدلوا) بينهم (هو أقرب للتقوى) العدل أقرب للمتقين الى التقوى (واتقوا الله)اخشوا الله فى العدل والجور (أن الله خبير بما تعملون) من العدل والجور (وعد الله الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (وأجر عظيم) يعنى ثواب وافر فى الجنة (والذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن (أولئك أصحاب الجحيم) اهل النار (ياأيها الذين آمنوا) يعنى محمدا وأصحابه (اذكروا

نعمت الله عليكم ﴾ روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معًا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم بان انزل عليهم صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو ابن امية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج عليه السلام وقيل نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا أحد أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزلت ﴿ أذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ﴾ بالقتل والاهلاك يقال بسط

نعمت الله عليكم ﴾ يعنى اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التى أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التى ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى ﴿ اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ﴾ يعنى بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية وفى صفة هذه النعمة التى أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرنى سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبى صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدى وهو أحد النقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهى من مياه بنى عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه الا ثلاثة نفر كانوا فى طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمرى فلم يرعهم الا الطير تحوم فى السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقى رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة

نعمت الله عليكم أذهم قوم) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ ظرف للنعمة (أن يبسطوا) بان يبسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا

نعمت الله عليكم) احفظوا منة الله عليكم بدفع بأس العدو عنكم (أذهم قوم) أراد قوم يعنى بنى قريظة (أن يبسطوا اليكم أيديهم) بالقتل

اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى

والدافع والمانع (و لقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) هو الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام و كان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فأخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار

اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ﴿ فكف أيديهم عنكم ﴾ منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم ﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾ شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحاء من ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون

ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بنى عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبنى النضير يستعينهم فى عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينوه فى الديات وقيل أرادان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمر بن جحاش أنا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبى صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه على بن أبى طالب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك أصحابى فمن خرج اليك منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذهم قوم يعنى اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله ﴿ فكف أيديهم عنكم ﴾ يعنى انه تعالى منعهم مما أرادوه بكم ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافى عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدى اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل ﴾ لما ذكر الله فى الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأن يعملوا بما فى التوراة من الاحكام والتكاليف ﴿ وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾ اختلف العلماء فى معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال

(فكف) فمنع (أيديهم عنكم) بالقتل (واتقوا الله) اخشوا الله فيما أمركم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) اقرار بنى اسرائيل فى التوراة فى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيأ (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) رسولا ويقال ملكا لكل سبط ملك

وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى عليه الصلاة والسلام ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون

قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببنى اسرائيل الى الارض المقدسة وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختار موسى النقباء وسار ببنى اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد فى الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه فى عين الشمس ويروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره مابلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام احملنى معك فى السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى يا عدو الله فأنى لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك أنه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا فى فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقى عوج النقباء أخذهم وجعلهم فى حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا أطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم فى كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا ان عنقود العنب لا يحمله الا خمسة أنفس منهم بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض ياقوم انكم اذا أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبى الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن

بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع ابن نون وكانا من النقباء

(وقال الله أنى معكم) أى ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلى) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتوهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزر فى اللغة الرد ويقال عزرت فلانا أى أدبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام فى (لاكفرن عنكم سيآتكم) جواب للقسم وهذا الجواب سادمسدد جواب القسم والشرط جميعا (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء

من سبط افرائيم بن يوسف ﴿ وقال الله أنى معكم ﴾ بالنصرة ﴿ لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم ﴾ اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير ﴿ واقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ﴿ لأكفرن عنكم سيآتكم ﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ﴿ ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك ﴾ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم ﴿ منكم فقد ضل سواء

بنى اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بنى اسرائيل نكثوا العهد والميثاق وأخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما أوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴿ وقال الله انى معكم ﴾ فيه حذف تقديره وقال للنقباء انى معكم يعنى بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بنى اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبنى اسرائيل ﴿ لئن أقمتم الصلوة ﴾ هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهى قوله لئن أقمتم الصلوة ﴿ وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ وجزاء الشرط قوله تعالى ﴿ لأكفرن عنكم سيآتكم ﴾ وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى ﴿ ولا دخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلى يعنى جميع رسلى وانما أخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لايتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعنى ونصرتموهم واصل التعزير فى اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة فى تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر أقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لامن لفظه وذلك ان أقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذكان معناه فنبتم نباتا وقوله لأكفرن عنكم سيأتكم يعنى اذا فعلتم سائر ما أمرتكم به لامحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴿ فمن كفر بعد ذلك منكم ﴾ يعنى بعد اخذ العهد والميثاق ﴿ فقد ضل سواء

(وقال الله) لهؤلاء الملوك (أنى معكم) معينكم (لئن أقمتم الصلوة) أتممتم الصلاة التى فرضت عليكم (وآتيتم الزكوة) أعطيتم زكاة أموالكم (وآمنتم) أقررتم وصدقتم (برسلى) الذين يجيؤن اليكم (وعزرتموهم) أعنتموهم ونصرتموهم بالسيف على الاعداء (وأقرضتم الله قرضا حسنا) صادقا من قلوبكم (لأكفرن عنكم سيآتكم) لامحصن عليكم ذنوبكم دون الكبائر (ولادخلنكم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) تطرد من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الماء واللبن والخمر والعسل (فمن كفر بعد ذلك) بعد أخذ الميثاق والاقرار به (منكم فقد ضل سواء

السبيل) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقدضل سواءالسبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فبمانقضهم ميثاقهم) مامزيدة لافادة تفخيم الامر (لعناهم)طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أوضربناعليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لارحمةفيها ولالين قسية حمزةوعلى أى رديئة من قولهم درهم قسى أى ردئ (يحرفون الكلم عن مواضعه)يفسرونه على غيرماأنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لاقسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه(ونسواحظا)وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مماذكروابه) من التوراة يعنى ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أوقست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروابه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولاتزال) يامحمد (تطلع على خائنة منهم) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون

السبيل) فقد ترك قصدطريق الهدى وكفروا الاخسة منهم فبين عقوبة الذين كفروا فقال (فبما نقضهم) يقول بنقضهم يعنى الملوك (ميثاقهم لعناهم) عذبناهم بالجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة بلانور (يحرفون الكلم عن مواضعه) يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبيان الرجم (محمد) بعدبيانه فى التوراة(ونسواحظا) تركوا بعضا (مماذكروابه) أمروابه فى التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم واظهارصفته ونعته * ثم ذكرخيانتهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (ولاتزال)يامحمد (تطلع على خائنة) تعلم خائنةومعصية (منهم)يعنى من بنى

السبيل ﴾ ضلالا لاشبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قديمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ﴾ طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ لاتنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية اوبمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذاكان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة اشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لامن القلوب اذلاضميرله فيه ﴿ ونسواحظا ﴾ وتركوا نصيبا وافيا ﴿ مماذكروا به ﴾ من التوراة اومن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم ممانزل الله عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لماروى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ﴿ ولاتزال تطلع على خائنة منهم ﴾ خيانة منهم

السبيل ﴾ يعنى فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى أمر باتباعه ❊ قوله عزوجل ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ أى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بنى اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤامن بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه ﴿ لعناهم ﴾ يعنى جازيناهم على ذلك بان أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ يعنى غليظة يابسة لاتلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ يعنى يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معانى الالفاظ بسوء التأويل ﴿ ونسواحظا مماذكروابه ﴾ يعنى وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروابه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته ﴿ ولاتزال تطلع على خائنة منهم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب

الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أي على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (واصفح أن الله يحب المحسنين) ومن في قوله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أي وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصار الشيطان (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين (العداوة والبغضاء الى يوم القيمة) بالاهواء المختلفة

اوفرقة خائنة اوخائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ﴿ الا قليلا منهم ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ ان تابوا وآمنوا اوعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ﴿ ان الله يحب المحسنين ﴾ تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ﴾ اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا ﴾ فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به ﴿ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾

محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت ﴿ الا قليلا منهم ﴾ يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ أي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي نزلت في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك أنه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ماداموا باقين على العهد ﴿ ان الله يحب المحسنين ﴾ يعني اذا عفوت عنهم فانك تحسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ﴾ لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لا أن الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ يعني فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فاغرينا ﴾ يعني فالقينا وأوقعنا ﴿ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾

قريظة (الا قليلا منهم) عبد الله بن سلام وأصحابه (فاعف عنهم) ولا تعاقبهم (واصفح) اترك (أن الله يحب المحسنين) الى الناس (ومن الذين قالوا انا نصارى) يعني نصارى نجران (أخذنا ميثاقهم) في الانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان صفته وأن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيأ (فنسوا حظا) فتركوا بعضا (مما ذكروا به) أمروا به (فأغرينا) ألقينا (بينهم) بين اليهود والنصارى ويقال بين نصارى أهل نجران النسطورية واليعقوبية والمرقوسية والملكانية (العداوة) بالقتل والهلاك (والبغضاء) في القلب (الى يوم القيمة

(وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب (ياأهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس (قدجاءكم

رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفوا عن كثير) مما تخفونه لا يبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الاعجاز أو النور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمى سراجا (يهدى به الله) أى بالقرآن (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله فالسلام السلامة أو الله

وسوف ينبئهم الله) يخبرهم الله (بما كانوا يصنعون) من المخالفة والخيانة والكتمان والعداوة والبغضاء (ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته والرجم وغير ذلك (ويعفوا عن كثير) يترك كثيرا فلا يبين لكم (قدجاءكم من الله نور) رسول يعنى محمدا (وكتاب ﴿دار السلام﴾ مبين) بالحلال والحرام (يهدى به) بمحمد والقرآن (الله من اتبع رضوانه) توحيده (سبل السلام) دين الاسلام والسلام هو الله

بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية اوبينهم وبين اليهود ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ بالجزاء والعقاب ﴿ يااهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس ﴿ قدجاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ مما تخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى اوعن كثير منكم فلايؤاخذه بجرمه ﴿ قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ يهدى به الله ﴾ وحد الضمير لان المراد بهما واحد اولانهما فى حكم الواحد ﴿ من اتبع رضوانه ﴾ من اتبع رضاه بالايمان منهم ﴿ سبل السلام ﴾ طرق السلامة من العذاب

قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فأن العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى أن المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ قدجاءكم رسولنا ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما أخفوا وكتموا من أحكام التوراة والانجيل وذلك انهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم مافيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ يعنى مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لاحاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به ﴿ قدجاءكم من الله نور ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام ﴿ وكتاب مبين ﴾ يعنى القرآن ﴿ يهدى به الله ﴾ يعنى يهدى الله بالكتاب المبين ﴿ من أتبع رضوانه ﴾ أى اتبع مارضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه وأثنى عليه ﴿ سبل السلام ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام

(ويخرجهم من الظلمات الى النور)من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (باذنه)بارادته وتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم)معناه بت القول على أن الله هو المسيح لاغير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك أولان مذهبهم يؤدى اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت(قل فمن يملك من الله شيأ)فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيأ (أن أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا) أى ان أراد أن يهلك من دعوه الها من المسيح وأمه يعنى ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من فى الارض جميعا على المسيح وأمه ابانة انهما من جنسهم لاتفاوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من انثى بلاذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر و أنثى كما خلق آدم أو يخلق مايشاء كخلق الطير على يدعيسى معجزة له فلااعتراض عليه لانه الفعال لمايريد

(ويخرجهم من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان(باذنه) بامره ويقال بتوفيقه وكرامته(ويهديهم الى صراط مستقيم)يثبتهم على ذلك الدين بعد الاجابة (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وهى مقالة يعقوبية (قل) لهم يامحمد للنصارى (فمن يملك من الله) يقدر أن يمنع من عذاب الله (شيأ ان أراد أن يهلك)أن يعذب (المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا) جميع من عبدها (ولله ملك السموات والارض)خزائن السموات والارض (ومابينهما)من الخلق والعجائب (يخلق مايشاء) كمايشاء بأب أو بغير أب

او سبل الله ﴿ويخرجهم من الظلمات الى النور﴾ من انواع الكفر الى الاسلام ﴿باذنه﴾ بارادته اوبتوفيقه ﴿ويهديهم الى صراط مستقيم﴾ طريق هو اقرب الطرق الى الله سبحانه و تعالى ومؤد اليه لامحالة ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم﴾ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احدمنهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لااله الاواحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم و تفضيحا لمعتقدهم ﴿قل فمن يملك من الله شيئا﴾ فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ﴿ان اراد ان يهلك المسيح﴾ عيسى ﴿ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا﴾ احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ﴿ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء

دارالسلام فيكون من باب حذف المضاف ﴿ويخرجهم من الظلمات الى النور﴾ يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿بأذنه﴾ يعنى بتوفيقه وهدايته ﴿ويهديهم الى صراط مستقيم﴾ يعنى دين الاسلام ❊ قوله عزوجل ﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لأنهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله مايدل على فساد مذهبهم فقال تعالى ﴿قل﴾ يعنى يامحمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة ﴿فمن يملك﴾ يعنى يقدر أن يدفع ﴿من الله شيأ﴾ يعنى من امر الله شيأ ﴿أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه﴾ يعنى يعدم المسيح وأمه ﴿ومن فى الارض جميعا﴾ ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع أمر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك أمه وغيرها ﴿ولله ملك السموات والارض ومابينهما﴾ انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الاشياء فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده ﴿يخلق مايشاء﴾ يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى

أعزة عليه كالابن على الاب أو اشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع أبى خبيب وهو عبد الله ابن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى فان صح انكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال رد عليهم

(والله على كل شئ) من خلق الخلق والثواب لاوليائه والعقاب لاعدائه (قدير وقالت اليهود) يعنى يهود أهل المدينة (و النصارى) نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله) أبناء أنبياء الله (وأحباؤه) على دينه ويقال نحن على دين الله كابنائه وأحبائه ويقال قالوا نحن على الله كابنائه ونحن على دينه (قل) يا محمد لليهود (فلم يعذبكم بذنوبكم) بعبادتكم العجل اربعين يوما ان كنتم عليه كابنائه هل رأيتم أبا يعذب ابنه بالنار

والله على كل شئ قدير ﴾ ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ﴾ اشياع ابنيه عزيز والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون اومقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ اى فان صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل مايوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم

من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى ان الله تعالى لايعجزه شئ أراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه * قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ماحكاه السدى قال أما اليهود فأنهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا أياما معدودات وأما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد وأما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسول الله وأما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح أذهب الى أبى وأبيكم وقوله اذا صليتم فقولوا ياأبانا الذى فى السماء لنقدسن اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فأن تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى أنتهوا فى تعظيم أنفسهم الى ان قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد اقررتم على أنفسكم أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب

(بل أنتم بشر ممن خلق) أي أنتم خلق من خلقه لا بنوه

بالنار اياما معدودة ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ مما خلق الله تعالى ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ وهم من آمن به وبرسله ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عنده ﴿ ولله ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كلها سواء فى كونها خلقا وملكا له ﴿ واليه المصير ﴾ فيجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته ﴿ ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم ﴾ أى الدين وحذف لظهوره أوما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لايقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة فى موضع الحال أى جاءكم رسولنا مبينا لكم ﴿ على فترة من الرسل ﴾ متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى أو بيبين حال من الضمير فيه

حبيبه فى النار ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ يعنى بل أنتم يامعشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان * قوله عز وجل ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ﴿ ولله ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ يعنى أنه تعالى يملك ذلك لاشريك له فى ذلك فيعارضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لاولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل أن يكون له شبيه من خلقه أو شريك فى ملكه ﴿ واليه المصير ﴾ يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم باعمالهم * قوله عز وجل ﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ماقلنا ذلك لكم وماأنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى على انقطاع من الرسل واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وماشاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الرسل فذلك قوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لاأدرى من هو

(يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلا (ولله ملك السموات والارض ومابينهما واليه المصير) فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والبنوة متنافيان (ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم) أى الشرائع وحذف لظهوره أوما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أى مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى

(بل أنتم بشر) خلق عبيد (ممن) كن (خلق يغفر لمن يشاء) لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) من مات على اليهودية والنصرانية (ولله ملك) خزائن (السموات والارض وما بينهما) من الخلق والعجائب (واليه المصير) المرجع مصير من آمن ومن لم يؤمن (ياأهل الكتاب) ياأهل التوراة والانجيل (قدجاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم)(قا و خا٣٣نى) ماأمرتم به ومانهيتم عنه (على فترة من الرسل) على انقطاع من الرسل

﴿ ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير ﴾ كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ متعلق بمحذوف أى لاتعتذروا بماجاءنا فقد جاءكم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أوخمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج مايكون اليه ﴿ واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذجعل فيكم انبياء ﴾ فارشدكم وشرفكم بهم

فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان الدمشقى والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم أن يقولوا الهنا عرفنا أنه لابد من عبادتك ولكنا ماعرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك * قوله عز وجل ﴿ أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير ﴾ يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فى هذا الوقت ﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يعنى فقد أرسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى أنه تعالى قادر على بعثة الرسل فى وقت الحاجة اليهم * قوله عز وجل ﴿ واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادى الله عندكم وأيامه التى أنعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تمادى هؤلاء اليهود فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم سلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عز وجل ﴿ اذجعل فيكم أنبياء ﴾ يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذفضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبى هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وأيضا كان أنبياء بنى اسرائيل من أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من أكابر الانبياء وأولاد يعقوب وهم الاسباط أنبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فان الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل أنبياء فانه لم يبعث

ان تقولوا (ماجاءنا من بشير ولانذير) والفاء فى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أى لاتعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسل بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى احوج مايكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلايعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شئ قدير) فكان قادرا على ارسال محمد عليه السلام ضرورة (واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث فى أمة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء

(أن تقولوا) لكى لاتقولوا يوم القيامة (ماجاءنا من بشير) بالجنة (ولانذير) من النار (فقد جاءكم) محمد صلى الله عليه وسلم (بشير) بالجنة (ونذير) من النار (والله على كل شئ) من ارسال الرسل والثواب لمن أجاب الرسل والعقاب لمن لم يجب الرسل (قدير واذقال) وقد قال (موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله) منة الله (عليكم اذجعل فيكم) منكم (أنبياء) (فى أمة)

ولم يبعث فى أمة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ أى وجعل منكم أوفيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى فعلوا بيحيى وهموا بقتل عيسى عليهما الصلاة والسلام وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وأمورهم سماهم ملوكا ﴿ وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم ﴿ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة ﴾ ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وماحوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام ﴿ التى كتب الله لكم ﴾ قسمها لكم أوكتب فى اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرمة عليهم

فى أمة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ يعنى وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيدا فى أيدى القبط قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك ﴿ وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾ يعنى من عالمى زمانكم بذكرهم ماأنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى أنعم الله بها عليهم * قوله عز وجل ﴿ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ﴾ لما ذكر موسى قومه ماأنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وماحوله وقيل هى اريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى أرضه وبها أكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم * فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما * قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم

(وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه بعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وأنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام أوأراد عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) أى المطهرة أوالمباركة وهى أرض بيت المقدس أوالشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم اوسماها أوكتب فى اللوح المحفوظ انها مساكن لكم

(وجعلكم ملوكا) بعدما كنتم مماليك فرعون (وآتاكم) أعطاكم (مالم يؤت أحدا من العالمين) عالمى زمانكم فى التيه من المن والسلوى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) وهى دمشق وفلسطين وبعض الاردن المطهرة (التى كتب الله لكم) وهب الله لكم وجعلها ميراثا لابيكم ابراهيم

﴿ ولا ترتدوا على أدباركم ﴾ ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصرى تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر أولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿ قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين ﴾ متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريده ﴿ وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فأن يخرجوا منها فأنا داخلون ﴾ اذ لا طاقة لنا بهم

تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى

* قوله عز وجل ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم ﴾ يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا الامر الله الذى أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم أمر الله

* قوله عز وجل ﴿ قالوا ﴾ يعنى قوم موسى ﴿ ياموسى أن فيها ﴾ يعنى فى الارض المقدسة ﴿ قوما جبارين ﴾ يعنى قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهو العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل ﴿ وانا لن ندخلها ﴾ يعنى أرض الجبارين التى أمرهم الله بدخولها ﴿ حتى يخرجوا منها ﴾ حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم ﴿ فأن يخرجوا منها فأنا داخلون ﴾ يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فأنهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل

(ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أو لا ترتدوا على أدباركم فى دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) بغير قتال (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) بلاد هم حينئذ

(ولا ترتدوا على أدباركم) لا ترجعوا الى خلفكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا مغبونين بالعقوبة بأخذ الله المن والسلوى منكم (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) قتالين (وانا لن ندخلها) أرض الجبارين (حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) فيها

قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو فى محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أنعم الله عليهما) بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أى انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين) اذ الايمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق (قالوا ياموسى انا لن ندخلها) هذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد (أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول (ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أى وسيدك وهو أخوك الاكبر هرون أولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أريد قتالهم (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ما كثون لانقاتلهم لنصرة دينكم

﴿ قال رجلان ﴾ كالب ويوشع ﴿ من الذين يخافون ﴾ أى يخافون الله سبحانه وتعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة أسلما وسارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون بالضم أى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة أى من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير أو يخوفهم الوعيد ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين أو اعتراض ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ باب قريتهم أى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لتعسر الكر عليهم فى المضائق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لاقلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم أو مما علما من عادة الله سبحانه وتعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام فى قهر اعدائه ﴿ وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين ﴾ أى مؤمنين به ومصدقين لوعده ﴿ قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ﴾ نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ﴿ ماداموا فيها ﴾ بدل من ابدا بدل البعض ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون ﴾ قالوا ذلك

الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله ﴿ قال رجلان من الذين يخافون ﴾ يعنى يخافون الله ويراقبونه ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ يعنى بالهداية والوفاء بالعهد ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده ﴿ وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿ قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ﴾ يعنى قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعنى مدة حياتنا ﴿ ماداموا فيها ﴾ يعنى مقيمين فيها ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون ﴾ انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجئ

(قال رجلان من الذين يخافون) اثنى عشر رجلا خافوا من الجبارين (أنعم الله عليهما) بيقين الخطرات وهما يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون) عليهم (وعلى الله فتوكلوا) بالنصرة (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) ويقال وقال رجلان من الذين يخافون موسى خافوا من موسى وهما من الجبارين أنعم الله عليهما بالتوحيد الآية (قالوا ياموسى انا لن ندخلها) أرض الجبارين (ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك) سيدك هرون (فقاتلا) فأن ربكما يعينكما كما أعانكما على فرعون وقومه (انا ههنا قاعدون)

استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك ﴿ قال رب انى لاأملك الانفسى وأخى ﴾ قاله شكوى بثه حزنه الى الله وسبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى أو على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لاأملك أو على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم ﴿ قال فانها ﴾ فان الارض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ لايدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم

على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسر * قوله عزوجل ﴿ قال ﴾ يعنى موسى عليه السلام ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ أنى لاأملك الا نفسى وأخى ﴾ يعنى انى لا أملك الا نفسى وأخى لايملك الا نفسه وقيل معناه لاأملك الا نفسى ونفس أخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لاأملك الا نفسى وأخى وان كان معه فى طاعته يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه وأخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله وأخى ثم قال ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ أى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعاء عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عزوجل ﴿ فأنها محرمة عليهم ﴾ يعنى فأن الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم أبدا

فلما عصوه وخالفوه (قال رب انى لاأملك) لنصرة دينك (الانفسى وأخى) وهو منصوب بالعطف على نفسى أو على اسم ان أى انى لاأملك الانفسى وان أخى لايملك الانفسه أو مرفوع بالعطف على محل ان واسمها أو على الضمير فى لاأملك وجاز للفصل أى ولايملك أخى الا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجاب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبى المعصوم أو أراد ومن يؤاخينى على دينى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو فى معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين (قال فانها) أى الارض المقدسة (محرمة عليهم) لايدخلونها

منتظرون (قال رب) قال موسى يارب (انى لاأملك الانفسى وأخى) يقول لاأقدر الاعلى نفسى وأخى هرون (فافرق بيننا) فأقض بيننا (وبين القوم الفاسقين) العاصين (قال) الله ياموسى (فأنها محرمة عليهم) الدخول فيها بعدما (ولم)

﴿ أربعين سنة يتيهون فى الارض ﴾ عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام بها ماشاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر أخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله سبحانه وتعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشأم كله لبنى اسرائيل واما يتيهون أى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرن كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه فمات هرون وموسى عليهما السلام بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع

ولم يرد تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بى حلفت لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فأنها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لاتحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم ﴿ أربعين سنة ﴾ فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون فى الارض فأما الحرمة فأنها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم * قوله عز وجل ﴿ يتيهون فى الارض ﴾ يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم أجمع فأذا أمسوا اذا هم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ماخلا موسى وهرون ويوشع وكالب فأن الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما * فأن قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد * قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى أزمان الانبياء غير مستبعدة فأن الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ماحرم عليهم

وهو تحريم منع لاتحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم أى بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم أو المراد فانها محرمة عليهم (أربعين سنة) فاذا مضى الاربعون كان ماكتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يتيهون فى الارض) أى يسيرون فيها متحيرين لايهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له

سميتهم فاسقين (أربعين سنة يتيهون فى الارض) يتحيرون فى أرض التيه وهى سبع فراسخ لايقدرون ان يخرجوا ولايهتدون سبيلا

الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث أربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ماهى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم فى التيه ومات فى التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلوا فى أن موسى عليه السلام مات فى التية أم خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا فى التيه جميعا .

قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام

فأما هرون فأنه كان أكبر من موسى بسنة قال السدى أوحى الله عزوجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فأذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال ياموسى أنى احب أن أنام على هذا السرير قال نم قال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال لاتخف انى أكفيك رب هذا البيت فنم قال ياموسى فنم أنت معى فأن جاء رب هذا البيت غضب على وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان أخى أفترونى أقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عزوجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبى الله ماأحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تبتدئ به وتذكره لى ولايذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتنى الى عبد لايريد الموت فرد الله اليه

عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده من شعرة سنة قال أى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال أجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ماتقدم قال الشيخ محيي الدين النووى قال المازرى وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء باجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويمتحنهم بما أراد والثانى أن موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا جواب الامام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض قالوا وليس فى الحديث تصريح بانه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه أتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ أحسن منه ولا مثل مافيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة مارأيت كاليوم قط فقالت الملائكة ياصفى الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بنى اسرائيل فاخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى أريحاء وهى مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان فى السابع نفخوا فى القرون وضجوا فى الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقفا حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد

فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفى الحديث الصحيح مايدل على صحة هذا وهو ماروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لايتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر أولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجاه البخارى ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله لايتبعنى رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أى لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل *وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع ابن نون قال القاضى وقد روى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين تنظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افراتيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذى فتح أريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الاقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لاأملك الانفسى وأخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت

(بنا)

﴿ فلاتأس على القوم الفاسقين ﴾ خاطب موسى عليه الصلاة والسلام لماندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم ﴾ قابيل وهابيل اوحى الله سبحانه وتعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمه كان اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل ﴿ بالحق ﴾ صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق اوحال من الضمير فى اتل اومن نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين ﴿ اذقربا قربانا ﴾ ظرف

بنايا موسى فمكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولوكان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان أهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعوراء كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وستردقصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى ❁ وقوله عز وجل ﴿ فلاتأس على القوم الفاسقين ﴾ يعنى لاتحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لماندم موسى على مادعا على قومه أوحى الله اليه فلاتأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أى لاتحزن يامحمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل ❁ قوله عز وجل ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ﴾ يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم اللذين قربا القربان ماكانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل مايصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عندالله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اذقربا قربانا ﴾ القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أوذبيحة أونسك أوغير ذلك مما يتقرب به

ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ماولدته أربعين ولدا فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس

فى التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لاعقوبة ومات هرون فى التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء فى التية الا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ماجرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على أهل الكتاب (نبأ ابنى آدم) من صلبه هابيل وقابيل أوهما رجلان من بنى اسرائيل (بالحق) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق (اذقربا) نصب بالنبأ أى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت أو بدل من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قربانا) مايتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذقرب كل واحد منهما قربانه

(فلاتأس) فلا تحزن (على القوم الفاسقين واتل عليهم) اقرأ عليهم يامحمد (نبأ) خبر (ابنى آدم بالحق) بالقرآن (اذقربا قربانا

دليله (فتقبل من أحدهما) قربانه وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه وهو قابيل روى أنه أوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجل واسمها اقليما فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لاقتلنك) أى قال لهابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلنى قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله

فتقبل من أحدهما) من هابيل (ولم يتقبل من الآخر) من قابيل (قال) قابيل لهابيل (لأقتلنك) ياهابيل (قال) لم قال لان الله تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى قال هابيل (انما يتقبل الله من المتقين) من الصادقين بالقول والفعل الزاكية القلوب ولم تكن

لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف المضاف أى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة أو غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى به أى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا ﴿ فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ لانه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده ﴿ قال لأقتلنك ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ﴿ قال انما يتقبل الله من المتقين ﴾ فى جوابه أى انما أوتيت

لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحا ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بها بيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخواته شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال أبوه آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردئ واضمر فى نفسه لا أبالى أيتقبل منى أم لا لايتزوج أختى أحد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقرب به وأضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ يعنى هابيل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ يعنى قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه ﴿ قال لأقتلنك قال ﴾ قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قربانى وتريد أن تنكح أختى الحسناء وأنكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير منى ويفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وما ذنبى ﴿ انما يتقبل الله من المتقين

﴿ يعنى ﴾

من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا الا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق ﴿ لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين ﴾ قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله سبحانه وتعالى لان الدفع لم يبح بعد اوتحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء ﴿ انى اريد ان تبوء باثمى واثمك

يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل ﴿ لئن بسطت الى يدك ﴾ يعنى لئن مددت الى يدك ﴿ لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك ﴾ يعنى ما أنا بمنتصر لنفسى بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله ﴿ أنى أخاف الله رب العالمين ﴾ والمعنى انى اخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عزوجل اخبارا عن هابيل ﴿ انى اريد ان تبوء باثمى واثمك ﴾ يعنى ترجع باثم قتلى الى اسم معاصيك التى عملتها من قبل فأن قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت أجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى أريد أن تبوء باثمى وأثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فما أنا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى أن يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه أنى اريد أن تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف وما باء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه

مدنى وأبو عمرو وحفص (اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا فأن فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى اثمه وانما معناه ماأنا بباسط يدى اليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله فتكا على غفلة منه انى أخاف حجازى وأبو عمرو (انى أريد) مدنى (ان تبوء) ان تحتمل أوترجع (باثمى) باثم قتلى اذا قتلتنى (واثمك) الذى لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وانما أراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى أو كان ظالما وجزاء الظالم جائز ان يراد

زاكى القلب (لئن بسطت) مددت (الى يدك لتقتلنى) ظلما (ما انا بباسط) بماد (يدى اليك لاقتلك) ظلما (انى أخاف الله رب العالمين) بقتلك ظلما (انى أريد أن تبوء باثمى) أن تؤخذ بذنبى (واثمك) ذنبك.

فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسط يدك الى ونحوه المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة ﴿ فطوعت له نفسه قتل اخيه ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل اوعلى ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ﴿ فقتله فاصبح من الخاسرين ﴾ دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه ﴾ روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدر مايصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى ليرى لله سبحانه وتعالى او للغراب

لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلب الثواب فكأنه صار مريدا القتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة ﴿ فتكون من أصحاب النار ﴾ يعنى الملازمين لها ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ يعنى جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما ۞ قوله تعالى ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴾ يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴿ فقتله ﴾ قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة ۞ وقوله عزوجل ﴿ فأصبح من الخاسرين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا أخ واما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل ۞ قوله عزوجل ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ﴾ قال أصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء

فوسعته ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع (فقتله) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه) أى الله أو الغراب (كيف يوارى سوأة أخيه) عورة أخيه ومالا يجوز ان ينكشف من جسده روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى مايصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ

الذى لقبل دمى (فتكون من أصحاب النار) فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) النار جزاء المعتدين بالظلم (فطوعت له نفسه) فتابعت له نفسه (قتل أخيه) على قتل أخيه (فقتله فأصبح من الخاسرين) فصار من المغبونين بالعقوبة (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) يثير التراب من الارض ليوارى غرابا ميتا (ليريه) ليرى قابيل (كيف يوارى) يغطى (سوءة أخيه) عورة أخيه فى التراب (ولم)

وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى ﴿ قال ياويلتا ﴾ كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة ﴿ اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى ﴾ لااهتدى الى مثل مااهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذليس المعنى ههنا لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا ﴿ فاصبح من النادمين ﴾ على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة أو اكثر على ماقيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب أربعين يوما وقال ابن عباس رضى الله عنهما سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يوارى سوأة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب ﴿ قال ياويلتا ﴾ أى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ماكان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب ﴿ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ﴾ الذى ورای الغراب الآخر ﴿ فأوارى سوأة أخى ﴾ يعنى فأستر جيفته وعورته عن الاعين ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل أخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلا جل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبدالله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل فقال ما أدرى ماكنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده أبدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث

(قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى) عطف على أكون (سوأة أخى فأصبح من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالسودان من ولده وماروى ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر

(قال ياويلتى أعجزت) أضعفت عن الحيلة (أن اكون مثل هذا الغراب) فى الحيلة (فأوارى) فاغطى (سوءة أخى) عورة أخى بالتراب (فاصبح من النادمين) فصار نادما على مالم يوار عورة أخيه ولم يكن نادما على قتله

﴿ من اجل ذلك ﴾

فى الارض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يابنى أنت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثى الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه أبياتا منها

ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد الا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرما بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل عقلت أحدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿ من أجل ذلك ﴾ يعنى بسبب ذلك

(من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور قيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك أى فاصبح من النادمين لاجل حمله ولاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين

(من أجل ذلك) من أجل قتل قابيل هابيل ظلما

كتبنا على بنى اسرائيل ﴾ بسببه قضيناعليهم وأجل فى الاصل مصدر أجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته أى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من أجل ذلك ﴿ أنه من قتل نفسا بغير نفس ﴾ أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ﴿ أو فساد فى الارض ﴾

القتل الذى حصل وقيل الأجل فى اللغة الجناية يقال أجل عليهم شرا أى جنى عليهم شرا ﴿ كتبنا ﴾ أى فرضنا وأوجبنا ﴿ على بنى اسرائيل ﴾ فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل مامر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لامناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل * قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من أجل ذلك أى من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعانى على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى مامر ذكره فى هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى أنه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حظر فى انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لادافع لذلك البتة فقول من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أى من أجل ذلك الذى ذكرنا فى أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه بنى اسرائيل * قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا أن التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولايشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ماأقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده * قوله عز وجل ﴿ أنه من قتل نفسا ﴾ يعنى قتل نفسا ظلما ﴿ بغير نفس ﴾ يعنى بغير قتل نفس لاعلى وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم ﴿ أو فساد فى الارض ﴾ هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله

(كتبنا على بنى اسرائيل) خصهم بالذكر وان اشترك الكل فى ذلك لان التوراة أول كتاب فيه الاحكام (أنه من قتل نفسا) الضمير للشان ومن شرطية (بغير نفس) بغير قتل نفس (أو فساد فى الارض) عطف على نفس أى بغير فساد فى الارض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل

(كتبنا على بنى اسرائيل) أوجبنا على بنى اسرائيل فى التوراة (انه من قتل نفسا بغير نفس) قتل نفسا متعمدا (أو فساد) شرك (فى الارض)

(فكأنما قتل الناس جميعا) أى فى الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل اوغرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فكأنما أحيي الناس جميعا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذى أراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء جميع الناس رغب فى احيائها (ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلنا) رسلنا أبو عمرو (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) بعدما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات (فى الارض لمسرفون) فى القتل لايبالون بعظمته (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى أولياء الله

فكأنما قتل الناس جميعا) يقول وجبت عليه النار بقتل نفس واحدة ظلما كما لو قتل الناس جميعا (ومن أحياها) كف عن قتلها (فكأنما أحيي الناس جميعا) يقول وجبت له الجنة بعفو نفس واحدة كما لو عفا الناس جميعا (ولقد جاءتهم) يعنى الى بنى اسرائيل (رسلنا بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (ثم أن كثيرا منهم) من بنى اسرائيل (بعد ذلك) بعد الرسل (فى الارض لمسرفون) لمشركون ثم نزلت فى قوم هلال بن عويمر لانهم قتلوا قوما من بنى كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا فقتلوهم وأخذوا ما كان معهم من السلب فبين الله عقوبتهم يعنى قوم هلال وكانوا مشركين فقال (انما جزاء) مكافأة (الذين يحاربون الله ورسوله) يكفرون (من)

أو بغير فساد فيها كالشرك اوقطع الطريق ﴿ فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه اومن حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء فى استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا ﴾ اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون ﴾ اى بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت الآية بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر ﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ اى يحاربون

أو فساد فى الارض ﴿ فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا ﴾ قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى أو امام عدل فكأنما أحيي الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعنى من غرق أو حرق أو وقوع فى هلكة فكأنما أحيي الناس جميعا يعنى ان له من الثواب مثل ثواب من احيي الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعا لانهم لايسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعانى قوله ومن أحياها على المجاز لان المحيى هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكأنما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذا الآية أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال اى والذى لا اله غيره ماكانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ﴾ يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات ﴿ ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك ﴾ يعنى بعد مجئ الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل ﴿ فى الارض لمسرفون ﴾ يعنى بالقتل لاينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى ثم ان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل ﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى قوم

من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال ابن عويمر وهو أبو بردة الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك رضى الله أن ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يانبى الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى أثرهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا ايديهم وأرجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل أن تنزل الحدود وفى رواية للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يطلبهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال أبو قلابة وأى شئ أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية أبى داود ان قوما من عكل أو قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم ان يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فارسل فى آثارهم فما ارتفع النهار حتى جئ بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى رواية له وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا الآية.

شرح غريب هذا الحديث وحكمه

فى الحديث يقول الله تعالى من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة (ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد وخبر جزاء (ان يقتلوا) وماعطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم) ان أخذوا المال (من خلاف) حال من الايدى والارجل أى مختلفة (أو ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة

بالله ورسوله (ويسعون فى الارض فسادا) يعملون فى الارض بالمعاصى وهو القتل وأخذ المال ظلما (أن يقتلوا) يقول جزاء من قتل ولم يأخذ المال القتل (أو يصلبوا) يقول جزاء من قتل وأخذ المال ظلما الصلب (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى يقول جزاء من أخذ المال ولم يقتل قطع اليد والرجل (أو ينفوا من الارض) أو يحبسوا فى السجن حتى يبدو صلاحهم وتظهر توبتهم يقول جزاء من يخوف الناس على الطريق ولم يأخذ المال ولم يقتل

أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر ﴿ ويسعون فى الارض فسادا ﴾ أى مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ﴿ أن يقتلوا ﴾ أى قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل ﴿ أو يصلبوا ﴾ أى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت ﴿ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا ﴿ أو ينفوا من الارض ﴾ ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابوحنيفة النفى بالحبس وأو فى الآية على

قوله انا كنا أهل ضرع يعنى أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من أهل المدن والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخموا المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمر والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثانى معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف ﴿ ويسعون فى الارض فسادا ﴾ يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال أبو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ﴾ وللعلماء فى لفظة أو المذكورة فى هذه الاية قولان أحدهما أنها للتخيير وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى ومجاهد

هذا التفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ﴿ ذلك لهم خزى فى الدنيا ﴾ ذل وفضيحة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم ﴿ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فاعلموا ان الله غفور رحيم ﴾ اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها

وهو ان الامام مخير فى أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثانى ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعى والشافعى وأصحاب الرأى واختلفوا فى كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن فى بطنه برمح حتى يموت قال الشافعى يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق فى ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا فى تفسير النفى من الارض المذكور فى الآية فقيل ان الامام يطلبهم ففى كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعى وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفى هو الحبس لانه نفى من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفى من الارض فى الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التى هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس فى السجون يعنى من هذه الامة وقال احبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر فى هذه الآية من الحدود ﴿ لهم ﴾ يعنى للمحاربين ﴿ خزى فى الدنيا ﴾ أى عذاب وهوان وفضيحة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب فى الدنيا فهو فى خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة ❁ وقوله عز وجل ﴿ الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ﴾ يعنى لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعى فى الارض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعنى فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة فى الآية المتقدمة ﴿ فاعلموا ان الله غفور ﴾ يعنى لمن تاب من الشرك ﴿ رحيم ﴾ يعنى به اذا

(ذلك) المذكور (لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم

السجن (ذلك) الذى ذكرت (لهم خزى) عذاب (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) شديد أشد مما يكون فى الدنيا لمن لم يتب ثم بين عفوه لمن تاب فقال (الا الذين تابوا) من الكفر والشرك (من قبل ان تقدروا عليهم) بالأخذ (فاعلموا أن الله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب

بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ اى ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة ﴿ وجاهدوا فى سبيله ﴾ بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بالوصول الى الله سبحانه وتعالى والفوز بكرامته ﴿ ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض ﴾ من صنوف الاموال

رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية وانه لا يطالب بشئ مما أصاب من مال أودم قال أبو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشئ بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدى هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشئ الا اذا أصيب عنده مال بعينه فانه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما أصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن أبى طالب فى حارثة بن زيد رضى الله عنهما وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فامنه على على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى أبى موسى الاشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الارض بالفساد وانى قد تبت من قبل أن يقدر على فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الارض فسادا وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعى يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بنى آدم من قصاص أو مظلمة من مال أو غيره وأما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعى ويحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة ❁ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أى خافوا الله بترك المنهيات ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ يعنى واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة فى نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثانى التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * أى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أى تحببوا الى الله عز وجل ﴿ وجاهدوا فى سبيله ﴾ أى وجاهدوا العدو فى طاعته وابتغاء مرضاته ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ يعنى لكى تسعدوا بالخلود فى جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب ❁ قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض

فلا يعذبهم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلا تؤذوا عباد الله (وابتغوا اليه الوسيلة) هى كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض

(يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (اتقوا الله) فيما امركم (وابتغوا اليه الوسيلة) الدرجة الرفيعة ويقال اطلبوا اليه القرب فى الدرجات بالاعمال الصالحات (وجاهدوا فى سبيله) فى طاعته (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخطة والعذاب وتأمنوا (أن الذين كفروا) بمحمد والقرآن (لو أن لهم ما فى الارض) من الاموال

جميعا) من صنوف الاموال (ومثله معه) وأنفقوها (ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم ولو مع ما في

﴿ جميعا ومثله معه ليفتدوا به ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم ﴿ من عذاب يوم القيمة ﴾ واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك أولان الواو في ومثله بمعنى مع ﴿ ماتقبل منهم ﴾ جواب لو ولو بما في خبره خبران والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله ﴿ يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وماهم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى

جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ماتقبل منهم ﴾ يعنى ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ المقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أيسر من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ماهو أيسر من ذلك أن لا تشرك بى ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ﴾ فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاءهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثانى أنهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ يعنى ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا * قوله عزوجل ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ قال ابن السائب نزلت فى طعمة بن أبيرق وقدمنا قصته فى سورة النساء وانما سمى السارق سارقا لانه يأخذ الشئ الذى ليس له أخذه فى خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحد بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبى والسدى وكذلك هو فى قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وانما قال أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شئ موحد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى

خبره خبران ووحد الراجع فى ليفتدوا به وقد ذكر شيآن لانه أجرى الضمير مجرى اسم الاشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه (يريدون) يطلبون أو يتمنون (أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فاقطعوا أيديهما) أى يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة

(جميعا ومثله معه) ضعفه معه (ليفتدوا به) ليفادوا به أنفسهم (من عذاب يوم القيمة ماتقبل منهم) الفداء (ولهم عذاب اليم) وجيع (يريدون ان يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال (وماهم بخارجين

منها) من النار (ولهم عذاب مقيم) دائم لا ينقطع (والسارق) من الرجال يعنى طعمة (والسارقة) من النساء (فاقطعوا أيديهما)

سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لأن الانشاء لايقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة أخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه ﴿ جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾ منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ﴿ والله عزيز حكيم

الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع * وقوله عز وجل ﴿جزاء بما كسبا﴾ يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم ﴿ نكالا من الله ﴾ يعني عقوبة من الله ﴿ والله عزيز ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ حكيم ﴾ يعني فيما أوجبه من قطع يد السارق

فصل في بيان حكم الآية ﴿وفيه مسائل﴾ المسئلة الاولى

اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائى (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوى دراهم أخرجه البخارى ومسلم أما السارق الذى يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه

المسئلة الثانية

اختلف العلماء في قدر النصاب الذى يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روى

من الجراءة وهى في الرجال أكثر وأخر الزانى لان الزنا ينبعث من الشهوة وهى في النساء أوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل (جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) أى عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لايعارض في حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة

ايمانهما (جزاء بما كسبا) عقوبة بما سرقا (نكالا من الله) شينا من الله لهم (والله عزيز) بالنقمة من السارق (حكيم) حكم عليهم بالقطع

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان قدر النصاب الذى تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبى ليلى لما روى عن أنس قال قطع أبو بكر فى مجن قيمته خمسة دراهم وفى رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائى وقال الرواية الاولى أصح وذهب قوم الى أنه لاقطع فى أقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثورى وأبو حنيفة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع فى مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لاشبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولايجب القطع بسرقة مادون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع فى القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم واليه ذهب داود الظاهرى واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز

المسئلة الثالثة

الحرز هو ماجعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التى يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فاما ما كان فى غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعى وأحمد وقال ابن أبى ليلى والثورى والاوزاعى وأبو حنيفة لاقطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لاحارس له أو حيوان فى برية ولاراعى له أو متاع فى بيت منقطع عن البيوت فلاقطع عليه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة فلاشئ عليه أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو مايحمله الانسان فى حضنه وقيل هو مايأخذه فى خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذى يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك فى الموطأ عن أبى حسين المكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاقطع فى ثمر معلق ولا فى حريسة الجبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبدالله بن عمر والمتقدم فان هذه الرواية عن أبى حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبدالله بن عمرو بن العاص قوله ولا فى حريسة الجبل من العلماء

فمن تاب ﴾ من السراق ﴿ من بعد ظلمه ﴾ أى بعد سرقته ﴿ وأصلح ﴾ أمره بالتفصى عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها ﴿ فان الله يتوب عليه ان الله عفور رحيم ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لأن فيه حق المسروق منه

(فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقته (وأصلح) يرد المسروق (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنبه ويرحمه

(فمن تاب من بعد ظلمه) سرقته وقطعه (واصلح) فيما بينه وبين ربه بالتوبة (فأن الله يتوب عليه) يتجاوز عنه (أن الله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب

من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس فى الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل أن تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذى والنسائى

المسئلة الرابعة

اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه

المسئلة الخامسة

اذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبى بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن على انه قال انى أستحى أن لا أدع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والاوزاعى وبه قال أحمد وأصحاب الرأى ﴿ قوله عز وجل ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه ﴾ يعنى من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة ﴿ وأصلح ﴾ يعنى وأصلح العمل فى المستقبل ﴿ فان الله يتوب عليه ﴾ يعنى فان الله يغفر له ويتجاوز عنه ﴿ ان الله غفور ﴾ يعنى لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ به

فصل

وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه فى المستقبل عن أبى أمية المخزومى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال

﴿ الرجل ﴾

(ألم تعلم) يا محمد أو يا مخاطب (ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) من مات على الكفر (ويغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر (والله على كل شئ) من التعذيب والمغفرة وغيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب

﴿ ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام اولكل احد ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ماسبق أولان استحقاق التعذيب مقدم أولان المراد به القطع وهو في الدنيا ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ اى صنع الذين يقعون في الكفر سريعا أى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة ﴿ من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ أى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال

الرجل أستغفر الله وأتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ماسرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأى لا غرم عليه فلوكان المسروق باقيا عنده يجب عليه أن يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع احدهما بالآخر والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مدبر أمر مافي السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما وما لكه لا يمتنع عليه شئ مما اراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه أمره ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصى لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافى ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى أخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الرسول ﴾ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع من كتابه وبيا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله ﴿ لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ يعنى لا تهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فأنى ناصرك عليهم وكافيك شرهم ﴿ من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ يعنى المنافقين لانهم أظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين

على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أى في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شئ اذا وجدوا فرصة لم يخطؤها (من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بافواههم) متعلق بقالوا أى قالوا بافواههم آمنا (ولم تؤمن قلوبهم) في محل النصب

(ألم تعلم) ألم تخبر يا محمد في القرآن (أن الله له ملك) خزائن (السموات والارض يعذب من يشاء) من كان أهلا لذلك (ويغفر لمن يشاء) من كان أهلا لذلك (والله على كل شئ) من الغفران وغيره (قدير يا أيها الرسول) يا محمد (لا يحزنك الذين يسارعون) يبادرون

(في الكفر) في الولاية مع الكفار في الدنيا والآخرة (من الذين قالوا آمنا بافواههم) بالسنتهم قالوا صدقنا بقلوبنا (ولم تؤمن) لم تصدق (قلوبهم) قلوب المنافقين يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه

والعطف ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ عطف على من الذين قالوا ﴿ سماعون للكذب ﴾ خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين اوللذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد اولتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار اوللعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه ﴿ سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ﴾ اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم اوسماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا القوم آخرين

﴿ ومن الذين هادوا ﴾ أى وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله ﴿ سماعون للكذب ﴾ ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثانى ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اى ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب أى يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أى لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه ❊ وقوله عزوجل ﴿ سماعون ﴾ يعنى بنى قريظة يعنى انهم جواسيس وعيون ﴿ لقوم آخرين ﴾ وهم أهل خيبر ﴿ لم يأتوك ﴾ يعنى أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد

ذكر القصة فى ذلك

قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس فى كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بنى قريظة فأنهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدهما فأن أمركم بالحد فأقبلوا منه وأن امركم بالرجم فأحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه فى بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب ان تسألوه عن قضائه فى ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد

على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا أى من المنافقين واليهود ويرتفع (سماعون للكذب) على أنه خبر مبتدأ مضمر أى هم سماعون والضمير للفريقين أوسماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ماسمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ماسمعوا منك

(ومن الذين هادوا) يهود بنى قريظة كعب واصحابه (سماعون للكذب سماعون) قول الزور (لقوم آخرين) لاهل خيبر (لم يأتوك) يعنى أهل خيبر فيما حدث فيهم ولكن سأل عنهم بنو قريظة

وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانى والزانية اذا أحصنا ماحدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودى بقى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام فى التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت اعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذى لااله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت أو غيرت مااعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فما كان اول ماترخصتم به فى أمر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر فى امرأة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لاترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد أربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا مااسرع مااخبرته وماكنت لما أثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدنى بالتوراة ولولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ماأخبرته فامر النبى صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى أول من أحيا أمرك اذ اماتوه فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبدالله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها وما بعدها فقال له عبدالله ابن سلام ارفع يدك فرفع

﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها امالفظا باهماله اوتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم اوصفة لسماعون اوحال من الضمير فيه

يده فاذا فيهـا آية الرجم فقالوا صدق يامحمد فيها آية الرجم فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية أخرى لهما قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ماتصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤه بها فقال لرجل ممن يرضون أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يامحمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرأيته يحنى زاد فى رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم أخبرك بحد الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من أحيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر الى قوله ان أوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبى صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها أوأخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبدالله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه * قوله عز وجل ﴿ يحرفون الكلم ﴾ يعنى يغيرون حدود الله التى أوجبها عليهم فى التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون مايسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به ﴿ من بعد مواضعه ﴾ يعنى من بعد ان وضعه الله

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم

(يحرفون الكلم) يغيرون صفة محمد ونعته والرجم على المحصن والمحصنة اذا زنيا (من بعد مواضعه) من بعد بيانه فى النوراة

{ مواضعه }

(يقولون ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وافتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فأياكم واياه فهو الباطل روى ان شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيأ) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم

اواستئناف لاموضع له اوفي موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك ﴿ يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه ﴾ اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به ﴿ وان لم تؤتوه ﴾ بل افتاكم محمد بخلافه ﴿ فاحذروا ﴾ اي احذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالو ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ﴿ ومن يرد الله فتنته ﴾ ضلالته اوفضيحته ﴿ فلن تملك له من الله شيئا ﴾ فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها ﴿ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ﴾ من الكفر وهو كما ترى نص على فساد

مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عزوجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعها انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية ❁ وقوله عزوجل ﴿ يقولون ﴾ يعني اليهود ﴿ ان أوتيتم هذا فخذوه ﴾ يعني أن افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه ﴿ وان لم تؤتوه فاحذروا ﴾ يعني وان لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه ﴿ ومن يرد الله فتنته ﴾ يعني كفره وضلالته ﴿ فلن تملك له من الله شيأ ﴾ يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن

(يقولون) يعني الرؤساء للسفلة ويقال المنافقون عبدالله بن أبي واصحابه (أن أوتيتم هذا) ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد (فخذوه) فاقبلوا منه واعملوا به (وأن لم تؤتوه) ان لم يأمركم بالجلد محمد وأمركم بالرجم (فاحذروا) يعني ان لم يكن يوافقكم على ما تطلبون ويأمركم بغيره فاحذروا ولا تقبلوا منه قال الله عزوجل (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وشركه ويقال فضيحته ويقال اختباره (فلن تملك له من الله) من عذاب الله (شيأ أولئك) يعني اليهود والمنافقين (الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من المكر والخيانة والاصرار على الكفر

أيضا (لهم فى الدنيا خزى) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أى التخليد فى النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد أى هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل مالايحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفى الحديث هو الرشوة فى الحكم وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكى وبصرى وعلى (فأن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لايحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله تعالى

قول المعتزلة ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنف بقوله ومن الذين والا فللفريقين ﴿ سماعون للكذب ﴾ كرره للتأكيد ﴿ اكالون للسحت ﴾ اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب فى المواضع الثلثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر ﴿ فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ﴾ تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا ﴿ وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ﴾ بان يعادوك

وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ يعنى للمنافقين واليهود أما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبى والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ يعنى الخلود فى النار للمنافقين واليهود ❁ قوله عزوجل ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ نزلت فى حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها فى كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهى السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة فى الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون فى حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى فى الحكم أخرجه الترمذى وأخرجه أبو داود عن عبدالله بن عمر وبن العاص قال الحسن انما ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة فى كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبدالرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ❁ قوله عزوجل ﴿ فان جاؤك ﴾ يعنى اليهود ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ ﴾ خير الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت فى اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت فى رجلين من قريظة والنضير

(لهم فى الدنيا خزى) عذاب بالقتل والاجلاء (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) أعظم مما يكون لهم فى الدنيا (سماعون) قوالون (للكذب أكالون للسحت) للرشوة والحرام بتغيير حكم الله (فان جاؤك) يا محمد يعنى بنى قريظة والنضير ويقال أهل خيبر (فاحكم بينهم) بين بنى قريظة والنضير بالرجم ويقال بين اهل خيبر (أو اعرض عنهم) أنت بالخيار (وأن تعرض عنهم) ولا تحكم بينهم (فلن يضروك) لن ينقصوك (شيأ

لاعراضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس ﴿وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ أي بالعدل الذى أمر الله به ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم

قتل أحدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيرى ديتين والقرظى دية واحدة لأنه كان من بنى النضير فقالت قريظة لانرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فأنزل الله هذه الآية يخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم

فصل

اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا أعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبي والنخعى والزهرى وبه قال أحمد لانه لامنافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وأن احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لايختلف القول فيه لانه لايجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم ❁ وقوله عزوجل ﴿وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ يعنى بالعدل والاحتياط ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووى

يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين

وان حكمت فاحكم بينهم) بين بنى قريظة والنضير ويقال بين اهل خيبر (بالقسط) بالرجم (ان الله يحب المقسطين) العادلين بكتاب الله العاملين

﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ بكتابهم لاعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا أو بك وبه ﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ﴾ يهدى الى الحق ﴿ ونور ﴾ يكشف عما استبهم من الاحكام ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ يعنى انبياء بنى اسرائيل اوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به ﴿ الذين أسلموا ﴾ صفة أجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم ﴿ للذين هادوا ﴾ متعلق بانزل

فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ﴾ هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة ﴿ فيها حكم الله ﴾ يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من أجله ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم ﴿ وما أولئك ﴾ يعنى اليهود ﴿ بالمؤمنين ﴾ يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل ﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أى انقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد

لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهى مبتدأ وخبره عندهم (ثم يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك أى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بك أو بكتابهم كما يدعون (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله فى التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء من ملة الاسلام التى هى دين الانبياء كلهم (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم

بالرجم (وكيف يحكمونك) على وجه التعجيب فى الرجم (وعندهم التوراة فيها) فى التوراة (حكم الله) يعنى الرجم (ثم يتولون من بعد ذلك) من بعد البيان فى التوراة والقرآن (وما أولئك بالمؤمنين) بالتوراة (انا أنزلنا التوراة) على موسى (فيها) فى التوراة (هدى) من الضلالة (ونور) بيان الرجم (يحكم بها) بالتوراة (النبيون) ﴿ بالنبيين ﴾ الذين أسلموا) الذين كانوا مسلمين من لدن موسى الى عيسى وبينهما الف نبى بين الذين أسلموا (للذين هادوا) الآباء الذين

أو يحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين أنبياؤهم ﴿ والربانيون والاحبار ﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ نهى

بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لأمره ونهيه للذين هادوا يعنى لليهود يعنى يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو فى التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴿ والربانيون والاحبار ﴾ أما الربانيون فتقدم تفسيره فى سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الأحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمى به لمكان الحبر الذى يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم الما يبقى من أثر علومه فى قلوب الناس وافعاله الحسنة التى يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الأثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى جماله وبهاؤه وانما سمى العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لأن الله تعالى قدمهم فى الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار ﴿ وقوله عز وجل ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ يعنى بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله فى صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ يعنى ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون أنه حق وصدق وأنه من عند الله ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ هذا خطاب لحكام اليهود الذين

معطوفان على النبيون أى الزهاد والعلماء (بما استحفظوا) استودعوا وقيل ويجوز أن يكون بدلا من بها فى يحكم بها (من كتاب الله) من للتبيين والضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيون والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أى كلفهم الله حفظه أو للربانيون والاحبار ويكون الاستحفاظ من الانبياء (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى حكوماتهم وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (واخشون) فى مخالفة أمرى وبالياء فيهما سهل وافقه أبو عمرو فى الوصل

هادوا (والربانيون) يقول وكان يحكم بها الربانيون العلماء واصحاب الصوامع دون الأنبياء (والاحبار) سائر العلماء (بما استحفظوا من كتاب الله) بما علموا ودعوا من كتاب الله (وكانوا عليه) على الرجم (شهداء فلا تخشوا الناس) فى اظهار صفة محمد ونعته والرجم (واخشون)

للحكام أن يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير ﴿ ولا تشتروا بآياتى ﴾ ولا تستبدلوا بأحكامى التى انزلتها ﴿ ثمنا قليلا ﴾ هو الرشوة والجاه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ مستهينا به منكراله ﴿ فأولئك هم الكافرون ﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها أو لطائفة

كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لاتخافوا أحدا من الناس فى اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعنى فى كتمان ذلك ﴿ ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ يعنى ولاتستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعنى الرشوة فى الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع فى المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ يعنى أن اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت فى الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لايقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ماروى عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقربه ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التى أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة لكن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعى هذه الآيات الثلاث عامة فى اليهود وفى هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدى لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله

(ولاتشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو عام فى اليهود وغيرهم

فى كتمانها (ولاتشتروا بآياتى) بكتمان صفة النبى صلى الله عليه وسلم ونعته وآية الرجم (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا من المأكلة (ومن لم يحكم بما انزل الله) يقول ومن لم يبين ما بين الله فى التوراة من صفة محمد ونعته وآية الرجم (فأولئك هم الكافرون) بالله والرسول والكتاب

كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى ﴿ وكتبنا عليهم ﴾ وفرضنا على اليهود ﴿ فيها ﴾ في التوراة ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ أي ان النفس تقتل بالنفس ﴿ والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن ﴾ رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول أومستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوأة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن أوعلى أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع ﴿ والجروح قصاص ﴾ أي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير

ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أوأخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده * قوله عز وجل ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة أن نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة .فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين * وقوله عز وجل ﴿ والعين بالعين ﴾ يعني تفقأ بها ﴿ والانف بالانف ﴾ يعني يجدع به ﴿ والاذن بالاذن ﴾ يعني تقطع بها ﴿ والسن بالسن ﴾ يعني تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك * وقوله عز وجل ﴿ والجروح قصاص ﴾ يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أوكسر في عظم أوجراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا

(أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلها بغير حق (والعين) مفقوأة (بالعين والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على ان المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن ورفعها على للعطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت

(وكتبنا عليهم) فرضنا على بني أسرائيل (فيها) في التوراة (ان النفس بالنفس) عمدا وفاء (والعين بالعين) عمدا وفاء (والانف بالانف) عمدا وفاء (والاذن بالاذن) عمدا وفاء (والسن بالسن) عمدا وفاء (والجروح قصاص) حكومة عدل

وأبو عمرو وابن عامر على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل ﴿ فمن تصدق ﴾ من المستحقين ﴿ به ﴾ بالقصاص أى فمن عفا عنه ﴿ فهو ﴾ فالتصدق ﴿ كفارة له ﴾ للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه مالزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شئ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ من القصاص وغيره ﴿ فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم ﴾ اى وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون ﴿ بعيسى ابن مريم ﴾ مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء ﴿ مصدقا لما بين يديه من التوراة

ومن أنكره قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد فى احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحى وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحى اليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدى من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور فى التوراة ومكتوب على بنى اسرائيل ولولا أنا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال * وقوله عز وجل ﴿ فمن تصدق به ﴾ يعنى بالقصاص فلم يقتص من الجانى ﴿ فهو كفارة له ﴾ فى هاء له قولان أحدهما ان الهاء فى له كناية عن المجروح وولى المقتول وذلك أن المجروح أوولى المقتول اذ تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبدالله بن عمرو ابن العاص والحسن و يدل عليه ماروى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذى وعن أنس قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الأمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائى والقول الثانى ان الضمير فى قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعنى ان المجنى عليه اذا عفا عن الجانى كان ذلك العفو كفارة لذنب الجانى لايؤاخذ به فى الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما أجر العافى فعلى الله تعالى * وقوله عز وجل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ يعنى لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل * قوله عز وجل ﴿ وقفينا على آثارهم ﴾ يعنى وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿ بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ﴾ يعنى ان عيسى

﴿ عليه ﴾

والسحت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قفيت الشئ بالشئ جعلته فى أثره كأنه جعل فى قفاه يقال قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا) هو حال من عيسى (لما بين يديه من التوراة

(فمن تصدق به) بالجراحة على الجارح (فهو كفارة له) للجريح ويقال للجارح (ومن لم يحكم بما أنزل الله) يقول ومن لم يبين مابين الله فى القرآن ولم يعمل به (فأولئك هم الظالمون) الضارون لأنفسهم فى العقوبة (وقفينا) اتبعنا واردفنا (على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا) موافقا (لما بين يديه من التوراة) بالتوحيد وبعض

وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أى وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذى قام مقامه فيه (وهدى وموعظة)انتصبا على الحال

و واعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كى أى وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن

وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة ﴿ فيه هدى ونور ﴾ فى موضع النصب بالحال ﴿ ومصدقا لما بين يديه من التوراة ﴾ عطف عليه وكذا قوله ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعليقا به وعطف ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف أى وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالامر كقوله أمرتك بأن قم أى وامرنا بأن ليحكم ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب

عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فأن عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها ﴿ وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ﴾ يعنى فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة ﴿ ومصدقا لما بين يديه من التوراة ﴾ هذا ليس بتكرار للاول لان فى الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله عز وجل ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ قال أهل المعانى قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم فى وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ماقبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثانى أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن * قلت أن المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ يعنى فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب ﴾ الخطاب للنبى

الشرائع (وآتيناه) أعطيناه (الانجيل فيه) فى الانجيل (هدى) من الضلالة (ونور) بيان الرجم (ومصدقا) موافقا (لما بين يديه من التوراة) بالتوحيد والرجم (وهدى) من الضلالة (وموعظة) نهيا (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (وليحكم أهل الانجيل)ولكى يبين أهل الانجيل (بما أنزل الله فيه) بما بين الله فى الانجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته والرجم (ومن لم يحكم بما أنزل الله) يقول ومن لم يبين مابين الله فى الانجيل (فأولئك هم الفاسقون)هم العاصون الكافرون (وأنزلنا اليك الكتاب)

فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطأ (مصدقا) حال من الكتاب (لمابين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لماقبل الشئ هوبين يديه لان ماتأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقها فى التوحيد والعبادة وماأرسلنا من قبلك من رسول الانوحى اليه أنه لااله الا أنافاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أى بما فى القرآن (ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) نهى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولاتتبع معنى ولاتنحرف فلذا عدى بعن فكانه قيل ولاتنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة (ومنها جا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا الاتلزمنا ذكر الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام ثم انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الاول يحكم بها النبيون وفى الثانى وليحكم أهل الانجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله

بالحق ﴾ اى القرآن ﴿ مصدقا لمابين يديه من الكتاب ﴾ من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ ورقيبا على سائر الكتب بحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى أو الحفاظ فى كل عصر ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ أى بما أنزل الله اليك ﴿ ولاتتبع اهوآءهم عماجاءك من الحق ﴾ بالانحراف عنه الى مايشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف أوحال من فاعله أى لاتتبع اهواءهم مائلا عما جاءك ﴿ لكل جعلنا منكم ﴾ أيها الناس ﴿ شرعة ﴾ شريعة وهى الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ﴿ ومنهاجا ﴾ وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين

صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا اليك يامحمد القرآن ﴿ بالحق ﴾ يعنى بالصدق الذى لاشك فيه انه من عند الله ﴿ مصدقا لمابين يديه من الكتاب ﴾ يعنى انه يصدق جميع الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شاهدا على الكتب التى قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذوو الألباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التى قبله لانه الكتاب الذى لاينسخ ولايغير ولايبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الأمين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التى قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فأن قالوا ذلك فى القرآن فقد صدقوا والافلا ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ يعنى اذا ترافع أهل الكتاب اليك يامحمد فاحكم بينهم بالقرآن الذى انزله الله اليك ﴿ ولاتتبع أهواءهم ﴾ يعنى ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود فى الحكم وقال ابن عباس لاتأخذ بأهوائهم فى جلد المحصن ﴿ عما جاءك من الحق ﴾ يعنى ولاتنحرف عن الحق الذى جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط * وقوله عز وجل ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ الخطاب

جبريل بالكتاب يعنى القرآن (بالحق) لبيان الحق والباطل (مصدقا) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع ﴿ فى ﴾ (لما بين يديه) لماقبله من الكتاب يعنى الكتب (ومهيمنا عليه) شهيدا على الكتب كلها ويقال على الرجم ويقال أمينا على الكتب (فاحكم بينهم) بين بنى قريظة والنضير وأهل خيبر (بما أنزل الله) بما بين الله لك فى القرآن (ولاتتبع أهواءهم) فى الجلد وترك الرجم (عما جاءك من الحق) بعدما جاءك من البيان (لكل جعلنا منكم شرعة) لكل نبى منكم بيناله شرعة (ومنهاجا) فرائض

بالشرائع المتقدمة ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ﴿ ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر

فى قوله منكم الامم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعنى لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع فى الشئ والشريعة فى كلام العرب المشرعة التى يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هى التى أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس فى قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها مايشاء ويحرم مايشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذى لايقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال على بن أبى طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لااله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين فى طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الى قوله أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهى قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهى دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع ومايتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لايلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى ﴿ ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ يعنى جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لااختلاف فيه ﴿ ولكن ليبلوكم ﴾ يعنى ولكن أراد أن يختبركم ﴿ فيما آتاكم ﴾

(ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة

وسننا (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) لجمعكم على شريعة واحدة (ولكن ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) أعطاكم من الكتاب والسنن والفرائض فيقول أنا فرضته عليكم ولايدخل فى قلوبكم شئ من التوهم

(فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (الى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل (جميعا) حال من الضمير المجرور

والعامل المصدر المضاف لانه فى تقدير اليه ترجعون (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لاتشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (وأن احكم) معطوف على بالحق أى أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم (بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) أى يصرفوك أو هو مفعول له أى مخافة ان يفتنوك وانما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم (عن بعض ما أنزل الله اليك

وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم ﴿ الى الله مرجعكم جميعا ﴾ استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ عطف على الكتاب أى انزلنا اليك الكتاب والحكم أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وأمرنا ان احكم ﴿ ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ﴾ أى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال أى احذرهم فتنتهم أو مفعول له أى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن

يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصى والموافق من المخالف ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعنى فبادروا ياأمة محمد بالاعمال الصالحات التى تقربكم الى الله تعالى ﴿ الى الله مرجعكم جميعا ﴾ يعنى المطيع والعاصى والموافق والمخالف ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعنى فيخبركم فى الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم فى الآخرة بما لاتشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصى بالثواب والعقاب ❁ قوله عز وجل ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأن احكم بينهم بما أنزل الله يعنى احكم بينهم يا محمد بالحكم الذى أنزله الله فى كتابه ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ يعنى فيما أمروك به قال العلماء ليس فى هذه الآية تكرار لما تقدم وانما أنزلت فى حكمين مختلفين أما الآية الاولى فنزلت فى شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه أن يجلده وهذه الآية نزلت فى شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه فى أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير فى قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ❁ قوله عز وجل ﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ﴾ يعنى واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك أن يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك

(فاستبقوا الخيرات) فسابقوا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الامم فى السنن والفرائض والصالحات ويقال بادروا بالطاعات يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (الى الله مرجعكم جميعا) جميع الامم (فينبئكم) فيخبركم (بما كنتم فيه) فى الدين والشرائع (تختلفون) تخالفون (وأن احكم) واحكم (بينهم) بين بنى قريظة والنضير وأهل خيبر (بما أنزل الله) بما بين الله فى القرآن (ولاتتبع أهواءهم) بالجلد وترك الرجم (واحذرهم) ولاتأمنهم (أن يفتنوك) لكى لا يصرفوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) فى القرآن (العمل)

نؤمن بك ونصدقك فابى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ فأن تولوا ﴾ عن الحكم المنزل وارادوا غيره ﴿ فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ يعنى ذنب التولى عن حكم الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * « او يرتبط بعض النفوس حمامها »

﴿ وأن كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ لمتمردون فى الكفر ومعتدون فيه ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى * وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر * وقرئ أفحكم الجاهلية أى يبغون حاكما كحاكم الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم * وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾

العمل ببعض ما أنزل الله اليك فى كتابه واتباع أهوائهم ﴿ فأن تولوا ﴾ يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك ﴿ فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ يعنى فاعلم يا محمد ان الله يريد أن يعجل لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم فى الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقى ذنوبهم الى الآخرة ﴿ وان كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ يعنى اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ يعنى أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعنى بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور فى الاحكام وتحريفهم اياها عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بنى النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وأرش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أحكم ان دم القرظى وفاء من دم النضيرى ودم النضيرى وفاء من دم القرظى ليس لاحدهما فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألو فى وضعنا وتصغيرنا فانزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ يعنى أى حكم أحسن

فأن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فان الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وأن كثيرا من الناس لفاسقون) لخارجون عن أمر الله (أفحكم الجاهلية يبغون) يطلبون وبالتاء شامى يخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب أفحكم يبغون (ومن أحسن) مبتدأ وخبره وهو استفهام فى معنى النفى أى لا أحد أحسن (من الله حكما) هو تمييز واللام فى (لقوم يوقنون) للبيان كاللام

من الرجم (فأن تولوا) عن الرجم وعما حكمت بينهم من القصاص (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم) ان يعذبهم (ببعض ذنوبهم) بكل ذنوبهم (وان كثيرا من الناس) من أهل الكتاب (لفاسقون) لناقضون كافرون (أفحكم الجاهلية يبغون) أفحكمهم فى الجاهلية يطلبون عندك فى القرآن يا محمد (ومن أحسن من الله حكما) قضاء (لقوم يوقنون)

أى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك أى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور و يتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ ايماء الى علة النهى أى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجماعهم على مضادتكم ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ أى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تترءى ناراهما أو لان الموالى لهم كانوا منافقين ﴿أن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾

من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل فى أحكامه * قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى لكنى لا أبرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن أقبل فانزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه أمانا انى أخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وآخذ منه أمانا فانزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه فى حلقه اشار الى انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فنهى الله المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله وأخبر انه من اتخذهم أنصارا وأعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه برآء ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ يعنى ان بعض اليهود أنصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى أحدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ﴿أن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾

يتبينون ان لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو على معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أى لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بعضهم أولياء بعض) وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين (أن الله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم

يصدقون بالقرآن (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فى العون والنصرة (بعضهم أولياء بعض) يقول بعضهم على دين بعض فى السر والعلانية وولى بعض (ومن يتولهم) فى العون والنصرة (منكم) يا معشر المؤمنين (فانه منهم) فى الولاية وليس فى امانة الله وحفظه (أن الله لا يهدى) لا يرشد الى دينه وحجته (القوم الظالمين) اليهود والنصارى ﴿ يعنى ﴾

أى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار أوالمؤمنين بموالاة اعدائهم ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض ﴾ يعنى ابن أبى واضرابه ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أى فى موالاتهم ومعاونتهم ﴿ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لاابرأ من ولاية موالى فنزلت ﴿ فعسى الله أن يأتى بالفتح ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين ﴿ أو أمر من عنده ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء أوالامر باظهار اسرار المنافقين

يعنى ان الله لايوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان أبا موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا يعنى مسلما اما سمعت قول الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لاأكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولاأدنيهم اذ أبعدهم الله قلت انه لايتم أمر البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله عز وجل ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض ﴾ يعنى فترى يامحمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق ﴿ يسارعون فيهم ﴾ يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا أهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبدالله بن أبى المنافق وفى أصحابه من المنافقين ﴿ يقولون ﴾ يعنى المنافقين ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لانانخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى أن لايتم أمر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد ﴿ فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ﴾ قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا أطمع فى خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله أن يأتى بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم أو أمر من عنده يعنى انه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولايكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى فى قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى

بموالاة الكفرة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون) حال أو مفعول ثان لاحتمال ان يكون فترى من رؤية العين أو القلب (فيهم) فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يقولون) أى فى أنفسهم لقوله على ما أسروا (نخشى أن تصيبنا دائرة) أى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) أى يؤمر النبى عليه السلام باظهار أسرار

(فترى) يامحمد (الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه (يسارعون فيهم) يبادرون فيهم فى ولايتهم (يقولون) يقول بعضهم لبعض (نخشى أن تصيبنا دائرة) شدة فلذلك نتخذهم أولياء (فعسى الله) وعسى من الله واجب (أن يأتى بالفتح) فتح مكة والنصرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (أو أمر من عنده) أو عذاب على بنى قريظة والنضير بالقتل والاجلاء

المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أى المنافقون (على ما أسروا فى أنفسهم) من النفاق (نادمين) خبر فيصبحوا (ويقول الذين آمنوا) أى يقول بعضهم لبعض عندذلك ويقـول بصرى عطفا على أن يأتى يقول بغيرواوشـامى وحجازى على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون

حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا (أهـؤلاء الذين أقسموا بالله جهـد أيمـانهم انهم لمعكم) أى أقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر فى تقدير الحال أى مجتهدين فى توكيد أيمانهم (حبطت أعمالهم) ضـاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهـذا من قول الله عزوجـل شـهادة لهم بحبوط الاعمال لهم وتعجيبا من سـوء حالهم (فاصبحوا خاسرين) فى الدنيـا والعقبى لفوات المعـونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليـه من الكفر يرتدد مـدنى وشـامى

وقتلهم ﴿ فيصبحوا ﴾ أى هؤلاء المنـافقون ﴿ على ما أسرو فى أنفسهم نادمين ﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عما اظهروه ممـا اشعر على نفـاقهم ﴿ ويقول الذى آمنوا ﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسـائى على انه كلام مبتـدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغيروا وعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفـا على ان يأتى باعتبـارا لمعـنى كأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو بجعـله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بمـا يوجبه كالاتيان به ﴿ أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم أنهم لمعكم ﴾ بقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين و تبجحا بما من الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك صاغ كونها معرفة أو على المصدر لانه بمعنى اقسموا ﴿ حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ﴾ امامن جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينـه ﴾ قرأه على الاصـل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام الشـام

❊ قوله عز وجل ﴿ فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ يعنى فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ يعنى ويقول الذين آمنوا فى وقت اظهار الله تعـالى نفاق المنـافقين ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم ﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصـارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد أيمـانهم انهم لمعنا ومن أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين فى أيمانهم الباطلة ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ أى بطل كل خير عملوه لاجل ما أظهروا من النفاق وموالاة اليهود ﴿ فاصبحوا خاسرين ﴾ يعنى انهم خسروا فى الدنيا بافتضاحهم وخسروا فى الآخرة باحباط ثواب أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم ❊ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ يعنى من يرجع منكم عن دينه الحق الذى هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله فى الكفر بعد الايمان فيختار

من عنده (فيصبحوا) فيصيروا يعنى المنافقين (على ما أسروا فى أنفسهم) من ولاية اليهود (نادمين) بعدما افتضحوا (ويقول الذين آمنوا) المخلصون للمنافقين عبدالله ابن أبى وأصحابه (أهؤلاء) يعنى المنـافقين (الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم) شدة أيمـانهم اذا حلف الرجل بالله فقد جهد يمينه (أنهم) يعنى المنافقين (لمعكم) مع المخلصين على دينكم فى السر (حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم فى الدنيا (فاصبحوا خاسرين) فصاروا مغبونين بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا) أسد وغطفان وناس من كندة ومراد (من يرتد منكم عن دينه) بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم

(اما)

والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنوا مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غدها واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى أواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله امابعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله عنه بجند من المسلمين وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث

اما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذى هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى بيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر قتله فى آخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستأتى قصة قتاله فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشأم ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق فى خلافة أبى بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعى وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت

ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله سبحانه وتعالى امرهم على يده وفى امارة عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قيل هم أهل اليمن لما روى انه عليه الصلاة والسلام اشار الى أبى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه

نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندى وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة ارتدت فى خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء فى المعنى بقوله تعالى ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ فقال على بن ابى طلب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعى الزكاة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه عليه فى الانتهاء وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ماولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر الصديق لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال أهل الردة وقالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشراب النفاق ونزل بابى بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة فكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام أراد بذلك وحشى أنه فى حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفى حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم أبى موسى الاشعرى روى عن عياض بن غنم الاشعرى قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأت الله

(فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم

(فسوف يأتى) يجئ (الله بقوم) يعنى أهل اليمن (يحبهم) الله (ويحبونه) أى يحبون الله

﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على امالتضمن معنى العطف والحنو أوللتنبيه على انهم مع علوطبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أوللمقابلة ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال ﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ صفة اخرى لقوم أوحال من الضمير فى أعزة ﴿ ولايخافون لومة لائم ﴾ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب

بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعنى أباموسى الاشعرى أخرجه الحاكم فى المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدى نزلت فى الإنصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على اظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية فى خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقدوقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأمامعنى المحبة فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة ارادة ماتراه أوتظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يثيبه أحسن الثواب على طاعته وأن يثنى عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عزوجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لايفعل مايوجب سخطه وعقوبته وأن يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء أقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن ابى طالب أذلة على المؤمنين يعنى أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم فى دينهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما تراهم كالولد لوالد وكالعبد لسيده وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى أثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كأنه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لالاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعنى أنهم أشداء أقوياء فى أنفسهم وعلى أعدائهم ﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ يعنى أنهم ينصرون دين الله ﴿ ولايخافون لومة لائم ﴾ يعنى لايخافون عذل عاذل

(أذلة) جمع ذليل وأماذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لايجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون فى سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (ولايخافون لومة لائم) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فأذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلايعملون

(أذلة) رحيمة مشفقة (على المؤمنين) مع المؤمنين (أعزة) أشدة (على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله) (قا و خا ٣٩ نى) أى عاطفين فى طاعة الله (ولايخافون لومة لائم) ملامة لائم

شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لايخافون لومة لائم وأن تكون للعطف
أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى أمر من امور الدين لاتزعهم لومة لائم واللومة
المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لايخافون شيأ قط من لوم واحد من اللوام (ذلك) اشارة الى ما وصف
به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة
(فضل الله يؤتيه من يشاء
والله واسع) كثير الفواضل
(عليم) بمن هو من أهلها
عقب النهى عن موالاة
من تجب معاداتهم
ذكر من تجب موالاتهم
بقوله (انما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا)
وانما يفيد اختصاصهم
بالموالاة ولم يجمع الولى
وان كان المذكور جماعة
تنبيها على أن الولاية لله
أصل ولغيره تبع ولو قيل
انما أولياؤكم الله ورسول
والذين آمنوا لم يكن
فى الكلام أصل وتبع ومحل
(الذين يقيمون الصلوة)
الرفع على البدل من الذين
آمنوا أو على هم الذين
أو النصب على المدح
(ويؤتون الزكوة) والواو
فى (وهم راكعون) للحال
أى يؤتونها فى حال ركوعهم
فى الصلاة قيل انها نزلت

(ذلك) الذى ذكرت من الحب
والامر وغير ذلك (فضل الله)
من الله تعالى (يؤتيه) يعطيه
(من يشاء) من كان أهلا لذلك (والله واسع) جواد بعطيته (عليم) لمن يعطى ثم نزل فى عبدالله بن سلام (صفة)
وأصحابه اسد وأسيد وثعلبة بن قيس وغيرهم بعدما جفاهم اليهود فقال (انما وليكم الله) حافظكم وناصركم ومؤنسكم الله
(ورسوله والذين آمنوا) أبو بكر وأصحابه (الذين يقيمون الصلوة) الصلوات الخمس (ويؤتون الزكاة) يعطون زكاة
أموالهم (وهم راكعون) يصلون الصلوات الخمس فى الجماعة مع النبى صلى الله عليه وسلم

فى دينه أو حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون
فى جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم
من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان ﴿ ذلك ﴾
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف ﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يمنحه ويوفق له
﴿ والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو اهله ﴿ انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا ﴾ لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله
ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم وللمؤمنين على التبع ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة ﴾ صفة للذين آمنوا فانه
جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح ﴿ وهم راكعون ﴾

فى نصرهم الدين وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله
تعالى فى هذه الآية ان من كان قويا فى الدين فانه لايخاف فى نصره لدين الله بيده أو بلسانه
لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط
والمكره وعلى أن لاننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة
لائم ثم قال تعالى ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من
وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون
فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم
ومن احسانه اليهم ﴿ والله واسع عليم ﴾ يعنى انه تعالى واسع الفضل عليم بمن
يستحقه * قوله عز وجل ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ قال ابن عباس
رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أوالى
الله ورسوله والمؤمنين يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبدالله نزلت
فى عبدالله بن سلام وذلك أنه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا
قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لايجالسونا فنزلت هذه الآية
فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله
نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة فى حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم أولياء
بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ﴾

متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ ومن يتخذهم اولياء ﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا

صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنين الا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعنى بإتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعنى ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه* أحدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لأوامر الله ونواهيه* الوجه الثانى أن يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له* الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو على بن أبى طالب قال السدى مر بعلى سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة على بن أبى طالب وهو راكع ويدل على ذلك ماروى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو على فقال على من الذين آمنوا * قوله عز وجل ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ يعنى ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتى بعدهم ﴿ فان حزب الله ﴾ يعنى أنصار دين الله ﴿ هم الغالبون ﴾ لأن الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبه يعنى أهمه * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا ﴾

في على رضى الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وعلى ان الفعل القليل لا يفسد الصلاة (ومن يتول الله ورسله والذين آمنوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فأن حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام الضمير أي فانهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أى أصابهم وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعنى

(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أبا بكر وأصحابه في العون والنصرة (فأن حزب الله) جند الله (هم الغالبون) على أعدائهم يعنى محمدا وأصحابه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) سخرية (ولعبا) ضحكة وباطلا

من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين ﴿ واتقوا الله ﴾ بترك المناهي ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ لأن الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده ﴿ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ﴾ أي اتخذوا الصلاة اوالمناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بألسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه ﴿ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعني اليهود ﴿ والكفار ﴾ يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين أهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب ﴿ أولياء ﴾ يعني لاتتخذوهم أولياء والمعنى ان أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يامعشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أنتم أولياء وأنصارا ﴿ واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾ يعني مؤمنين حقا لأن المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل ❊ قوله عز وجل ﴿ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ﴾ قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لاقاموا وصلوا لاصلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل أن الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يامحمد لقد أبدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فأن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء فمن أين لك صياح كصياح العير

اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لايصح ان يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (من الذين أوتوا الكتاب) من للبيان (من قبلكم والكفار) أي المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) في موالاة الكفار (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة (هزوا ولعبا

(من الذين أوتوا) اعطوا (الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (والكفار) وسائر الكفار (أولياء) في العون والنصرة (واتقوا الله) واخشوا الله في ولايتهم (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة) بالاذان والاقامة (اتخذوها هزوا) سخرية (ولعبا) ضحكة وباطلا

ذلك بأنهم قوم لايعقلون) لان لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لاعقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لابالمنام وحده (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الاان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) يعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وان أكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور أى وماتنقمون منا الاالايمان بالله وماأنزل وبان أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا لانا اعتقدنا توحيدالله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم ايانا فى ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى وماتنقمون منا الا الايمان بالله مع انكم

(ذلك) الاستهزء (بانهم قوم لايعقلون) أمرالله ولايعلمون توحيدالله ولا دين الله نزلت هذه الآية فى رجل من اليهود كان يسخر باذان بلال فاحرقه الله بالنار (قل) يامحمد لليهود (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) تطعنون علينا وتعيبوننا (الاأن آمنابالله) الالقبل ايماننابالله وحده لاشريك له (وماأنزل الينا) يعنى القرآن (وماأنزل من قبل) وبماأنزل من قبل محمدصلى الله عليه وسلم والقرآن من جملة الكتب والرسل (وأن أكثركم) كلكم (فاسقون) كافرون ثم نزلت فى مقالتهم ومانعلم اهل دين من الاديان أقل حظا من محمدصلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال الله

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ فأن السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ﴾ هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا أنكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهى لغة ﴿ الا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ﴾ الايمان بالكتب المنزلة كلها ﴿ وان اكثركم فاسقون ﴾ عطف على أن آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة أى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه أو كان الاصل واعتقاد ان أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ماأي وماتنقمون منا الاالايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا أن آمنا لقلة انصافكم وفسقكم أونصب باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به * فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون * فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا

فماأقبح هذا الصوت وماأسمج هذا الامر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ﴿ ذلك بأنهم قوم لايعقلون ﴾ يعنى ان هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لاعقل لهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل ياأهل الكتاب ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يامحمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا ﴿ هل تنقمون منا ﴾ يعنى هل تكرهون منا أوتعيبون علينا ﴿ الاأن آمنابالله وماأنزل الينا وماأنزل من قبل ﴾ وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا فى الدين الا الايمان بالله وبماأنزل الينا وبما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس ممايُنكر أوينقم منه وهذا كماقال بعضهم

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى انه ليس فيهم عيب الاذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن ابى رابع وعازوراء وزيد وخالد وازار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وماأنزل الينا وماأنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لانؤمن بمن آمن به فأنزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله مانعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولادينا شرا من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وماأنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا ﴿ وان أكثركم فاسقون ﴾

فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (من لعنه الله) شر عقوبة في الحقيقة من أهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم أي الايمان أي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا أي جزاء ولابد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعني أصحاب السبت (والخنازير) أي كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي العجل أو الشيطان لان عبادتهم

شرا من دينكم ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك ﴾ أي من ذلك المنقوم ﴿ مثوبة عند الله ﴾ جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على التمييز من بشر ﴿ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ بدل من بشر على حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر مبتدأ محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير ﴿ وعبد الطاغوت ﴾

يعني انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الاموال بالباطل وانما قال أكثركم لان الله علم ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله * قوله عز وجل ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك ﴾ هذا جواب لليهود لما قالوا مانعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وما أنزل علينا ﴿ مثوبة عند الله ﴾ يعني جزاء * فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة * قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه * قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب أن الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك * قوله عز وجل ﴿ من لعنه الله ﴾ معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته ﴿ وغضب عليه ﴾ يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سول له

(قل) يا محمد لليهود (هل أنبئكم) أخبركم (بشر من ذلك) مما قلتم لمحمد وأصحابه (مثوبة عند الله) من له عقوبة عند الله (من لعنه الله) عذبه الله بالجزية (وغضب عليه) سخط عليه (وجعل منهم القردة) في زمن داود النبي صلى الله عليه وسلم (والخنازير) في زمن عيسى بعد أكلهم من المائدة (وعبد الطاغوت) الكهان { والطاغوت } والشياطين وان قرأت وعُبد الطاغوت بضم الباء يقول وجعلهم عباد الشيطان الاصنام والكهان

العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أى جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهى لاهله للمبالغة (واضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرا منهم) من اليهود (يسارعون

عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أى فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد على انه نعت كفطن ويقظ أو عبدة أو عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من طاعوه فى معصية الله تعالى ﴿ أولئك ﴾ أى الملعونون ﴿ شر مكانا ﴾ جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا ﴿ واضل عن سواء السبيل ﴾ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال ﴿ واذا جاؤكم قالوا آمنا ﴾ نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى عامة المنافقين ﴿ وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ أى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ولذلك قال ﴿ والله اعلم بما كانوا يكتمون ﴾ أى من الكفر وفيه وعيد لهم ﴿ وترى كثيرا منهم ﴾ أى من اليهود أو من المنافقين ﴿ يسارعون فى الاثم ﴾

والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من أطاع أحدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت ﴿ أولئك ﴾ يعنى الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين ﴿ شر مكانا ﴾ يعنى من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه ﴿ وأضل عن سواء السبيل ﴾ يعنى واخطأ عن قصد طريق الحق * قوله عز وجل ﴿ واذا جاؤكم قالوا آمنا ﴾ قال قتادة نزلت فى أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم ﴿ وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتي الدخول والخروج ﴿ والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴾ يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم * قوله عز وجل ﴿ وترى كثيرا منهم ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم ﴿ يسارعون ﴾ المسارعة فى الشئ المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى

(أولئك شر مكانا) صنيعا فى الدنيا ومنزلا فى الآخرة (وأضل عن سواء السبيل) عن قصد طريق الهدى (واذا جاؤكم) يعنى سفلة اليهود ويقال المنافقون (قالوا آمنا بك) وبصفتك ونعتك انه فى كتابنا (وقد دخلوا بالكفر) بكفر السر (وهم قد خرجوا به) بكفر السر (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر (وترى كثيرا منهم) يا محمد يعنى من اليهود (يسارعون

أي الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم ﴿ والعدوان ﴾ الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم ﴿ واكلهم السحت ﴾ أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة ﴿ لبئس ما كانوا يعملون ﴾ لبئس شيئا عملوه ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ﴾ تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تستلذبها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ٭ شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله

يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون ﴿ في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ﴾ لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه ﴿ لبئس ما كانوا يعملون ﴾ يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهم مسارعتهم الى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ٭ قوله عز وجل ﴿ لولا ﴾ يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ ﴿ ينهاهم الربانيون والاحبار ﴾ قال الحسن الربانيون علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم ﴿ عن قولهم الاثم ﴾ يعني الكذب ﴿ وأكلهم السحت ﴾ والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ يعني الاحبار والرهبان اذلم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها ٭ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله

الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد (وقالت اليهود يد الله مغلولة

في الاثم) يبادرون في المعصية والشرك (والعدوان) الظلم والاعتداء على الناس (واكلهم السحت) الرشوة الحرام وفي تغيير الحكم (لبئس ما كانوا يعملون) من المعصية والاعتداء (لولا ينهاهم) هلا ينهاهم (الربانيون) أصحاب الصوامع (والاحبار) العلماء (عن قولهم الاثم) الشرك (وأكلهم السحت) الرشوة والحرام (لبئس ما كانوا يصنعون) في تركهم ذلك (وقالت اليهود) يعني فنحاص بن عازوراء اليهودي (يد الله مغلولة) محبوسة

أغلت يديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) روى ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط
عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله
مغلولة ورضى بقوله الآخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل في ملك يعطى ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعل للبأس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثمة كانوا أبخل خلق الله أو تغل فى جهنم فهى كأنها غلت وانما ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه فغاية ما يبذله السخى أن يعطيه بيديه

فقير ونحن أغنياء ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الايدى حقيقة يغلون أسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا بغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا

لاجرم ان الله تعالى أشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الاول أصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد * قوله عز وجل ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ يعنى أمسكت أيديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هى المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت أيديهم أى فى نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أى شدت أيديهم الى أعناقهم وطرحوا فى النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم أنهم مسخوا فى الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفى الآخرة لهم عذاب النار * قوله عز وجل ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلفوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام فى اليد فقد اختلف العلماء فى معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت فى الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثانى قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه احدها الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندى يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولى الايدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة فى يد فلان أى فى ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك أما الجارحة فمنتفية فى صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع

عن البسط (غلت أيديهم) أمسكت أيديهم (قا و خا ٤٠ نى) عن الخير والنفقة فى الخير (ولعنوا بما قالوا) عذبوا بالجزية بما قالوا (بل يداه مبسوطتان) مفتوحتان على البر والفاجر

والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ﴿ ينفق كيف يشاء ﴾ تأكيد

أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعانى التى فسرت اليد بها فحاصلة لان أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد فى حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان أحدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان أى ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه الاشكال الثانى ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة أجاب أصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى أخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم فى ملكه ومتقلبون فى نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن أبى الحسن الاشعرى قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلابد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب ان يقال ما أكثر الدرهمين فى أيدى الناس بمعنى ما أكثر الدراهم فى أيديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم فى ايدى الناس بمعنى ما أكثر الدراهم فى أيديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ﴿ ينفق كيف يشاء ﴾ يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر

(ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة

(ينفق) يعطى (كيف يشاء) ان شاء وسع وان شاء قتر

لذلك أى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولايجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذلا ضمير لهما فيه ولامن ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ أى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق افواههم ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾ كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط

على من يشاء لا اعتراض عليه فى ملكه ولا فيما فعله (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملاى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث أيضا أحد أحاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف * قوله عز وجل ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل أليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغنانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾ يعنى ألقينا الداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية * فأن قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به * قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أما فى الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾ يعنى كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكم أفسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله

(ولنزيدن كثيرا منهم) من اليهود ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة) فكلمهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما ارادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا فى بلد الا وقد وجدته من أذل الناس

(وليزيدن كثيرا منهم) والله ليزيدن كثيرا منهم كفارهم (ما انزل اليك) بما انزل اليك (من ربك) يعنى القرآن (طغيانا) تماديا (وكفرا) ثباتا على الكفر (وألقينا) اشلينا واغرينا (بينهم) بين اليهود والنصارى (العداوة) فى القتل والهلاك (والبغضاء) فى القلب (الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب) كلما اجتمعوا على قتل محمد تمردا (أطفأها الله) فرق الله جمعهم وخالف كلمتهم

(ويسعون فى الارض فسادا) ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى عليه السلام من كتبهم (والله لايحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاءبه (واتقوا) ماعددنا من سيآتهم (واتقوا) أى وقرنوا ايمانهم بالتقوى (لكفرنا عنهم سيآتهم) ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التورية والانجيل) أى أقاموا أحكامهما وحدودهما ومافيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وماأنزل اليهم من ربهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن (لاكلوا من فوقهم) يعنى الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم)

(ويسعون فى الارض فسادا) يمشون فى الارض بالفساد بتعويق الناس عن محمد والدعوة الى غير الله (والله لايحب المفسدين) اليهود ودينهم (ولوان أهل الكتاب) اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد والقرآن (واتقوا) تابوا من اليهودية والنصرانية (لكفرناعنهم سيآتهم) ذنوبهم فى اليهودية والنصرانية (ولادخلناهم جنات النعيم) فى الآخرة (ولوأنهم اقاموا التورية والانجيل) اقروا بما فى التوراة والانجيل وبينوا ذلك يعنى صفة محمد ونعته (وماأنزل اليهم من ربهم) وبينوا مابين لهم ربهم فى التوراة والانجيل ويقال أقروا بجملة الكتب والرسل من ربهم (لاكلوا من فوقهم) بالمطر (ومن تحت أرجلهم) بالنبات (يعنى)

عليهم المسلمين وللحرب صلة أو قدوا أو صفة نارا ﴿ ويسعون فى الارض فسادا ﴾ أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم ﴿ والله لا يحب المفسدين ﴾ فلا يجازيهم الا شرا ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبما جاءبه ﴿ واتقوا ﴾ ماعددنا من معاصيهم ونحوه ﴿ لكفرنا عنهم سيئاتهم ﴾ التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿ ولأدخلناهم جنات النعيم ﴾ ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم ﴿ ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ﴾ باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما ﴿ وماانزل اليهم من ربهم ﴾ يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم أو القرآن ﴿ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾

المسلمين فلاتزال اليهود فى ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كلمامكروا مكرا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأه الله تعالى وقال السدى كلما أجمعوا أمرهم على شئ ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا نارا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه ﴿ ويسعون فى الارض فسادا ﴾ يعنى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك ﴿ والله لايحب المفسدين ﴾ يعنى ان الله لايحب من كانت هذه صفته قال قتادة لاتلقى اليهود ببلدة الاوجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه ۞ قوله عز وجل ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به ﴿ واتقوا ﴾ يعنى اليهودية والنصرانية ﴿ لكفرنا عنهم سيآتهم ﴾ يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ماقبله ﴿ ولادخلناهم جنات النعيم ﴾ يعنى مع المسلمين يوم القيامة ﴿ ولو انهم أقاموا التورية والانجيل ﴾ يعنى أقاموا أحكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما ٭ فان قلت كيف يأمر أهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا ٭ قلت انما أمرهم الله تعالى باقامة مافيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما فى القرآن ۞ قوله عز وجل ﴿ وماأنزل اليهم من ربهم ﴾ فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفى هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثانى ان المراد بما أنزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم ﴿ لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾

يعنى الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان فى النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا {سورة المائدة} واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها امم فى عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هى الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية واربعون من النصارى (وكثير منهم ساء مايعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ماأسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) جميع ماأنزل اليك وأى شئ أنزل اليك غير مراقب فى تبليغه احدا ولا خائف أن ينالك مكروه

لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض أو يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ماتساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ماامروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته ﴿وكثير منهم ساء مايعملون﴾ أى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب أى ماأسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة ﴿ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك﴾ جميع ماأنزل اليك غير مراقب احد أو لا خائف مكروها

يعنى أن اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذى هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لانزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أى عادلة والاقتصاد الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى وأصحابه الذين أسلموا ﴿وكثير منهم﴾ يعنى من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ﴿ساء مايعملون﴾ يعنى بئس مايعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك﴾ الآية روى عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فأنزل هذه الآية وقيل نزلت فى عيب اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره بأن يقول لهم ياأهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية فى أمر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمسك فى بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص وماسأل عنه اليهود ومعنى الآية ياأيها الرسول بلغ جميع ماأنزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن

والثمار (منهم) من أهل الكتاب (أمة مقتصدة) جماعة عادلة مستقيمة يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه وبحيرا الراهب وأصحابه والنجاشى وأصحابه وسلمان الفارسى وأصحابه (وكثير منهم ساء مايعملون) بئس مايصنعون من كتمان صفة محمد ونعته منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبو ياسر وحيى ابن أخطب (ياأيها الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بلغ ماأنزل اليك من ربك) من سب آلهتهم وعيب دينهم والقتال معهم

(وأن لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) رسالاته مدني وشامي وأبو بكر أي فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك أغفلت أداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شئ واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشئ الواحد لايكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لايفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل اليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكانك لم تبلغ رسالة أصلا أو بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولاتنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحدا فأن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل

﴿وأن لم تفعل﴾ وان تبلغ جميعه كما امرتك ﴿فما بلغت رسالته﴾ فما اديت شيأ منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به أو فكأنك ما بلغت شيأ منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب * وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء ﴿والله يعصمك من الناس﴾ عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله تعالى عليه وسلم من تعرض

أحدا ولاتترك شيأ مما أنزل اليك من ربك وأن أخفيت شيأ من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى ﴿ وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ وقرئ رسالاته قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيأ مما أنزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيأ مما أوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ مما أنزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه * قوله عز وجل ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار * فأن قلت أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس * قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلايقدر عليه أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ماروى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط على سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فأذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاءبك فقال وقع

والدعوة الى الاسلام (وان لم تفعل) ما أمرت (فما بلغت رسالته) كما ينبغي (والله يعصمك (في) من الناس) من اليهود وغيرهم

الاعادى وازاحة لمعاذيره ﴿ أن الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ لايمكنهم ممايريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ماانزل ولعل المراد تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه ﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شئ ﴾ أى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيأ لانه باطل ﴿ حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾ ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلاتأس على القوم الكافرين ﴾ فلاتحزن عليهم لزيادة طغيانهم

فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعدما شج رأسه فى يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا * قوله عز وجل ﴿ أن الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه لايرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لايوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ماجئت به من عند الله ولم ينته الى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه * قوله عز وجل ﴿ قل ياأهل الكتاب لستم على شئ ﴾ يعنى قل يامحمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يامعشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يامعشر النصارى فأنكم أحدثتم وغيرتم قال ابن عباس رضى الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يامحمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم مافيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فأنا برئ من احداثكم قالوا فأنا نأخذ بما فى أيدينا فأنا على الحق والهدى ولانؤمن لك ولانتبعك فأنزل الله قل ياأهل الكتاب لستم على شئ ﴿ حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾ الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ماأنزل اليكم من ربكم ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ * قوله عز وجل ﴿ فلاتأس على القوم الكافرين ﴾

قوله (أن الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم مما يريدون أنزاله بك من الهلاك (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) على دين يعتد به حتى يسمى شيأ لبطلانه (حتى تقيموا التورية والانجيل وماأنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن (وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب (فلاتأس على القوم الكافرين) فلا تتأسف عليهم فأن ضرر ذلك يعود اليهم لااليك

(أن الله لايهدى القوم الكافرين) لايرشد الى دينه من لم يكن أهلا لدينه (قل) يامحمد (ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (لستم على شئ) من دين الله (حتى تقيموا التورية والانجيل) حتى تقروا بما فى التوراة والانجيل (وماأنزل اليكم من ربكم) من جملة الكتب والرسل (وليزيدن كثيرا منهم) كفارهم (ماأنزل اليك) بما أنزل اليك (من ربك) يعنى القرآن (طغيانا) تماديا (وكفرا) ثباتا على الكفر (فلاتأس على القوم الكافرين)

وكفرهم بما تبلغه اليهم فلا ضرر ذلك لاحق بهم لايتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما في حيز أن والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله

فمن يك امسى بالمدينة رحله * « فاني وقيار بها لغريب »

وقوله

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة مابقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبران مقدر دل عليه مابعده كقوله

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك

(أن الذين آمنوا) بالسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبوية وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز أن من اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

يعني فلا تحزن يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عز وجل ﴿ أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ﴾ لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل أهل الملل وانه لايحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لايتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فأنهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ماجاءت به الرسل من عند الله * فأن قلت قد قال الله تعالى في أول الآية

فلا تحزن على هلاكهم في الكفران لم يؤمنوا (أن الذين آمنوا) بموسى وبجملة الانبياء والكتب وماتوا على ذلك فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (والذين هادوا) تهودوا (والصابئون) يعني قوما من النصارى هم ألين قولا من النصارى (و النصارى) نصارى أهل نجران وغيرهم

(من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله * فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب * أى فانى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم

فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا

كما جوز بالياء جوز بالواو ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ﴾ فى محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿ فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ والجملة خبر ان أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف أى من آمن منهم أو النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا أو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا ﴿ لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا ﴾ ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم ﴾ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف ﴿ فريقا كذبوا

ان الذين آمنوا ثم قال فى آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففى هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أى بألسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على أن أشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفى قوله ﴿ من آمن بالله ﴾ حذف تقديره من آمن بالله ﴿ واليوم الآخر ﴾ منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين ﴿ وعمل صالحا ﴾ يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى ﴿ فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ يعنى فى الآخرة * قوله عز وجل ﴿ لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ﴾ يعنى أخذنا العهود عليهم فى التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه ﴿ وأرسلنا اليهم رسلا ﴾ يعنى لبيان الشرائع والاحكام ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ﴾ يعنى بما يخالفهم أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع ﴿ فريقا كذبوا ﴾

(من آمن) يعنى من اليهود والصابئين والنصارى (بالله واليوم (قا و خا ٤١ نى) الآخر) بالبعث بعد الموت وتاب اليهودى من اليهودية والصابئ من الصابئة والنصارى من النصرانية (وعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلهم من العذاب (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم ويقال فلا خوف عليهم اذا خاف الناس ولاهم يحزنون اذا حزن الناس ويقال فلا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولاهم يحزنون اذا أطبقت النار (لقد أخذنا ميثاق) اقرار (بنى اسرائيل) فى التوراة فى محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يشركوا بالله (وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) بما لا يوافق قلوبهم ودينهم اليهودية (فريقا كذبوا)

وفريقـا يقتلون) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا وفريقـا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود و النصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيي (وحسبوا أن لاتكون) حمزة وعلي وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لاتكون فخففت ان وحذف ضمير الشأن و نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أي وحسب بنو اسرائيل انهم لايصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد مايشتمل عليه صلة ان وأن من المسند والمسند اليه مسد مفعولي حسب (فعموا وصموا) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا

وفريقا يقتلون ﴾ جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسلا منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي ﴿ وحسبوا أن لاتكون فتنة ﴾ أي وحسب بنو اسرائيل ان لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمر وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان أن هي المخففة من الثقيلة واصله انه لاتكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان أو أن بما في حيزها ساد مسد مفعوليه ﴿ فعموا ﴾ عن الدين أو الدلائل والهدى ﴿ وصموا ﴾ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ أي ثم تابوا فتاب الله عليهم ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما

يعني من الرسل الذين جاءتهم ﴿ وفريقا يقتلون ﴾ يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيي عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره * قوله عز وجل ﴿ وحسبوا ﴾ يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء ﴿ أن لاتكون فتنة ﴾ يعني ان لايعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لايكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة ﴿ فعموا وصموا ﴾ يعني أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ يعني في زمان زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيي وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد

يقول كذبوا فريقا عيسى ومحمدا صلوات الله عليهما (وفريقا يقتلون) يقول وفريقا قتلوا زكريا ويحيي (وحسبوا ألا تكون فتنة) بلية ويقال ان لاتفسد قلوبهم بقتل الانبياء وتكذيبهم (فعموا) عن الهدى (وصموا) عن الحق في القلب وكفروا ﴿ صلى الله ﴾ بالله ثم آمنوا وتابوا من الكفر (ثم تاب الله عليهم) تجاوز الله عنهم (ثم عموا) عن الهدى أيضا (وصموا) عن الحق

كثير منهم) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله) فى عبادته غير الله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه (ومأواه النار) أى مرجعه (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى ثالث ثلاثة

على ان الله عماهم وصمهم أى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم ﴿ كثير منهم ﴾ بدل من الضمير أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم وفق اعمالهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ أى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم ﴿ انه من يشرك بالله ﴾ أى فى عبادته أو فيما يختص به من الصفات والافعال ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ﴿ ومأواه النار ﴾ فانها المعدة للمشركين ﴿ وما للظالمين من انصار ﴾ أى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ﴾ أى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله

صلى الله عليه وسلم ﴿ كثير منهم ﴾ من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ لما حكى الله عن اليهود ماحكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وماهم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿ وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبنى اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ماهو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه ﴿ انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه ﴿ ومأواه النار ﴾ يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة ﴿ وما للظالمين ﴾ يعنى وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ من انصار ﴾ يعنى مالهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة * قوله عز وجل ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ﴾ وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير

وكفروا (كثير منهم) وماتوا على ذلك (والله بصير بما يعملون) فى الكفر من قتل الانبياء وتكذيبهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهو مقالة النسطورية (وقال المسيح) ابن مريم (يابنى اسرائيل اعبدوا الله) وحدوا الله (ربى وربكم انه من يشرك بالله) ويمت عليه (فقد حرم الله عليه الجنة) ان يدخلها (ومأواه) مصيره (النار وما للظالمين) للمشركين (من أنصار) من مانع مما يراد بهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهى مقالة المرقوسية يقول أب وابن

آلهة والاشكال انه تعالى قال فى الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال فى الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله ربما يتجلى فى بعض الازمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لايقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن فى قوله (وما من اله الا اله واحد) للاستغراق أى وما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لاثانى له وهو الله وحده لاشريك له وفى قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان فى اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب

النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد ﴿ ومامن اله الا اله واحد ﴾ ومافى الموجودات ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق ﴿ وان لم ينتهوا عما يقولون ﴾ ولم يوحدوا ﴿ ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ﴾ أى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر أو ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه

قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه مامن اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى فى سورة المجادلة مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لايكون ثلاثة ولا ترى فى الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا اخبرا عنهم فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى ﴿ ومامن اله الا اله واحد ﴾ يعنى انه ليس فى الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لاثانى له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى ﴿ وان لم ينتهوا عما يقولون ﴾ يعنى وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ﴿ ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ يعنى ليصيبن الذين أقاموا على

وروح القدس (ومامن اله) لاهل السموات والارض (الا اله واحد) لاولد له ولا شريك له (وان لم ينتهوا عما يقولون) يقول وان لم (هذا)
يتوبوا من مقالتهم يعنى اليهود والنصارى (ليمسن) ليصيبن (الذين كفروا منهم عذاب أليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم

(أفـلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) الايتوبون بعدهذه الشهادة المكررة عليهم بالكفروهذاالوعيدالشديد مماهم عليه وفيـه تعجيب من اصرارهم (والله غفوررحيم) يغفرلهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ماالمسيح ابن مريم الارسول) فيه نفي الالوهية عنه (قدخلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ماهو الارسـول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الهابل الله أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصـا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا الا كبعض النساء المصدقات للانبيـاء المؤمنـات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعـالى وصـدقت بكلمات ربها و كتبه ثم أبعدهما عما نسب اليهما بقـوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصـنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر

بقوله ﴿ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ﴾ أي فلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحـاد والحلول بعدهذا التقرير والتهديد ﴿ والله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ويمنحهم من فضـله ان تابوا وفي هذا الاستـفهام تعجب من أصرارهم ﴿ ماالمسيح ابن مريم الا رسول قدخلت من قبله الرسل ﴾ أي ماهو الارسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها فان أحيي الموتى على يده فقد أحيي العصـا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير أب فقـد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب ﴿ وأمه صديقة ﴾ كسائر النسـاء اللاتي يلازمن الصدق أو يصدقن الانبياء ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ ويفتقران اليه افتقـار الحيوانات بين اولا اقصى مالهما من الكمال ودل على انه لايوجب لهمـا الوهية لان كثيرا من النـاس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ماينـافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبـات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهمـا مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال ﴿ انظر

هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عـذاب وجيع في الآخرة وانمـا قال تعـالى منهم لعلمه السـابق ان من النصارى من سيئومن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سـائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى ﴿ أفلا يتوبون الى الله ﴾ يعني من قولهم بالتثليث ﴿ ويستغفرونه ﴾ وهذا استفهام بمعنى الامر أي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعـالى يغفر الذنوب ﴿ والله غفور ﴾ يعني لمن اسـتغفره وتاب اليه ﴿ رحيم ﴾ به وبسـائر خلقه ❁ قوله عزوجل ﴿ ماالمسيح ابن مريم الا رسـول قد خلت من قبله الرسـل ﴾ يعني المسيح رسول من الله عزوجل ليس باله كما ان الرسـل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما أن الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم ﴿ وأمه صديقة ﴾ يعني انهـا كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانهـا صـدقت بآيات ربهـا وكتبه ❁ وقوله عزوجل ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولايعيش الابه وقيل معناه انه لوكان آلها كما يزعمون لدفع عن نفسـه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هـذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر أن يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى ﴿ انظر ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي انظر

(أفلا يتوبون الى الله) من مقالتهم (ويستغفرونه) يوحدونه (والله غفور) لمن تاب وآمن (رحيم) لمن مات على التوبة (ماالمسيح بن مريم الارسول) مرسل (قدخلت) قدمضت (من قبله الرسل وأمه صديقة) شبه نبي (كانا يأكلان الطعام) كاناعبدين يأكلان الطعام (انظر) يامحمد

كيف نبين لهم الآيات) أى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام أى شيأ لا يستطيع أن يضركم بمثل مايضركم به الله من البلاء والمصائب فى الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ماينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل مايستطيعه البشر من المضار

والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شئ لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع ا) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ماتقولونه ويعلم ماتعتقدونه (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى أسلافكم وأئمتكم الذين

كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين أى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب ﴿ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ﴾ يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ماهو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع ﴿ والله هو السميع العليم ﴾ بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿ قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ﴾ أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه الصلاة والسلام الى ان تدعوا له الالوهية أو تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ﴿ ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾ يعنى اسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا

يا محمد ﴿ كيف نبين لهم الآيات ﴾ يعنى الدالة على بطلان قولهم ﴿ ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ أى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله * قوله عز وجل ﴿ قل أتعبدون من دون الله ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله ﴿ مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ﴾ يعنى لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ماينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لامن تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها ﴿ والله هو السميع العليم ﴾ يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم * قوله عز وجل ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان فى الدين ﴿ غير الحق ﴾ يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الههم وكلا الغلوين مذموم ﴿ ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾

(كيف نبين لهم الآيات) العلامات بان عيسى ومريم لم يكونا بالهين (ثم انظر) يا محمد (انى يؤفكون) كيف يصرفون بالكذب (قل) لهم يا محمد (اتعبدون من دون الله) الاصنام (مالا يملك لكم (الا) ضرا) مالا يقدر لكم على دفع الضرر فى الدنيا ولا فى الآخرة (ولا نفعا) يقول ولا جر النفع فى الدنيا والآخرة (والله هو السميع) لمقالتكم فى عيسى وأمه (العليم) بعقوبتكم (قل يا أهل الكتاب) يعنى أهل نجران (لا تغلوا فى دينكم) لا تشددوا فى دينكم (غير الحق) فانه ليس بحق (ولا تتبعوا أهواء قوم) دين قوم ومقالة قوم (قد ضلوا) عن الهدى (من قبل) من قبلكم وهم

كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) قيل ان أهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه

قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى شريعتهم ﴿ وأضلوا كثيرا ﴾ شايعهم على بدعهم وضلالهم ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع ﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان أهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله على لسان داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ أى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه

الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبى ما ذكر الله تعالى الهوى فى القرآن الا وذمه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب فى قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة ﴿ وأضلوا كثيرا ﴾ يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ يعنى واخطؤا عن قصد طريق الحق * قوله عز وجل ﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود ﴾ قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتى قصتهم فى سورة الاعراف ﴿ وعيسى ابن مريم ﴾ يعنى وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بانهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ أى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن

الرؤساء السيد والعاقب (وأضلوا كثيرا) عن الحق والهدى (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد طريق الهدى (لعن) مسخ (الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) بدعاء داود صاروا قردة (وعيسى بن مريم) وبدعاء عيسى بن مريم صاروا خنازير (ذلك) اللعنة (بما عصوا) فى السبت وأكل المائدة (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال المعاصى (كانوا لا يتناهون) لا يتوبون (عن منكر) عن قبيح (فعلوه)

بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك
بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على أن ترك النهى عن المنكر من

العظائم فياحسرة على المسلمين في اعراضهم عنه (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم) لبئس شيأ قدموه لانفسهم سخط الله عليهم أي موجب سخط الله (وفي العذاب هم خالدون) أي في جهنم (ولو كانوا يؤمنون بالله) ايمانا خالصا بلا نفاق (والنبي) أي محمد صلى الله عليه وسلم

من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم ﴿ ترى كثيرا منهم ﴾ من اهل الكتاب ﴿ يتولون الذين كفروا ﴾ يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ لبئس ما قدمت لهم انفسهم ﴾ أى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ﴿ ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط والخلود ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي

معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ اللام في لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فأنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله أكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشئ * قوله عز وجل ﴿ ترى كثيرا منهم ﴾ يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ يتولون الذين كفروا ﴾ يعنى يوالون المشركين من أهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود ﴿ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ﴾ يعنى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ﴿ أن سخط الله عليهم ﴾ يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار ﴿ وفي العذاب هم خالدون ﴾ يعنى في الآخرة ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﴾ يعنى ولو كان

لبئس ما كانوا يفعلون) أى ما كانوا يفعلون من المعصية والاعتداء (ترى كثيرا منهم) من المنافقين (يتولون) في العون والنصرة (الذين كفروا) كعبا وأصحابه ويقال ترى كثيرا منهم من اليهودية كعبا وأصحابه يتولون الذين كفروا كفار أهل مكة اباسفيان وأصحابه (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) في اليهودية والنفاق (ان سخط) بأن سخط (الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) لا يموتون ولا يخرجون (ولو كانوا) يعنى المنافقين (هؤلاء) (يؤمنون بالله) يصدقون بايمانهم بالله (والنبي) محمد صلى الله عليه وسلم

(وماأنزل اليه) يعنى القرآن (ماالتخـذوهم أوليـاء) مااتخذوا المشركين أولياء يعـنى انموالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسـقون) مستمرون فى كفرهم ونفاقهم أومعناه ولوكان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وماأنزل اليه يعنى التوراة مااتخذوا المشركين أولياء كالم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصـلا (لتجدن أشـدالناس عـداوة للذين آمنواالیهود) هومفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز (والذين أشركوا) عطف عليهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اللام تتعلق بعـداوة ومـودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين

يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد بنبينا عليه السلام ﴿ وماانزل اليه ماالتخذوهم أولياء ﴾ اذالايمان يمنع ذلك ﴿ ولكن كثيرامنهم فاسقون ﴾ خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم ﴿ لتجدن أشدالناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ لشدة شكيتهم وتضـاعف كفرهم وانهما كهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ﴿ ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصـارى ﴾ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم

هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليـه وسلم وانه نبى مبعوث الى كافة الخلق ﴿ وماأنزل اليه ﴾ يعنى ويؤمنون بالقرآن الذى أنزل اليه من ربه ﴿ ماالتخذوهم أولياء ﴾ يعنى مااتخذوا الكفـار أنصـارا وأعوانا من دون المؤمنين ﴿ ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ يعنى ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وانمـا قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبدالله بن سلام وأصحـابه * قوله عزوجل ﴿ لتجدن أشدالناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ اللام فى قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يامحمد انك لتجدن أشدالناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا وصف الله شـدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام فى العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انانصارى ﴾ ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فى الدين بأى طريق كان مثل القتل ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فأن الايذاء فى مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصـارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العدواة لغيره وأما النصـارى فأن فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فأنه

(وما أنزل اليه) يعنى القرآن (ما اتخذوهم) يعنى اليهود (أوليـاء) فى العون والنصرة (ولكن كثيرامنهم) من أهل الكتاب (فاسقون) منافقون ويقال ولو كانوا يعنى اليهود يؤمنـون بالله يقرون بتوحيد الله والنبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليه يعنى القرآن ما اتخذوهم يعنى ابا سـفيان واصحابه اولياء فى العون والنصرة ولكن كثيرا منهم من اهل الكتـاب فاسـقون كافرون ثم بين عداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال (لتجدن) يامحمد (أشدالناس عداوة) واقبح قولا (للذين آمنوا) محمد واصحابه (قا و خا ٤٢ نى) (اليهود) يعنى يهود بنى قريظـة والنضير وفـدك وخيبر (والذين اشركوا) واشد الذين اشركوا مشركوا اهل مكة (ولتجدن) يا محمد (أقربهم مودة) صلة والين قولا (للذين آمنـوا) محمـد واصحـابه (الذين قالوا انا نصارى) يعـنى النجاشى واصحابه وكانوا اثنين وثلاثين رجـلا ويقال اربعون رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام بحيرا الراهب واصحابه ابرهة واشرف وادريس وتميم

(قوله شكيمتهم يقال فلان شديد الشكيمة اذا كان لاينقاد لاحد واصل معنى الشكيمة الحديدة التى توضع فى فم الفرس فانه اذا كان حرونا جعلت غليظة شديدة لتضبطه فلذا استعير للحمية والانفة الخ من الشهاب

على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ﴿ ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ﴾ عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولايتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت من كافر

لايحسد أحدا ولايعاديه بل يكون لين العريكة فى طلب الحق فلهذا قال تعالى ﴿ ذلك بأن منهم ﴾ يعنى من النصارى ﴿ قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ﴾ ولم يرد به كل النصارى فأن معظم النصارى فى عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشى وأصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعنى العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فأن قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله فى مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولايلزم من هذا القدر أن يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به واتبعوه * فأن قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود وأقبح فأن النصارى ينازعون فى الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون فى النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والاول أقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى * قلت انما هو مدح فى مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه أصحمة وأصحابه الذين أسلموا معه

﴿ ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين فى قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من أفتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه ولم يقدر أن يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد أمر أصحابه بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لايظلم ولايظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبدالاسد وزوجته

(ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعبادا (وأنهم لايستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شئ وأهداء الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى

وتمام ودريدوا عن (ذلك) المودة (بأن منهم قسيسين) متعبدين محلقة اوساط رؤسهم (ورهبانا) اصحاب الصوامع علماءهم (وأنهم لايستكبرون) عن الايمان بمحمد والقرآن

أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة
وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار
الى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون
فكان جميع من هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى
النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى
النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل
سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه
ليفسدوا عليك قومك فأحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك
ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا
يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال
الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي
تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية أهل الجنة
وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي مايقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي
طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول
في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله مازاد صاحبكم
على ماقال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل
تعرفون شيأ مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك
قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق
فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون الى آخر الآيتين
فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم بارضى يعني أنكم آمنون فرجع عمرو
وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك في سنة ست
من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية
الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات
عنها فأرسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت لخالد
بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه أربعمائة
دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأرسل اليها بجميع الصداق
على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير ووهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها
وقالت ان الملك أمرني ان لا آخذ منك شيأ وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد
صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام
قالت نعم فقالت قد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وأنزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل لايجدع أنفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه أزهى في ستين رجلا من أصحابه وكتب اليه يارسول الله انى أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابنى أزهى وان شئت ان آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا أربعين من نصارى نجران من بنى الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من أهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون يعني لايتعظمون عن الايمان والاذعان للحق

(واذا سمعوا ماأنزل الى الرسـول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عنداستماع القرآن كاروى عن النجاشى انه قال لجعفر بن أبى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هـل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سـورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حـديث موسى فبكى النجـاشى وكذلك فعـل قومه الذين وفدوا عـلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سـبعون رجلا حين قرأ عليهم سـورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتـلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع مافيـه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغـة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كانها تفيض بانفسها أى تسيل من أجل البكاء ومن فى مما عرفوا الابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله ومن من الحق لتبيين الموصول الذى هـو ماعرفـوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفـاعل فى عرفوا (ربنا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشـاء الايمـان والدخول

(واذا سمعـوا ما أنزل الى الرسول) قراءة ما انزل الى الرسول من جعفر بن ابى طالب (ترى أعينهم تفيض) تسـيل (من الدمع ممـا عرفوا من الحق) من صفة محمد صـلى الله عليه وسلم ونعته فى كتابهم (يقولون ربنا) ياربنا (آمنا) بك وبكتابك وبرسولك محمد

الجزء السابع

سبحانك ما عرفناك حق معرفتك

﴿ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسـول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ عطف على لايستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصاب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بأنفسها ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله ﴿ يقولون ربنا آمنا ﴾

قوله عز وجل ﴿ واذا سمعوا ماأنزل الى الرسل ﴾ يعنى واذا سمعوا القرآن الذى أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه مافيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد النجاشى وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبى طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ يعنى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق ﴿ يقولون ﴾ يعنى القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشى ﴿ ربنا آمنا ﴾ يعنى بالقرآن وشهدنا انه حق

فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم الشهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك (ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون

بذلك أو بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ من الذين شهدوا بانه حق أو بنبوته أو من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل أى وأى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله أى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسوله فأن الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها أو نؤمن ﴿ فأثابهم الله بما قالوا ﴾ أى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أى معتقده ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ الذين احسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه وفدوا

وصدق ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ونطمع ﴾ يعنى ونرجو بذلك الايمان ﴿ أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ فأثابهم الله بما قالوا ﴾ يعنى بالتوحيد الذى قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ يعنى المؤمنين الموحدين

(فاكتبنا مع الشاهدين) فاجعلنا من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلامهم قومهم بذلك فقالوا (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) بقول وبما جاءنا من الحق من الكتاب والرسول (ونطمع أن يدخلنا ربنا) فى الآخرة الجنة (مع القوم الصالحين) مع صالحى امة محمد صلى الله عليه وسلم (فأثابهم الله) فأوجب الله لهم (بما قالوا) بتوحيدهم بالطوع (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار الماء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وذلك) الذى ذكرت (جزاء المحسنين) الموحدين ويقال المحسنين بالقول والفعل

بمجرد القول ايمانا وقدقال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين نفى الايمان عنهم
مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء
والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد فى حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم
حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا
اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا
طيبات ما أحل الله لكم)
ماطاب ولذ من الحلال ومعنى
لاتحرموا لاتمنعوها أنفسكم
كمنع التحريم أولا تقولوا
حرمناها على أنفسنا مبالغة
منكم فى العزم على تركها
تزهدا منكم وتقشفا روى
ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الدجاج
والفالوذ وكان يعجبه الحلواء
والعسل وقال ان المؤمن
حلوى يحب الحلواء
وعن الحسن انه دعى الى
طعام ومعه فرقد السبخى
وأصحابه فقعدوا على المائدة
وعليها الالوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك
فاعتزل فرقد ناحية فسأل
الحسن أهو صائم قالوا
لا ولكنه يكره هذه الالوان
فاقبل الحسن عليه وقال
يا فريقد أترى لعاب النحل
بلباب البر بخالص السمن
يعيبه مسلم وعنه انه قيل
له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد (وما)

على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا ﴿ والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ عطف التكذيب بآيات الله على الكفر
وهو ضرب منه لأن القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ﴾ أى ماطاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد

المخلصين فى ايمانهم ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى
أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه
وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب
فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ * قوله عز وجل
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ قال علماء التفسير ان النبى
صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة الناس وبكوا فاجتمع عشرة
من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله
ابن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود
وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح
ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون
اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن
زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يا رسول الله
ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء
عثمان أخبرته بذلك فاتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله

(والذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن (أولئك أصحاب الجحيم) أهل النار (يا أيها الذين آمنوا لا
تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) نزلت هذه الآية فى عشرة نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر الصديق
وعمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجمحى ومقداد بن الاسود الكندى وسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة وسلمان
الفارسى وأبو ذر وعمار بن ياسر توافقوا فى بيت عثمان بن مظعون ان لا يأكلوا ولا يشربوا الاقوتا ولا يأووا بيتا ولا
يأتوا النساء ولا يأكلون لحما ولا دسما وان يجبوا أنفسهم فنهاهم الله عن ذلك ونزلت فيهم هذه الآية يا أيها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم من الطعام والشراب والجماع

الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراما فقال ﴿ ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين ﴾ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش وان لا يأكلوا اللحمَ والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فأنى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ أى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول

وما أردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فانى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها ۞ قوله عز وجل ﴿ ولا تعتدوا ﴾ يعنى ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات ﴿ أن الله لا يحب المعتدين ﴾ يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام ۞ قوله عز وجل ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ يعنى وكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذى وانمى فاما الجامد كالطين والتراب وما

البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل أو تحريم أو ولا تعتدوا حدود ما أحل لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله

(ولا تعتدوا) بقطع المذاكير (ان الله لا يحب المعتدين) من الحلال الى الحرام فى المثلة (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) من الطعام والشراب

(واتقواالله) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو فى اليمين الساقط الذى لايتعلق به حكم وهو ن يحلف على شئ يرى أنه كذلك وليس كاظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف أيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله مايجرى على اللسان بلاقصد (ولكن يؤاحذكم بماعقدتم الأيمان) أى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفى غير حفص والعقد العزم على الوطء وذالا يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم أوبنكث ماعقدتم فحذف المضاف

أو العائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لاوالله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ماعقدتم فحذف للعلم به * قرا حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم

لايغذى فمكروه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياسول الله انى اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين وكلوا ممارزقكم الله حلالا طيبا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل * وله عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ماكان الذراع أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لايجد اللحم الاغبا وكان يعجل اليه الذراع لانه أعجلها نضجا أخرجه الترمذى * قوله عزوجل ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ هذا تأكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ماأمر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على أن الله عزوجل قدتكفل برزق كل أحد من عباده فانه تعالى لولم يتكفل بذلك لماقال وكلوا ممارزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب أن لايبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ماوعده الله وتكفل به فانه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد * قوله عزوجل ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزلت ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم قالوا يارسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا قدحلفوا على مااتفقوا عليه فانزل الله عزوجل هذه الآية لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة * قوله عزوجل ﴿ ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان ﴾ يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بماعقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند

(واتقواالله الذى أنتم به مؤمنون) فى المثلة وتحريم ما احل الله لكم (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) بكفارة ايمانكم باللغو (ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الأيمان) بضمير قلوبكم

(قوله والمعنى ولكن يؤاخذكم بماعقدتم اذاحنثتم) المراد بالمؤاخذة المؤاخذة فى الدنيا وهى الاثم والكفارة لان فيها عقوبة لا فى الآخرة حتى يردان المؤاخذة ليست فى قت الحنث فالوجيه هو الثانى وتعقيد الايمان شامل للغموس عند الشافعية وفيه كفارة عندهم واما عندنا فلا كفارة ولا حنث فيقدر اذا حنثتم فكأن التقدرين اشارة الى المذهبين وقراءة التخفيف ظاهرة انتهى كفاية

وهو من فاعل بمعنى فعل ﴿ فكفارته ﴾ فكفارة نكثه أى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير ﴿ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ من اقصده فى النوع أو القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون * وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع أهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة ﴿ أو كسوتهم ﴾ عطف على اطعام أو من أوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص أورداء أوازار * وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة أو كاسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا تؤاسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الأوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره أو اطعامهم كاسوتهم ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ أو اعتاق انسان وشرط الشافعى رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب

السامع ﴿ فكفارته ﴾ يعنى فكفارة أيمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم ﴿ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ يعنى من أقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل فى أداء الكفارة وقيل أراد بالاوسط فى القيمة فلا يكون غاليا من أعلى الموجود ولا خسيس الثمن من أردأ الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل أراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله أوسط فهو أفضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله ﴿ أو كسوتهم ﴾ هو معطوف على محل أوسط أى كما تطعمون المساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم فكذلك فاكسوهم من أوسط الكسوة ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ يعنى عتق رقبة والمراد جملة الشخص

فصل فى بيان حكم الآية { وفيه مسائل } المسئلة الاولى

فى بيان الكفارة وهى أربعة أنواع ﴿ النوع الاول ﴾ من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة ان أطعم من الحنطة فنصف صاع وان أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط

(فكفارته) أى و كفارة نكثه أو فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها (أطعام عشرة مساكين) هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين (من أوسط ما تطعمون أهليكم) أى غداء وعشاء من بر اذ الاوسع ثلاث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر أو شعير (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط ووجهه ان من أوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود فى الكلام وهى ثوب يغطى العورة وعن ابن عمر رضى الله عنهما ازار وقيص ورداء (أو تحرير رقبة) مؤمنة أو كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعى رحمه الله الايمان حملا للمطلق

بالايمان (فكفارته) كفارة اليمين التى ليست بلغو (اطعام عشرة مساكين من أوسط) من أعدل (ما تطعمون أهليكم) من الخبز والادم تغدونهم وتعشونهم (أو كسوتهم) أو كسوة عشرة مساكين بقدر ما يوارى به عورتهم ملحفة أو قميصا أو ازارا (أو تحرير رقبة) كيفما

أحدى الخصال الثلاث مطلقا ويخير المكلف فى التعيين ﴿ فمن لم يجد ﴾ أى واحدا منها ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط فيه أبو حنيفة رحمه الله التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذلم تثبت كتابا

الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولايجوز اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولايجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة أيام ﴿النوع الثانى﴾ من الكفارات الكسوة واختلف العلماء فى قدرها فذهب قوم الى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار أو رداء أو قميص او عمامة أو سراويل أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ماتجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى مايجزى فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال أبو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة ﴿النوع الثالث﴾ من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولايجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع يشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق فى الكفارة مكاتبا وأم ولد أو عبدا اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لايجزى فى اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوزوا عتق القريب فى الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لاتضر بالعمل وعند أبى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولايجوز عتق مقطوع الاذنين فى الكفارة ﴿النوع الرابع﴾ من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى ﴿فمن لم يجد﴾ يعنى الكفارة ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ماتجب فيه الزكاة فجعل من لازكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير

على المقيد فى كفارة القتل ومعنى أو التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) أحداهما (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبى وابن مسعود

يكون (فمن لم يجد) من هؤلاء الثالثة شيأ (فصيام ثلاثة أيام) تتابعا

ولم ترو سنة ﴿ ذلك ﴾ أي المذكور ﴿ كفارة أيمانكم اذا حلفتم ﴾ وحنثتم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بان تبروا فيها

ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وأحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي

المسئلة الثانية

كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وان شاء كسا وان شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة

المسئلة الثالثة

لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي أو عبد او غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز

المسئلة الرابعة

اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان أتتك عن مسئلة وكلت اليها وان أتتك من غير مسئلة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا أن الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام أو الكسوة أو العتق وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث * قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم عند العجز ﴿ كفارة أيمانكم اذا حلفتم ﴾ يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ يعني قللوا أيمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر

* قليل الألايا حافظ ليمينه * وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روى عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا أحلف على يمين

كذلك (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا

(ذلك) الذي ذكرت (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) ثم حنثتم (واحفظوا أيمانكم) لفظ أيمانكم وكفارة أيمانكم

(كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أى القمار (والانصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهى القداح التى مرت (رجس) نجس أو خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكان عمله والضمير فى (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس أو الى عمل الشيطان أو الى المذكور أو الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس (لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر

ما استطعتم ولم يفت بها خير وأو بان تكفروها اذا حنثتم ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك البيان ﴿يبين الله لكم آياته﴾ اعلام شرائعه ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمة التعليم أو نعمة الواجب شكرها فأن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب﴾ أى الاصنام التى نصبت للعبادة ﴿والازلام﴾ سبق تفسيرها فى أول السورة ﴿رجس﴾ قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أو لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطى الخمر والميسر ﴿من عمل الشيطان﴾ لانه مسبب عن تسويله وتزيينه ﴿فاجتنبوه﴾ الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطى ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه سبحانه وتعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر

فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير أخرجاه فى الصحيحين ❊ قوله عز وجل ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ يعنى كما بين لكم كفارة أيمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه فى أمر دينكم ﴿لعلكم تشكرون﴾ يعنى نعمه التى أنعم بها عليكم أن بين لكم آياته ومعالم شريعته ❊ قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس﴾ لما انزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقذر ﴿من عمل الشيطان﴾ يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه ﴿فاجتنبوه﴾ يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لأنه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس ❊ قوله عز وجل ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر﴾ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية

(كذلك) هكذا (يبين الله لكم آياته) أمره ونهيه كما بين كفارة اليمين (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا وبيانه فى الامر والنهى (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر) الشراب الذى خامر العقل (والميسر) القمار كله (والانصاب) عبادة الاوثان (والازلام) استعمال القداح (رجس من عمل الشيطان) حرام بامر الشيطان ووسوسته (فاجتنبوه) فاتركوه (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخطة والعذاب وتأمنوا فى الآخرة (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر) اذا اصرتم تشاوى (والميسر) وهو القمار اذا ذهب مالكم

{فروى}

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة﴾ وانما خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث

فروى أبو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبوداود والنسائي وروى مصعب بن سعيد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل أن تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزره فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان أخي وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم مافيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ﴾ لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة * فأن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ذكر مايتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر ومايؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم افردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لامباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم انهما

(ويصدكم عن ذكر الله) يقول ويصرفكم الخمر عن طاعة الله (وعن الصلوة) يقول يصدكم عن الصلاة

مقصود بالذكر (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ماينهى به كأنه قيل قدتلي عليكم مافيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فأن توليتم) عن ذلك (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ماكلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيأ من الخمر والميسر قبل التحريم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أى

على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ فيما أمرا به ﴿ واحذروا ﴾ ما نهيا عنه أو مخالفتهما ﴿ فأن توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ مما لم يحرم عليهم لقوله

الاولى ثم أفرد الخمر والميسر فى هذه الآية * قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهى عن شرب الخمر والميسر لاجرم أفردهما بالذكر فى آخر الآية والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ لفظه استفهام ومعناه الامر أى انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الامور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفى هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل أنتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجاه فى الصحيحين وزاد الترمذى وأبو داود ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد لن يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد أهل النار أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وأخرجه النسائى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه أبو داود * قوله عز وجل ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ واحذروا ﴾ أى واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ فأن توليتم ﴾ يعنى فأن أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط * قوله عز وجل ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية عن البراء بن عازب قال مات

الخمس (فهل أنتم منتهون) أفلا تنتهون (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى تحريم الخمر (واحذروا) فى تحليلها وشربها (فأن توليتم) عن طاعتهما فى تحريم الخمر (فاعلموا أنما على رسولنا) محمد (البلاغ) التبليغ عن الله (المبين) بلغة تعلمونها ثم نزل فى رجال من المهاجرين والانصار لقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون حال الذين ماتوا منا على شرب الخمر قبل التحريم فأنزل الله فيهم (ليس على الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (جناح) مأثم (فيما طعموا) (ناس)

﴿ اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ﴿ ثم اتقوا ﴾ ماحرم عليهم بعد كالخمر ﴿ وآمنوا ﴾ بتحريمه ﴿ ثم اتقوا ﴾ ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى ﴿ وأحسنوا ﴾ وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ماتيقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ فلا يؤاخذهم

ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالوا يارسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أى لاحرج ولااثم عليهم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار فى وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولاماء ولانوما قال الشاعر

فأن شئت حرمت النساء سواكم * وأن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ يعنى اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ماحرم الله عليهم ﴿ وآمنوا ﴾ يعنى بالله ورسوله ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أى وازدادوا من عمل الصالحات ﴿ ثم اتقوا وآمنوا ﴾ يعنى اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لاجناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم أمروا باتقائها والايمان بتحريمها ﴿ ثم اتقوا ﴾ يعنى ماحرم عليهم فى المستقبل ﴿ وأحسنوا ﴾ يعنى العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثانى المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ يعنى انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبدالله بن مسعود رضى الله

شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (اذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) بعد الايمان (ثم اتقوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وآمنوا) بتحريمهما (ثم اتقوا) سائر المحرمات أو الاول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات (وأحسنوا) الى الناس (والله يحب المحسنين) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بايديهم وطعنا برماحهم نزل

شربوا وهذا فيمن شرب من الاحياء والاموات قبل التحريم (اذا ما اتقوا) الكفر والشرك والفواحش (وآمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (ثم اتقوا) يعنى الاحياء تحليل الخمر بعد تحريمها (وآمنوا) بتحريمها (ثم اتقوا) شربها (وأحسنوا) تركوا شربها (والله يحب المحسنين) فى ترك شربها وهذا فيمن شرب من الاحياء قبل البيان ثم نزل فى تحريم الصيد

ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لاظهار ماعلم من العبد على ماعلم لالعلم مالم يعلم ومن للتبعيض اذلا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لاعلى علمه فيه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) قلل فى قوله بشئ من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشئ

بشئ وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ﴾ نزلت فى عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو أشد منه ﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لايخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿ فله عذاب اليم ﴾ فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه

عنه قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى أنت منهم ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعنى من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد ﴾ نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فأبتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام فى ليبلونكم لام القسم أى ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشئ من الصيد يعنى بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد فى حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشئ من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيأ فى حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير * قوله عز وجل ﴿ تناله أيديكم ﴾ يعنى الفرخ والبيض ومالا يقدر أن يفر من صغار الصيد ﴿ ورماحكم ﴾ يعنى كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بايديهم فنهاهم الله أن يقربوه ﴿ ليعلم الله ﴾ أى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله ﴿ من يخافه بالغيب ﴾ يعنى من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد فى حالة الاحرام شيأ بعد النهى ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ يعنى فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى ﴿ فله عذاب أليم ﴾ يعنى فى الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه

عام الحديبية فقال (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ليبلونكم الله بشئ من الصيد) يقول ليختبرنكم بصيد البر (تناله أيديكم) الى فراخه وبيضه (ورماحكم) الى الوحش عام الحديبية (ليعلم الله) لكى يرى الله (من يخافه بالغيب) فيترك الصيد (فمن اعتدى) متعمدا (بعد ذلك) بعدما حكم عليه بالجزاء وبين (فله عذاب اليم) ضرب وجيع يملأ ظهره وبطنه

(وهذا)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ أى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية أخرى الحية بدل العقرب مع مافيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى أولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ﴿ ومن قتله منكم متعمدا ﴾ ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فأن اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه لان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر

وهذا قول أكثر المفسرين فى معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنو الاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ جمع حرام أى لاتقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا فى الحرم نزلت هذه الآية فى أبى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا فى الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعى وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أولم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفى رواية خمس لاجناح على من قتلهن فى الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن فى الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وذكر نحوه وفى رواية النسائى قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعى عليها جميع مالا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل فى معنى السباع ولا فى معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأى الى وجوب الجزاء فى كل مالا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة فى الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله عز وجل ﴿ ومن قتله منكم متعمدا ﴾ قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء

(يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد) أى المصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) أى محرمون جمع حرام كردح فى جميع رداح فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أى ذاكرا لاحرامه أو عالما أن مايقتله مما يحرم قتله عليه فأن قتله ناسيا لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد فى الآية مع أن محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة

ضربا وجيعا (يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) أو فى الحرم (ومن قتله منكم متعمدا) نزلت هذه الآية فى أبى اليسر بن عمرو قتل صيدا متعمدا بقتله ناسيا لاحرامه فأنزل الله فيه ومن قتله منكم متعمدا بقتله ناسيا

برمحه فقتله فنزلت ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أى فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم و عليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فأن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وانما تكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ماقتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء أو فعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ماقتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى رحمهما الله والقيمة عند ابى حنيفة رحمه الله وقال يقوم الصيد حيث صيد فأن بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين ان يهدى ماقيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام

أما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس رضى الله عنهما والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما اذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمى فاصابه فهو كالعمد فى وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهرى نزل القرآن بالعمد وجرت السنة فى الخطأ يعنى ألحقت المخطئ بالمتعمد فى وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى فى الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لا يؤخذ به ﴿ فجزاء مثل ماقتل من النعم ﴾ يعنى فعليه جزاء من النعم مثل ماقتل والمثل والشبه واحد واختلفوا فى هذا المماثلة أهى بالخلقة أم بالقيمة والذى عليه جهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أن المماثلة فى الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ومالا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب فى قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة فى هذه الصورة فوجب أن يكون فى سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد وأجيب عنه بان حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم تمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعى ومن وافقه فى اعتبار المماثلة بالخلقة أن الصحابة حكموا فى بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا فى النعامة ببدنة وهى لا تساوى بدنة وحكموا فى حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وكذا فى الضبع بكبش فدل ذلك على أنهم انما نظروا الى مايقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب فى الظبى شاة وفى الارنب سخل وفى الضب سخلة وفى اليربوع جفرة ويجب فى الحمامة وكل ماعب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما سواء من الطير ففيه القيمة فى المكان الذى أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس رضى الله عنهما انهما حكما فى حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الارنب بعناق وفى اليربوع بجفرة * قوله عز وجل

بالخطأ (فجزاء مثل ماقتل) كوفى أى فعليه جزاء يماثل ماقتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعى رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ماقتل أى فعليه أن يجزى مثل ماقتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير فى قتل اذا المقتول يكون من النعم

لاحرامه (فجزاء مثل ما قتل من النعم

أوصفة لجزاء (يحكم به) بمثل ماقتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق فى الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولان القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم بينا فى تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ماقتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين ان يجزى بالهدى أو يكفر بالطعام أو الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبو عما فى الآية ألا ترى الى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الهاء فى به أى يحكم به فى حال الهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم (أو كفارة) معطوف على جزاء (طعام) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام أو كفارة طعام على الاضافة مدنى وشامى وهذه الاضافة لتبيين المضاف كأنه قيل أو كفارة من طعام (مساكين) كما تقول خاتم من فضة أى خاتم من فضة (أو عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ما عادل الشئ من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان أريد ان قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح

والصوم واللفظ للاول أوفق ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره أو منه اذا أضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس أو الامام ﴿ هديا ﴾ حال من الهاء فى به أو من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة أو بدل من مثل باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه ﴿ بالغ الكعبة ﴾ وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمه وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء ﴿ أو كفارة ﴾ عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف ﴿ طعام مساكين ﴾ عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف أى هى طعام * وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى أو ان يكفر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا ﴿ أو عدل

﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ يعنى يحكم بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغى أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابى الى ابى بكر الصديق فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر أبى بن كعب فقال الاعرابى انى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ امرناك به * قوله عز وجل ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع فى الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع فى الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعى وقال أبو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة ﴿ أو كفارة طعام مساكين أو عدل

يحكم به ذوا عدل منكم) يقومه عليه حكمان (هديا) فيشترى به هديا (بالغ الكعبة) يبلغ به الكعبة (أو كفارة طعام مساكين) يقول او يقوم عليه بالدراهم والدراهم بالطعام فيطعم به مساكين أهل مكة (أو عدل

ذلك صياما ﴾ أو ماساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول * وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشئ في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ﴿ ليذوق وبال أمره ﴾ متعلق بمحذوف أى فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿ ومن عاد ﴾ الى مثل هذا ﴿ فينتقم الله منه ﴾ فهو ينتقم الله

ذلك صياما ﴾ ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة الى ان كلمة أو في هذه الآية للتخيير وقال أحمد وزفر من أصحاب أبي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة أشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال أبو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن أحمد روايتان كالقولين وأصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند أبي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لانفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى أن الخيار في تعيين أحد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذى وجب عليه الكفارة لان الله أوجب عليه أحد هذه الثلاثة على التخيير فوجب أن يكون هو المخير بين أيها شاء وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة أو للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة لايجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذى قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لأنه يصرف بها * قوله عز وجل ﴿ ليذوق وبال أمره ﴾ يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشئ الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم أيضا ثقيل على النفس لأن فيه انهاك البدن ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ يعني قبل التحريم ﴿ ومن عاد ﴾ يعني الى قتل الصيد مرة ثانية ﴿ فينتقم الله منه ﴾ يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وداود الظاهري أنه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لأنه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له

(ذلك) اشارة الى الطعام (صياما) تمييز نحو لى مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين (ليذوق وبال أمره) متعلق بقوله فجزاء أى فعليه ان يجازى أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذى ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه أخذا وبيلا أى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه

ذلك صياما) يقول ان لم يجد الطعام يقوم عليه مكان نصف صاع صوم يوم (ليذوق وبال أمره) عقوبة امره (عفا الله عما سلف) قبل التحريم (ومن عاد) بعدما حكم عليه وضرب ضربا وجيعا في الدنيا (فينتقم الله منه) فيترك حتى ينتقم الله

منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح ﴿ والله عزيز ذوانتقام ﴾ ممن اصر على عصيانه ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾ ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر ﴿ وطعامه ﴾ ماقذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله ﴿ متاعا لكم ﴾ تمتيعا لكم نصب على الغرض ﴿ وللسيارة ﴾ أي ولسيارتكم يتزودونه قديدا ﴿ وحرم عليكم صيد البر ﴾ أي ماصيد فيه أو الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه أو يصد لكم ﴿ مادمتم حرما ﴾ أي محرمين * وقرئ بكسر الدال

اذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيأ حكم عليه فأن عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيدوج وهو واد بالطائف ﴿ والله عزيز ذوانتقام ﴾ يعني ممن عصاه واذا أتلف المحرم شيأ من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما * قوله عز وجل ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ المراد بالصيد ماصيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فأما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ماقذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن أبي بكر وعمرو بن عمرو وأبي أيوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فأما السمك فجميعه حلال على اختلاف أجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب فيحل أكله وقال أبو حنيفة لا يحل الا أن يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم أكله في حال الاحرام فأن أصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس رضي الله عنهم قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا وقال أحمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لأن التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل مالا يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله * قوله عز وجل ﴿ متاعا لكم وللسيارة ﴾ يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * قوله عز وجل ﴿ وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما ﴾ ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع

(أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلون طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ماصيد فيه وهو مايفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كالبط فانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر (مادمتم حرما) محرمين

منه (والله عزيز) بالنقمة (ذوانتقام) ذو عقوبة (أحل لكم صيد البحر) نزلت في قوم من بني مدلج كانوا أهل صيد البحر سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام البحر وعما حسر البحر عنه فأنزل الله احل لكم صيد البحر (وطعامه) يعني ماحسر عنه الماء وألقاه (متاعا لكم) منفعة لكم (وللسيارة) ماري طريق المالح (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما)

من دام يدام ﴿ واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة ﴾ صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه ﴿ البيت الحرام ﴾ عطف بيان على جهة المدح أو المفعول الثاني

من هذه السورة أحدها في أول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم أن يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثي انه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا أنا حرم أخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم أن يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا بأشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبي هريرة رضي الله عنهم وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم عام الحديبية فأبصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصف نعلا فلم يؤذنوا لي وأحبوا لو أني أبصرته فالتفت فأبصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا في أكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شئ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة أطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها أخرجاه في الصحيحين وأجاب أصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بأنه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ظن انه انما صيد لأجله والمحرم لا يأكل ما صيد لأجله ﴿ واتقوا الله ﴾ يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله ﴿ الذي اليه تحشرون ﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم * قوله عز وجل ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام ﴾ جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم أن يصطاد عنده وان يختلى خلاه

(واتقوا الله) في الاصطياد في الحرم أو في الاحرام (الذي اليه تحشرون) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جعل الله الكعبة) أي صير (البيت الحرام)

أو في الحرم (واتقوا الله) اخشوا الله (الذي اليه تحشرون) فيما حرم عليكم من الصيد في الاحرام والحرم (جعل الله الكعبة البيت الحرام

بدل أوعطف بيان (قياما) مفعول ثان أو جعل بمعنى خلق وقياما حال (للناس) أى انتعاشالهم فى أمر دينهم ونهوضا الى أغراضهم فى معاشهم ومعادهم لمايتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة لان فى اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذوالقعدة وذو الحجة والمحرم (والهدى) مايهدى الى مكة (والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما أو الى ماذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وان الله بكل شئ عليم) أى لتعلموا ان الله يعلم مصالح

﴿ قياما للناس ﴾ انتعاشالهم أى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار أو مايقوم به امر دينهم ودنياهم * وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر أو الحال ﴿ والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾ سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة وهو المناسب لقرانه وقيل الجنس ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الجعل أو الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ﴿ لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض ﴾ فأنه شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه ﴿ وأن الله بكل شئ عليم ﴾ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق

وأن يعضد شجره وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولاينفر صيده ولايلتقط لقطته الا من عرفها ولايختلى خلاه * قوله عز وجل ﴿ قياما للناس ﴾ أصله قواما لأنه سبب لقوام مصالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم أما فى أمر الدين فأنه به يقوم الحج وتتم المناسك وأما فى أمر الدنيا فأنه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقى الرجل قاتل أبيه أو ابنه فى الحرم لم يهجه وأما فى أمر الآخرة فأن البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التى تقام عنده أسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس ﴿ والشهر الحرام ﴾ يعنى وجعل الشهر الحرام قياما للناس وأراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الفرد يعنى وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون فى الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس ﴿ والهدى والقلائد ﴾ يعنى وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد ﴿ ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض ﴾ يعنى انه تعالى علم فى الازل بمصالح العباد ومايحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لأنه يعلم مصالح العباد كما يعلم مافى السموات ومافى الارض لأنه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله عز وجل ﴿ وأن الله بكل شئ عليم ﴾ يعنى انه تعالى لاتخفى

قياما) امنا وقواما (للناس) فى العبادة (والشهر الحرام) أمنا (والهدى) وهو الذى يهدى الى البيت أمنا للرفقة التى الهدى فيها (والقلائد) أمنا وهى التى عليها قلادة من لحى شجر الحرم جعلها الله أمنا للرفقة التى هى فيها (ذلك) الذى ذكرت (لتعلموا) لكى تعلموا (و قا خا ٤٥ نى) (ان الله يعلم مافى السموات) بصلاح مافى السموات (ومافى الارض وأن الله بكل شئ) من صلاحها ومن صلاح أهلها (عليم

مافى السموات ومافى الارض وكيف لايعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وأن الله غفور) لآثام من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى الملتجئ الى البلد الحرام (ماعلى الرسول الاالبلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قدفرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلاعذر لكم فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وما تكتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قل لايستوى الخبيث والطيب) لما أخبر أنه يعلم ماتبدون ومايكتمون ذكر أنه لايستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (ياأولى الالباب) أى العقول الخالصة (لعلكم تفلحون) كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا

﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها أو لمن اصر عليه ولمن اقلع عنه ﴿ماعلى الرسول الى البلاغ﴾ تشديد فى ايجاب القيام بما امر أى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا فى التفريط ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب﴾ حكم عام فى نفى المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى مصالح العمل وحلال المال ﴿ولو اعجبك كثرة الخبيث﴾ فأن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فأن المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال ﴿فاتقوا الله يا أولى الالباب﴾ أى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين

عليه خافية ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ يعنى لمن انتهك محارمه واستحلها ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ يعنى لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لايتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده مايدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم * قوله عز وجل ﴿ما على الرسول الاالبلاغ﴾ يعنى ليس على رسولنا الذى أرسلناه اليكم الا تبليغ ماأرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففى الآية تشديد عظيم فى ايجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر فى التفريط ﴿والله يعلم ماتبدون وماتكتمون﴾ يعنى أنه تعالى لايخفى عليه شئ من أحوالكم ظاهرا وباطنا ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب﴾ يعنى الحلال والحرام فى الدرجة والرتبة ولايعتدل الردىء والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ يعنى ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وماعندالله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وماعندالله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر ابن عبدالله ان رجلا قال يارسول الله ان الخمر كانت تجارتى فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الاالطيب وقال مقاتل نزلت فى شريح بن ضبعة البكرى وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة فى أول السورة ﴿فاتقوا الله﴾ يعنى فيما أمركم به أونهاكم عنه ولاتعتدوه ﴿ياأولى الالباب﴾ يعنى ياذوى العقول السليمة ﴿لعلكم تفلحون﴾ * قوله عز وجل

(اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استحل ما حرم الله (وان الله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (ما على الرسول الاالبلاغ) عن الله (والله يعلم ماتبدون) تظهرون من الخير والشر وماتكتمون من الخير والشر ويقال والله يعلم ماتبدون تظهرون فيما بينكم وماتكتمون تسرون بعضكم عن بعض باخذ مال شريح (قل) يا محمد لاهل السرح (يأيها) الذى ساق شريح (لايستوى الخبيث) الحرام مال شريح (والطيب) الحلال الذى ساق شريح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) الحرام (فاتقوا الله) فاخشوا الله فى أخذ الحرام (ياأولى الالباب) ياأهل اللب والعقل (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخطة

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ﴾

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ﴾ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من أبى فقال فلان فنزلت هذه الآية لاتسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وفى رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسألنى عن شئ فليسأل فلا تسألونى عن شئ الا أخبرتكم به مادمت فى مقامى فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوا فقام عبدالله ابن حذافة السهمى فقال من أبى فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرنى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال قالت أم عبدالله بن حذافة لعبدالله بن حذافة ماسمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قارفت بعض ماتقارف اهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبدالله بن حذافة لو ألحقنى بعبد أسود للحقته زاد فى رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لاتسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم أخرجاه فى الصحيحين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتى فأنزل الله فيهم هذه الآية ياأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية فى شأن الحج عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يارسول الله فى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله فى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عزوجل ياأيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفى كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذرونى ماتركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما لاتسئلوا عن أشياء قال هى البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألاترى انه يقول بعد ذلك ماجعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية ياأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء جمع شئ ان تبدلكم أى تظهر لكم وتبين لكم

فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما الف وهى فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (ان تبدلكم تسؤكم

والعذاب (ياأيها الذين آمنوا) نزلت فى حارث بن يزيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل ولله على الناس حج البيت فقال أفى كل عام يا رسول الله فنهاه الله عن ذلك وقال ياأيها الذين آمنوا (لاتسألوا) نبيكم (عن أشياء) قد عفا الله عنكم (ان تبدلكم) تؤمر لكم (تسؤكم)ساءكم

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم ﴾ الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين أو شيئى كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه ﴿ عفا الله عنها ﴾ صفة أخرى أى عن اشياء عفا الله عنها لم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فأتركونى ما تركتكم فنزلت أو استئناف أى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها ﴿ والله غفور حليم ﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما فرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين أبى فقال فى النار وقال آخر من أبى فقال حذافة

تسؤكم يعنى ان أمرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه النبى صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك ﴿ وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم ﴾ معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم وليس فى ظاهره شرح ماتحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن فى عدد هؤلاء دليل على عدة التى ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها أنزل الله عز وجل جوابهم فى قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية ﴿ عفا الله عنها ﴾ يعنى عن مسئلتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن تاب منكم ﴿ حليم ﴾ فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان فى الجاهلية حليم يعنى عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التى يجوز السؤال عنها هى ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه كتب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات أخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب المسائل

وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) صفة لاشياء أى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم تبدلكم تلك التكاليف التى تسؤكم أى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاقبكم الابعد ذلك (وان تسألوا عنها) عن الاشياء التى قد عفا الله عنها (حين ينزل القرآن) جبريل بالقرآن (تبدلكم) تؤمر لكم (عفا الله عنها) عن مسئلتكم (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم

الانذار والضمير في (قدسألها) لا يرجع الى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسئلة التى دلت عليها لاتسئلوا أي قدسأل هذه المسئلة (قوم من قبلكم) من الاولين (ثم أصبحوا بهـا) صاروا بسببها (كافرين) كما عرف في بني اسرائيل (ماجعل الله من بحيرة ولا سـائبة ولا وصيلة ولا حام) كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا اذنهـا أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقـول الرجـل اذا قدمت من سـفري أو برأت من مرضى فناقتي شائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سـائبة فلا عقـل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سـبعة أبطن فأن كان السـابع ذكرا أكله الرجال وان كان أنثى أرسلت في الغنم وكذا ان كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قدحمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ماجعل ماشرع ذلك ولا أمر به

وكان يدعى لغيره فنزلت ﴿ قدسألها قوم ﴾ الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أولا شياء بحذف الجار ﴿ من قبلكم ﴾ متعلق بسألها وليس صفة لقوم فأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ﴿ ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ أي بسببها حيث لم يأتمروا بها سألوا جحودا ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية

التى نزل فيها أقدام العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فقـال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وماسكت عنه فهو مما قدعفا عنه فلا تتكلفوا * وعن أبي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هـذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسئلوا أنتم شيأ فلعلكم ان أعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك * قوله عز وجل ﴿ ماجعل الله ﴾ أي ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به ﴿ من بحيرة ﴾ البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنهـا فهي فعيلة بمعنى مفعولة ﴿ ولا سائبة ﴾ يعنى المسيبة المخلاة ﴿ ولا وصيلة ﴾ الوصيلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها ﴿ ولا حام ﴾ الحام هو الفحل

(قدسألها قوم من قبلكم) نبيهم اشيأ (ثم أصبحوا بها كافرين) فلما بين لهم نبيهم صاروا بها كافرين (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) يقول ماحرم الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاميا فأما البحيرة فمن الابل كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فأن كانت سقبا والسقب الذكر نحروه فأكله الرجال والنساء جميعا وان كانت أنثى شقوا أذنها فتلك البحيرة وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فأذا ماتت اشترك في أكلهـا الرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء من الحيوان وغيره فيجيء به الى السدنة والسـدنة خزنة آلهتهم فيدفعه اليهم فيقبضونه منه فيطعمون منه أبناء السبيل الرجال دون النسـاء ويطعمون منه لآلهتهم الذكور دون الاناث حتى يموت ان كان حيوانا فأذا مات اشترك فيه الرجال والنساء وأما الوصيلة فهي الشاة كانت اذا ولدت سـبعة أبطن عمدوا الى البطن السابع فأذا كان ذكرا ذبحوه فأكلـه الرجال والنساء جميعـا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء حتى تموت فأذا ماتت كان الرجال والنساء يأكلونها جميعا وان كان ذكرا وأنثى ببطن واحد قيل وصلت اخاها فيترك كان مع اخوتها فلا يذبحان وكانا للرجال دون النساء حتى يموتا فأذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده قبل حمي ظهره فيترك ولا يحمل عليه شيء ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا رعى واعا ابل أتاها يضرب فيها لم يخل بينه وبينها فأذا ادركه الهرم أو مات أكلـه الرجال والنساء جميعا فذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول

من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس رضى الله عنهما فى بيان هذه الاوصاف البحيرة هى الناقة اذا ولدت خمسة أبطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلاء ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتى عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما يفعل بأمها وقيل السائبة البعير الذى يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال ان شفانى الله أو شفى الله مريضى أو قدم غائبى فناقتى هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها أحد فهى بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها فى الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الانثى والحامى هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر بن الخزاعى يجر قصبه فى النار ولمسلم عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أخا بنى كعب وهو يجر قصبه فى النار (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا فى جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعنى ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا أمر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان اهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا

(ولكن الذين كفروا) بتحريمهم ماحرموا (يفترون على الله الكذب) فى نسبتهم هذا التحريم اليه (وأكثرهم لايعقلون) ان الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أى هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة (قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) أى كافينا ذلك حسبنا مبتدأ والخبر ماوجدنا وما بمعنى الذى والواو فى (أولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لايعلمون شيأ ولايهتدون) أي الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) انتصب انفسكم بعليكم وهو من اسماء الافعال أى الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لايضركم) رفع على الاستئناف أوجزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد (من ضل اذا اهتديتم) كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لايضركم الضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تركهما

واحدهو البحيرة ومن مزيدة ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾ بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى ﴿ وأكثرهم لايعقلون ﴾ أى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الآمر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به ﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ﴾ بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لاسند لهم سواه ﴿ أولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولايهتدون ﴾ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال أى احسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح عن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ أى احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم * وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿لايضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ لايضركم الضلال

يسيبون * قوله عز وجل ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾ يعنى لقولهم ان الله أمرنا بها ﴿ وأكثرهم لايعقلون ﴾ أراد بالاكثر الاتباع يعنى ان الاتباع لاتعقل أن هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل ﴿واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴾ يعنى واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء أضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما أنزل الله يعنى فى كتابه والى الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ماتضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذى تفعلونه ليس بشئ ﴿ قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ﴾ يعنى قد اكتفينا بما أخذناعنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم ﴿ أولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولايهتدون ﴾ يعنى انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدى الذى يبنى قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ماكانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾ قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا أنفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصى لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم أنفسكم فاصلحوها واعملوا فى خلاصها

(ولكن الذين كفروا) يعنى عمرو بن لحى وأصحابه (يفترون) يختلقون (على الله الكذب) فى تحريمها (وأكثرهم) كلهم (لايعقلون) أمر الله وتحليله وتحريمه (واذا قيل لهم) قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم لمشركى اهل مكة (تعالوا الى ما أنزل الله) الى تحليل مابين الله فى القرآن (والى الرسول) والى مابين لكم الرسول من التحليل (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) من التحريم (أولو كان آباؤهم) وقد كان آباؤهم (لا يعلمون شيأ) من التوحيد والدين (ولا يهتدون) لسنة نبى ويقال أوليس كان آباؤهم لايعلمون شيأ من الدين ولا يهتدون لسنة النبى فكيف هم يقتدون بهم (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) اقبلوا على انفسكم (لا يضركم من ضل) ضلالة من ضل (اذا اهديتم) الى الايمان وبينتم

اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت أباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب أو النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ

من عذاب الله عز وجل وانظروا لها مما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعنى لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية فى أهل الكتاب اليهود والنصارى يعنى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا فى صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم أنتم مهتدين * فأن قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر * قلت لا يدل على ذلك والذى عليه أكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب أصحاب المعاصى فأما وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة * عن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الآية عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم والبستم شيعا وأذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها

(ليست)

لايضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ﴿ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا

مع القدرة عليهما لايجوز (الى الله مرجعكم جميعا) رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يجزيكم على اعمالكم روى أنه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه مامعه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدوا فرفعوا الى رسول الله صلى الله

ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنت الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن أبي أمية الشعباني قال آتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف نصنع بهذه الآية قال أية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال لابل أجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لايضره من ضل وقال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما أمرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب الاهواء فذكر شيأ من أمره فقلت له ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لايضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب اذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عزوجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات عندنا في هذه الآية ماروى عن أبي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء مالزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية أوكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذي يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا ولايتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم ۞ قوله عزوجل ﴿ الى الله مرجعكم جميعا ﴾ يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يعني فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها ۞ قوله عزوجل

ضلالتهم (الى الله مرجعكم) بعد الموت (جميعا فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر نزلت هذه الآية من قوله عليكم أنفسكم الى ههنا في مشركي أهل مكة حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب الجزية ولم يقبل منهم وقد بينت قصة هذا في سورة البقرة

لا يؤاخذ بذنب غيره ﴿ ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ أى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع ٭ وقرئ شهادة

﴿ ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى أن تميم بن أوس الدارى وعدبن بداء خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع مامعه من المتاع وألقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى الى تميم وعدى وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى أهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندرى انما أوصى الينا بشئ وأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه ومالنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأصرا على الانكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن تميم الدارى فى هذه الآية ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فأتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن أبى مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله قال تميم ولما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدى فلما أتينا أهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدا الجام فسألونا عنه فقلنا ماترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم ان يستحلفوه بما يعظم على أهل دينه فحلف فأنزل الله ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله أو يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى قال الترمذى هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بداء فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية

عليه وسلم فنزل (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم

(ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم) عليكم بالشهادة فيما يكون بينكم فى السفر والحضر

بالنصب والتنوين على ليقم ﴿ اذا حضر أحدكم الموت ﴾ اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة ﴿ حين الوصية ﴾ بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لايتهاون فيه أو ظرف حضر ﴿ اثنان ﴾ فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ أى من اقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل

يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الاخيرة البخارى فى صحيحه فأما التفسير فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعنى ليشهد مابينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر ﴿ اذا حضر أحدكم الموت ﴾ يعنى اذا قارب وقت حضور الموت ﴿ حين الوصية اثنان ﴾ لفظه خبر ومعناه الامر يعنى ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت وأردتم الوصية ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ يعنى من أهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا فى هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لايلزمه يمين وجعل الوصى اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ يعنى من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعى والشعبى وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعى وجماعة هى منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة فى الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لاتجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لاتجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد ابن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو فى أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من أى دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أى دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة فى هذا الموضع ولاتجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته فى سفر لايجد فيه مسلما عن الشعبى ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا أبا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ماخانا ولا كذبا ولابدلا ولا كتما ولاغيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما أخرجه أبو داود وقال قوم فى قوله ذوا عدل منكم يعنى من عشيرتكم وحيكم أو آخران

اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) ارتفع اثنان لانه خبر المبتدأ وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أولانه فاعل شهادة بينكم أى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان واتسع فى بين فأضيف اليه المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (ذوا عدل) صفة لاثنين (منكم) من أقاربكم لانهم أعلم باحوال الميت (أو آخران) عطف على اثنان (من غيركم)

(اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية) عند وصية الميت (اثنان) فليشهد شاهدان (ذوا عدل منكم) من احراركم حران ويقال من قومكم (أو آخران من غيركم) من غير أهل دينكم ويقال من غير قومكم ثم ذكر السفر وترك الحضر فقال

من الاجانب (أن أنتم ضربتم في الارض) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فاصابتكم مصيبة الموت) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في أول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله أو آخران من غيركم أي أو آخران

من غيركم محبوسان وان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلوة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر أو الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي (فيقسمان بالله) فيحلفان به

الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ﴿ أن أنتم ضربتم في الارض ﴾ أي سافرتم فيها ﴿ فأصابتكم مصيبة الموت ﴾ اي قاربتم الاجل ﴿ تحبسونهما ﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم أعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فأن تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿ من بعد الصلوة ﴾ صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة كانت ﴿ فيقسمان بالله

من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شئ من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير ان أبا حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح له أكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان أنتم ضربتم في الارض ﴿ يعني ان أنتم سافرتم في الارض ﴿ فاصابتكم مصيبة الموت ﴾ يعني نزل بكم أسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما ﴿ تحبسونهما ﴾ يعني ان اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن يوقفوهما ﴿ من بعد الصلوة ﴾ يعني من بعد صلاة العصر لان جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر ﴿ فيقسمان بالله ﴾ يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس ﴿ فعند ﴾

(ان أنتم ضربتم) سرتم وسافرتم (في الارض فأصابتكم مصيبة الموت) نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر اصطحبوا في التجارة الى البلد بلد الشأم فمات أحدهم بالبلد يقال له بديل ابن أبي مارية مولى عمرو ابن العاص وكان مسلما فأوصى صاحبيه عدي بن بداء وتميم بن أوس الداري وكانا نصرانيين فخانا في الوصية فقال الله لأولياء الميت (تحبسونهما) يعني النصرانيين (من بعد الصلوة) صلاة العصر (فيقسمان بالله) فيحلفان به

(أن ارتبتم) شككتم فى أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لانشترى) وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم فى شأنهما فحلفوهما (به) بالله أو بالقسم (ثمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) أى المقسم له (ذاقربى) أى لانحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا (ولانكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها (انا اذا) ان كتمنا (لمن الآثمين) وقيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) فعلا ما أوجب اثما واستوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل

ان ارتبتم ﴾ان ارتاب الوارث منكم ﴿ لانشترى به ثمنا ﴾ مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لانستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أى لانحلف بالله كاذبا لطمع ﴿ ولو كان ذاقربى ﴾ ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أى لانشترى ﴿ ولانكتم شهادة الله ﴾ أى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن ﴿ أنا اذا لمن الآثمين ﴾ أى ان كتمناه. وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها ﴿ فان عثر ﴾ فان اطلع ﴿ على انهما استحقا اثما ﴾ أى فعلا ما اوجب اثما كتحريف ﴿ فآخران ﴾ فشاهدان آخران ﴿ يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم ﴾ من الذين

فعند الصخرة وفى سائر البلاد فى أشرف المساجد وأعظمها بها ﴿ ان ارتبتم ﴾ يعنى ان شككتم أيها الورثة فى قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين أما اذا كانا مسلمين فلايمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع ﴿ لانشترى به ثمنا ﴾ يعنى لانبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولانحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه أو حق نجحده ﴿ ولو كان ذاقربى ﴾ يعنى ولو كان المشهود له ذاقرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم أكثر من غيرهم ﴿ ولانكتم شهادة الله ﴾ انما أضاف الشهادة اليه لانه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها ﴿ انا اذا لمن الآثمين ﴾ يعنى ان كتمنا الشهادة أو خنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لااله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما ألم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فان عثر ﴾ يعنى فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عليه ﴿ على انهما استحقا اثما ﴾ يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة ﴿ فآخران ﴾ يعنى من أولياء الميت وأقربائه ﴿ يقومان مقامهما ﴾ يعنى مقام الوصيين فى اليمين ﴿ من الذين استحق عليهم ﴾

(ان ارتبتم) أن شككتم يا أولياء الميت ان المال أكثر مما أتيا به (لانشترى به) وليقولا لا نشترى باليمين (ثمنا) عوضا يسيرا من الدنيا (ولو كان ذى قربى) ولو كان الميت ذا قرابة منا فى الرحم (ولانكتم شهادة الله) وليقولا لانكتم شهادة الله عندنا اذا سئلنا (انا) ان كتمنا (اذا) حينئذ (لمن الآثمين) العاصين فتبين بعد ما حلفا خيانتهما وعلم بذلك أولياء الميت فقال الله (فأن عثر) فأن اطلع (على انهما) يعنى النصرانيين (استحقا) استوجبا (اثما) خيانة (فآخران) وليان من أولياء الميت وهما عمرو بن العاص ومطلب بن أبى وداعة (يقومان مقامهما) مقام النصرانيين (من الذين استحق عليهم) الخيانة يعنى النصرانيين ويقال من الذين استكتم المال منهما يعنى

انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما

(الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان

كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان أو هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران استحق عليهم الاوليان حفص أى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وأبو بكر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لانهم كانوا أولين فى الذكر فى قوله شهادة بينكم (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى ليميننا احق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وما اعتدينا) وماتجاوزنا الحق فى يميننا (انا اذا لمن الظالمين) أى من أولياء الميت (الاوليان) بالمال مقدم ومؤخر (فيقسمان بالله) فيحلفان بالله أى وليا الميت ان المال أكثرمما اتيابه (لشهادتنا) شهادة المسلمين (أحق) أصدق (من شهادتهما) شهادة النصرانيين (وما اعتدينا) وليقولا وما اعتدينا فيما ادعينا (انا اذا) ان اعتدينا فيما ادعينا (لمن الظالمين) الضارين

جنى عليهم وهم الورثة * وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان ﴿الاوليان﴾ الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أى هما الاوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير فى يقومان * وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم * وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ اصدق منهما واولى بان تقبل ﴿وما اعتدينا﴾ أى وماتجاوزنا فيها الحق ﴿انا اذا لمن الظالمين﴾ الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين انفسهم ان أعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم انوقع نزاع وارتياب اقسما على صدق مايقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة لما ظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته أولتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت ياأيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فأتاهم بنوسهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته ﴿الاوليان﴾ يعنى بامر الميت وهم أهله وعشيرته ﴿فيقسمان بالله﴾ يعنى فيحلفان بالله ﴿لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ يعنى أيماننا أحق وأصدق من أيمانهما ﴿وما اعتدينا﴾ يعنى فى أيماننا وقولنا ان شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿انا اذا لمن الظالمين﴾ ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على أولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وأنكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا أن الوصى اذا أخذ شيأ من مال الميت وقال انه أوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت

(اليمين)

ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذى مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم) أى تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله)

فى الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعى والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذى أجابتكم أممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم

فنزلت فأن عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ﴿ذلك﴾ أى الحكم الذى تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أو يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أى ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ ما توصون به سمع اجابة ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ أى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين أى لا يهديهم الى حجة أو الى طريق الجنة فقوله تعالى ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أى واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب باضمار اذكر ﴿فيقول﴾ أى للرسل ﴿ماذا اجبتم﴾ أى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر أو بأى شئ

اليمين عليه ولما أسلم تميم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فانا أتوب الى الله وأستغفره * قوله عز وجل ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ يعنى ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد أيمانهم أدنى أى أجدر وأحرى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى أن يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أى وأقرب أن يخاف الوصيان ان ترد الايمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم ﴿واتقوا الله﴾ يعنى وخافوا الله أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة ﴿واسمعوا﴾ يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى أو خان أمانته أو حلف أيمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما فى القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله أعلم باسرار كتابه * قوله عز وجل ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل أى لا يهديهم الى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة ﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ يعنى فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا أجابكم أممكم

الكاذبين (ذلك أدنى) احرى واجدر (أن يأتوا بالشهادة) يعنى النصرانيين (على وجهها) كما كانت (أو يخافوا) أو يخافا النصرانيان (أن ترد أيمان) أيمانهما (بعد أيمانهم) بعد شهادة الرجلين المسلمين فلا يكتمان (واتقوا الله) اخشوا الله فى أمانته (واسمعوا) ما تؤمرون به وأطيعوا الله (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يرشد العاصين الكاذبين الكافرين الى دينه وحجته من لم يكن أهلا لذلك (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة (فيقول) لهم فى بعض المواطن فى وقت الدهشة (ماذا أجبتم)

اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال التوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك ﴿ قالوا لاعلم لنا ﴾ أى لاعلم لنا بما كنت تعلمه ﴿ أنك أنت علام الغيوب ﴾ فتعلم مانعلمه مما اجابونا واظهروا لنا ومالم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لاعلم لنا الى جنب علمك أولا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قدتم بقوله انك أنت أى انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء * وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع ﴿ اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك

وماذا منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى أى اجابة أجبتم (قالوا لاعلم لنا) باخلاص قومنا دليله (أنك أنت علام الغيوب) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا أى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لاعلم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع (ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك

ماذا أجابكم القوم (قالوا) من شدة المسئلة وهول ذلك الموطن (لاعلم لنا انك انت علام الغيوب) بما غاب عنا من اجابة القوم ثم يجيبون بعد ذلك فيشهدون على قومهم بالبلاغ (اذ قال الله) قد قال الله (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى) احفظ منتى (عليك)

وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى وفائدة هذا السؤال توبيخ أمم الأنبياء الذين كذبوهم ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرسل ﴿ لاعلم لنا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لاعلم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ماأضمروا وماأظهروا ونحن لانعلم الا ماأظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال فى رواية أخرى معناه لاعلم لنا الا علم أنت أعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لاعلم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لاحقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لانا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولانعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولانعلم ماأحدثوا من بعدنا ومنه ماأخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليه شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ومنه ماروى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلأقولن أى رب أصحابى فيقال لى انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك زاد فى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى أخرجاه فى الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال فى حق الأنبياء لايحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازى وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لايجهل وحليم لايسفه وعادل لايظلم علموا ان قولهم لايفيد خيرا ولايدفع شرا فرأوا أن الادب فى السكوت وفى تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لاعلم لنا ﴿ أنك أنت علام الغيوب ﴾ يعنى انك تعلم ماغاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم مانشاهد ولانعلم مافى البواطن وقيل معناه انك لايخفى عليك ماعندنا من العلوم وان الذى سألتنا عنه ليس يخاف عليك لانك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه * قوله عز وجل ﴿ اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك ﴾ قال

﴿ بعضهم ﴾

وعلى والدتك ﴾ بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة أو نصب باضمار اذكر ﴿ اذ أيدتك ﴾ قويتك وهو ظرف لنعمتى أو حال منه * وقرئ آيدتك ﴿ بروح القدس ﴾ بجبريل عليه الصلاة والسلام او بالكلام الذى يحيا به الدين أو النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا ﴾ أى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فأنه رفع قبل ان يتكهل ﴿ واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل

بعضهم ان اذ قال الله تعالى ياعيسى صلة لما ذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا أجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان أشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم فى أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد ذكر الله فى هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التى تدل على انه عبد وليس باله والفائدة فى ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ماخص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله ياعيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضى دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه فى هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها ﴿ وعلى والدتك ﴾ يعنى بنعمته على مريم عليها السلام انه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى ﴿ اذ أيدتك بروح القدس ﴾ يعنى بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة ﴿ تكلم الناس فى المهد ﴾ يعنى تكلمهم طفلا فى حال الصغر ﴿ وكهلا ﴾ يعنى وفى حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامك فى هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس رضى الله عنهما أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه ﴿ واذ علمتك الكتاب والحكمة ﴾ يعنى الكتابة وهى الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم ﴿ والتورية والانجيل ﴾ أى وعلمتك التوراة

وعلى والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في (اذ أيدتك) أى قويتك نعمتى (بروح القدس) بجبريل عليه السلام أيدبه لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذى يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوصام الآثام دليله (تكلم الناس فى المهد) حال أى تكلمهم طفلا اعجازا (وكهلا) تبليغا (واذ علمتك) معطوف على اذ أيدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ أوحيت (الكتاب) الخط (والحكمة) الكلام المحكم الصواب (والتورية والانجيل

بالنبوة (وعلى والدتك) بالاسلام والعبادة (اذ أيدتك) اعنتك (بروح القدس) بجبريل المطهر لقنك واعانك فى تكليم الناس (تكلم الناس فى المهد) فى الحجر والسرير بانى عبد الله ومسيحه (وكهلا) واعانك بعد ثلاثين سنة بانى رسول الله اليكم (واذ علمتك الكتاب) كتب الانبياء ويقال الخط بالقلم (والحكمة) حكمة الحكماء ويقال الحلال والحرام (والتورية) وعلمتك (قا و خا ٤٧ نى) التورية فى بطن أمك (والانجيل) بعد

واذتخلق) تقدر (من الطين كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها
صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولايرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا
الضمير فى (فتكون طيرا باذنى) وعطف (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى) على تخلق

(واذ تخرج الموتى) من
القبور أحياء (باذنى)
قيل أخرج سام بن نوح
ورجلين وامرأة وجارية
(واذ كففت بنى اسرائيل
عنك) أى اليهود حين
هموا بقتله (اذجئتهم)
ظرف لكففت (بالبينات
فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين)
ساحر حمزة وعلى (واذ
أوحيت) ألهمت (الى
الحواريين) الخواص

واذتخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيهافتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص
باذنى واذ تخرج الموتى باذنى ﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران*وقرأ نافع ويعقوب طائرا
ويحتمل الافراد والجمع كالباقر ﴿واذ كففت بنى اسرائيل عنك﴾ يعنى اليهود حين هموا بقتله
(اذجئتهم بالبينات) ظرف لكففت ﴿ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر
مبين ﴾ أى ما هذا الذى جئت به الا سحر*وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة
الى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين ﴾ أى أمرتهم على السنة

التى أنزلتها على موسى والانجيل الذى أنزلته عليك ﴿ واذتخلق من الطين كهيئة الطير
باذنى ﴾ يعنى واذتجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذنى ﴿ فتنفخ فيها ﴾ ذكر هنا
فيها وفى سورة آل عمران فيه فالضمير فى قوله فيها يعود الى الهيئة بجعلها مصدرا كما يقع اسم
الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لايكون فى الهيئة انما يكون فى المهيا ذى الهيئة ويجوز
أن يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم
صافات وأما الضمير المذكور فى آل عمران فى قوله فيه فيعود الى الكاف يعنى فى ذلك
الشئ المماثل لهيئة الطير ﴿ فتكون طيرا باذنى ﴾ وانما كرر قوله باذنى تأكيدا لكون
ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لابقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان
المخلوق لايخلق شيأ انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لاخالق لها سواه وانما كان
الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله
تعالى ﴿ وتبرئ الاكمه والابرص باذنى ﴾ يعنى وتشفى الاكمه وهو الاعمى المطموس
البصر والابرص معروف ظاهر ﴿ واذتخرج الموتى ﴾ يعنى من قبورهم أحياء
﴿ باذنى ﴾ تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها فى الحقيقة هو الله تعالى
لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شئ قدير وانما كانت
هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى
﴿ واذ كففت بنى اسرائيل عنك ﴾ يعنى واذكر نعمتى عليك اذ كففت وصرفت
عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك ﴿ اذجئتهم بالبينات ﴾ يعنى بالدلالات
الواضحات والمعجزات الباهرات التى ذكرت فى هذه الآية وذلك ان عيسى عليه
السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه
الى السماء ﴿ فقال الذين كفروا منهم ﴾ يعنى فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود
ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ﴿ ان هذا الا سحر مبين ﴾ يعنى ماجاءهم به عيسى عليه السلام
من المعجزات * قوله عز وجل ﴿ واذا أوحيت الى الحواريين ﴾ يعنى ألهمتهم وقذفت

خروجك (واذتخلق)
تصور (من الطين كهيئة
الطير) شبه الطير وهو
الخفاش (باذنى) بأمرى
(فتنفخ فيها) كنفخ النائم
(فتكون طيرا) فتصير
طيرا تطير بين السماء
والارض (باذنى) بأمرى
وارادتى (وتبرئ) تصحح
(الاكمه)الذى يولد أعمى
(والابرص باذنى) بأمرى
وارادتى وقدرتى (واذ
تخرج) تحيي (الموتى باذنى) بارادتى واحياتى (واذ كففت) منعت (بنى اسرائيل عنك) اذ هموا (فى)
بقتلك (اذجئتهم) حيث جئتهم (بالبينات) بالأمر والنهى والعجائب التى أريتهم (فقال الذين كفروا منهم) من بنى اسرائيل
(ان هذا) ما هذا الذى يرينا عيسى (الا سحر مبين) ظاهر وان قرأت ساحر مبين أرادوا به عيسى (واذ
أوحيت الى الحواريين) ألهمت الحواريين القصارين وهم

أوالاصفياء (ان آمنوا) أى آمنوا (بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) أى اشهد باننا مخلصون من اسلم وجهه (اذقال الحواريون) أى اذكروا اذ (ياعيسى) نصب (ابن مريم) على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيد بن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل أوهل يطيعك ربك ان سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع ربك على اى هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكى وبصرى (مائدة من السماء) هى الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليها (قال اتقوا الله) فى اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذا الايمان وان قرأت بالتاء ونصب الباء تقول هل تستطيع ان تدعو ربك (أن ينزل علينا مائدة) طعاما (من السماء قال) عيسى لشمعون

اثنا عشر رجلا (ان آمنوا بى وبرسولى) عيسى (قالوا آمنا) بك وبرسولك عيسى (واشهد) أنت يا عيسى وشهد بعضهم على بعض (باننا مسلمون) مخلصون بالعبادة والتوحيد (اذ قال الحواريون) الاصفياء يعنى شمعون الصفى (يا عيسى ابن مريم) يقول لك قومك (هل يستطيع ربك) هل يفعل ربك قل لهم (اتقوا الله) اخشوا الله (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) موقنين فلعلكم تتركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شمعون

رسلى ﴿ أن آمنوا بى وبرسولى ﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة ﴿ قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ﴾ مخلصون ﴿ اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم ﴾ منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم ﴿ هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أى هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب واجاب. وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من مادالماء يميد اذا تحرك أو من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة ﴿ قال اتقوا الله ﴾ من أمثال هذا السؤال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بكمال قدرته وصحة

فى قلوبهم فهو وحى الهام كما أوحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم أصحاب عيسى وخواصه ﴿ ان آمنوا بى وبرسولى ﴾ يعنى عيسى عليه السلام ﴿ قالوا آمنا وأشهد باننا مسلمون ﴾ لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام والانقياد والخضوع فى الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم *قوله عز وجل ﴿ اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ﴾ قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد أن يتوهم على الحواريين انهم شكوا فى قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معى مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معى فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ولا شك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة فى القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة فى قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعنى اتقوا الله ان تشكوا فى قدرة الله عز وجل والقول الاول أصح وقيل فى معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد الآثار من أطاع الله أطاعه كل شئ ﴿ ان ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام ﴿ قال ﴾ يعنى عيسى مجيبا للحواريين ﴿ اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى اتقوا الله فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى

يوجب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (ونعلم أن قد صدقتنا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه

استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) أصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم (ربنا) نداء ثان (أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا . والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والاتباع (وآية منك) على صحة نبوتي ثم أكد ذلك

نبوتي أو صدقتم في ادعائكم الايمان ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها ﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو أن يتمتعوا بالاكل منها ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى ﴿ ونعلم ان قد صدقتنا ﴾ في ادعاء النبوة أو ان الله يجيب دعوتنا ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ اذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر ﴿ قال عيسى ابن مريم ﴾ لما رأى أن لهم غرضا صحيحا في ذلك أو انهم لا يقلعون عنه فأراد الزامهم الحجة بكمالها ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ﴾ أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا * وقرئ تكن على جواب الأمر ﴿ لاولنا وآخرنا ﴾ بدل من لنا باعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا * وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة ﴿ وآية ﴾ عطف على عيدا ﴿ منك ﴾ صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي

ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيأ لم يسأله أحد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآية بعد الايمان ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها ﴾ يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما طلب نزول المائدة علينا لان نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها للتبرك بها لا أكل حاجة ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ يعني وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين وقويت الطمأنينة ﴿ ونعلم ان قد صدقتنا ﴾ يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيأ الا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك ﴿ قال عيسى بن مريم اللهم ﴾ قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ﴿ ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا ﴾ يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم ﴿ وآية منك ﴾ أي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك

(قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) بما ترينا من العجائب (ونعلم) ونستيقن (أن قد صدقتنا) ما تقول (ونكون عليها من الشاهدين) اذا رجعنا الى قومنا (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) طعاما من السماء ويقال بركة الطعام وكان معهم شيء من الطعام (تكون لنا عيدا لاولنا) لاهل زماننا (وآخرنا) ولمن خلفنا لكي نعبدك فيها وكان يوم الاحد (وآية منك) لمن آمن وحجة (ورزقنا)

﴿ وارزقنا ﴾ المائدة أو الشكر عليها ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ أى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض ﴿ قال الله انى منزلها عليكم ﴾ اجابة الى سؤالكم * وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد ﴿ فمن يكفر بعد منكم فأنى أعذبه عذابا ﴾ أى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة ﴿ لا اعذبه ﴾ الضمير للمصدر أو للعذاب ان اريد به مايعذب به على حذف حرف الجر ﴿ أحدا من العالمين ﴾ أى من عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا فأنهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم * روى انها نزلت سفرة

﴿ وارزقنا ﴾ أى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ يعنى وأنت خير من تفضل ورزق ﴿ قال الله ﴾ عز وجل مجيبا لعيسى ﴿ انى منزلها عليكم ﴾ يعنى المائدة ﴿ فمن يكفر بعد منكم ﴾ يعنى بعد نزول المائدة ﴿ فانى أعذبه عذابا ﴾ يعنى جنسا من العذاب ﴿ لا أعذبه أحدا من العالمين ﴾ يعنى من عالمى زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب معجلا فى الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبدالله بن عمران أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء فى نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى انى منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذى عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال انى منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف فى خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا الغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذى وقال قد روى عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ماشئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا ياعيسى انالو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فاكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسى لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى تهوى اليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية

(قال الله انى منزلها عليكم) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم وعدا الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد أنزالها منكم (فانى أعذبه عذابا) أى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير فى (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب مايعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ماشاؤا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة

على من كفر (وارزقنا) أعطنا ما سألناك (وأنت خير الرازقين) أفضل المطعمين (قال الله) لعيسى قل لهم (انى منزلها عليكم) ما سألتم (فمن يكفر بعد) بعد النزول والاكل (منكم فأنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) عالمى زمانهم امسخه خنزيرا قالوا بعد النزول والاكل هذا سحر مبين كذب بين قال عيسى ان تعذبهم على

هذه المقالة التى استحقوا عليها الهلاك فأنهم عبادك وان تغفر لهم تتب عليهم وتتجاوز عنهم فأنك أنت العزيز بالنقمة لمن

حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فأذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الاية آية اخرى فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا

ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما ترون طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى الا عوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفئ الفئ فاذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله عز وجل الى عيسى

لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعد الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فأنها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فأن السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا ﴿ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم

عليه السلام انى شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وقال كعب أنزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شئ الا اللحم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أنزل على المائدة كل شئ الا الخبز واللحم وقال الكلبى كان عليها خبز برو بقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجئ آخرون فيأكلون حتى أكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال الكلبى ومقاتل أنزل الله سمكا وخمسة أرغفة فأكلوا منها ماشاء الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به خيرا ثبته ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبى ولا امرأة فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ * قوله عز وجل ﴿ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ﴾ الآية اختلف المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضى وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف اذ بانها قد تجئ بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى * جنات عدن فى السموات العلى

وعشيا (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) الجمهور على أن هذا السؤال يكون فى يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء دليله

لم يتب الحكيم بالمغفرة لمن تاب مقدم ومؤخر (واذ قال الله) يقول الله يوم القيامة (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس) فى الدنيا (اتخذونى وأمى الهين من دون الله

ومن دون الله صفة لالهين أو صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فأنهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل اتخذونى وأمى آلهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى ﴿ قال سبحانك ﴾ أى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ﴿ مايكون لى أن اقول ماليس لى بحق ﴾ ما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ﴿ ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات

ولفظ الآية فى قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة * فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقله * قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ماقلت لهم الا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى * فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذونى وأمى الهين من دون الله * قلت ان النصارى لما ادعت فى عيسى عليه السلام انه اله ورأوا ان مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام ﴿ قال سبحانك ﴾ يعنى تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك ﴿ مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ﴾ أى كيف أقول هذا الكلام ولست بأهل ولست أستحق العبادة حتى أدعو الناس اليها ولما بين انه ليس له أن يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع فى بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال ﴿ ان كنت قلته فقد علمته ﴾ أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال ﴿ تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ يعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما تعلم مافى غيبى ولا أعلم مافى غيبك وقيل معناه تعلم ما أخفى ولا أعلم ماتخفى وقيل معناه تعلم ما كان منى فى دار الدنيا ولا أعلم مايكون منك فى دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ماتقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومى ولا أعلم معلومك وانما ذكر

لفظا اذ (قال سبحانك) من أن يكون لك شريك (مايكون لى) ماينبغى لى (أن أقول ماليس لى بحق) أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (ان كنت قلته فقد علمته) ان صح انى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى انى لا أحتاج الى الاعتذار لانك تعلم انى لم أقله ولو قلته علمته لانك (تعلم مافى نفسى) ذاتى (ولا أعلم مافى نفسك) ذاتك فنفس الشئ ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك

قال) يقول عيسى (سبحانك) نزه ربه (مايكون) يقول ما كان ينبغى وما يجوز (لى أن أقول) لهم (ماليس لى بحق) بجائز (ان كنت قلته) لهم (فقد علمته تعلم ما فى نفسى) ما كان منى لهم من الامر والنهى (ولا أعلم ما فى نفسك) ما كان منك لهم من الخذلان

(هذا)

﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ﴿ ماقلت لهم الا ما أمرتنى به ﴾ تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه (أن اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ عطف بيان للضمير فى به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو اعنى ولا يجوز ابدا له من ما أمرتنى به فأن المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله سبحانه وتعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان مثل ما أمرتهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ أى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ﴿ فلما توفيتنى ﴾ بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات ﴿ وأنت على كل شئ شهيد ﴾ مطلع عليه مراقب له ﴿ ان تعذبهم فأنهم عبادك ﴾ أى ان تعذبهم فأنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك ﴿ وان تغفر لهم

هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال ﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ يعنى انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ❊ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى ﴿ ماقلت لهم الا ماأمرتنى به ﴾ يعنى ماقلت لهم الا قولا أمرتنى به ﴿ أن اعبدوا الله ﴾ يعنى قلت لهم اعبدوا الله ﴿ ربى وربكم ﴾ يعنى وحدوه ولا تشركوا به شيأ ﴿ وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ﴾ يعنى وكنت أشهد مايفعلون وأحضره مادمت مقيما فيهم ﴿ فلما توفيتنى ﴾ يعنى فلما رفعتنى الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ يعنى الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ ﴿ وأنت على كل شئ شهيد ﴾ يعنى أنت شهدت مقالتى التى قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعدما رفعتنى اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان ومايكون ويجوز الشهيد هنا بمعنى العليم يعنى أنت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ ❊ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ﴿ ان تعذبهم ﴾ يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم ﴿ فانهم عبادك ﴾ لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت العادل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا ﴿ وان تغفر لهم ﴾ يعنى لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك

(انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ماانطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان مايعلم علام الغيوب لا ينتهى اليه علم أحد (ماقلت لهم الا ماأمرتنى به) أى ما أمرتهم الا بما أمرتنى به ثم فسر ما أمر به فقال (أن اعبدوا الله ربى وربكم) فان مفسرة بمعنى أى (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (مادمت فيهم) مدة كونى فيهم (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شئ شهيد) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

والتوفيق (انك أنت علام الغيوب) ما غاب عن العباد (ما قلت لهم) فى الدنيا (الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله) وحدوا الله وأطيعوه (ربى وربكم) هو ربى وربكم (وكنت عليهم شهيدا) بالبلاغ (ما دمت فيهم) ما كنت فيهم (فلما توفيتنى) رفعتنى من بينهم (كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ والشهيد عليهم (وأنت على كل شئ) من مقالتى ومقالتهم (شهيد) عليم قال عيسى (ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم

ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم أي ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم أي لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك أو عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا أي يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم

فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ فلا عجز ولا استقباح فأنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فأن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فأن عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بأن ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع

﴿ فانك أنت العزيز ﴾ يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده ﴿ الحكيم ﴾ في أفعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأله المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي * قوله عز وجل ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية

فانك أنت العزيز الحكيم) قد فسرتها في التقديم (قال الله) سيقول الله (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) والمؤمنين ايمانهم والمبلغين تبليغهم والموفين وفاؤهم

خبرا والمعنى هذا الذى مر هو من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف ﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ بيان للنفع ﴿ لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير ﴾ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير أولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى تنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهى

فكان صادقا فى الدنيا والآخرة فينفعه صدقه وأما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضى الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لادار عمل وذهب فى هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون فى الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدى حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ماذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى مالهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى ﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ﴾ فهذا اشارة الى مايحصل لهم من الثواب الدائم الذى لاانقطاع له ولا انتهاء ﴿ رضى الله عنهم ﴾ يعنى بطاعتهم له ﴿ ورضوا عنه ﴾ يعنى بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكره من ثوابهم ﴿ الفوز العظيم ﴾ يعنى انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار ﴿ لله ملك السموات والارض ومافيهن ﴾ عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعنى ان الذى له ملك السموات والارض هو الذى يستحق الالهية لاماقالت النصارى من الهية المسيح وأمه لانهما من جملة من فى السموات والارض فهما عبيده وفى ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر فى الكلام كأنه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذى له ملك السموات والارض ومن فيهن ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الانعام

والارض ومافيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر (وهو على كل شئ قدير) من المنع والاعطاء والايجاد والافناء نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة الانعام مكية

(لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها وسررها (الانهار) أنهار الماء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (أبدا رضى الله عنهم) بأيمانهم وعملهم (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة (ذلك) الذى ذكرت من الخلود والرضوان (الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من عذاب النار (لله ملك السموات والارض) خزائن السموات والارض خزائن السموات المطر والارض النبات والثمار وغير ذلك (وما فيهن) من الخلق والعجائب (وهو على كل شئ) من خلق السموات والارض والثواب والعقاب (قدير) فأجحدوا الذى خلق السموات والارض

ومن السورة التى يذكر فيها الانعام وهى مكية

مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذى خلق السموات والارض﴾ أخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا أولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار

فصل فى ذكر نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هى مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وماقدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ الى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقتادة أنهما قالا هى مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا قال البغوى وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

* قوله عزوجل ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والارض﴾ قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية فى التوراة وآخر آية فى التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وفى رواية عنه ان آخر آية فى التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس رضى الله عنهما افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفى قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه أى قولوا الحمد لله وقال أهل المعانى لفظه خبر ومعناه الامر أى احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ فى البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد فى تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذى خلق السموات والارض

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أى الحمد له وان لم تحمدوه (الذى خلق السموات والارض) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله

نزلت جملة واحدة غير خمس آيات منها مدنيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم الى آخر الثلاثة وقوله وما قدروا الله الى آخره وقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخر الآية هؤلاء خمس آيات نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وعشرون وكلماتها ثلاثة آلاف وخمسون وحروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحمد لله) يقول الشكر والالوهية لله

(الذى خلق السموات) فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين (والارض) فى يومين يوم الثلاثاء والاربعاء (أى)

(وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شئ تختلف باختلاف ذلك الشئ نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به الاوثان تقول عدلت هذا بذا أي ساويته به والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه اي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أي عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته

والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والاجرام الحاملة لها أو لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر أو على قوله خلق على معنى انه خلق مالا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون

أي احمدوا الله الذى خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدى يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعنى بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوى بغير سند ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ يعنى والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل مساواة الشئ بالشئ والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشئ وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمتك وأحسنت اليك وأنت تنكرنى وتجحد احسانى اليك فتقول ذلك

(وجعل الظلمات والنور) خلق الكفر والايمان أو الليل والنهار (ثم الذين كفروا) كفار مكة (بربهم يعدلون) به الاصنام هو الذى خلقكم من طين من آدم وآدم من طين.

بربهم الاوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالى ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴾ أى ابتدأ خلقكم منه فأنه المادة الاولى وان آدم الذى هو أصل البشر خلق منه أو خلق أباكم فحذف المضاف ﴿ ثم قضى أجلا ﴾ أجل الموت ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ أجل القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فأن الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجلتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى أى مثبت معين لايقبل التغيير وأخبر عنه

منكر عليه ومتعجبا من فعله * قوله عز وجل ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴾ يعنى انه تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيأ فقال يارب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لاجرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك * عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى وأما قوله عز وجل ﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾ فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل براتقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد فى أجل البعث وذلك قوله ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الافى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثانى أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لايزيد ولاينقص والاجل الثانى هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لايعلمه الاالله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم

(هو الذى خلقكم من طين) من لابتداء الغاية أى ابتداء خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثم قضى أجلا) أى حكم أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول مابين أن يخلق الى أن يموت والثانى مابين الموت والبعث وهو البرزخ أو الاول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة

(ثم قضى اجلا) خلق الدنيا وجعل أجلها الى الفناء وخلق الخلق وجعل آجالهم الى الموت (وأجل مسمى عنده) أجل الآخرة معلوم عند الله بلاموت ولافناء

بأنه عندالله لامدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولان المقصود بيانه ﴿ ثم أنتم تمترون ﴾ استبعاد لامترائهم بعد ماثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فأن من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيات فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع ﴿ وهو الله ﴾ الضمير لله سبحانه وتعالى والله خبره ﴿ في السموات وفي الارض ﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أو بقوله ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ والجملة خبر ثان أو هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه سبحانه وتعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه ﴿ ويعلم ماتكسبون ﴾ من خير اوشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح ﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أي ومايظهر لهم دليل قط من الادلة أو معجزة من المعجزات أو آية من

قضى أجل يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو أجل مسمى عنده يعني ان ذلك الاجل عنده لايعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لايطلع عليه غيره ﴿ ثم أنتم تمترون ﴾ يعني ثم أنتم تشكون في البعث ۞ قوله عز وجل ﴿ وهو الله في السموات وفي الارض ﴾ يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لاشريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من أعمال القلوب وبالجهر مايظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لايخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض ﴿ ويعلم ماتكسبون ﴾ يعني من خير أو شر بقي في الآية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر أو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لاتخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضي عطف الشئ على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك وأجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ماتكسبون على مايستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولايجوز حمله على نفس الكسب والالزم عطف الشئ على نفسه ذكره الامام فخر الدين ﴿ وماتأتيهم ﴾ يعني لاهل مكة ﴿ من آية من آيات ربهم ﴾ يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (في السموات وفي الارض) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أوهو المعروف بالالهية فيهما أو هو الذي يقال له الله فيهما والاول تفريع على أنه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي وهو يعلم سركم وجهركم (ويعلم ماتكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن في (وما تأتيهم من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعيض أي ومايظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار

(ثم أنتم) ياأهل مكة (تمترون) تشكون بالله وبالبعث بعد الموت (وهو الله في السموات) وهو اله من في السموات (وفي الارض) واله من في الارض (يعلم سركم وجهركم) يقول يعلم السر والعلانية منكم (ويعلم ما تكسبون) ما تعملون من الخير والشر (وما تأتيهم) يعني اهل مكة (من آية من آيات ربهم) مثل انكساف الشمس وانشقاق القمر والنجوم

{ الا كانوا عنها معرضـين) تاركين للنظر لايلتفون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عـن الآيات فقـد كذبوا (بالحق لما جاءهم) أى بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذى تحـدوابه فعجزوا عنه (فسـوف يأتيهم أنبـاء ما كانوا به يسـتهزؤن) أى أنبـاء الشئ الذى كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعلمون باى شئ استهزؤا وذلك عندارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أوعند ظهور الاسـلام وعلو كلمته (ألم يروا) يعنى المكذبين (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سـنة أو سـبعون (مكناهم) فى موضـع جر صفة لقرون وجمع على المعنى (فى الارض مالم نمكن لكم) التمكين فى البـلاد اعطـاء المكنة (والسعة)

آيات الفرقان ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليـه ﴿ فقد كذبوا بالحق لمـا جاءهم ﴾ يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلهـا كذبوا به لما جاءهم أو كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة أوعند ظهور الاسلام وارتفاع أمره ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أى من أهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبى أو فائق فى العلم قلت المدة أو كثرت واشتقاقه من قرنت ﴿ مكناهم فى الارض ﴾ جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها أو اعطينا هم من القوى والآلات ما يتمكنون بها من انواع التصرف فيها ﴿ مالم نمكن لكم ﴾ مالم نجعل لكم من السـعة وطول المقام

مثل انشـقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن ﴿ الا كانوا عنهـا معرضين ﴾ يعنى الا كانوا لهـا تاركين وبهـا مكذبين ﴿ فقد كذبوا بالحق ﴾ يعنى بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات ﴿ لما جاءهم ﴾ يعنى لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يعنى فسوف يأتيهم أخبـار استهزائهم اذا عـذبوا فى الآخرة ✽ قوله عز وجـل ﴿ ألم يروا ﴾ الخطاب لكفار مكة يعنى ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتى ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ يعنى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود فى ذلك الزمان وقيل سمى قرنا لانه زمان بزمان وأمة بامة واختلفوا فى مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سـنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن بشر المـازنى انك تعيش قرنا فعـاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعنى أصحابى وتابعيهم وتابعى التابعين ﴿ مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم ﴾ يعنى أعطيناهم مالم نعطكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم فى العمر والبسطة فى الاجسـام

(الا كانوا عنها) عن الآية (معرضين) مكذبين بها (فقد كذبوا) يعنى اهل مكة (بالحق) بالقرآن والآية (لما جاءهم) محمد صلى الله عليه وسلم بهما (فسوف) وهذا وعيد لهم (يأتيهم ابناء ما كانوا به يستهزؤن) خبر استهزائهم وعقوبة اسـتهزائهم يوم بدر ويوم أحـد ويوم الاحزاب (ألم يروا) ألم يخبر أهل مكة فى القرآن (كم اهلكنـا من قبلهم من القرن) من الامم الخالية (مكناهم) ملكناهم وأمهلنـاهم (فى الارض مالم نمكن لكم) مالم نملككم ونمهلكم يا أهل مكة

اختلف فى القرن هل هو زمان معين او اهل زمان مخصوص واختار بعضهم انه حقيقة فيهما واختلف ايضا فى تعيين الزمان فقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة وقيل ثمانون وقيل سبعون وقيل ستون وقيل ثلاثون وقيل عشرون وقيل المقدار الاوسط فى اعمار اهل كل زمان مختصرا من الشهاب مصححه

والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا(وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا

يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب ﴿ وأرسلنا السماء عليهم ﴾ أى المطر أو السحاب أو المظلة فان مبدأ المطر منها ﴿ مدرارا ﴾ مغزارا ﴿ وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم ﴾ فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ أى لم يغن ذلك عنهم شيأ ﴿ وأنشأنا ﴾ وأحدثنا ﴿ من بعدهم قرنا آخرين ﴾ بدلا منهم والمعنى انه سبحانه وتعالى كما قدر على ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾ مكتوبا فى ورق ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ تعنتا وعنادا ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ هلا أنزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴿ ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ﴾

والسعة فى الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ﴾ مفعال من الدر يعنى وأرسلنا المطر متتابعا فى أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمى بذلك لنزوله منها ﴿ وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم ﴾ يعنى وفجرنا لهم العيون تجرى من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ يعنى بسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ يعنى وخلقنا من بعد هلاك أولئك أهل قرن آخرين وفى هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ❁ قوله عز وجل ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾ الآية قال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس يعنى من عندى يعنى مكتوبا فى قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التى يكتب فيها ﴿ فلمسوه بايديهم ﴾ يعنى فعاينوه ومسوه بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ فى ايقاع العلم بالشئ من الرؤية لان المرئيات قد يدخلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف الممسوس ﴿ لقال الذين كفروا أن هذا الا سحر مبين ﴾ يعنى لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا فى انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شئ لما سبق فيهم من علمى بهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ لولا ﴾ يعنى هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ يعنى على محمد ﴿ ملك ﴾ يعنى نراه عيانا ﴿ ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ﴾ يعنى لفرغ الامر

الانهار تجرى من تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيأ (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بايديهم) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت أبصارنا و من المحتج عليهم العمى (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبى فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر)

(وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) مطرا دائما دريرا كلما احتاجوا اليه(وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) من تحت بساتينهم وزروعهم وشجرهم (فأهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الانبياء (وأنشأنا) خلقنا (من بعدهم قرنا) قوما (آخرين) خيرا منهم (ولو نزلنا عليك كتابا) لو نزلنا جبريل عليك بالقرآن جملة (فى قرطاس) فى صحيفة كما (قا و خا ٤٩ نى) سألك عبد الله بن أبى امية المخزومى وأصحابه (فلمسوه بايديهم) فأخذوه وقرؤه (لقال الذين كفروا) يعنى عبد الله بن أبى أمية المخزومى (أن هذا) ما هذا (الا سحر مبين) كذب بين (وقالوا) يعنى عبد الله بن أبى أمية المخزومى (لولا انزل عليه ملك) هلا أنزل عليه ملك فيشهد له بما يقول (ولو أنزلنا ملكا) كما سألوك (لقضى الامر) نزل بعذابهم

لقضي امر هلاكهم ثم لاينظرون) لايمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم
من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعدما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان
مفاجاة الشدة أشد من نفس الشدة

ولوجعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ماهذا الا بشر مثلكم ولوشاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لايبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم مايلبسون) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يامحمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ماأصابه من استهزاء قومه بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك

جواب لقولهم و بيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لوانزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ ثم لاينظرون ﴾ بعد نزوله طرفة عين ﴿ ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ﴾ جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولوجعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لاتقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أي ولوجعلناه رجلا للبسنا أي لخلطنا عليهم مايخلطون على انفسهم فيقولون ماهذا الا بشر مثلكم * وقرئ لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾

ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به ﴿ ثم لاينظرون ﴾ يعني انهم لايمهلون ولايؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب ﴿ ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ يعني ولوأرسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لايستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولونظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه * قوله عزوجل ﴿ وللبسنا عليهم مايلبسون ﴾ يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لايعرف جهته ومعنى الآية ولخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلايدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية انا لوجعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسئلة بحالها انا لانرضى برسالة البشر ولوفعل الله عزوجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل مالحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء * قوله عزوجل ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ يعني كما استهزؤا بك يامحمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله

وقبض أرواحهم ويقال لفرغ من هلاكهم (ثم لاينظرون) لايؤجلون (ولو جعلناه) يعني الرسول (ملكا لجعلناه رجلا) في صورة رجل آدمي حتى يقدروا أن ينظروا اليه (وللبسنا عليهم) على الملائكة (ما يلبسون) مثل مايلبسون من الثياب ويقال وللبسنا عليهم خلطنا عليهم (عليه) صورة الملك مايلبسون كما يخلطون على أنفسهم صفة محمد ونعته (ولقد استهزئ برسل من قبلك) استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك

فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فأحاط بهم الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل
استهزائهم ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبى عمرو وعاصم لالتقاء
الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء فى الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير فى فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا فى الارض ثم انظروا اباحة السير فى الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن ما فى السموات والارض) من استفهام وما بمعنى الذى فى موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قل لله) تقرير لهم أى هو لله لاخلاف بينى وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا منه شيأ الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شئ للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا

تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يرى من قومه ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا الاجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم ﴿ قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين ﴿ قل لمن ما فى السموات والارض ﴾ خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت ﴿ قل لله ﴾ تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب

عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة فى ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله ﴿ فحاق ﴾ أى فنزل وقيل أحاط وقيل حل ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفى هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم ﴿ قل سيروا فى الارض ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا فى الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام ﴿ ثم انظروا ﴾ فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثانى يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى ﴿ كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ يعنى كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل لمن ما فى السموات والارض قل لله ﴾ هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما فى السموات والارض فان أجابوك والا فاخبرهم ان ذلك الله الذى قهر كل شئ وملك كل شئ واستعبد كل شئ لا للاصنام التى تعبدونها أنتم فانها موات لا تملك شيأ ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ فى التأكيد وآكد فى الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه فى سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ يعنى انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب وأناب (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله

قومك (فحاق) فوجب ونزل ودار (بالذين سخروا منهم) من الكفار (ما
كانوا به يستهزؤن) عقوبة استهزائهم (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (فى الارض ثم انظروا) وتفكروا (كيف كان
عاقبة المكذبين) كيف صار آخر أمر المكذبين بالله والرسل (قل) يا محمد لاهل مكة (لمن ما فى السموات والارض) من الخلق فان
أجابوك والا (قل لله) خلق السموات والارض (كتب على نفسه الرحمة) أوجب على نفسه الرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم

والامهال على الكفر ﴿ليجمعنكم الى يوم القيمة﴾ استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر أى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم أوفى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فأن من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم ﴿لاريب فيه﴾ فى اليوم أوالجمع ﴿الذين خسروا انفسهم﴾ بتضييع رأس مالهم وهوالفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبرأى وأنتم الذين أوعلى الابتداء والخبر ﴿فهم لايؤمنون﴾ والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فأن ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان

صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى وفى البخارى ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى سبقت غضبى فهو مكتوب عنده فوق العرش وفى رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخارى على العرش ثم اتفقا ان رحمتى تغلب غضبى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخارى فى رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان الله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والارض فجعل منها فى الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق) عن عمر رضى الله عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى فاذا امرأة من السبى تبتغى اذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فالصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر أن لاتطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها ﴿قوله عز وجل ﴿ليجمعنكم﴾ اللام فى قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم ﴿الى يوم القيمة﴾ يعنى فى يوم القيامة وقيل معناه فى قبوركم الى يوم القيامة ﴿لاريب فيه﴾ أى لاشك فى انه آت ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ يعنى بالشرك بالله أوغبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسر شيأ وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن فى بيعه ﴿فهم لايؤمنون﴾

وهو منجزه لامحالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لايقدر على خلق شئ بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيمة) فيجازيكم على اشراككم (لاريب فيه) فى اليوم أوفى الجمع (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أى أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فهم لايؤمنون) وقال الاخفش الذين بدل من كم فى ليجمعنكم أى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لايجوز مررت بى المسكين ولابك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لانهما فى غاية الوضوح فلا يحتاجان

بتأخير العذاب (ليجمعنكم) والله ليجمعنكم (الى يوم القيمة) ليوم القيامة (لاريب فيه) لاشك فيه (الذين خسروا) غبنوا (أنفسهم) ومنازلهم وخدمهم وازواجهم فى الجنة (فهم لايؤمنون) بمحمد والقرآن ونزل فى مقالتهم فى محمد عليه السلام ارجع الى ديننا حتى نغنيك بزوجك ونعزك ونملكك

(يعنى)

الى البدل والتفسير (وله) عطف على الله (ماسكن في الليل والنهار) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكوت ومعناه ما ساكن وتحرك فيهما فاكتفى باحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أي الحر والبرد وذكر السكون لانه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان (قل أغير الله أتخذ وليا) ناصرا ومعبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما أدخل همزة الاستفهام على مفعول اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض) بالجر صفة لله أي مخترعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق أي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم)

﴿وله﴾ عطف على الله ﴿ماسكن في الليل والنهار﴾ من السكنى وتعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم * والمعنى ما اشتملا عليه أو من السكون أي ما سكن فيهما أو تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر ﴿وهو السميع﴾ لكل مسموع ﴿العليم﴾ بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك ﴿فاطر السموات والارض﴾ مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها أي أبتدأتها وجره على الصفة لله فأنه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر * وقرئ بالرفع والنصب على المدح ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه * وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم أو على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط ﴿قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم﴾

يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان * قوله عز وجل ﴿وله ماسكن في الليل والنهار﴾ يعني وله ما استقر وقيل ماسكن وما تحرك فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ماطلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ماحصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره ﴿وهو السميع﴾ لاقوالهم وأصواتهم ﴿العليم﴾ بسرائرهم وأحوالهم * قوله عز وجل ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله أتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا أتخذ غير الله وليا ﴿فاطر السموات والارض﴾ أي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبتدئهما ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غني عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا ﴿قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ يعني من هذه الامة والاسلام

على أنفسنا (وله ماسكن في الليل والنهار) ما استقر في وطنه في الليل والنهار (وهو السميع) لمقالتهم (العليم) بعقوبتهم وبارزاق الخلق (قل) يا محمد لهم (أغير الله أتخذ وليا) أعبد ربا (فاطر السموات) خالق السموات (والارض وهو يطعم) يرزق العباد (ولا يطعم) لا يرزق ويقال لا يعان على الترزيق (قل) يا محمد لكفار مكة (انى أمرت أن أكون أول من أسلم) أول من يكون

لان النبى سابق أمته فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى لا تكونن من المشركين ولو عطف على ماقبله لفظا لقيل وأن لا أكون والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أى انى أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربى فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة من يصرف حمزة وعلى وأبو بكر أى من يصرف الله عنه العذاب (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه (فلا كاشف له الا هو) فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) فهو قادر على ادامته وازالته.

لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل ﴿ قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة ﴿ من يصرف عنه يومئذ ﴾ أى يصرف العذاب عنه * وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله سبحانه وتعالى * وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف ﴿ فقد رحمه ﴾ نجاه وأنعم عليه ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ أى الصرف أو الرحم ﴿ وان يمسسك الله بضر ﴾ ببلية كمرض وفقر ﴿ فلا كاشف له ﴾ فلا قادر على كشفه ﴿ الا هو وان يمسسك بخير ﴾ بنعمة كصحة وغنى ﴿ فهو على كل شئ قدير ﴾ فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه

بمعنى الاستسلام يعنى أمرت أن أستسلم لامر الله وأنقاد الى طاعته ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ يعنى وقيل لى يا محمد لا تكونن من المشركين ﴿ قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيرى ان ربى أمرنى أن أكون أول من أسلم ونهانى عن عبادة شئ سواه وانى أخاف ان عصيت ربى فعبدت شيأ سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة ﴿ من يصرف عنه ﴾ يعنى العذاب ﴿ يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فقد رحمه ﴾ يعنى بان انجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ يعنى أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين * قوله عز وجل ﴿ وأن يمسسك الله بضر ﴾ يعنى بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو فى معناه ﴿ فلا كاشف له الا هو ﴾ يعنى فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل ﴿ وأن يمسسك بخير ﴾ يعنى بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ماينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك ﴿ فهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد

على الاسلام ويقال أول من أخلص بالعبادة والتوحيد لله من أهل زمانه (ولا تكونن من المشركين) مع المشركين على دينهم (قل) يا محمد (انى أخاف) اعلم (ان عصيت ربى) وعبدت غيره ورجعت الى دينكم (عذاب يوم عظيم) عذابا عظيما فى يوم عظيم ويقال عذابا فى يوم عظيم (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ) يوم القيامة (فقد رحمه) عصمه وغفر له (وذلك) الغفران (الفوز المبين) النجاة الوافرة (وان يمسسك الله) (والمعنى) يصبك الله (بضر) بشدة وفقر (فلا كاشف له) فلا رافع له (الا هو وان يمسسك) يصبك (بخير) بنعمة وغنى (فهو على كل شئ) من الشدة والفقر والنعمة والغنى (قدير

كقوله فلا راد لفضله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ فى أمره وتدبيره ﴿ الخبير ﴾ بالعباد وخفايا احوالهم ﴿ قل أى شئ أكبر شهادة ﴾ نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة

والمعنى وان يمسسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير أيها الانسان فهو على كل شئ قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لى يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذى زاد فيه رزين تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله فى مسند أحمد بن حنبل ❁ قوله عز وجل ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ يعنى وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذى يدبر خلقه بما يريد فيقع فى ذلك مايشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر فى صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذى لا يعجزه شئ أراده ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذى لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيأ فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبرى معنى القاهر المتعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيأ أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالى عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذى تفرد به الله عز وجل ﴿ وهو الحكيم ﴾ يعنى فى أمره وتدبيره عباده ﴿ الخبير ﴾ يعنى باعمالهم وما يصلحهم ❁ قوله عز وجل ﴿ قل أى شئ أكبر شهادة ﴾ قال الكلبى أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أرنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك أى شئ أكبر شهادة يعنى أعظم شهادة

(وهو القاهر) مبتدأ وخبر أى الغالب المقتدر (فوق عباده) خبر بعد خبر أى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه (وهو الحكيم) فى تنفيذ مراده (الخبير) باهل القهر من عباده (قل أى شئ أكبر شهادة) أى شئ مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تميز وأى كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله

وهو القاهر) الغالب (فوق عباده) على عباده (وهو الحكيم) فى أمره وقضائه (الخبير) بخلقه وباعمالهم ثم نزلت فى مقالتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بشهيد يشهد انك نبى (قل) يا محمد لهم (أى شئ أكبر) أعدل وأرضى (شهادة) فأن أجابوك والا

﴿قل الله﴾ أى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ ﴿شهيد بينى وبينكم﴾ أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة ﴿وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به﴾ أى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ﴿ومن بلغ﴾ عطف على ضمير المخاطبين أى لانذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر أومن الثقلين أو لانذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وفيه دليل على ان أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم

فان هم أجابوك والا ﴿قل﴾ أنت يا محمد ﴿الله شهيد بينى وبينكم﴾ قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا أى شئ أكبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم يعنى يشهد لى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الآية ان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله ﴿وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به﴾ يعنى ان الله عز وجل يشهد لى بالنبوة لانه أوحى الى هذا القرآن وهو معجزة لانكم أنتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأنى رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لاخوفكم به واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل ﴿ومن بلغ﴾ يعنى وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتى بعدى الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبى صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﴿شرح ما يتعلق بهذا الحديث﴾ فيه الامر بابلاغ ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن وسنة * وقوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أكثر مما قلتم وأوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب والاخبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة * عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيأ فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى * وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود موقوفا

(قل الله) جواب أى الله أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشئ على الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيأ ولذا نقول الله تعالى شئ لا كالاشياء ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بينى وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شئ شهادة شهيد له (وأوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ) أى ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة فى الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أى ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن

(قل الله شهيد بينى وبينكم) بانى رسوله وهذا القرآن كلامه (وأوحى الى هذه القرآن) أنزل الى جبريل بهذا القرآن (لانذركم به) لاخوفكم بالقرآن (ومن بلغ) اليه خبر القرآن فأنا نذير له

وانه لايؤاخذ بها من لم تبلغه ﴿ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾ تقرير لهم مع انكار واستبعاد ﴿ قل لاأشهد ﴾ بما تشهدون ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾ أى بل اشهد ان لااله الا هو ﴿ وأننى برئ مما تشركون ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ أى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ بحلاهم ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فهم لايؤمنون ﴾ لتضييعهم مابه يكتسب الايمان

❊ قوله عزوجل ﴿ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾ يعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيرى انكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين ﴿ قل لاأشهد ﴾ يعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين لاأشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾ يعنى قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لاشريك له وبذلك أشهد ﴿ وأننى برئ مما تشركون ﴾ يعنى وأنا برئ من كل شئ تعبدونه سوى الله وفى هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عزوجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتى بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني برئ مما تشركون ❊ قوله عزوجل ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ المراد بالذين أوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عزوجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين فى هذه الآية أنهم يعرفونه وأنهم كذبوا فى قولهم أنهم لايعرفونه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبدالله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عزوجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبدالله بن سلام ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ولأنا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى فقال عمر وكيف ذاك قال أشهد أنه رسول الله حقا ولاأدرى مايصنع النساء ❊ قوله عزوجل ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى أهلكوا أنفسهم وغبنوها وأوبقوها فى نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين ﴿ فهم لايؤمنون ﴾

(أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكيت (قل لاأشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (انما هو اله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ واله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبران وهذا الوجه أوقع (واننى برئ مما تشركون) به (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لايؤمنون)

(أئنكم) ياأهل مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) يعنى الاصنام تقولون انها بنات الله فان شهدوا على ذلك (قل لاأشهد) معكم (قل) يامحمد (انما هو اله واحد) انما الاله اله واحد (واننى برئ مما تشركون) به من الاصنام فى العبادة (الذين آتيناهم الكتاب) أعطيناهم علم التوراة يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعرفون محمدا بصفته ونعته (كما يعرفون أبناءهم) يعنى الغلمان (الذين خسروا أنفسهم) غبنوا أنفسهم بذهاب (قا و خا ٥٠ نى) الدنيا والآخرة يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه (فهم لايؤمنون)

به ﴿ ومن اظلم ﴾ استفهام يتضمن معنى النفى أى لا احد أظلم لنفسه والظلم وضع الشئ فى غير موضعه واشنعه اتخاذ المخلوق معبودا (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فيصفه بما لا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن والمعجزات (انه) ان الامر والشأن (لايفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله مالاحجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا (ويوم نحشرهم) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جميعا) حال من ضمير المفعول (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثم لم تكن) وبالياء حمزة وعلى (فتنتهم) كفرهم (الا أن قالوا

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ أو كذب بآياته ﴾ كان كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس ﴿ انه ﴾ ضمير الشان ﴿ لايفلح الظالمون ﴾ فضلا عمن لا احد اظلم منه ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ منصوب بمضمر تهويلا للامر ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم ﴾ أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله * وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء ﴿ الذين كنتم تزعمون ﴾ أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ﴿ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ﴾ أى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب أو لانهم قصدوا به الخلاص . وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع

يعنى به والقول الثانى أنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا فى معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انه جعل لكل واحد من بنى آدم منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التى فى الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التى فى النار فذلك هو الخسران * قوله عز وجل ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ يعنى ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام أو ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يعنى كذب بحجته واعلام أدلته التى أعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أنه لايفلح الظالمون ﴾ يعنى انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ أى اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ يعنى انها تشفع لكم عند ربكم * قوله عز وجل ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ يعنى قولهم وجوابهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما فى قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج فى قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا أن تبرؤا منها وهو قوله عز وجل ﴿ الا أن قالوا

بمحمد والقرآن (ومن أظلم) اجرأ (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فأشركه بآلهة شتى (أو كذب بآياته) بمحمد والقرآن (أنه لايفلح) لا ينجو ولا يأمن (الظالمون) الكافرون والمشركون من عذاب الله (ويوم نحشرهم جميعا) كافة الناس يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا) بالله الآلهة (أين شركاؤكم) آلهتكم (الذين كنتم تزعمون) تعبدون وتقولون انهم شفعاؤنا (ثم لم تكن فتنتهم) عذرهم وجوابهم (الا ان قالوا) لا قولهم ﴿ والله ﴾

والله ربنا ما كنا مشركين) يعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكى وشامى وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن و أن قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلى على النداء أى يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (أنظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا انكتم الشرك لعلنا نجو مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) الهيته وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واطرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدرى ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان انى لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت

على انها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ أى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم * وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء أو المدح ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الشركاء ﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى

والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا انكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر * قال الله تعالى ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ يعنى انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله ﴿ وضل عنهم ﴾ يعنى زال عنهم وذهب ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم * قوله عز وجل ﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ الآية قال الكلبى اجتمع ابو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف والحرث ابن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدرى ما يقول الا انى أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان انى لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفى رواية للموت أهون علينا

(والله ربنا ما كنا مشركين انظر) يا محمد ويقال يقول للملائكة أنظروا (كيف كذبوا على أنفسهم) كيف اوجبوا عقوبة كذبهم على أنفسهم (وضل عنهم) اشتغل عنهم بأنفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب ويقال بطل افتراؤهم (ومنهم من يستمع اليك) يقول من أهل مكة من يستمع الى كلامك وحديثك منهم ابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابى ابنا خلف والحرث بن عامر

(وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا فى الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى

هى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون (أن هذا) ما القرآن (الأساطير الاولين) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة (وهم) أى المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول

(وجعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان يفقهوه) لكى لايفقهوا كلامك وحديثك (وفى آذانهم وقرا) صمما لكى لايسمعوا الحق والهدى ويقال ثقلا عن الهدى ان يعقلوه (وأن يروا كل آية) طلبوها منك (لايؤمنوا

جعلها بايته ما ادرى مايقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ماحدثتكم عن القرون الماضية فقال ابوسفيان انى لارى حقا فقال ابو جهل كلا ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ اغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ ﴿ أن يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة ﴿ وأن يروا كل آية لايؤمنوا بها ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم ﴿ حتى اذا جاؤك يجادلونك ﴾ أى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو ﴿ يقول الذين كفروا أن هذا الا أساطير الاولين ﴾ فأن جعل أصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة أو اسطارة أو اسطار جمع سطر وأصل السطر بمعنى الخط ﴿ وهم ينهون عنه ﴾ أى

من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يامحمد ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ يعنى أغطية جمع كنان ﴿ أن يفقهوه ﴾ يعنى لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فتقبله ويجعل بعضها فى أكنة فلاتفقه كلام الله ولاتؤمن به ﴿ وأن يروا كل آية لايؤمنوا بها ﴾ يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لايؤمنوا بها يعنى لايصدقوا بها ولايقروا أنها دالة على صدقك ﴿ حتى اذا جاؤك يجادلونك ﴾ يعنى انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن انما جاؤا ليجادلوك ويخاصموك لاليؤمنوا بها ﴿ يقول الذين كفروا أن هذا ﴾ أى ما هذا القرآن ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ يعنى أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وماسطروا يعنى وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر وأسطار جمع وأساطير جمع الجمع فعلى هذا أو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون فى كتبهم الحكم و العلوم النافعة ومالايعاب قائله أجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الاولين وقيل فى معنى أساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم أخذنا فى الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذى لايعرف فجعلت الترهات مثلا لما لايعرف ولايتضح من الامور المشكلة الغامضة التى لاأصل لها * قوله عزوجل ﴿ وهم ينهون عنه ﴾ يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه

بها) طلب منه حرث بن عامر (حتى اذا جاؤك) جاؤا اليك (يجادلونك) يسألونك ماذا أنزل (وسلم) من القرآن فاذا أخبرتهم (يقول الذين كفروا) يعنى نضر بن الحرث (أن هذا) ماهذا الذى يقول محمد (الا أساطير الاولين) كذب الاولين واحاديثهم (وهم ينهون عنه) وهو أبو جهل وأصحابه ينهون

واتباعه والايمان به (وينأون عنه) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم ومايشعرون) أي لايتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عني به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبه (ولو ترى) حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما (اذ وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار (فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدؤا بقوله (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وعلي وحفص على جواب التمني بالواو وباضمار أن ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما في ونكون شامي

ينهون الناس عن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به ﴿ وينأون عنه ﴾ بانفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب ﴿ وأن يهلكون ﴾ ومايهلكون بذلك ﴿ الا أنفسهم ومايشعرون ﴾ ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على النار ﴾ جوابه محذوف أي ولو تريهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا * وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها وقوفا ﴿ فقالوا ياليتنا نرد ﴾ تمنيا للرجوع الى الدنيا ﴿ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا أعود أي انا لا اعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ماتضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراء لها مجرى الفاء * وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف

وسلم ﴿ وينأون عنه ﴾ يعني ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روي أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني محمدا لتقتلوه وأربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينيك ولكن أذب عنك ماحييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

* قوله عز وجل ﴿ وأن يهلكون الا انفسهم ﴾ يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ يعني بذلك * قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على النار ﴾ يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت أمرا عجيبا وموقفا فظيعا ﴿ فقالوا ﴾ يعني الكفار ﴿ ياليتنا نرد ﴾ يعني الى الدنيا ﴿ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال

عنه عن محمد والقرآن (وينأون عنه) يمتنعون عنه ويتباعدون ويقال هو أبو طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتابعه (وأن يهلكون) مايهلكون (الا أنفسهم ومايشعرون) مايعلمون ان أوزار الذين يصدونهم عنه هي عليهم (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا) حبسوا (على النار فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) بالكتب والرسل (ونكون من المؤمنين) مع المؤمنين في السر والعلانية

(بل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بدالهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أو فى أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم

على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا (أن هى الاحيوتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وانهم لكاذبون أى وانهم لقوم كاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده لمعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أى البعث (بالحق) بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ماهو بحق (قالوا بلى وربنا)

ونصب الثانى على الجواب ﴿ بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لاعزما على انهم لو ردوا لآمنوا ﴿ ولو ردوا ﴾ أى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وأنهم لكاذبون ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم ﴿ وقالوا ﴾ عطف على لعادوا أو على انهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ماقالوه فى الدنيا ﴿ أن هى الاحيوتنا الدنيا ﴾ الضمير للحياة ﴿ وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف ﴿ قال أليس هذا بالحق ﴾ كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء

تعالى ﴿ بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ يعنى ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون فى الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية فى المنافقين ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ﴾ يعنى فى قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿ وقالوا ان هى الاحيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ وهذا خبر عن حال منكرى البعث وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله فى الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعنى الكفار ان هى أى ما هى الا حياتنا الدنيا أى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ❁ قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ﴾ يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم ﴿ قال أليس هذا بالحق ﴾ أى يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾

(بل بدا لهم) ظهر لهم عقوبة (ما كانوا يخفون) يسرون من الكفر والشرك (من قبل) فى الدنيا (ولو ردوا) الى الدنيا كما سألوا (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والشرك (وانهم لكاذبون) لانهم لو ردوا لم يؤمنوا به (وقالوا) يعنى كفار مكة (أن هى الا حيوتنا الدنيا) أى ما حياتنا الا حياتنا الدنيا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا) يقول حبسوا (على ربهم) عند ربهم (قال) الله لهم ويقال تقول لهم الملائكة (أليس هذا بالحق) أليس هذا العذاب والبعث بعد الموت حق (قالوا بلى وربنا) انه

﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ بسبب كفركم أو ببدله ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ غاية لكذبوا لالخسر لان خسرانهم لا غاية له ﴿ بغتة ﴾ فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فأنها نوع من المجئ ﴿ قالوا يا حسرتنا ﴾ أى تعالى فهذا أوانك ﴿ على ما فرطنا ﴾ قصرنا ﴿ فيها ﴾ فى الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها أو فى الساعة يعنى فى شأنها والايمان بها ﴿ وهم يحملون

يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس رضى الله عنهما للقيامة مواقف ففى موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفى موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه فى الدنيا ﴿ قال فذوقوا العذاب ﴾ أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم فى كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق فى شدة الاحساس ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت * قوله عزوجل ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ يعنى خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم فى دركات الجحيم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة ﴾ يعنى جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغتة فى ساعة لايعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة أو أقل من ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعنى منكرى البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتقاد ﴿ ياحسرتنا ﴾ يعنى ياندامتنا والحسرة التلهف على الشئ الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ماوقع بهم من الحسرة ﴿ على مافرطنا ﴾ يعنى قصرنا ﴿ فيها ﴾ يعنى فى الدنيا لانها موضع التفريط فى الاعمال الصالحة والمعنى ياحسرتنا على الاعمال الصالحة التى فرطنا فيها فى دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى الهاء والالف فى قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران لايكون الا فى صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لايشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا مالحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ ياحسرتنا على مافرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ياحسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون ياحسرتنا * قوله عز وجل ﴿ وهم يحملون

أقروا وأكدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) ببلوغ الآخرة ومايتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية لكذبوا لالخسر لان خسرانهم لاغاية له (اذا جاءتهم الساعة) أي القيامة لان مدة تأخرها مع تأبد مابعدها كساعة واحدة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال يعنى باغتة أو على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا ياحسرتنا) نداء تفجع معناه ياحسرة احضرى فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الايمان بها (وهم يحملون

لحق كما قالت الرسل (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) تجحدون بالبعث بعد الموت (قد خسر) قد غبن (الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث بعد الموت يقول انظرهم (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة) فجأة (قالوا ياحسرتنا) ياحزناه أو ياندامتاه (على مافرطنا فيها) تركنا في الدنيا يعنى الايمان والتوبة (وهم يحملون

أو زارهم على ظهورهم ﴾ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾ بئس شيأ يزرونه وزرهم ﴿ وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ﴾ أى وما أعمالها الا لعب ولهو تلهى الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم

أوزارهم ﴾ يعنى أثقالهم ﴿ على ظهورهم ﴾ والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب أوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لافيقول أنا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعنى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لافيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمر بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله فى صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس أنت فيقول أنا عملك طالما ركبتنى فلأركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدى ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر فى الوزن فقد يذكر فى الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل فى معنى الآية ان أوزارهم لاتزايلهم كما تقول شخصه نصب عينى أى ذكره ملازم لى ﴿ ألا ساء مايزرون ﴾ يعنى بئس الشئ شيأ يحملونه وقال ابن عباس رضى الله عنهما بئس الحمل حملوا * قوله عز وجل ﴿ وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ﴾ أى باطل وغرور لابقاء لها وهذا فيه رد على منكرى البعث فى قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما أن المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لايزداد بحياته فى الدنيا الاخيرا لانه يحصل فى أيام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة مايكون سببا لحصول السعادة فى الآخرة وأما الكافر فان كل حياته فى الدنيا وبال عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد حياة أهل الشرك والنفاق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لابقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشئ الذى يلعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا

أوزارهم) آثامهم (على ظهورهم) خص الظهر لان المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالايدى وهو مجاز عن اللزوم على وجه لاينفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله أقبح شئ صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيئ فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم (ألا ساء مايزرون) بئس شيأ يحملونه وأفاد ألا تعظيم مايذكر بعده (وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا واللعب ترك ماينفع بما لاينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا الا أهل لعب ولهو وقيل ما أعمال الحياة الدنيا الا لعب ولهو لانها لاتعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة

أوزارهم) آثامهم (على ظهورهم ألا ساء مايزرون) بئس مايحملون من الذنوب (وما الحيوة الدنيا) من الزهرة والنعيم (الالعب) فرح (ولهو) باطل

انهى الاحياتنا الدنيا ﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو * وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أى الامرين خير * وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ﴾ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله * ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى انه للشان * وقرئ ليحزنك من أحزن ﴿ فأنهم لا يكذبونك ﴾ فى الحقيقة * وقرأ نافع والكسائى لايكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا أونسبه الى الكذب ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب * روى أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا

وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا أهل لعب ولهو لانه لايجدى شيأ ولاشتغالهم عما أمروا به نسبوا الى اللعب واللهو * وقوله عز وجل ﴿ وللدار الآخرة ﴾ يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة ﴿ خير ﴾ يعنى من الدنيا وأفضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع ﴿ للذين يتقون ﴾ يعنى الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو ﴿ أفلا يعقلون ﴾ ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها * قوله عز وجل ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ﴾ يعنى قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقوله المشركون لك قال السدى التقى الاخنس ابن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الاخنس لابى جهل ياأبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبى صلى الله عليه وسلم مانتهمك ولانكذبك ولكنا نكذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن أبى طالب أن أبا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أخرجه الترمذى من طريقين وقال فى أحدهما وهذا أصح ففى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه فى الظاهر الحسد والظلم ﴿ فانهم لايكذبونك ﴾ يعنى أنهم لايكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا انك صادق ﴿ ولكن الظالمين ﴾ يعنى الكافرين ﴿ بآيات الله يجحدون ﴾ يعنى فى العلانية وذلك انهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذى أنزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى فى حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله

(وللدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها ولدار الآخرة بالاضافة شامى أى ولدار الساعة الآخرة لان الشئ لايضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين (خير للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال المتقين لعب ولهو (أفلا يعقلون) بالتاء مدنى وحفص ولما قال أبو جهل ما نكذبك يا محمد وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به نزل (قد نعلم انه) الهاء ضمير الشان (ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك) لاينسبونك الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلى من أكذبه اذا وجده كاذبا (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا فى جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لايكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله لان تكذيب الرسل تكذيب

(وللدار الآخرة) يعنى الجنة (خير للذين يتقون) الكفر والشرك والفواحش (أفلا تعقلون) ان الدنيا فانية والآخرة باقية (قد نعلم انه ليحزنك) يا محمد (قا و خا ٥١ نى) (الذى يقولون) من الطعن والتكذيب وطلب الآية (فانهم) يعنى حرث بن عامر وأصحابه (لايكذبونك) فى السر (ولكن الظالمين) المشركين (بآيات الله) فى العلانية (يجحدون

المرسل (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله فانهم لايكذبونك
ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانوني (فصبروا) والصبر حبس
النفس على المكروه (على على تكذيبهم وايذائهم (حتى
أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش ان تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لايجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت ان تبتغي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ماتحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سلما في السماء

فنزلت ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لايكذبونك ليس ينفي تكذيبه مطلقا ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر ﴿ حتى أتاهم نصرنا ﴾ فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ﴿ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم ﴿ وان كان كبر عليك ﴾ عظم وشق ﴿ اعراضهم ﴾ عنك وعن الايمان بما جئت به ﴿ فأن استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء

وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لايكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك ❁ قوله عز وجل ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يامحمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه ﴿ حتى أتاهم نصرنا ﴾ يعني باهلاك من كذبهم ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به ❁ وقوله عز وجل ﴿ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ يعني ولقد أنزلت عليك في القرآن من أخبار المرسلين مافيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ❁ قوله عز وجل ﴿ وان كان كبر عليك اعراضهم ﴾ ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى الآية وان كان عظم عليك يامحمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سألوه آية أحب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل ﴿ فان استطعت أن تبتغي ﴾ يعني تطلب وتتخذ ﴿ نفقا في الارض ﴾ يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر ﴿ أو سلما في السماء ﴾

ولقد كذبت رسل من قبلك) كذبهم قومهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا) على ما كذبهم قومهم (وأوذوا) وصبروا على اذى قومهم (حتى أتاهم نصرنا) بهلاك قومهم (ولا مبدل لكلمات الله) لامغير لكلمات الله بالنصرة (يعني) لاوليائه على اعدائه (ولقد جاءك) يامحمد (من نبأ) خبر (المرسلين) كيف كذبهم قومهم كما كذبك قومك فصبروا على ذلك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) تكذيبهم (فان استطعت) قدرت (ان تبتغي) ان تطلب (نفقا) سربا (في الارض) فتدخل فيه (أو سلما في السماء) أو سببا وطريقا تصعد فيه

فتأتيهم)منها(بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان كبر والمعنى انك لاتستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم

يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لاينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أى الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا أنزل عليه (آية من ربه) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع

فتأتيهم بآية ﴿ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية أو مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ أى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ بالحرص على مالا يكون والجزع فى مواطن الصبر فأن ذلك من دأب الجهلة ﴿ انما يستجيب الذين يسمعون ﴾ انما يجب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله أو القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لايسمعون ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ﴿ ثم اليه يرجعون ﴾ للجزاء ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾

يعنى أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة ﴿ فتأتيهم بآية ﴾ يعنى بالآية التى سألوها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب فى الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولايتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه ﴿ قوله عزوجل ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ يعنى بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لايشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولاتجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لاصبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة ﴿ قوله عز وجل ﴿ انما يستجيب الذين يسمعون ﴾ يعنى المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله ﴿ والموتى ﴾ يعنى الكفار الذين لايسمعون ولايستجيبون ﴿ يبعثهم الله ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ثم اليه يرجعون ﴾ فيجزيهم باعمالهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى رؤساء كفار قريش ﴿ لولا ﴾ يعنى هلا ﴿ نزل عليه آية من ربه ﴾ يعنى الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل

الى السماء (فتأتيهم بآية) يقول تنزل بالآية التى طلبوها فلتفعل (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) على التوحيد (فلاتكونن من الجاهلين) بمقدورى عليهم بالكفر (انما يستجيب) يؤمن ويطيع (الذين يسمعون) يصدقون ويقال يعقلون الموعظة(والموتى) يعنى موتى يوم بدر ويوم أحد ويوم الاحزاب ويقال الموتى القلوب (يبعثهم الله) بعد الموت (ثم اليه يرجعون) فى المحشر فيجزيهم باعمالهم (وقالوا) يعنى كفار مكة حرث بن عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبى ابنا خلف والنضر بن الحرث (لولا) هلا (نزل عليه آية) علامة (من ربه)

أى آيه مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا ﴿ قل ان الله قادر على أن ينزل آية ﴾ مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية ان جحدوها هلكوا ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجاب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره • وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ وما من دابة فى الارض ﴾ تدب على وجهها ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ فى الهوى وصف به قطعا لمجاز السرعة ونحوها • وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل ﴿ الا أمم أمثالكم ﴾ محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى

الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء ﴿ قل ﴾ يعنى قل لهم يا محمد ﴿ أن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ يعنى انه تعالى قادر على ايجاد ماطلبوه وانزال مااقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ يعنى ماذا عليهم فى انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لايعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لايعلمون وجه المصلحة فى انزالها * قوله عز وجل ﴿ ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ﴾ قال العلماء جميع ماخلق الله عز وجل لايخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير فى الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح فى الماء كما ان الطير يسبح فى الهواء وانما خص مافى الارض بالذكر دون مافى السماء وان كان بما فى السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لايشاهد وانما ذكر الجناح فى قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدى ونظرت بعينى الا أمم أمثالكم قال مجاهد أى أصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائها مثل بنى آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ماروى عن عبدالله بن مغفل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى • فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير أمم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فبما يظهر لنا فاوجه هذه المماثلة • قلت اختلف العلماء فى وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما أنكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم فى طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل أمثالكم فى الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله عز وجل

أرض مكة وتفجير الانهار خلالها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لايعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية أولا يعلمون ما عليهم فى الآية من البلاء لو انزلت (ومامن دابة) هى اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث (فى الارض) فى موضع جر صفة للدابة (ولاطائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الأمم أمثالكم) فى الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر

لنبوته (قل) لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) كما طلبوا (ولكن أكثرهم لايعلمون) مالهم علم بنزولها (ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه) بين السماء والارض (الأمم) خلق عبيد (أمثالكم) أى مخلوق أشباهكم فى الاكل والجماع يفقه بعضها عن بعض كما يفقه بعضهم عن بعض آية لكم

(مافرطنا)

أمرها (مافرطنا) ماتركنا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ماوجب ان يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شئ أى من شئ يحتاجون اليه فهو مشتمل على ماتعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كاروى انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا وانما قال الأمم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته مايشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال (والذين

كذبوا بآياتنا صم) لايسمعون كلام المنبه (وبكم) لاينطقون بالحق خابطون (فى الظلمات) أى ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لايمنع من ذلك وفى الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بانه فعال لما يريد (من يشأالله يضلله) أى من يشأالله ضلاله يضلله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصى ونفى

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ يعنى اللوح المحفوظ فأنه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان او جاد أو القرآن فأنه قد دون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا أو مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لاالمفعول به فأن فرط لايتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب * وقرئ مافرطنا بالتخفيف ﴿ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم ﴾ لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم ﴿ وبكم ﴾ لا ينطقون بالحق ﴿ فى الظلمات ﴾ خبر ثالث أى خابطون فى ظلمات الكفر أوفى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر ﴿ من يشأالله يضلله ﴾ من يشأالله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ﴿ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ بأن

﴿ مافرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعنى ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال ﴿ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ يعنى الدواب والطير قال ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها وقال أبوهريرة رضى الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء * قوله عز وجل ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده ﴿ صم ﴾ يعنى عن سماع الحق ﴿ وبكم ﴾ يعنى عن النطق به والمعنى انهم فى حال كفرهم وتكذيبهم كمن لايسمع ولايتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لايسمع ولايتكلم ﴿ فى الظلمات ﴾ يعنى فى ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لايهتدون سبيلا ﴿ من يشأالله يضلله ﴾ يعنى عن الايمان ﴿ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ يعنى ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفى هذا دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عز وجل

(مافرطنا فى الكتاب) ماتركنا من الذى كتبنا فى اللوح المحفوظ (من شئ) شيأ الاذكرناه فى القرآن (ثم الى ربهم) يعنى الطيور والدواب (يحشرون) مع سائر الخلق يوم القيامة (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن (صم) بالقلوب ويقال يتصامون عن الحق (وبكم) يتباكون عن الحق والهدى (فى الظلمات) أى هم على الكفر (من يشأالله يضلله) يثبته على الكفر (ومن يشأ يجعله) يثبته (على صراط مستقيم) على طريق قائم يرضيه ويقال من يشأالله يضله يتركه مخذولا ومن يشأ يجعله يهديه ويوفقه ويثبته على صراط مستقيم على طريق قائم يرضاه

الاصلح (قل أرأيتكم)وبتليين الهمزة مدنى وبتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبرونى بما عندكم والضمير الثانى لامحل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله(أغيرالله تدعون)أى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين)فى ان الاصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة(فيكشف ماتدعون اليه) أى ماتدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم (وتنسون ماتشركون) وتتركون آلهتكم أولا تذكرون آلهتكم فى ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغيرالله تدعون كانه قيل أرأيتكم أغيرالله تدعون ان أتاكم عذاب الله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم

يرشده الى الهدى ويحمله عليه ﴿ قل أرأيتكم ﴾ استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لامحل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها * وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ﴿ ان أتاكم عذاب الله ﴾ كما اتى من قبلكم ﴿ أو أتتكم الساعة ﴾ وهولها ويدل عليه ﴿ أغيرالله تدعون ﴾ وهو تبكيت لهم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف أى فادعوه ﴿ بل اياه تدعون ﴾ بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص ﴿ فيكشف ما تدعون اليه ﴾ أى ما تدعونه الى كشفه ﴿ ان شاء ﴾ ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة ﴿ وتنسون ما تشركون ﴾ وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه من شدة الامر وهوله ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴾ أى قبلك ومن زائدة

﴿ قل أرأيتكم ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبرونى تقول العرب أرأيتك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكيد ﴿ ان أتاكم عذاب الله ﴾ يعنى قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب ﴿ أو أتتكم الساعة ﴾ يعنى القيامة ﴿ أغيرالله تدعون ﴾ يعنى فى كشف العذاب عنكم ﴿ أن كنتم صادقين ﴾ يعنى فى دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم أترجعون الى الله فى حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه فى حال اليسر والرخاء ﴿ بل اياه تدعون ﴾ يعنى بل تدعون الله ولا تدعون غيره فى كشف ما نزل بكم ﴿ فيكشف ماتدعون اليه ان شاء ﴾ يعنى فيكشف الضر الذى من أجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى ﴿ وتنسون ماتشركون ﴾ يعنى وتتركون دعاء الاصنام التى تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم فى ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسى لها * قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴾ فى الآية

وهو الاسلام (قل أرأيتكم) ماتقولون يا أهل مكة (ان أتاكم عذاب الله) يوم بدر أو يوم احد أو يوم الاحزاب (أو أتتكم الساعة) أو يأتيكم العذاب يوم القيامة (أغيرالله تدعون) بكشف العذاب (أن كنتم صادقين) اجيبوا ان كنتم صادقين ان الاصنام شركاؤه (بل اياه تدعون) (محذوف) اليه الذى تدعون أى انهم لا يدعون غيرالله وانما يدعون الله عز وجل ليكشف عنهم العذاب (فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون) تتركون (ماتشركون) به من الاصنام فلا تدعونهم (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) كما أرسلناك

(فأخذناهم بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثانى المرض ونقصان الانفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تخشع عند نزول الشدائد (فلولا اذجاءهم بأسنا تضرعوا) أى هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذجاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع الا عنادا (ولكن قست قلوبهم) فلم ينزجروا بما ابتلوا به (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا معجبين باعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ماذكروا به) من البأساء والضراء أى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا)

﴿ فأخذناهم ﴾ أى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿ بالبأساء ﴾ بالشدة والفقر ﴿ والضراء ﴾ الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم ﴿ فلولا اذجاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم أى لم يتضرعوا ﴿ ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لامانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم ﴿ فلما نسوا ماذكروا به من البأساء والضراء ﴾ ولم يتعظوا به ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شى ﴾ من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة أو مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة * وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف ﴿ حتى اذا فرحوا ﴾ اعجبوا ﴿ بما أوتوا ﴾ من النعم ولم يزيدوا على البطر

محذوف والتقدير ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع ﴿ فاخذناهم بالبأساء ﴾ يعنى بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل الباساء شدة الجوع ﴿ والضراء ﴾ يعنى الامراض والاوجاع والزمانة ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ يعنى يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهى الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلا الى أقوام بلغوا فى القسوة الى ان أخذوا بالبأساء والضراء وهى الشدة فى النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فلولا ﴾ يعنى فهلا ﴿ اذجاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ معناه نفى التضرع فلم يتضرعوا ﴿ ولكن قست قلوبهم ﴾ يعنى ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما فى المعصية من اللذة قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد زين الشيطان الضلالة التى كانوا عليها فأصروا على معاصى الله عز وجل * قوله عز وجل ﴿ فلما نسوا ماذكروا به ﴾ أى تركوا ماوعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشئ معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسى ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شئ ﴾ يعنى بدلنا مكان الباساء الرخاء والسعة فى الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة فى الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شئ من الخير كان مغلقا عنهم ﴿ حتى اذا فرحوا بما أتوا ﴾ يعنى فرحوا بما أوتوا

الى قومك (فأخذناهم بالبأساء) بالخوف بعضهم من بعض والبلايا والشدائد اذ لم يؤمنوا (والضراء) الامراض والاوجاع والجوع (لعلهم يتضرعون) لكى يدعوا ويؤمنوا فلا كشف عنهم العذاب (فلولا) فهلا (اذجاءهم بأسنا)عذابنا (تضرعوا) آمنوا (ولكن قست) جفت ويبست (قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فى كفرهم أن حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة (فلما نسوا ماذكروا به)تركوا ما أمروا به فى الكتاب (فتحنا عليهم أبواب كل شئ)من الزهرة والخصب والنعيم (حتى اذا فرحوا)أعجبوا (بما أوتوا)اعطوا من الزهرة والخصب

والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى ﴿ أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ﴾ متحسرون آيسون ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ أى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على اهلاكهم فأن هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شئوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها ﴿ قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم ﴾ اصمكم واعماكم ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ بأن يغطى عليها ما يزول

من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا أن ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا أن ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما أوتى من الدنيا ﴿ أخذناهم بغتة ﴾ يعنى جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعانى انما أخذوا فى حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف فى ضروب اللذة فاخذناهم فى آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا اليهم ﴿ فاذاهم مبلسون ﴾ أى آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى * قوله عز وجل ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ أى آخرهم الذى يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ربهم اذ أهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب * قوله عز وجل ﴿ قل أرأيتم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ ان أخذ الله سمعكم ﴾ يعنى الذى تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيأ ﴿ وأبصاركم ﴾ يعنى وأخذ أبصاركم التى تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيأ أصلا ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ يعنى حتى لا تفقهوا شيأ أصلا ولا تعرفوا شيأ مما تعرفون من أمور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر

من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) آيسون متحسرون وأصله الاطراق حزنا لما أصابه أو ندما على ما فاته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من أجل النعم وأجزل القسم أو احمدوا الله على اهلاك من لا يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بان أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) فسلب العقول

والنعيم (أخذناهم بغتة) فجأة بالعذاب (فأذاهم مبلسون) آيسون من كل خير (فقطع دابر) غاية (القوم الذين ظلموا) اشركوا اى استؤصلوا بالهلاك (والحمد لله) قل الحمد لله والشكر لله (رب العالمين) على استئصالهم (قل أرأيتم) ما تقولون يا أهل مكة (ان أخذ الله سمعكم) فلم تسمعوا موعظة ولا هدي (وأبصاركم) فلم تبصروا الحق (وختم) طبع (على قلوبكم)

والتمييز (من اله غيرالله يأتيكم به) بما أخذوختم عليه من رفع بالابتداء واله خبره وغير صفة لاله و كذا يأتيكم والجملة فى موضع مفعولى أرأيتم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصرف) لهم (الآيات) نكررها (ثم هم يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشئ (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) بان لم تظهر أماراته (أوجهرة) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أونهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة (فمن آمن وأصلح) أى داوم على ايمانه (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا كانه حى يفعل بهم مايريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر

به عقلكم وفهمكم ﴿ من اله غيرالله يأتيكم به ﴾ أى بذلك أو بما اخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها ﴿ قل أرأيتكم أن اتاكم عذاب الله بغتة ﴾ من غير مقدمة ﴿ أوجهرة ﴾ بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أو نهارا * وقرئ بغتة أوجهرة ﴿ هل يهلك ﴾ أى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب ﴿ الا القوم الظالمون ﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه * وقرئ يهلك بفتح الياء ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴾ المؤمنين بالجنة ﴿ ومنذرين ﴾ الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم ﴿ فمن آمن واصلح ﴾ مايجب اصلاحه على ما شرع لهم ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ من العذاب ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ بفوات الثواب ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ﴾ جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾

على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هوالله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى ﴿ من اله غيرالله يأتيكم به ﴾ يعنى يأتيكم بما أخذالله منكم لان الضمير فى به يعود على معنى الفعل ويجوز أن يعود على السمع الذى ذكر أولا ويندرج تحته غيره ﴿ انظر ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد ﴿ كيف نصرف الآيات ﴾ يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعنى يعرضون عنها مكذبين لها ﴿ قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة ﴾ يعنى فجأة ﴿ أوجهرة ﴾ يعنى معاينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليلا أونهارا ﴿ هل يهلك الا القوم الظالمون ﴾ يعنى المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك * قوله عزوجل ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴾ يعنى لمن آمن بالثواب ﴿ ومنذرين ﴾ يعنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم أن يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والنذارة ﴿ فمن آمن وأصلح ﴾ يعنى آمن بهم وأصلح العمل لله ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعنى حين يخاف أهل النار ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ أى اذا حزن غيرهم ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ﴾ يعنى يصيبهم العذاب ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون

فلم تعقلوا الحق والهدى (من اله غيرالله) يعنى الاصنام (يأتيكم به) بما اخذالله منكم (انظر) يا محمد (كيف نصرف الآيات) نبين القرآن لهم (ثم هم يصدفون) يعرضون يكذبون الآيات (قل أرأيتكم) (قا و خا ٥٢ ى) يا أهل مكة (ان أتاكم عذاب الله بغتة) فجأة (أوجهرة) معاينة (هل يهلك) بالعذاب (الا القوم الظالمون) العاصون لما أمروا به ويقال المشركون (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) بالجنة لمن آمن به (ومنذرين) من النار لمن كفر (فمن آمن) بالرسل والكتب (وأصلح) فيما بينه وبين ربه (فلا خوف عليهم) اذا خاف اهل النار (ولاهم يحزنون) اذا حزنوا (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد والقرآن (يمسهم العذاب) يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون)

(قل لاأقول لكم عندى خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولاأعلم الغيب) النصب عطفا على محل عندى خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لاأقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم انى ملك) أى لا أدعى مايستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما أدعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع الا مايوحى الى) أى ما أخبركم الا بما أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى أولمن اتبع مايوحى اليه ومن لم يتبع أولمن يدعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية (أفلاتتفكرون) فلاتكونوا ضالين أشباه العميان أوفتعلموا أنى ماادعيت مالايليق بالبشر أوفتعلموا أن اتباع مايوحى الى ممالابدلى منه (وأنذر به)

بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ مقدوراته أوخزائن رزقه ﴿ ولاأعلم الغيب مالم يوح الى ﴾ ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ﴿ ولا أقول لكم أنى ملك ﴾ أى من جنس الملائكة أواقدر على مايقدرون عليه ﴿ أن اتبع الا مايوحى الى ﴾ تبرأ عن دعوى الالهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ مثل للضال والمهتدى أوالجاهل والعالم أومدعى المستحيل كالالوهة والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أوفتعلموا ان اتباع الوحى مما لامحيص عنه ﴿ وانذر به ﴾ الضمير لما يوحى الى

عن الطاعة ✽ قوله تعالى ﴿ قل لاأقول لكم ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين لاأقول لكم ﴿ عندى خزائن الله ﴾ نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمره الله تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولاأقول لكم عندى خزائن الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لاتناله الايدى والمعنى ليس عندى خزائن رزق الله فاعطيكم منها ماتريدون لانهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويغنى فقرنا فاخبر ان ذلك بيدى الله لابيدى ﴿ ولاأعلم الغيب ﴾ يعنى فاخبركم بما مضى وماسيقع فى المستقبل وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولاأعلم الغيب فاخبركم بماتريدون ﴿ ولاأقول لكم انى ملك ﴾ وذلك انهم قالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولاأقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على مالا يقدر عليه البشر ويشاهد مالايشاهدون فلست أقول شيأ من ذلك ولاأدعيه فتنكرون قولى وتجحدون أمرى وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لايقترحوا عليه الآيات العظام ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى ماأخبركم الا بوحى من الله انزله على ومعنى الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لايملك خزائن الله التى منها يرزق ويعطى وانه لايعلم الغيب فيخبر بما كان وماسيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على مالايطلع عليه البشر انما يتبع مايوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ يعنى المؤمن والكافر والضال والمهتدى والعالم والجاهل ﴿ أفلاتتفكرون ﴾ يعنى أنهما لايستويان ✽ قوله عز وجل ﴿ وأنذر به ﴾ يعنى وخوف بالقرآن

يكفرون بمحمد والقرآن (قل) يامحمد لاهل مكة (لا أقول لكم عندى خزائن) مفاتيح خزائن (الله) من النبات والثمار والامطار والعذاب (ولاأعلم الغيب) من نزول العذاب (ولا أقول لكم انى ملك) من السماء (ان أتبع) ما أعمل شيأ ولا أقول (الا مايوحى الى) الا ماأمرت فى القرآن (قل) يا محمد لاهل مكة (هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن فى الطاعات والثواب (أفلاتتفكرون) فى أمثال القرآن (والانذار) نزلت هذه الآية من قوله قل لاأقول لكم الى ههنا فى ابى جهل وأصحابه الحرث وعيينة ثم نزل فى الموالى (وأنذر به) خوف بالقرآن

بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون في زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغدوة شامى ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم

﴿ الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ﴾ هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فأن الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ﴿ ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ﴾ في موضع الحال من يحشروا فأن المخوف وهو الحشر على هذه الحالة ﴿ لعلهم يتقون ﴾ لكى يتقوا ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى ﴾ بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا أمره بأكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى نظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر

والانذار اعلام مع تخويف ﴿ الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ﴾ قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة ومافيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم أوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق ﴿ ليس لهم من دونه ﴾ يعنى من دون الله ﴿ ولى ﴾ أى قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع ﴾ يعنى يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم أن المراد بهم المؤمنون ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعنى حتى يأذن الله لهم في الشفاعة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع ﴿ لعلهم يتقون ﴾ يعنى ما نهيتهم عنه * قوله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى

ويقال بالله (الذين يخافون) يعلمون ويستيقنون منهم بلال بن رباح وصهيب ابن سنان ومهجع بن صالح وعمار بن ياسر وسلمان الفارسى وعامر بن فهيرة وخباب بن الارت وسالم مولى أبى حذيفة (أن يحشروا الى ربهم) بعد الموت (ليس لهم من دونه ولى) حافظ يحفظهم (ولا شفيع) يشفع لهم وينجيهم من العذاب غير الله (لعلهم يتقون) لكى يتقوا المعاصى ويكون عونا لهم في الطاعة (ولا تطرد) يا محمد بقول عيينة بن الحصن الفزارى حيث قال اطرد هؤلاء عنك حتى يجىء اليك أشراف قومك ويسمعوا كلامك ويؤمنوا بك وطلبوا أيضا من عمر أن يقول للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل مجلسك يوما لنا ويوما لهم فلم يرض الله بذلك ونهاهم عن ذلك فقال ولا تطرد (الذين يدعون ربهم) يعنى سلمان وأصحابه من الموالى يعبدون ربهم (بالغداة والعشى) غدوة وعشية

وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف ﴿ يريدون وجهه ﴾ حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي

بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم

بالصلوات الخمس (يريدون وجهه) يريدون بذلك وجه الله ورضاه

يريدون وجهه ﴾ قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد ابن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل المجلس واحدا وأقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فعلك ان طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم

عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ﴿ ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ ﴾ أى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عندالله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فأن كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد

فى صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فاتى أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لوفعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التى عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ماروى عن ابن مسعود والكلبى وعكرمة فى ذلك ويعضده حديث سعد ابن أبى وقاص المخرج فى صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعنى ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ولاتطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولاتبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتأولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أوفى هذا انما هو فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفى النهار يريدون وجهه يعنى يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين فى عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى ﴿ ماعليك من حسابهم من شئ ومامن حسابك عليهم من شئ ﴾ يعنى لاتكلف أمرهم ولايكلفون أمرك وقيل ماعليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولارزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلاتطردهم عنك

(ماعليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الا على ربى (ومامن حسابك عليهم من شئ) وذلك انهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك

(ماعليك من حسابهم) من مؤنتهم (من شئ ومامن حسابك) من مؤنتك (عليهم من شئ

لايتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفي وهوماعليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهي وهو ولاتطرد ويجوز أن يكون عطفا على

فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أي الاغنياء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أي أنعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء انكارا لان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا اليه (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يشكر نعمته

المؤمنين طمعا في ايمانهم ﴿ فتطردهم ﴾ فتبعدهم وهو جواب النفي ﴿ فتكون من الظالمين ﴾ جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق الى الايمان ﴿ ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة أو للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا ﴿ أليس الله باعلم بالشاكرين ﴾ بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله

﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ يعني بطردهم عنك وعن مجالسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ماعليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولاتطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن جلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ماطردهم ولاهم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادناء هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقربهم منه وأدناهم وأماقوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلاتهم بطردهم عنك فتضع الشئ في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لامن باب ترك الواجبات والله أعلم ❁ قوله عز وجل ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم ﴿ ليقولوا ﴾ يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فأجابهم بقوله ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ يعني انه تعالى أعلم بخلقه وبأحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين ❁ قوله عز وجل

فتطردهم) لاتطردهم (فتكون من الظالمين) من الضارين بنفسك (وكذلك) هكذا (فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) العربي بالمولى والشريف بالوضيع نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزاري وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمية بن خلف الجمحي والوليد بن المغيرة المخزومي وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو واشباههم من الرؤساء ابتلوا بالموالي (ليقولوا) لكي يقولوا يعني عيينة بن حصن الفزاري وأصحابه (أهؤلاء) لسلمان وأصحابه (من الله عليهم) بالايمان (من بيننا اليس الله بأعلم بالشاكرين) بالمؤمنين لمن كان أهلا

﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بأنهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فأنصرفوا فنزلت ﴿انه من عمل منكم سوأ﴾ استئناف بتفسير الرحمة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها ﴿بجهالة﴾ فى موضع الحال أى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه أو ملتبسا بفعل الجاهلة فأن ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ﴿ثم تاب من بعده﴾ من بعد العمل أو السوء ﴿وأصلح﴾ بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه ﴿فأنه غفور رحيم﴾ فتحه من فتح الاول

﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾ قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى و بلال وسالم بن أبى عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها فى كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التى تقدمت فى رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴿كتب ربكم﴾ يعنى فرض ربكم وقضى ربكم ﴿على نفسه الرحمة﴾ وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف فى عباده كيف يشاء وأراد فأوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين ﴿انه من عمل منكم سوأ بجهالة﴾ قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا فى سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ﴿ثم تاب من بعده﴾ يعنى من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه ﴿وأصلح﴾ يعنى أصلح العمل فى المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله ﴿فانه غفور﴾ يعنى لمن تاب من ذنوبه ﴿رحيم﴾ بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن سعيد الخدرى قال جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عله وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا

(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة مايقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا (انه) الضمير للشأن (من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد السوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فأنه شامى وعاصم الاول بدل رحمة والثانى خبر مبتدأ محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثانى مبتدأ أنه فأنه غيرهم على الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل

لذلك (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) بكتابنا ورسولنا عمر بن الخطاب (فقل) يا محمد (سلام عليكم) قبل ربكم توبتكم وعذركم (كتب ربكم) أوجب ربكم (على نفسه الرحمة) لمن تاب (انه من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) بتعمد وان كان جاهلا بعقوبته (ثم تاب من بعده) من بعد السوء (وأصلح) فيما بينه و بين ربه (فأنه غفور) متجاوز

منكم (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين)وبالياء حمزة وعلى وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلامنهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ماتعبدون من دون الله (قل لاأتبع أهواءكم) أى لاأجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال (قد ضللت اذا) أى ان

لمن تاب (وكذلك) هكذا (نفصل الآيات) نبين القرآن بالامر والنهى وخبرهم (ولتستبين سبيل المجرمين) طريق المشركين عيينة وأصحابه لم لا يؤمنون (قل) يا محمد لعيينة واصحابه (انى نهيت) فى القرآن (أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاوثان (قل) يا محمد (وماانا) لعيينة وأصحابه(لا اتبع أهواءكم)فى عبادة الاصنام وطرد سلمان واصحابه عنى (قد ضلت) عن الهدى (اذا) اذن فعلت ذلك

غير نافع على اضمار مبتدأ أو خبرى أى فأمره أو فله غفرانه ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح ﴿ نفصل الآيات ﴾ أى آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلامنهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فأنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين ﴿ قل انى نهيت ﴾ صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد ﴿ أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ عن عبادة ما تعبدون من دون الله أو ماتدعونها آلهة أى تسمونها ﴿ قل لا اتبع أهواءكم ﴾ تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ماهم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت

يارسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود ﴿ قوله عز وجل ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ يعنى وكما فصلنا لك يا محمد فى هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وابطال ماهم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك أدلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره أهل الباطل ﴿ ولتستبين ﴾ قرئ بالتاء على الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك ﴿ سبيل المجرمين ﴾ يعنى طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى نهيت أن أعبد الاصنام التى تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات أخس من أن تعبد أو تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى ﴿ قل لا أتبع أهواءكم ﴾ يعنى فى عبادة الاصنام وطرد الفقراء ﴿ قد ضللت اذا ﴾ يعنى اذ عبدتها

اتبعت أهواءكم فأنا ضال (وما أنا من المهتدين) وما أنا من المهتدين في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) أي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بما دل على انهم أحقاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا الله) في تأخير عذابكم (يقص الحق) حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضي وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو ان عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به) من العذاب

﴿ وما انا من المهتدين ﴾ أي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك ﴿ قل اني على بينة ﴾ تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية او ما يعمها ﴿ من ربي ﴾ من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة ﴿ وكذبتم به ﴾ الضمير لربي أي كذبتم به حيث اشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم ﴿ أن الحكم الا الله ﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره ﴿ يقض الحق ﴾ اي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخيره واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل* وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر أو من قص الخبر ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ القاضين ﴿ قل لو ان عندي ﴾ أي في قدرتي ومكنتي ﴿ ما تستعجلون به ﴾ من العقاب

﴿ وما أنا من المهتدين ﴾ يعني لو عبدتها ﴿ قل ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ اني على بينة من ربي ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة في عبادة ربي ﴿ وكذبتم به ﴾ يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴿ أن الحكم الا الله ﴾ يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا الله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء ﴿ يقص الحق ﴾ قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقض القضاء الحق ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه ﴿ قل لو أن عندي ما تستعجلون به ﴾

(وما أنا من المهتدين) للصواب بعملي ان طردتهم (قل) يا محمد للنضر بن الحرث وأصحابه (اني على بينة من ربي) على بيان من ربي (قا و خا ٥٣ ني) وبصيرة من امري وديني (وكذبتم به) بالقرآن والتوحيد (ما عندي ما تستعجلون به) من العذاب (أن الحكم) ما الحكم بنزول العذاب (الا الله يقض الحق) يحكم بالعدل ويأمر بالحق (وهو خير الفاصلين) أفضل القاضين (قل) يا محمد (لو ان عندي ما تستعجلون به) من العذاب

﴿لقضى الامر بينى وبينكم﴾ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم ﴿ والله اعلم بالظالمين﴾ فى معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وعن ينبغى ان يمهل منهم ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها ﴿ لايعلمها الا هو ﴾ فيعلم أوقاتها وما فى تعجيلها و تأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته

يعنى من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشئ قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشئ فى وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لوأن عندى ما تستعجلون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذوأناة لايعجل بالعقوبة * قوله عز وجل ﴿لقضى الامر بينى وبينكم﴾ يعنى لانفصل ما بينى وبينكم ولأتاكم ما تستعجلون به من العذاب ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ يعنى انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وباحوالهم * قوله عز وجل ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ المفتاح الذى يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهى مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتح التى يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ماغاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف أقوال المفسرين فى قوله وعنده مفاتح الغيب ﴿ لايعلمها الا هو ﴾ فقيل مفاتح الغيب خمس وهى ماروى عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لايعلمها الا الله تعالى لايعلم أحد مايكون فى غد الا الله ولايعلم أحد مايكون فى الارحام الا الله ولاتعلم نفس ماذا تكسب غدا ولاتدرى نفس بأى أرض تموت ولايدرى أحد متى يجئ المطر وفى رواية أخرى لايعلم أحد ماتغيض الارحام الا الله ولايعلم مافى غد الا الله ولايعلم متى يأتى المطر أحد الا الله ولاتدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولايعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ماغاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم مالم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون ومالايكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شئ الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس رضى الله عنهما انها خزائن غيب السموات

فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهى خزائن العذاب والرزق أوما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها و كيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لايتوصل اليها غيره كن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه

(لقضى الامر بينى وبينكم) لفرغ من هلاككم (والله أعلم بالظالمين) بعقوبة المشركين النضر واصحابه فوقع بالنضر بن الحرث العذاب الذى سأل فقتل صبرا يوم بدر (وعنده مفاتح الغيب) خزائن الغيب المطر والنبات والثمار ونزول العذاب الذى تستعجلون به يوم بدر (لايعلمها) لا يعلم مفاتح الغيب بنزول العذاب الذى تستعجلون به (الا هو (والارض)

حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ﴿ ويعلم ما فى البر والبحر ﴾ عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ﴾ مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ﴿ ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ﴾ معطوفات على ورقة وقوله ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أو بدل الاشتمال ان اريد به اللوح ٭ وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة

والارض من الاقدار والارزاق ﴿ ويعلم ما فى البر والبحر ﴾ قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شئ الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفى كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ﴾ يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى أن تسقط على الارض ﴿ ولا حبة فى ظلمات الارض ﴾ قيل هو الحب المعروف يكون فى بطن الارض قبل أن ينبت وقيل هى الحبة التى فى الصخرة التى فى أسفل الارضين ﴿ ولا رطب ولا يابس ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شئ لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة ٭ فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك ٭ قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهى الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شئ منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ٭ قوله عز وجل ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ فيه قولان أحدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذى لا يغير ولا يبدل والثانى ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها فى هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده انه لا يفوته شئ مما يصنعونه لان من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب فى كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع ٭ قوله عز وجل

(ويعلم ما فى البر) من النبات والدواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرهما (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) ما للنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة وداخل فى حكمها وقوله (الا فى كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم

ويعلم ما فى البر والبحر) من الخلق والعجائب ويقال ويعلم ما يهلك فى البر والبحر (وما تسقط من ورقة) من الشجر (الا يعلمها) كم دوران تدور (ولا حبة فى ظلمات الارض) تحت الصخرة التى أسفل الارضين الا يعلمها (ولا رطب) يعنى الماء (ولا يابس) يعنى البادية (الا فى كتاب) مكتوب (مبين) كل ذلك فى اللوح المحفوظ مبين مقدارها ووقتها

خاطب الكفرة بقوله (وهوالذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام فى المنام (ويعلم ماجرحتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يبعثكم فيه) ثم يوقظكم فى النهار أوالتقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ماجرحتم فيه فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لايعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لايتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشئ بالذكر لايدل على نفى ماعداه (ليقضى أجل مسمى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعدالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فى ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عندالنوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التى تحيا بها النفس فانها لاتقبض الاعند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظكم ويرداليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيي الانفس بعدموتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تقرأ على رؤس

أو رفعا على الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين ﴿ وهوالذى يتوفاكم بالليل ﴾ ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فأن اصله قبض الشئ بتمامه ﴿ ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ﴿ ثم يبعثكم ﴾ يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى ﴿ فيه ﴾ فى النهار ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا ﴿ ثم اليه مرجعكم ﴾ بالموت ﴿ ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه سبحانه وتعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ﴿ وهوالقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد

﴿ وهوالذى يتوفاكم بالليل ﴾ يعنى يقبض أرواحكم اذا نمتم بالليل ﴿ ويعلم ماجرحتم ﴾ ما كسبتم ﴿ بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴾ أى يوقظكم فيه أى فى النهار ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ يعنى أجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ﴿ ثم اليه مرجعكم ﴾ فى الآخرة ﴿ ثم ينبئكم ﴾ أى يخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ * قوله عزوجل ﴿ وهوالقاهر فوق عباده ﴾ يعنى وهوالعالى عليهم بقدرته لان كل من قهر شيأ وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق امر فلان يعنى أنه أقدر منه وأغلب هذا مذهب أهل التأويل فى معنى لفظة فوق فى قوله وهوالقاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولاتأويل ولااطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هوالقاهر لخلقه وقهر كل شئ بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة * قوله عزوجل ﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾ يعنى أن من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة

(وهوالذى يتوفاكم بالليل) يقبض ارواحكم فى المنام (ويعلم ماجرحتم) ما كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم) يرداليكم أرواحكم (فيه) فى النهار (ليقضى أجل مسمى) لكى يتم أجلها (موكلين) ورزقها (ثم اليه مرجعكم) بعدالموت (ثم ينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر (وهوالقاهر) الغالب (فوق عباده) على عباده (ويرسل عليكم حفظة) من الملائكة ملكين بالنهار وملكين بالليل يكتبون حسناتكم

الاشهاد (حتى اذاجاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى ان يأتيه الممات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وهم لايفرطون) لايتوانون ولايؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى

حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لايحكم الابالحق وهما صفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لاحكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لايشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة وقيل الردالى من ربك خير من البقاء مع من آذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما

على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه ﴿ حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ﴾ ملك الموت واعوانه * وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة ﴿ وهم لا يفرطون ﴾ بالتوانى والتأخير * وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ماحد لهم بزيادة أو نقصان ﴿ ثم ردوا الى الله ﴾ الى حكمه وجزائه ﴿ مولاهم ﴾ الذى يتولى امرهم ﴿ الحق ﴾ العدل الذى لايحكم الا بالحق * وقرئ بالنصب على المدح ﴿ ألا له الحكم ﴾ يومئذ لاحكم فيه لغيره ﴿ وهو اسرع الحاسبين ﴾ يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر * وقرأ

مؤكلين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظا من الملائكة مؤكلا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله فى صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجراله عن فعل القبيح وترك المعاصى وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بنى آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله ﴿ حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ يعنى اعوان ملك الموت المؤكلين بقبض أرواح البشر * فان قلت قال الله تعالى فى آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فى آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات * قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا مامن أهل بيت شعر ولامدر الاوملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له * قوله عزوجل ﴿ وهم لايفرطون ﴾ يعنى الرسل لايقصرون فيما أمروا به ولايضيعونه * قوله عزوجل ﴿ ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ﴾ يعنى ثم رد العباد بالموت الى الله فى الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت أيدى موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق ﴿ ألا له الحكم ﴾ يعنى لاحكم الا له ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ يعنى انه تعالى أسرع من حسب لانه لايحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لايشغله حساب بعضهم عن بعض * قوله عزوجل ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ يعنى يامحمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا

وسيآتكم (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حضره الموت (توفته رسلنا) قبضه ملك الموت وأعوانه (وهم) يعنى ملك الموت واعوانه (لا يفرطون) لا يؤخرون الميت طرفة عين (ثم ردوا الى الله) يوم القيامة (مولاهم الحق) وليهم بالثواب والعقاب بالحق والعدل ويقال مولاهم الحق معبودهم بالحق ولكن لم يعبدوه بالحق غاية عبادته وكل معبود غير الله باطل (ألا له الحكم) القضاء بين العباد يوم القيامة (وهو اسرع الحاسبين) اذا حاسب فحسابه سريع (قل) يا محمد لكفار مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)

أوظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل (تدعونه) حال من ضمير المفعول في ينجيكم (تضرعا) معلنين الضراعة وهومصدر في موضع الحال وكذا (وخفية) أي مسرين في أنفسهم خفية حيث كان أبو بكر وهما لغتان (لئن أنجانا) عاصم وبالامالة حمزة وعلى الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى (قل الله ينجيكم) بالتشديد كوفي (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) وغم وحزن (ثم أنتم تشركون) ولا تشكرون (قل هو القادر) هو الذي عرفتموه قادرا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم

يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ معلنين ومسرين أو اعلانا واسرارا وقرئ وخفية بالكسر ﴿ لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ على ارادة القول أي تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ﴿ ومن كل كرب ﴾ غم سواها ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله سبحانه وتعالى فكأنه لم يعبده رأسا ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم

الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الحمل على الحقيقة أولى فظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا حالا وحالا ﴿ لئن أنجيتنا من هذه ﴾ يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن أنعم بها ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ يعني من الظلمات والشدائد التي أنتم فيها ﴿ ومن كل كرب ﴾ يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ يريد انهم يقرون بان الذي أنجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ۞ قوله عز وجل ﴿ قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ أي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب ﴿ وقارون ﴾

من شدائد البر والبحر وأهوالهما (تدعون تضرعا وخفية) سرا وعلانية وان قرأت بجر الخاء وتقديم الياء من الفاء يقول مستكينا وخوفا (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) من المؤمنين (قل) يا محمد لهم (الله ينجيكم منها) من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) غم وهول (ثم أنتم) يا أهل مكة (تشركون) به الاصنام (قل) يا محمد لهم (هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما بعث على قوم نوح وقوم لوط (أو من تحت أرجلكم) يخسف بكم الارض كما خسف بقارون

ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم ﴿ أو يلبسكم ﴾ يخلطكم ﴿ شيعا ﴾ فرقا متحزبين
على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى
﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ يقاتل بعضكم بعضا

وقارون وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد عذابا من فوقكم يعنى أئمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعنى عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعنى من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم يعنى السفلة ﴿ أو يلبسكم شيعا ﴾ الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأشياع وأصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج فى قوله أو يلبسكم شيعا يعنى يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله أو يلبسكم شيعا يعنى الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى أنه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعنى أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية فى قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال هن أربع وكلهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فالبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما الابد واقعتان يعنى الخسف والمسخ وعن أبى بن كعب نحوه هن اربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لامحالة الخسف والرجم وقال مجاهد فى قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا ايسر (م) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه أقبل مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألت ربى ان لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألت ربى أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها * عن خباب ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته ان لا يهلك أمتى بسنة فاعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم

وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى ان لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فاعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل ان فناء أمتى بالسيف

(أو يلبسكم شيأ) أهواء مختلفة كما كانت فى بنى اسرائيل بعد النبيين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالسيف

(انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد(لعلهم يفقهون وكذب به)بالقرآن أو بالعـذاب(قومك) قريش(وهو الحق)أي الصدق أولابد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل)بحفيظ وكل الى أمركم انما أنا منـذر (لكل نبأ) لكل شئ ينبأ به يعـني انبـاءهم بانهم يعـذبون وايعادهم به (مسـتقر) وقت استقرار وحصول لابدمنه (وسوف تعلمون) تهديد(واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى القرآن يعنى يخوضـون فى الاستهزاء بهـا والطعن فيهـا وكانت قريش فى أنديتهم يفعـلون ذلك

﴿ انظركيف نصرف الآيات ﴾ بالوعدوالوعيد﴿ لعلهم يفقهون وكذب به قومك ﴾ أى بالعذاب أوبالقرآن ﴿ وهوالحق ﴾ الواقع لا محـالة أوالصدق ﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾ بحفيظ وكل الى امركم فأمنعكم من التكذيب أو اجازيكم انما انامنذر والله الحفيظ ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر يريد به اماالعذاب اوالايعاد به ﴿ مسـتقر ﴾ وقت استقرار ووقوع ﴿ وسوف تعلمون ﴾ عنـد وقوعه فى الدنيـا و الآخرة ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها

عدوا من غيرهم فاعطـانيها وسـألته أن لايذيق بعضهم بأس بعض فنعنيها أخرجه الترمذى ❁ قوله عزوجل ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ أى انظر يامحمد كيف نبين دلائلنا وحجتنـا لهؤلاء المكذبين ﴿ لعلهم يفقهون ﴾ يعـنى يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عماهم عليه من الكفر والتكذيب ❁ قوله عزوجل ﴿ وكذب به قومك ﴾ يعنى بالقرآن ﴿ وهوالحق ﴾ يعنى فى كونه كتابا منزلا من عندالله وقيل الضمير فى به يرجع الى العذاب وهوالحق يعنى أنه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الآيات وهوالحق لانهم كذبوا كونها من عندالله ﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما أنامنذر والله هوالمجازى لكم على أعمالكم وقيل معناه انى انماأدعوكم الى الله والى الايمان به ولم أومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى حفيظا انما أطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بمـا تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة ﴿ لكل نبأمستقر ﴾ أى لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهى اليه امافى الدنيا واما فى الآخرة وقيل لكل خبر يخبرالله به وقت ومكان يقع فيه من غيرخلف ولاتأخير فكان ماوعدهم به من العذاب فى الدنيا وقع يوم بدر ﴿ وسوف تعلمون ﴾ يعنى صحة هذا الخبر امافى الدنيـا واما فى الآخرة ❁ قوله عزوجل ﴿ واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ الخطاب فى واذارأيت للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يامحمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون فى آياتنا يعنى القرآن الذى أنزلناه اليك والخوض فى اللغة هوالشروع فى الماء والعبور فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا فى الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر مايستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث ومايذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب فى واذارأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا وذلك أن المشركين كانوا اذاجالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستهزاء بالقرآن وعن أنزله وعن أنزل عليه فنهاهم الله أن يقعدوا معهم

(انظر يامحمد كيف نصرف الآيات) نبين القرآن باخبار الامم الماضية ومافعلنابهم (لعلهم يفقهون) لكى يفقهوا أمرالله وتوحيده (وكذب به) بالقرآن (قومك) قريش (وهوالحق) يعنى القرآن (قل) يامحمد (لست عليكم بوكيل) بكفيل ان أؤديكم الى الله مؤمنين (لكل نبأمستقر) لكل قول من الله ومنى من الامر والنهى والوعدوالوعيدوالبشرى بالنصرة والعذاب مستقر فعل وحقيقة منه مايكون فى الدنيـا ومنـه مايكون فى الآخرة (وسوف تعلمون) ذلك فى الدنيا والآخرة ويقال لكل نبأمستقر لكل قول وفعل منكم حقيقة وحقيقة ذلك فى القلب (وسوف تعلمون) ماذايفعل بكم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) يستهزؤن

(فى)

(فاعرض عنهم) ولاتجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم (واما ينسينك الشيطان) مانهيت عنه ينسينك شامى نسى وأنسى واحد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكر (مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء (من شئ) أى ومايلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم

﴿ فاعرض عنهم ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿ حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن ﴿ وأما ينسينك الشيطان ﴾ بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى * وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ بعد ان تذكره ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام ﴿ وما على الذين يتقون ﴾ ومايلزم المتقين الذين يجالسونهم ﴿ من حسابهم من شئ ﴾ شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ﴿ ولكن ذكرى ﴾ ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات ﴿ لعلهم يتقون ﴾ يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد

فى وقت الاستهزاء بقوله ﴿ فاعرض عنهم ﴾ يعنى فاتركهم ولاتجالسهم ﴿ حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستهزاء به ﴿ واما ينسينك الشيطان ﴾ يعنى فقعدت معهم ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ يعنى المشركين * قوله عزوجل ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفى رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم ﴿ ولكن ذكرى ﴾ يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم ﴿ لعلهم يتقون ﴾ يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء

فصل

قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التى فى سورة النساء وهى قوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى أنها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل

بك وبالقرآن (فاعرض عنهم) فاترك مجالستهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) كى يكون خوضهم وحديثهم فى غير القرآن والاستهزاء بك (واما ينسينك الشيطان) بعد النهى (فلا تقعد بعد الذكرى) بعدما ذكرت (مع القوم الظالمين) المشركين أمر الله نبيه بذلك اذ كان بمكة فشق على أصحابه ذلك فرخص لهم بعد ذلك (قا و خا ٥٤ نى) بالجلوس معهم للعظة والنهى فقال (وما على الذين يتقون) الكفر والشرك والفواحش والاستهزاء (من حسابهم) من مأثمهم والكفر والاستهزاء بهم (من شى ولكن ذكرى) ذكروهم بالقرآن (لعلهم يتقون) الكفر والشرك والفواحش والاستهزاء بالقرآن و بمحمد صلى الله

الحرام ونطوف فنزلت ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا﴾ أى بنوا أمر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب أو اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا ﴾ حتى انكروا البعث ﴿ وذكر به ﴾ أى بالقرآن ﴿ أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام ﴿ ليس لها من دون الله ولى

انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة * قوله عز وجل ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعنى عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا ﴾ يعنى انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله ﴿ وذكر به ﴾ يعنى وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين ﴿ أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ أى لئلا تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشئ ومنه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس رضى الله عنهما تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لكى لا تهلك نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنايات التى اكتسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة ﴿ ليس لها ﴾ يعنى لتلك النفس التى هلكت ﴿ من دون الله ولى ﴾ أى قريب يلى

(أمرها)

الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعبا ولهوا) سخروا به واستهزؤا ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به) وعظ بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع (ليس لها من دون الله ولى) ينصرها بالقوة

عليه وسلم (وذر الذين اتخذوا دينهم) يعنى اليهود والنصارى ومشركى العرب اتخذوا دين آبائهم المؤمنين (لعبا) ضحكة (ولهوا) استهزاء ويقال دينهم عندهم لعبا ولهوا فرحا وباطلا (وغرتهم الحيوة الدنيا) مافى الدنيا من الزهرة والنعيم (وذكر به) عظ بالقرآن ويقال بالله (أن تبسل نفس) لكى لاتهلك ولا توهن ولا تعذب نفس (بما كسبت) من الذنوب (ليس لها) للنفس (من دون الله) من عذاب الله (ولى) قريب يدفع عنها

(ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت فى الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وأن تعدل كل عدل) نصب على المصدر وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل (لا يؤخذ منها) لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناد اليه (أولئك) اشارة الى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر (الذين أبسلوا بما كسبوا) وقوله (لهم شراب من حميم) أى ماء مسخن حار خبر ثان لاولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل) لابى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه الى عبادة الاوثان (أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع (مالا ينفعنا) مالا يقدر على نفعنا ان دعوناه (ولا يضرنا) ان تركناه (ونرد) وأنرد (على أعقابنا) راجعين الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) للاسلام وأنقذنا من عبادة الاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف فى محل النصب على الحال من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أننكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه (فى الارض)

ولاشفيع ﴾ يدفع عنها العذاب ﴿ وأن تعدل كل عدل ﴾ وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية ﴿ لا يؤخذ منها ﴾ الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فأنه المفدى به ﴿ أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ﴾ أى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة ﴿ لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم ﴿ قل أندعوا ﴾ أنعبد ﴿ من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ مالا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿ ونرد على أعقابنا ﴾ ونرجع الى الشرك ﴿ بعد اذ هدانا الله ﴾ فأنقذنا منه ورزقنا الاسلام ﴿ كالذى استهوته الشياطين ﴾ كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامة استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب * وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أى مشبهين الذى استهوته أو على المصدر أى ردا مثل رد الذى استهوته ﴿ فى الارض

أمرها ﴿ ولاشفيع ﴾ يعنى يشفع لها فى الآخرة ﴿ وأن تعدل كل عدل ﴾ يعنى وان تفتد بكل فداء والعدل الفداء ﴿ لا يؤخذ منها ﴾ يعنى ذلك العدل وتلك الفدية ﴿ أولئك الذين ﴾ اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ﴿ أبسلوا بما كسبوا ﴾ يعنى أسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا ﴿ لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ ذلك لهم بسبب كفرهم * قوله عز وجل ﴿ قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائك أندعوا يعنى أنعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ﴿ ونرد على أعقابنا ﴾ يعنى ونرد الى الشرك ﴿ بعد اذ هدانا الله ﴾ يعنى الى دين الاسلام والتوحيد ﴿ كالذى استهوته الشياطين فى الارض ﴾ يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقته فى هوية من الارض وأصله من الهوى وهو النزول

(ولاشفيع) يشفع لها (وان تعدل كل عدل) ان تجئ بكل من على وجه الارض (لا يؤخذ منها) لا يقبل من النفس (أولئك) المستهزؤن (الذين أبسلوا) أهلكوا وأوهنوا وعذبوا وهم عيينة والنضر وأصحابهما (بما كسبوا) من الذنوب (لهم شراب من حميم) ماء حار يغلى قد انتهى حره (وعذاب أليم) وجيع (بما كانوا يكفرون) بمحمد والقرآن (قل) يا محمد لعيينة وأصحابه (أندعو) تأمروننا أن نعبد (من دون الله مالا ينفعنا) ان عبدناه فى الدنيا والآخرة (ولا يضرنا) ان لم نعبده فى الدنيا والآخرة (ونرد على أعقابنا) نرجع وراءنا الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) بدينه أكرمنا بدينه (كالذى) فيكون مثلنا كالذى (استهوته) ستزلته (الشياطين فى الارض

في المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أي تائها ضالا عن الجادة لايدري كيف يصنع (له) لهذا المستهوي (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (أئتنا) وقد اعتسف المهمة تابعا للجن لايجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على مايقال ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلوة) والتقدير وامرنا لان نسلم ولان أقيموا أي للاسلام ولاقامة الصلاة (واتقوه وهو الذي اليه تحشرون) يوم القيامة

حيران ﴾ متحيرا ضالا عن الطريق ﴿ له أصحاب ﴾ لهذا المستهوي رفقة ﴿ يدعونه الى الهدى ﴾ أي يهدونه الطريق المستقيم أو الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ﴿ أئتنا ﴾ يقولون له أئتنا ﴿ قل أن هدى الله ﴾ الذي هو الاسلام ﴿ هو الهدى ﴾ وحده وماعداه ضلال ﴿ وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر أي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة ﴿ وأن أقيموا الصلوة واتقوه ﴾ عطف على لنسلم أي للاسلام ولاقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق رضي الله عنه تعظيما لشأنه واظهار اللاتحاد الذي كان بينهما ﴿ وهو الذي اليه تحشرون ﴾ يوم القيامة

من أعلى الى أسفل ﴿ حيران ﴾ يقال حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا الخرج منه ﴿ له أصحاب يدعونه الى الهدى ﴾ يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم ﴿ أئتنا ﴾ يعني يقولون له أئتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لاتضر ولاتنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لايدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أصحابه اهتدى وسلم ﴿ قل أن هدى الله هو الهدى ﴾ يعني ان طريق الله الذي أوضحه لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لاعبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لاتفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره ﴿ وأمرنا لنسلم ﴾ أي وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة ﴿ لرب العالمين ﴾ لانه هو الذي يستحق العبادة لاغيره ﴿ وأن أقيموا الصلوة واتقوه ﴾ يعني وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما مايقرب اليه ﴿ وهو الذي اليه تحشرون ﴾ يعني في يوم القيامة فيجزيكم (باعمالكم)

حيران) ضالا عن الهدى (له أصحاب) لعيينة أصحاب وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (يدعونه الى الهدى) الى الاسلام (أئتنا) اطعنا وهو يدعوهم يعني عيينة الى الشرك ويقال نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وابنه عبد الرحمن وكان يدعو أبويه الى دينه قبل ان يسلم فقال الله لنبيه قل يا محمد لابي بكر حتى يقول لابنه عبد الرحمن أندعو تأمرنا يا عبد الرحمن أن نعبد من دون الله مالا ينفعنا في الدنيا في الرزق والمعاش ولا في الآخرة ان عبدناه ولا يضرنا ان لم نعبده ونرد على أعقابنا نرجع الى ديننا الاول بعد اذ هدانا الله لدين محمد صلى الله عليه وسلم كالذي فيكون مثلنا كمثل عبد الرحمن استهوته استزلته الشياطين عن دين الله في الارض حيران ضالا عن الهدى له لعبد الرحمن أصحاب أبواه أبو بكر وأمه يدعونه الى الهدى أي يدعونه الى الاسلام والتوبة وهو يعني عبد الرحمن يدعوهما الى الشرك ويقولان له أي أبواه ائتنا أطعنا بالاسلام (قل) يا محمد (ان هدى الله هو الهدى) ان دين الله هو الاسلام وقبلتنا هي الكعبة (وأمرنا لنسلم) لنخلص بالعبادة والتوحيد (لرب العالمين) لله رب العالمين (وأن أقيموا الصلوة) أتموا الصلوات الخمس (واتقوه) واطيعوه (وهو الذي اليه تحشرون) بعد الموت فيجزيكم باعمالكم

﴿ وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ﴾ قائما بالحق والحكمة ﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾ جملة اسمية قدم فيها الخبر أى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الهاء فى واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها ﴿ وله الملك يوم ينفخ فى الصور ﴾ كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أى هو عالم الغيب

باعمالكم * قوله عزوجل ﴿ وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ﴾ يعنى اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء ﴿ قوله الحق ﴾ يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لامحالة ﴿ وله الملك يوم ينفخ فى الصور ﴾ انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه لامنازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لامنازع له فيه وعلموا أن الذى كانوا يدعونه من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء فى الصور المذكور فى الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ماروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذى * عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يارسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم فى الحديث ولقوله تعالى فى آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولاجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب * قوله عزوجل ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ يعنى انه تعالى يعلم ماغاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شئ

أو محقا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لايكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الاعن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (فى الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب (والشهادة)

(وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) لتبيان الحق والباطل ويقال الفناء والزوال (ويوم يقول) للصور (كن فيكون) يعنى تصير السموات صورا ينفخ فيه مثل القرن وتبدل سماء آخرى ويقال يوم يقول كن يعنى ليوم القيامة فتكون الساعة (قوله) فى البعث (الحق) الصدق (وله الملك) القضاء بين العباد (يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب) مايكون (والشهادة) ماكان ويقال عالم الغيب ماغاب من العباد والشهادة ماعلمه العباد

﴿وهو الحكيم الخبير﴾ كالفذلكة للآية ﴿واذ قال ابراهيم لابيه آزر﴾ هو عطف بيان لابيه وفي الكتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الازر أو الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كغابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته أو اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال ﴿أتتخذ أصناما آلهة﴾ تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم * وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم ﴿اني أراك وقومك في ضلال﴾ عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر

﴿وهو الحكيم﴾ يعني في جميع أفعاله وتدبير خلقه ﴿الخبير﴾ يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر * قوله عز وجل ﴿واذ قال ابراهيم لابيه آزر﴾ اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن في القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيأ أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه ياعابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارح ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تارح فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارح والله أعلم * قوله عز وجل ﴿أتتخذ أصناما آلهة﴾ معناه اذكر لقومك يا محمد قول ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا ﴿أني اراك وقومك في ضلال مبين﴾ يعني يقول ابراهيم لابيه آزر اني أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق

السر أو أي العلانية (وهو الحكيم) في الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو اسم أبيه أو لقبه لانه خلاف بين النسابين أن اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لابيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لاتستحق الالهية (اني أراك وقومك في ضلال مبين

(وهو الحكيم) في أمره وقضائه (الخبير) بخلقه وبأعمالهم (واذ قال) وقد قال (ابراهيم لابيه آزر) وهو تارح بن ناحور (أتتخذ أصناما) أتعبد أصناما (آلهة) شتى صغيرا وكبيرا ذكرا وانثى (اني أراك) ياأبت (وقومك في ضلال مبين) في كفر بين وخطأ بين في عبادة الاصنام

الضلالة ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ﴾ ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية • وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ﴿ ملكوت السموات والارض ﴾ ربوبيتهما وملكهما وقيل عجائبهما وبدائعهما والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ أى ليستدل وليكون أو وفعلنا ذلك

مبين يعنى بين لمن أبصر ذلك فانه لايشك ان هذه الاصنام لاتضر ولاتنفع وهذه الآية احتجاج على مشركى العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلاجرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه فى معرض الاحتجاج على المشركين * قوله عز وجل ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ﴾ معناه وكما أرينا ابراهيم البصيرة فى دينه والحق فى خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال فى عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل فى قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بان أراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى ومافى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله وآتيناه أجره فى الدنيا يعنى أريناه مكانه فى الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى مافيها من العجائب قال البغوى وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فاراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى ياابراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانما أنا من عبدى على ثلاث خلال اما أن يتوب الى فاتوب عليه واما أن أخرج منه نسمة تعبدنى واما أن يبعث الى فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفى رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف فى هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى مافى بطنها والقول الثانى ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لايعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا أن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض * قوله عز وجل ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى

وكذلك) أى وكما أريناه قبح الشرك (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أى نرى بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لان الواو والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى مافيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى مافيهن (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا

(وكذلك) هكذا (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) مابين السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم حين خرج من السرب (وليكون من الموقنين) لكى يكون من المقرين بان الله واحد خالق السموات والارض ومافيهن ويقال أراه الله ليلة اسرى به الى السماء حتى أبصر من السماء السابعة الى الارض السابعة وليكون من الموقنين لكى يكون له يقين الخطرات

ليكون ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ﴾ تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد أو على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته وأول أوان بلوغه

ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان فى أول الحال لاينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة فى القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لاتستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شئ حسا وخبرا * قوله عز وجل ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ يقال جن الليل وأجن اذا أظلم وغطى كل شئ وأجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده ﴿ رأى كوكبا قال هذا ربى ﴾

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمرود ابن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقال السدى رأى نمرود فى منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة ناحيته وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لايجامعون فى المحيض فاذا طهرت من المحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل فى بطنها وقال السدى فخرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها

(فلما جن عليه الليل) اى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشترى وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطا فى دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قال هذا ربى) أى قال لهم هذا ربى فى زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

(فلما جن عليه الليل) فى السرب (رأى كوكبا) وهى الزهرة (قال هذا ربى)

أحدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لى اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لثقتى بك فاقسمت عليك أن لاتدنو من أهلك فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على أهلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا فى النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه مايصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر مافعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبوروق قالت أم ابراهيم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها مافعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فلم يمكث فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله غيره ونظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لاأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فاتاه أبوه آزر فقال ابراهيم ياأبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر فى خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربى ويقال انه قال لابويه أخرجانى فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ماهذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم مالهذه بد من أن يكون لها اله وهو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال

انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعنى ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربى ثم اختلف العلماء فى وقت هذه الرؤية وفى وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ فى حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذى صدر من ابراهيم فى هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب فى حال صغره ونظر الى السماء ومافيها من العجائب ونظر الى الارض ومافيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر فى نفسه وقال لابد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخلق ثم نظر فى حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهر فقال هذا ربى على ماسبق الى وهمه وذلك فى حال طفوليته وقبل استحكام النظر فى معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لايكون الا فى حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضى لان الانبياء معصومون فى كل حال من الاحوال وانه لايجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتى عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربى حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثانى الذى عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول فى تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول أن ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم فى تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ماعظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطأ ماكانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحوارى الذى ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه فى كثير من أمورهم الى أن دهمهم عدو لاقبل لهم به فشاوروه فى أمر هذا العدو فقال الرأى عندى ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا مانزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيأ فلما تبين لهم أنه لاينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحوارى وامرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم مانزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ماكانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره أهذا ربى الذى تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعنى أفهم الخالدون والمعنى أيكون هذا ربا ودلائل النقص

(فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) أى لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام

(فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى

﴿ فلما أفل ﴾ أى غاب ﴿ قال لا أحب الآفلين ﴾ فضلا عن عبادتهم فأن الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ مبتدأ فى الطلوع ﴿ قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ﴾ استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فأنه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لايصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ﴾ ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث ﴿ هذا أكبر ﴾ كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم ﴿ فلما أفلت

فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان فى هذه الآية اضمارا تقديره يقولون هذا ربى واضمار القول كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا أى يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال فى حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان أراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لايليق بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وأما قوله تعالى ﴿ فلما أفل ﴾ يعنى غاب والافول غيبة النيرات ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ يعنى لا أحب ربا يغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿ قوله عز وجل ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ يعنى طالعا منتشر الضوء ﴿ قال هذا ربى ﴾ معناه ماتقدم من الكلام فى الكوكب ﴿ فلما أفل ﴾ يعنى غاب ﴿ قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ﴾ يعنى ان لم يثبتنى ربى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من أول الفطرة وفى الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية لله تعالى ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ يعنى طالعة ﴿ قال هذا ربى ﴾ يعنى هذا الطالع أو انه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوأ من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيقى فلهذا أتى بلفظ التذكير ﴿ هذا أكبر ﴾ يعنى من الكوكب والقمر ﴿ فلما أفلت ﴾ يعنى

ربى لاكونن من القوم الضالين) نبه قومه على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) وانما ذكره لانه أراد الطالع أو لانه جعل المبتدأ مثل الخبر لانهما شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثانى أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت

أترى هذا ربى (فلما أفل) غاب وتغير عن حاله الى الحمرة (قال لا أحب الآفلين) ربا ليس بدائم (فلما رأى القمر بازغا) طالعا (قال هذا ربى) أترى هذا ربى هذا أكبر من الاول (فلما أفل) غاب وتغير (قال لئن لم يهدنى ربى) لم يثبتنى ربى على الهدى

(لأكونن من القوم الضالين) عن الهدى (فلما رأى الشمس بازغة) طالعة قد ملأت كل شئ (قال هذا ربى) أترى هذا ربى (هذا أكبر) من الاول والثانى (فلما أفلت) غابت وتغيرت قال ابراهيم انى لا أحب الآفلين ربا ليس بدائم لئن لم يهدنى ربى

قال ياقوم انى برئ مماتشركون)من الاجرام التى تجعلونها شركاءلخالقها وقيل هذاكان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله تعالى والاول أظهر لقوله ياقوم انى برئ مماتشركون (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) أى للذى دلت هذه المحدثات على انه منشئها (حنيفا)حال أى مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام (وماأنامن المشركين) بالله شيأمن خلقه (وحاجه قومه) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أتحاجونى فى الله) فى توحيده أتحاجونى مدنى وابن ذكوان (وقد هدان) الى التوحيد وبالياء فى الوصل أبو عمرو ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال (ولا أخاف ما تشركون به

لم يثبتنى ربى لاكونن من القوم الضالين عن الهدى مقدم ومؤخر يقال قال هذا ربى على معنى الاستهزاء لقومه لان قومه كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم فأنكر عليهم فاستهزأبهم وقال لهم أمثل هذا يكون الرب فلما خرج من السرب وجاء الى قومه وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة نظر الى السماء والارض فقال ربى الذى خلق هذا ثم مضى حتى أتى قومه فرآهم عاكفين على أصنام لهم (قال ياقوم انى برئ مماتشركون) بالله من الاصنام قالوا ياابراهيم فمن تعبد أنت قال (انى وجهت وجهى) أخلصت دينى وعملى (للذى فطر)خلق (السموات والارض حنيفا)مسلما (وماأنامن المشركين)على دينهم (وحاجه قومه) خاصمه قومه فى آلهتهم وخوفوه بهالكى يترك دين الله (قال) ابراهيم (أتحاجونى فى الله) أتخاصمونى فى دين الله لقبل آلهتكم وتخوفونى بها لكى أترك دين ربى (وقد هدان)ربى لدينه (ولاأخاف ماتشركون به) من الاصنام (الا)

قال يقوم انى برئ مماتشركون ﴾من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بماتختص به ثم لماتبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنامن المشركين ﴾ وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال ﴿ وحاجه قومه ﴾ وخاصموه فى التوحيد ﴿ قال أتحاجونى فى الله ﴾ فى وحدانيته سبحانه وتعالى * وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون ﴿ وقدهدان ﴾ الى توحيده ﴿ ولا أخاف ماتشركون به ﴾ أى لاأخاف

فلما غابت الشمس ﴿ قال ياقوم انى برئ مما تشركون ﴾ يعنى انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعى ان هذه النجوم ليست بآلهة ولاتصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر لقومه انه برئ ممايشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ماهو عليه من الدين الحق فقال ﴿ انى وجهت وجهى ﴾ يعنى انى صرفت وجه عبادتى وقصرت توحيدى ﴿ للذى فطر السموات والارض ﴾ يعنى للذى خلقهما وابتدعهما ﴿ حنيفا ﴾ يعنى مائلا عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى وأصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته ﴿ وما أنامن المشركين ﴾ تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه * قوله عزوجل ﴿ وحاجه قومه ﴾ يعنى وخاصمه قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التى كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عزوجل خاصمه قومه وجادلوه فى ذلك فقال أتحاجونى فى الله يعنى أتجادلوننى فى توحيدى لله وقدهدانى وقدتبين لى طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى من يشترى مايضره ولاينفعه فلايشتريها أحد فاذابارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربى استهزاء بقومه وبماهم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها فى قومه واهل قريته حاجه قومه يعنى خاصمه وجادله قومه فى دينه ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ أتحاجونى فى الله وقدهدان ﴾ يعنى الى توحيده ومعرفته ﴿ ولاأخاف ماتشركون به ﴾ وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانانخاف أن تمسك بخبل أوجنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولاأخاف ماتشركون به فانها جمادات لاتضر ولاتنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله

الا أن يشاء ربى شيأ) أى لاأخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا الا الاصنام (وسع ربى كل شئ علما) فلا يصيب عبدا شئ من ضر أو نفع الا بعلمه (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) معبوداتكم وهى مأمونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به) باشراكه (عليكم سلطانا) حجة اذ الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى ومالكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف (فأى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فاينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرك عن الصديق رضى

معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولا تنفع ﴿ الا أن يشاء ربى شيأ ﴾ أن يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله ﴿ وسع ربى كل شئ علما ﴾ كأنه علة الاستثناء أى أحاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ ولا يتعلق به ضر ﴿ ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ﴿ مالم ينزل به عليكم سلطانا ﴾ مالم ينزل باشراكه كتابا أو لم ينصب عليه دليلا ﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن ﴾ أى الموحدون أو المشركون وانما لم يقل أينا انا أم انتم احترازا من تزكية نفسه ﴿ أن كنتم تعلمون ﴾ ما يحق ان يخاف منه ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم

﴿ الا أن يشاء ربى شيأ ﴾ يعنى لكن ان يشاء ربى شيأ كان مايشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه فى بعض حالاته وأيام عمره مايكرهه فلو أصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا أن يشاء ربى شيأ وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول فى شئ والمعنى ولكن ان شاء ربى شيأ كان ﴿ وسع ربى كل شئ علما ﴾ يعنى أحاط علمه بكل شئ فلا يخرج شئ عن علمه ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ يعنى أفلا تعتبرون ان هذه الاصنام جمادات لاتضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذى خلق السموات والارض ومن فيهما ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ يعنى وكيف أخاف الاصنام التى أشركتم بها الا انها جمادات لاتبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ﴿ ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ يعنى وأنتم لا تخافون وقد أشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ﴿ مالم ينزل به عليكم سلطانا ﴾ يعنى ماليس لكم فيه حجة وبرهان ﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ﴾ يعنى يقول من أولى بالامن من العذاب فى يوم القيامة الموحد أو المشرك ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ﴾ وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعنى ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم فى المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعنى آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيأ ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه

(الا أن يشاء ربى شيأ) نزوع المعرفة من قلبى فأخاف مما تخافون (وسع ربى كل شئ علما) علم ربى بأنكم على غير الحق (أفلا تتذكرون) تتعظون فيما اقول لكم من النهى (وكيف أخاف ما أشركتم) بالله من الاصنام (ولا تخافون) أنتم من الله (أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) كتابا ولا حجة وكانوا يخوفونه بآلهتهم فيقولون نخاف عليك ان شتمتهم ان يخبلوك فلذلك قال لاأخاف (فأى الفريقين) أهل دينين أنا وأنتم (أحق) أولى (بالامن) من معبوده واجيبوا (ان كنتم تعلمون) ذلك فلم يجيبوا فأجاب الله ماسأل عنهم ابراهيم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولم ينافقوا

أولـئـك لهم الأمن وهم مهتـدون ﴾ استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية ﴿ وتلك ﴾ اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون أو من قوله أتحاجوني اليه ﴿ حجتنا آتيناها ابراهيم ﴾ أرشدناه اليها و علمناه اياها ﴿ على قومه ﴾ متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله أي آتيناها ابراهيم حجة على قومه ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ في العلم والحكمة * وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ﴿ ان ربك حكيم ﴾ في رفعه وخفضه ﴿ عليم ﴾ بحال من يرفعه واستعداده له ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب

يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معان الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيأ كانت عاقبته الامن من النار لقوله ﴿ أولئك ﴾ يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ﴿ لهم الأمن ﴾ يوم القيامة من عذاب النار ﴿ وهم مهتدون ﴾ يعني الى سبيل الرشاد * قوله عز وجل ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ﴾ يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اما تخاف عليك من آلهتنا لسبك اياها قال أفلا تخافون أنتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أي الفريقين أحق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ﴿ ان ربك حكيم عليم ﴾ يعني انه تعالى حكيم في جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيأ الا بحكمة وعلم * قوله عز وجل ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب ﴾ لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد الله نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وابقا النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم

الله عنه (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) تم كلام ابراهيم عليه السلام (وتلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو خبر بعد خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح (ان ربك حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل (ووهبنا له) لابراهيم (اسحق ويعقوب

بايمانهم (أولئك لهم الامن) من معبودهم (وهم مهتدون) للصواب ويقال أولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون الى الحجة (وتلك حجتنا) هذه حجتنا (آتيناها) ألهمناها (ابراهيم) حتى احتج بها (على قومه نرفع درجات) فضائل بالقدرة والمنزلة والحجة وبعلم التوحيد (من نشاء) من كان اهلا لذلك (ان ربك حكيم) بالهام الحجة لاوليائه (عليم) بحجة أوليائه وعقوبة اعدائه (ووهبنا له) لابراهيم (اسحق) ولدا (ويعقوب)

كلاهدينا) أى كلهم وانتصب كلا بهدينا (ونوحاهدينا) أى وهدينا نوحا (من قبل) من قبل ابراهيم (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لابراهيم والاول أظهر لان يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وكذلك نجزى المحسنين) ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف (وزكريا ويحي وعيسى والياس كل) أى كلهم (من الصالحين) وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام أيضا لانه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لايتصل به الا بالام وبذا أجيب الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبى عليه السلام (واسمعيل واليسع) واالليسع حيث كان

كلاهدينا ﴾ أى كلامنهما ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ من قبل ابراهيم عدهداه نعمة على ابراهيم من حيث انه أبوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ﴿ ومن ذريته ﴾ الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه أقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا ﴿ داود وسليمان وأيوب ﴾ وأيوب بن اموص من أسباط عيصا بن اسحق ﴿ ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ﴾ أى ونجزى المحسنين جزاء مثل ماجزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم ﴿ وزكريا ويحي وعيسى ﴾ هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت ﴿ والياس ﴾ قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هارون أخى موسى ﴿ كل من الصالحين ﴾ الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لاينبغى ﴿ واسمعيل وأليسع ﴾ هو أليسع بن اخطوب

اسحق يعنى ابنا لصلبه ويعقوب يعنى ابن اسحق وهو ولد الولد ﴿ كلا هدينا ﴾ يعنى هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ يعنى من قبل ابراهيم أرشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومنا عليه بالهداية ﴿ ومن ذريته ﴾ اختلفوا فى هذه الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعنى ومن ذرية ابراهيم ﴿ داود وسليمان ﴾ وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكره فى جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخى ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن بيشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان ابن داود ﴿ وأيوب ﴾ هو أيوب ابن أموص بن رازح بن روم ابن عيص بن اسحق بن ابراهيم ﴿ ويوسف ﴾ هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ﴿ وموسى ﴾ هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لارى بن يعقوب ﴿ وهرون ﴾ هو أخو موسى وكان اكبر منه بسنة ﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾ يعنى وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على أذى قومه كذلك نجزى المحسنين على احسانهم ﴿ وزكريا ﴾ هو ابن آذن بن بركيا ﴿ ويحي ﴾ هو ابن زكريا ﴿ وعيسى ﴾ هو ابن مريم بنت عمران ﴿ والياس ﴾ قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل قال ومحمد بن اسحق هو الياس بن سنا بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس فى هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته ﴿ كل من الصالحين ﴾ يعنى ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين ﴿ واسمعيل ﴾ هو ابن ابراهيم وانما أخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخر ذكر اسمعيل الى هنا ﴿ واليسع ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز

ولد الولد (كلا) يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب (هدينا) اكرمنا بالنبوة والاسلام (ونوحا هدينا) اكرمنا أيضا بالنبوة والاسلام (من قبل) أى من قبل ابراهيم (ومن ذريته) ومن ذرية نوح ويقال من ذرية ابراهيم (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) كلا هديناهم بالنبوة والاسلام (وكذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل ويقال الموحدين (وزكريا ويحي وعيسى والياس كل) كل هؤلاء هديناهم بالنبوة والاسلام وكلهم من ذرية ابراهيم (من الصالحين) يعنى كانوا من مرسلين (واسمعيل واليسع

وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القرأتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد فى قوله

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

﴿ويونس﴾ هو يونس بن متى ﴿ولوطا﴾ هو ابن هاران بن أخي ابراهيم ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وأخوانهم﴾ عطف على كلا أو نوحا أى فضلنا كلا منهم أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فأن منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا ﴿واجتبيناهم﴾ عطف على فضلنا أو هدينا ﴿وهديناهم الى صراط مستقيم﴾ تكرير لبيان ماهدوا اليه ﴿ذلك هدى الله﴾ اشارة الى مادانوا به

﴿ويونس﴾ هو ابن متى ﴿ولوطا﴾ هو ابن أخي ابراهيم ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ يعنى على العالمى زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب وهى ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم ترجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن وشدائد وقد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء وشدة الى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة فى تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد فى الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيي وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شئ يذكر والله اعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عز وجل ﴿ومن آبائهم﴾ يعنى ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن مسلما ﴿وذرياتهم﴾ يعنى ومن ذرياتهم أى بعضهم لان عيسى ويحي لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح ﴿وأخوانهم﴾ يعنى ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى ﴿واجتبيناهم﴾ يعنى اخترناهم واصطفيناهم ﴿وهديناهم﴾ يعنى وارشدناهم ﴿الى صراط مستقيم﴾ أى الى دين الحق ﴿ذلك هدى الله﴾ قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد

بلامين حمزة وعلى (ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة والرسالة (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا أى وفضلنا بعض آبائهم (وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى مادان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله

ويونس ولوطا وكلا) كلا هؤلاء الانبياء (فضلنا) بالنبوة والاسلام (على العالمين) عالمى زمانهم من الكافرين والمؤمنين (ومن آبائهم) آدم وشيث وادريس ونوح وهود وصالح هديناهم بالنبوة والاسلام (وذرياتهم) يعنى أولاد يعقوب (واخوانهم) يعنى اخوة يوسف هديناهم بالنبوة والاسلام (واجتبيناهم) اصطفيناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم) يعنى ثبتناهم على طريق مستقيم (ذلك) الصراط المستقيم (هدى الله) دين الله

(يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم ومارفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أوفهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فأن يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبى عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل للشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين و فى (بكافرين) لتأكيد النفى أولئك الذين هدى الله أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم أقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى

﴿يهدى به من يشاء من عباده﴾ دليل على انه تعالى متفضل عليهم بالهداية ﴿ولو أشركوا﴾ أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد به الجنس ﴿والحكم﴾ الحكمة أو فصل الامر على ما يقتضيه الحق ﴿والنبوة﴾ والرسالة ﴿فأن يكفر بها﴾ أى بهذه الثلاثة ﴿هؤلاء﴾ يعنى قريشا ﴿فقد وكلنا بها﴾ أى بمراعاتها ﴿قوما ليسوا بها بكافرين﴾ وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار أو أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو كل من آمن به أو الفرس وقيل الملائكة عليهم السلام ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يريد الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم ﴿فبهداهم اقتده﴾ فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله

﴿يهدى به من يشاء من عباده﴾ يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء ﴿ولو أشركوا﴾ يعنى هؤلاء الذين سميناهم ﴿لحبط﴾ يعنى لبطل وذهب ﴿عنهم ما كانوا يعملون﴾ من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيأ * قوله عز وجل ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ يعنى أولئك الذين سميناهم من الانبياء أعطيناهم الكتب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة ﴿فان يكفر بها هؤلاء﴾ يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش ﴿فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب * قوله عز وجل ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية ﴿فبهداهم اقتده﴾ اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل وأصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله

(يهدى به من يشاء من عباده) من كان أهلا لذلك (ولو أشركوا) لو أشرك هؤلاء الانبياء (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات (أولئك الذين)(قا و خا ٥٦ نى) قصصنا من النبيين (آتيناهم) أعطيناهم (الكتاب) الذى نزل به جبريل من السماء (والحكم) العلم والفهم (والنبوة فان يكفر بها) بسبيلهم ودينهم (هؤلاء) اهل مكة (فقد وكلنا بها) وفقنا بها بدين الانبياء وسبيلهم (قوما) بالمدينة (ليسوا بها) بدين الانبياء وبسبيلهم (بكافرين) بجاحدين (أولئك الذين) قصصناهم من النبيين (هدى الله) هداهم الله بالاخلاق الحسنى (فبهداهم) فبأخلاقهم الحسنى من الصبر والاحتمال والرضا والقناعة وغير ذلك (اقتده

والهاء فى اقتده للوقف ومن أثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى ويشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام ﴿ قل لا أسألكم عليه ﴾ أى على التبليغ أو القرآن ﴿ أجرا ﴾ جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ﴿ ان هو ﴾ التبليغ أو القرآن أو الغرض ﴿ الا ذكرى للعالمين ﴾ الا تذكيرا وموعظة لهم ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد

وقيل أمره أن يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التى لا تليق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الا ماخصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

فصل

احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة فى الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة فى جميعهم والله أعلم * وقوله عز وجل ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرا ﴾ يعنى قل يا محمد لا أطلب على تبليغ الرسالة جعلا قيل لما أمره الله تعالى بالاقتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا أسئلكم عليه أجرا ﴿ ان هو ﴾ يعنى ماهو يعنى القرآن ﴿ الا ذكرى للعالمين ﴾ يعنى أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وأن دعوته عمت جميع الخلائق * قوله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ماعظموا الله حق عظمته وعنه أن

تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحذفها حمزة وعلى فى الوصل ويختلسها شامى (قل لا أسئلكم عليه) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجرا) جعلا وفيه دليل على أن أخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز (ان هو الا ذكرى للعالمين) ما القرآن الا عظة للجن والانس (وما قدروا الله حق قدره

قل) يا محمد لاهل مكة (لا أسئلكم عليه) على التوحيد والقرآن (أجرا) جعلا (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا ذكرى) عظة (للعالمين) الجن والانس (وما قدروا الله حق قدره) ما عظموا الله حق عظمته

﴿ اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ﴾ حين أنكروا الوحى وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم

معناه ما آمنوا أن الله على كل شئ قدير وقال أبو العالية ماوصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ماعرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشئ اذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيأ هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لايقدر قدره فقوله وماقدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة فى معناه ﴿ اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ﴾ يعنى الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ماقدروا الله حق قدره ولاعرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت فى كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدى ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبرى قال لان من أول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وماقدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلايكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ خبرا عن غيرهم وأورد فخر الدين الرازى على هذا القول اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضا فما بعد هذه الآية لايليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لايليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين فى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثانى فى سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت فى اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وانها من الآيات المدنيات التى فى السور المكية قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات منها قوله وماقدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول فى اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فقال أصحابه الذين معه ويحك ولاعلى موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فأنزل الله وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله

اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) أى ماعرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبى عليه السلام فقال النبى عليه السلام له أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وحق قدره منصوب نصب المصدر

(اذ قالوا ما أنزل الله على بشر) من النبيين (من شئ) من كتاب نزلت هذه الآية فى مالك بن الصيف اليهودى قال ما أنزل الله على بشر من شئ

والزامهم بقوله ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ﴾ وقراءة الجمهور ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ بالتأ . وانما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض ماانتخبوه وكتبوه فى اوقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انشد بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض

على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا وهدى للناس الآية قال البغوى وفى القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ماأنزل الله على بشر من شئ فقال مالك بن الصيف أغضبنى محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدى نزلت هذه الآية فى فنحاص بن عازوراء اليهودى وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس رضى الله عنهما قالت اليهود يامحمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ماأنزل الله من السماء كتابا فانزل الله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظى جاء ناس من يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا ياابا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاءبه موسى ألواحا يحملها من عندالله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التى فى سورة النساء فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة جثا رجل منهم وقال ماأنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيأ فأنزل الله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شئ وأورد الرازى على هذا القول اشكالا أيضا وهو انه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ماأنزل الله على بشر من شئ مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشئ وأجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لابدلهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ماأنزل الله على بشر من شئ من أنزل التوراة على موسى وفى هذا الالزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذى لاينكر ﴿ نورا وهدى للناس ﴾ يعنى التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير ﴿ يجعلونه قراطيس ﴾ يكتبونه فى قراطيس مقطعة ﴿ يبدونها ﴾ يعنى القراطيس المكتوبة ﴿ ويخفون كثيرا ﴾ يعنى ويخفون كثيرا مما كتبوه فى القراطيس وهو ماعندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة ومما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم

(قل من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا) حال من الضمير فى به أو من الكتاب (وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وبالياء فى الثلاثة

(قل) يا محمد لمالك (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا) بيانا وضياء (وهدى للناس) من الضلالة (تجعلونه) تكتبونه (قراطيس) فى قراطيس أى فى الصحف (تبدونها) تظهرون كثيرا ماليس فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وتخفون كثيرا) يعنى تكتمون كثيرا مافيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته

مكى وأبو عمر (وعلمتم) ياأهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من أمور دينكم ودنياكم (قل الله) جواب أى أنزله الله فانهم لايقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذى يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أومن خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذى بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أى الكتاب وهو معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كانه قيل أنزلناه للبركات و تصديق ماتقدمه من الكتب والانذار (أم القرى) مكة وسميت أم

الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لوانا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ﴿ وعلمتم ﴾ على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ زيادة على مافي التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش ﴿ قل الله ﴾ أى أنزله الله أوالله أنزله أمره بأن يجيب عنهم اشعارا بأن الجواب متعين لايمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث انهم لايقدرون على الجواب ﴿ ثم ذرهم فى خوضهم ﴾ فى أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة ﴿ يلعبون ﴾ حال منهم الاول والظرف صلة ذرهم أويلعبون أوحال من المفعول أو فاعل يلعبون أومن هم الثانى والظرف متصل بالاول ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ كثير الفائدة والنفع ﴿ مصدق الذى بين يديه ﴾ يعنى التوراة أوالكتب التى قبله ﴿ ولتنذر أم القرى ﴾ عطف على مادل عليه مبارك أى للبركات ولتنذر أوعلة لمحذوف أى ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم

فى التوراة ﴿ وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قل الله ﴾ هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى فان أجابوك يامحمد والافقل أنت الله الذى أنزله ﴿ ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ يعنى دعهم يامحمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يامحمد انك اذا أقمت الحجة عليهم وبلغت فى الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شئ فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد ٭ قوله عزوجل ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ يعنى وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يامحمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير ﴿ مصدق الذى بين يديه ﴾ يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعنى انه موافق لما فى التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة ﴿ ولتنذر ﴾ قرئ بالتاء يعنى ولتنذر يامحمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ﴿ أم القرى ﴾

(وعلمتم) من الاحكام والحدود والحلال والحرام وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى الكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل من الاحكام والحدود فأن أجابوك وقالوا الله أنزل والا (قل الله) أنزل (ثم ذرهم) اتركهم (فى خوضهم يلعبون) فى باطلهم يعمهون يخوضون ويكذبون (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه) جبريل به (مبارك) فيه المغفرة والرحمة لمن آمن به (مصدق الذى بين يديه) موافق للتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (ولتنذر) تخوف بالقرآن (أم القرى) يعنى أهل مكة

القرى لانها سرة الارض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنا ولان الناس يؤمونها

(ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلوتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وهو مالك بن الصيف (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) هو مسيلة

وبقال أم القرى عظيمة القرى ويقال انما سميت أم القرى لان الارض دحيت من تحتها (ومن حولها) من سائر البلدان (والذين يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة (يؤمنون به) بمحمد والقرآن (وهم على صلوتهم) على أوقات صلواتهم الخمس (يحافظون ومن أظلم) أعتى وأجرأ (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا أو قال) ما أنزل الله على بشر من شئ وهو مالك بن الصيف

ومجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها أو لانها مكان اول بيت وضع للناس * وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء أى ولينذر الكتاب ﴿ ومن حولها ﴾ أهل المشرق والمغرب ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون ﴾ فأن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى أواختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه ﴿ أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ﴾ كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله

يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قال ابن عباس رضى الله عنهما وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض ﴿ ومن حولها ﴾ يعنى جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ﴾ يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عزوجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذى يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لايحصل الابالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع ﴿ وهم على صلوتهم يحافظون ﴾ يعنى يداومون عليها فى أوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات * قوله عزوجل ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ يعنى ومن أعظم خطأ واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو فى زعمه كذاب مبطل ﴿ أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ﴾ قال قتادة نزلت هذه الآية فى مسيلمة الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلمة نبى قالا نعم فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم اذ أوتيت خزائن الارض فوضع فى يدى

أوقال يعنى ومن قال (أوحى الى) كتاب (ولم يوح اليه شئ) من الكتاب

وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ ولو ترى اذ الظالمون ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين ﴿ فى غمرات

سواران من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الى أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفى لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فى المنام كان فى يدى سوارين فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء قوله فأوحى الى ان انفخهما يروى بالحاء المهملة ومعناه الرمى والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب فى زمن خلافة أبى بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلمة وأما الاسود العنسى بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقتل والنبى صلى الله عليه وسلم حى لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعنى بقتله الاسود العنسى فمن قال ان هذه الآية يعنى قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ أنزلت فى مسيلمة الكذاب والاسود العنسى يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره فى أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت فى شأنهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم ✽ قوله عز وجل ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ اليك قال السدى نزلت فى عبد الله بن أبى سرح القرشى وكان قد أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن ابى سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبى صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فى المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل فى حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا فى ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم ﴿ ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات

مثل ما أنزل الله) أي سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد ابن أبى سرح كاتب الوحى وقد أملى النبى عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا آخر فجرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة أو النضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا كانه يعارض (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (فى غمرات

وهو مسيلمة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) سأقول مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن سعد ابن أبى سرح (ولو ترى)

يا محمد (اذ الظالمون) المشركون والمنافقون يوم بدر (فى غمرات

الموت) شدائده وسكراته (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم) أي يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوا الينامن أجسادكم وهذه عبارة عن التشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أي قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيآت التي ولدتم عليها في الانفراد

الموت ﴾ شدائده من غمره الماء اذا غشيه ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ أو بالعذاب ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ أي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أو اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا ﴿ اليوم ﴾ يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له ﴿ تجزون عذاب الهون ﴾ أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا ﴿ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ﴿ ولقد جئتمونا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ فرادى ﴾ منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى * وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم

الموت ﴾ يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت أمرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ يعني بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك الوقت ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ يعني الهوان ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه * قوله عز وجل ﴿ ولقد جئتمونا فرادى ﴾ يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيأ في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء

الموت) في نزعات الموت وغشياته (والملائكة باسطوا أيديهم) ضاربوا أيديهم الى أرواحهم (أخرجوا) أي يقولون اخرجوا (أنفسكم) أرواحكم (اليوم) يوم بدر ويقال يوم القيامة (تجزون عذاب الهون) الشديد (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) ما ليس بحق (وكنتم عن آياته) عن محمد عليه السلام والقرآن (تستكبرون) اى تتعظمون عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن في الدنيا (ولقد جئتمونا فرادى) صفرا بلا مال ولا ولد (كما خلقناكم أول مرة) في الدنيا بلا

﴿ جميعا ﴾

عليها فى الانفراد أو حال ثانيـة ان جوزالتعدد فيهـا أو حال من الضمير فى فرادى أى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أى مجيئا كما خلقنـاكم ﴿ وتركتم ماخولناكم ﴾ ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشـغلتم به عن الآخرة ﴿ وراءظهوركم ﴾ ما قدمتموه منه شيأ ولم تحملوا نقيرا ﴿ ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ﴾ أى شركاءالله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿ لقدتقطع بينكم ﴾ أى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل ♦ وقيل هوالظرف اسـند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسـائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه أواقيم مقـام موصوفه واصله لقد تقطع مابينكم وقد قرئ به ﴿ وضل عنكم ﴾ ضاع وبطل ﴿ ماكنتم تزعمون ﴾ انها شفعاءكم أو ان لابعث ولا جزاء ﴿ ان الله فالق الحب والنوى ﴾ بالنبات والشجر وقيل المراد

جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك روى الطبرى بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عزوجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يارسول الله واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شـأن يغنيه لاينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض ✻ قوله عزوجل ﴿ وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ﴾ يعنى وتركتم الذى أعطينـاكم وملكنـاكم من الاموال والاولاد والخدم والخـول وكل ماأعطى الله العبـد خوله فيه من المـال والعبيد وراء ظهوركم يعنى فى الدنيا ﴿ ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ﴾ يعنى ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عندالله يوم القيامة لانها شركاءالله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعـالى ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقـد تقطع مابينكم من الوصـل أو يكون معناه لقدتقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقدتقطع وصـلكم والبـين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا ﴿ وضـل عنكم ماكنتم تزعمون ﴾ يعنى وذهب وبطل ماكنتم تكذبون فى الدنيا ✻ قوله عزوجل ﴿ أن الله فالق الحب والنوى ﴾ لما تقـدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى كانوا يعبدونها وتعريفا منه خطأ ماكانوا عليه من الاشراك الذى كانوا عليه والمعنى أن الذى يستحق العبادة دون غيره هو الله الذى فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفى معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو

ولم تحتملوا منه نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) فى استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصـل والهجر قال ♦ فوالله لولا البين لم يكن الهوى ♦ ولولا الهـوى ماحن للبين آلف ♦ بينكم مدنى وعـلى وحفص أى وقع التقطع بينـكم (وضـل عنكم) وضـاع وبطـل (ماكنتم تزعمون) انها شـفعاؤكم عندالله (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر أى فلق الحب عن السـنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة

مال ولا ولد (وتركتم) خلفتم (ماخولنـاكم) اعطيناكم (وراءظهوركم) خلف ظهوركم فى الدنيا (وما نرى معكم) لكم (شفعاءكم) آلهتكم (الذين زعمتم انهم فيكم) لكم (شركاء) شـفعاء (لقد تقطع بينكم) وصلكم يعنى ماكان بينكم من الوصل والود (وضـل عنكم) اشتغل عنكم بانفسها (ماكنتم تزعمون) تعبدون وتقولون انها شفاؤكم يعنى الاصنام (ان الله فالق الحب) يعنى خالق الحبوب (قا وخا ٥٧ نى) كلها ويقال خالق ماكان فى الحب (والنوى) يعنى ماكان

الحب اليابس من النبات النامي أو الانسان من نطفة والنطفة من الانسان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم أنكروا البعث فاعلمهم أنه الذي خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان دليله قوله ويحيي الارض بعد موتها (ذلكم الله) ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية

به الشقاق الذي في الحنطة والنواة ﴿ يخرج الحي ﴾ يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله ﴿ من الميت ﴾ مما لا ينمو كالنطف والحب ﴿ ومخرج الميت من الحي ﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فأن قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ﴿ ذلكم الله ﴾ أي ذلكم المحيي والمميت هو الذي

قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وأنكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشئ بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما اوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فلقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه ۞ قوله عز وجل ﴿ يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة من الحي وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال عقب قوله ان الله فالق الحب والنوى ۞ فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل ۞ قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله ﴿ ذلكم الله ﴾ يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء

فيه النواة (يخرج الحي من الميت) النسمة والدواب من النطفة ويقال الطير من البيضة ويقال السنبلة والثمار من الحبة والنواة (ومخرج الميت من الحي) النطفة من النسمة والدواب ويقال البيضة من الطير ويقال الحبة والنواة من السنبلة والثمار (ذلكم) الذي يفعل هذا هو (الله)

(المحيي)

يحق له العبادة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ تصرفون عنه الى غيره ﴿ فالق الاصباح ﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح * وقرئ بفتح الهمزة على الجمع * وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح ﴿ وجاعل الليل سكنا ﴾ يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فأنه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فأن فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون ﴿ والشمس والقمر ﴾ عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر * وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى مجعولان ﴿ حسبانا ﴾ أى على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان على الحسبان وهو

المحيى المميت لها ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب * قوله عز وجل ﴿ فالق الاصباح ﴾ أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار * فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فما معنى ذلك * قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ها أن يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار ويكون معنى قوله فالق الاصباح أى فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل الذى يلى الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره * قوله عز وجل ﴿ وجاعل الليل سكنا ﴾ السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد أن الناس يسكنون فى الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل ﴿ والشمس والقمر حسبانا ﴾ يعنى انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر فى الفلك

الامر بما ذكرنا (فالق الاصباح) هو مصدر سمى به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار (وجاعل الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكنا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق الى الانس بالحق (والشمس والقمر) انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أى جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان

لا الآلهة تفعله (فأنى تؤفكو)من اين تكذبون (فالق الاصباح) خالق صبح النهار (وجعل الليل سكنا) مسكنا للخلق (والشمس والقمر) يعنى خلق الشمس والقمر(حسبانا) منازلهما بالحساب و يقال معلقان بين السماء والارض يدوران بالدوران

الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهوالذى جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل بالبر وبالبحر وأضافها اليهما لملابستها اليهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهوالذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (فمستقر و مستودع) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم

مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿ تقدير العزيز ﴾ الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص ﴿ العليم ﴾ بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما ﴿ وهوالذى جعل لكم النجوم ﴾ خلقها لكم ﴿ لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾ فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة أو فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ بيناها فصلا فصلا ﴿ لقوم يعلمون ﴾ فأنهم المنتفعون به ﴿ وهوالذى أنشأكم من نفس واحدة ﴾ هو آدم عليه السلام ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ أى فلكم استقرار فى الاصلاب أو فوق الارض واستيداع فى الارحام أو تحت الارض أو موضع استقرار واستيداع * وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول أى فمنكم قار ومنكم مستودع

بحسبان معين قال ابن عباس رضى الله عنهما يجريان الى أجل جعل لهما يعنى عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبى منازلهما بحسبان لايجاوزانه حتى ينتهيا الى أقصى منازلهما ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماتقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله ﴿ تقدير العزيز العليم ﴾ فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه * قوله عز وجل ﴿ وهوالذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾ جعل هنا بمعنى خلق يعنى والله الذى خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها فى المسالك والطرق فى البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على مايريدون فى النهار بحركة الشمس وفى الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ يعنى قد بينا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا ﴿ لقوم يعلمون ﴾ ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته * قوله عز وجل ﴿ وهوالذى أنشأكم من نفس واحدة ﴾ يعنى والله الذى ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لان ابتداء خلقه من مريم وهى من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر فى مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعنى فى الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما للانسان الذى استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فمن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى

(ذلك تقدير العزيز) يعنى تدبير العزيز بالنقمة لمن لايؤمن به (العليم) بتدبيره وعن آمن به وعن لايؤمن به (وهوالذى جعل لكم النجوم لتهتدوا) لتعلموا (بها) الطريق (فى ظلمات البر والبحر) واهوالهما اذا سافرتم فى بر أو بحر (قد فصلنا الآيات) قد بينا القرآن وعلامات الوحدانية (لقوم يعلمون) انه من الله يعنى المؤمنين المصدقين (وهوالذى أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) من نفس آدم (فمستقر) فى الارحام (ومستودع) فى الاصلاب ويقال فمستقر فى الاصلاب (منكم)

لان الاستقرار منا دون الاستيداع ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿ فأخرجنا ﴾ على تلوين الخطاب ﴿ به ﴾ بالماء ﴿ نبات كل شئ ﴾ نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفتنة المسقية بماء واحد كما فى قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴿ فأخرجنا منه ﴾ من النبات أو الماء ﴿ خضرا ﴾ شيأ أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب ﴿ نخرج منه ﴾ من الخضر ﴿ حبا متراكبا ﴾ وهو

منكم مستقر ومنكم مستودع يعنى منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معروض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المستقر فى أرحام الامهات والمستودع فى أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر فى الارحام مانشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لاتبقى فى صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى فى بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعنى أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت فى صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر فى الرحم الى أن يولد والمستودع فى القبر الى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض فى الدنيا لقوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله فى الآخرة وقال الحسن المستقر فى القبر والمستودع فى الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع فى اهلك الى أن تلحق بصاحبك يعنى القبر وقيل المستودع فى القبر والمستقر اما فى الجنة أو النار لان المقام فيهما يقتضى الخلود والتأبيد ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة ﴿ لقوم يفقهون ﴾ يعنى لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم * قوله عز وجل ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء ﴾ يعنى المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض ﴿ فاخرجنا به ﴾ يعنى بالماء الذى أنزلناه من السماء ﴿ نبات كل شئ ﴾ يعنى كل شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء غذاء كل شئ من الانعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بنى آدم وأقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون ﴿ فاخرجنا منه خضرا ﴾ يريد أخضر مثل عور وأعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة ﴿ نخرج منه حبا متراكبا ﴾

يعلمون ثم ويفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذى أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامى أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أى شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ماتشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذى تراكب

ومستودع فى الارحام (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يفقهون) أمر الله وتوحيده (وهو الذى أنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) فانبتنا بالمطر (نبات كل شئ) من الحبوب وغيرها (فأخرجنا منه) أى بالمطر من الارض (خضرا) النبات الاخضر (نخرج منه) من النبات الاخضر (حبا متراكبا) متراكبا فى السنبل

السنبل ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان ﴾ أى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو * وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع ﴿ دانية ﴾ قريبة من المتناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿ وجنات من أعناب ﴾ عطف على نبات كل شئ * وقرئ بالرفع على الابتداء أى ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل ﴿ والزيتون والرمان ﴾ ايضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم ﴿ مشتبها وغير متشابه ﴾ حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون ﴿ أنظروا الى ثمره ﴾ أى ثمر كل واحد من ذلك * وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو

يعنى نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفى تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان دانية ﴾ يعنى من ثمرها يقال أطلعت النخلة اذا أخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا أيضا وهو مايكون فى قلب الطلع والطلع أول مايبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا شق عنه كيزانه سمى عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أى قريبة التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ماقنوانها دانية قريبة ومنها ماهى بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة ﴿ وجنات من أعناب ﴾ يعنى وأخرجنا من ذلك بساتين من أعناب ﴿ والزيتون والرمان ﴾ يعنى وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان ﴿ مشتبها ﴾ قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ﴿ وغير متشابه ﴾ يعنى ومنها غير متشابه فى الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ماليس فى غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة فى الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى ﴿ أنظروا الى ثمره

ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيها اكتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وجنات) بالنصب عطفا على نبات كل شئ أى وأخرجنا به جنات (من أعناب) أى مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيآن وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم (أنظروا الى ثمره

وغيره (من النخل من طلعها) كفراها (قنوان) عذوق (دانية) قريبة يناله القاعد والقائم (وجنات) بساتين (من أعناب) من كروم (والزيتون) شجر الزيتون (والرمان) شجر الرمان (مشتبها) فى اللون يعنى الرمان (وغير متشابه) أى مختلف فى الطعم (أنظروا الى ثمره

جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿ اذا أثمر ﴾ اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به ﴿ وينعه ﴾ والى حال نضجه أو الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة هو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر * وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ﴿ أن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فأن حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ماتقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال ﴿ وجعلوا الله شركاء الجن ﴾ أى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء أو حال منه * وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر

اذا أثمر وينعه ﴾ يعنى ونضجه وادراكه والمعنى أنظروا نظر استدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة * وهو قوله عز وجل ﴿ أن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يعنى يصدقون ان الذى أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ماخلق ونقله من حال الى حال وهو مايعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وانه لايقدر على ذلك أحد الا الله تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث * قوله عز وجل ﴿ وجعلوا الله شركاء الجن ﴾ قال الحسن معناه أطاعوا الجن فى عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء الله وقال الكلبى نزلت فى الزنادقة أثبتوا الشرك لاثنين فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزى عن ابن السائب ونقله الرازى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الامام فخر الدين الرازى وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا قول الزنادقة لان المجوس يلتبسون بالزندقة لان الكتاب الذى زعم «زردشت» أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندى ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل مايكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع مافى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على أن ابليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه أقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا

اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وينعه) ونضجه أى انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيأ جامعا لمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا مابعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وجعلوا الله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو غير ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن فيما سولت

اذا أثمر) انعقد (وينعه) نضجه (ان فى ذلكم) فى اختلاف ألوانه (لآيات) لعلامات (لقوم يؤمنون) يصدقون انه من الله (وجعلوا الله شركاء الجن) قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان شريكان الله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والعقارب والسباع وهى

على الاضافة للتبيين ﴿ وخلقهم ﴾ حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق * وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أى وما يخلقونه من الاصنام أو على شركاء أى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه ﴿ وخرقوا له ﴾ افتعلوا وافتروا له * وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير * وقرئ وحرفوا أى زوروا ﴿ بنين وبنات ﴾ فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله ﴿ بغير علم ﴾ من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو أو المصدر أى خرقا بغير علم ﴿ سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾ وهو ان له شريكا أو ولدا ﴿ بديع السموات والارض ﴾ من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أو الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما

على أنه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركاء * قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا فى معنى هذه الشركة فمن قال ان الآية فى كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها فى المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله ﴿ وخلقهم ﴾ فى معنى الكناية قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثانى أن الكناية تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذى خلقهم شركاء لا يخلقون شيأ وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع أن يكون لله شريك فى ملكه ﴿ وخرقوا بنين وبنات بغير علم ﴾ أى اختلفوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى ﴿ سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾ فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب * قوله عز وجل ﴿ بديع السموات والارض ﴾ الابداع عبارة عن تكوين الشئ على غير مثال سبق والله تعالى

لهم من شركهم فجعلوهم (وخلقهم) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أى وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطاء أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشئ فهو بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها

مقالة المجوس (وخلقهم) خلقهم الله وأمرهم بالتوحيد (وخرقوا له) وصفوا له (بنين) من البنين وهى مقالة اليهود والنصارى (وبنات) من الملائكة والاصنام وهى مقالة مشركى العرب (بغير علم) بلا علم وحجة وبيان (سبحانه) نزه نفسه عن الولد والشريك (وتعالى) تبرأ (عما يصفون) من البنين والبنات (بديع) خالق (السموات والارض) ابتدعهما ولم يكونا (خلق)

وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف أو على الابتداء وخبره ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ أى من أين أو كيف يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل أو لان الاسم ضمير الله أو ضمير الشان ﴿ وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ﴾ لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بأن يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ ﴿ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ ﴾ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا ﴿ فاعبدوه ﴾ حكم مسبب عن مضمونها فأن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ أى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها ﴿ لاتدركه ﴾ أى لا تحيط به ﴿ الابصار ﴾ جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما

خالق السموات والارض على غير مثال سبق ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ يعنى من أين يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ لان الولد لايكون الا من صاحبة أنثى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شئ ﴿ وخلق كل شئ ﴾ يعنى أن الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثله شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ يعنى أنه تعالى عالم بجميع خلقه لايعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ ❁ قوله عز وجل ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جمادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع ﴿ لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه ﴾ يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ يعنى أنه هو تعالى على كل شئ خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ❁ قوله عز وجل ﴿ لا تدركه الابصار

وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لايكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لايكون جسما حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ ومابعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله هو خالق كل شئ) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شى وكيل) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لاتدركه الابصار

شيأ (أنى يكون) من أين يكون (له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شئ) بائن منه (وهو بكل شئ) من الخلق (عليم ذلكم الله ربكم) الذى يفعل هذا هو ربكم (لا اله الا هو) وحده لاشريك له (خالق كل شئ) بائن منه (فاعبدوه) فوحدوه (قا و خا ٥٨ نى) لاتشركوا به شيأ (وهو على كل شئ) من الخلق (وكيل) شهيد ويقال كفيل بأرزاقهم (لاتدركه الابصار) فى الدنيا ولا يرى الخلق ما يرى هو وتنقطع دونه الابصار بالكيفية فى الآخرة وبالرؤية فى الدنيا

فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فأنه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع ﴿ وهو يدرك الابصار ﴾ يحيط

وهو يدرك الابصار ﴾ قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله ولاتحيط به كما ان القلوب تعرفه ولاتحيط به وقال سعيد بن المسيب فى تفسير قوله لاتدركه الابصار لاتحيط به الابصار وقال ابن عباس رضى الله عنهما كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به

فصل

تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لايراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر أن الأبصار لاتدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لافرق بين قوله أدركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لاتدركه الابصار بمعنى لاتراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففى هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهى الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهى الايمان وقال مالك لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة ❁ وأما دلائل السنة فما روى عن جرير بن عبد الله البجلى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخارى ومسلم ❁ عن أبى هريرة ان ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سألوا ولا فى آخره ليس دونها سحاب ❁ عن أبى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال ياأبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود ❁ وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة ايضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لاتدركه الابصار

وهو يدرك الابصار) لاتحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لايستتب لان المنفى هو الادراك لاالرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده ومايستحيل عليه الحد ودوالجهات يستحيل ادراكه لارؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لايقتضى نفى العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفى ادراك ماتستحيل رؤيته لاتمدح فيه لان كل مالايرى لايدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود على الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصى عن عهدتها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى انه معلوم موجود والافكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى وهذا لان الرؤية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئى فى الجهة يرى فيها وان كان لافى الجهة يرى لافيها

(فلو)

(وهو يدرك الابصار) فى الدنيا والآخرة ويرى مالم يرالخلق ولايخفى عليه شئ

علمه بها ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ فيدرك مالا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف أى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير

فلو لم يكن جائز الروية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لايصح التمدح به فثبت ان قوله لاتدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز الروية وتحقيق هذا ان الشئ اذا كان فى نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لايلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم أما اذا كان فى نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لايسأل نبى مثل موسى مالا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف ترانى واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية فى نفى الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته والرؤية المعاينة للشئ من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى فى قصة موسى قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى فى الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئى وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذى لانهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية لاتدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدى البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لاتدركه الابصار لايدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعنى انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لايخفى عليه شئ منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لاتدركه أبصار المبصرين وهو يدركها ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهرى معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الوصل الشئ اليك برفق ولين وقيل هو الذى ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر فى الاشياء وقال أبو سليمان الخطابى اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لايعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لايحتسبون وقال الازهرى اللطيف فى أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق

(وهو اللطيف) أى العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل

ولا يفوته (وهو اللطيف) فى أفعاله نافذ علمه بخلقه (الخبير) بخلقه وباعمالهم

اللف والنشر (قدجاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ماهو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصروإياهانفع (ومن عمي) عنه وضل (فعليها) فعلى نفسه عمي وإياها ضربا لعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) احفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنامنذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف في (وكذلك نصرف الآيات)في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصريفا مثل ماتلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أي وليقولوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكي وأبوعمرو أي دارست

فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به ﴿ فمن أبصر ﴾ أي أبصر الحق وآمن به ﴿ فلنفسه ﴾ أبصر لان نفعه لها ﴿ ومن عمي ﴾ عن الحق وضل ﴿ فعليها ﴾ وباله ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وانما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ وكذلك نصرف الآيات ﴾ ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال ﴿ وليقولوا درست ﴾ أي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم . وقرأ ابن كثير وابوعمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست

استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها * قوله عزوجل ﴿ قدجاءكم بصائر من ربكم ﴾ البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشئ والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في أنفسها بصائر الا أنها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت بصائر ﴿ فمن أبصر ﴾ يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق ﴿ فلنفسه ﴾ يعني فلنفسه أبصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ﴿ ومن عمي ﴾ يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق ﴿ فعليها ﴾ يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعني وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم انما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالايمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم * قوله عزوجل ﴿ وكذلك نصرف الآيات ﴾ يعني وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل ﴿ وليقولوا درست ﴾ يعني وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم ان يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته وذلله للحفظ قال ابن عباس رضي الله عنهما وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخير وكانا عبدين من سبي الروم

(قدجاءكم بصائر) بيان (من ربكم) يعني القرآن (فمن أبصر) أقر بالقرآن (فلنفسه) الثواب (ومن عمي) كفر (فعليها) عقوبة ذلك (وماأناعليكم بحفيظ)أحفظكم (وكذلك) هكذا (نصرف الآيات) نبين القرآن في شأنهم (وليقولوا)لكي يقولوا (درست)قرأت وتخلقت ويقال لكي لايقولوا تخلقت وان قرأت دارست يقول لكي لايقولوا تعلمت من أبي فكيهة مولى لقريش ويقال لكي لايقولوا (ثم)

أهل الكتاب درست شامي أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أي القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لانها في معنى القرآن قيل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والصيرورة أي لتصير عاقبة أمرهم الى ان يقولوا درست وهو كقولك فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لقوم يعلمون) الحق من الباطل (اتبع ما أوحى اليك من ربك) ولا تتبع أهواءهم (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب أو حال من ربك مؤكدة (وأعرض عن المشركين)

من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الاولين. وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفت ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أي عفون ودرس أي درس محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودارسات أي قديمات أو ذات درس كقوله تعالى في عيشة راضية ﴿ ولنبينه ﴾ اللام على اصله لان التبين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر ﴿ لقوم يعلمون ﴾ فأنهم المنتفعون به ﴿ اتبع ما أوحى اليك من ربك ﴾ بالتدين به ﴿ لا اله الا هو ﴾ اعتراض اكد به ايجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ ولا تحتفل باهوائهم ولا تلتفت الى آرائهم

ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود. وقرئ دارست بالالف بمعنى قارأت أهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعنى يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرؤا عليك. وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة فدرست وامحت من قولهم درس الاثر اذا محى وذهب أثره ﴿ ولنبينه لقوم يعلمون ﴾ يعنى القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست أو درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق ان السبب الذي أداهم الى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعنى صار عاقبة أمرهم ان قالوا دارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم * قوله عز وجل ﴿ اتبع ما أوحى اليك من ربك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه اليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول دارست أو درست وفي قوله اتبع ما أوحى اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى ﴿ لا اله الا هو ﴾ انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين * قوله عز وجل ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون

تعلمت من جبر ويسار موليين لقريش وان قرأت درست بسكون التاء فمعناه قالوا هذه أخبار درست أي تقادمت (ولنبينه) لكى نبينه (لقوم يعلمون) يصدقون انه من الله (اتبع ما أوحى اليك من ربك) اعمل بما أنزل اليك من ربك يعنى القرآن من حلاله وحرامه (لا اله الا هو) لا خالق ولا رازق الا هو (وأعرض عن المشركين) يعنى المستهزئين منهم الوليد بن المغيرة المخزومى والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن الحرث بن عبد المطلب والحرث بن قيس بن حنظلة

ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم ﴿ ولوشاء الله ﴾ توحيدهم وعدم اشراكهم ﴿ ماأشركوا ﴾ وهو دليل على انه سبحانه وتعالى لايريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظا ﴾ رقيبا ﴿ وماأنت عليهم بوكيل ﴾ تقوم بامرهم ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ﴾ أى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيهامن القبائح ﴿ فيسبوا الله عدوا ﴾ تجاوزا عن الحق الى الباطل ﴿ بغير علم ﴾ على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه الصلاة السلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا

الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال * قوله عزوجل ﴿ ولوشاء الله ماأشركوا ﴾ قال الزجاج معناه لوشاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى ان شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة فى قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية رد عليهم ﴿ وماجعلناك عليهم حفيظا ﴾ يعنى وماجعلناك يامحمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وماجعلناك عليهم حفيظا تمنعهم منا ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعث مبلغا فلاتهتم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى ﴿ وماأنت عليهم بوكيل ﴾ يعنى وماأنت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وماأنت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس رضى الله عنهما لاتكون منسوخة * قوله عزوجل ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يامحمد لتنتهين عن سب آلهتنا أولنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهلة لاعلم لهم بالله عز وجل وقال السدى لما حضرت أباطالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبوسفيان وأبوجهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن أبى البخترى الى أبى طالب فقالوا ياأباطالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له أبوطالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا فهل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج فقال أبوجهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فاهى فقال قولوا لااله الاالله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها

﴿ ياابن ﴾

فى الحال الى أن يرد الامر بالقتال (ولوشاء الله) أى ايمانهم فالمفعول محذوف (ماأشركوا) بين انهم لايشركون على خلاف مشيئة الله ولوعلم منهم اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وماجعلناك عليهم حفيظا) مراعيا لاعمالهم مأخوذا باجرامهم (وماأنت عليهم بوكيل) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله (ولا تسبوا) آلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلما وعدوانا (بغيرعلم) على جهالة بالله وبما يجب

(ولوشاء الله)ان لايشركوا (ماأشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا) تحفظهم (وماأنت عليهم بوكيل) بكفيل (ولاتسبوا الذين يدعون) يعبدون (من دون الله فيسبوا الله عدوا) اعتداء (بغيرعلم) بلا علم ولاحجة وهذا بعد ماقال لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ثم نسخته

لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فأن مايؤدى الى الشر شر ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ من الخير والشر باحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ﴿ ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ مصدر فى موقع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه

يا ابن أخى فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ماقلت غيرها ارادة ان يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك أو لنشتمن من يأمرك فأنزلت ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله يعنى ولاتسبوا أيها المؤمنون الاصنام التى يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعنى فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عزوجل قال الزجاج نهوا فى ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التى كانت تعبدها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الآية منسوخة أنزلها الله عزوجل والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان فى سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التى هى أعظم من ذلك وهو سب الله عزوجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهى عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك * قوله عزوجل ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ يعنى كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفى هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لايحسن من الله خلق الكفر وتزيينه * قوله عزوجل ﴿ ثم الى ربهم مرجعهم ﴾ يعنى المؤمن والكافر والطائع والعاصى ﴿ فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ يعنى فى الدنيا ويجازيهم على ذلك * قوله عز وجل ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ قال محمد بن كعب القرظى والكلبى قالت قريش يا محمد انك تخبرنا أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ماتقولون أتصدقوننى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يذكر به (كذلك) مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة) من أمم الكفار (عملهم) وهو كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مصدر وقع موقع الحال أى جاهدين فى الاتيان

آية القتال (كذلك) كما زينا دينهم وعملهم اليهم (زينا لكل أمة) لكل اهل دين (عملهم) ودينهم (ثم الى ربهم مرجعهم) بعد الموت (فينبئهم) يخبرهم (بما كانوا يعملون) فى دينهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) شدة ايمانهم اذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه

التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام فى طلب الآيات واستحقار مارأوا منها ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾ من مقترحاتهم ﴿ ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ﴾ هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى ﴿ وما يشعركم ﴾ وما يدريكم استفهام انكار ﴿ أنها ﴾ أى ان الآية المقترحة ﴿ اذا جاءت لا يؤمنون ﴾ أى لاتدرون انهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه سبحانه وتعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها * وقيل لامزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فأنهم يتمنون مجئ

وجعل يدعو الله عزوجل أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال ماشئت ان شئت أصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله عزوجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعنى وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعنى أوكد ماقدروا عليه من الايمان وأشدها قال الكلبى ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾ يعنى كما جاءت من قبلهم من الامم ﴿ ليؤمنن بها ﴾ يعنى ليصدقن بها ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد ﴿ انما الآيات عند الله ﴾ يعنى أن الله تعالى قادر على انزالها ﴿ ومايشعركم ﴾ يعنى ومايدريكم ثم اختلف العلماء فى المخاطبين بقوله ومايشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا فى قوله ﴿ انها اذا جاءت لا يؤمنون ﴾ فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله ومايشعركم على معنى ومايدريكم مايكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه ومايشعركم أيها المشركون انها يعنى الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه ومايشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ان يريهم مااقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله ومايشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا فى قوم مخصوصين حكم الله عزوجل عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم * وقرأ الباقون أنها بفتح الالف وجعلوا الخطاب فى ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذا رأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال الله تعالى ومايشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا فى لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هى صلة والمعنى ومايشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هى على بابها وفيه حذف والمعنى ومايشعركم انها اذا جاءتهم يؤمنون أو لا يؤمنون

الآيات عند الله) وهو قادر عليها لاعندى فكيف آتيكم بها (ومايشعركم) ومايدريكم (أنها) أن الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعنى أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لاتعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآيه ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى ومايدريكم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لاتدرون ماسبق علمى به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى و بصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أى ومايشعركم مايكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون لا تؤمنون

(لئن جاءتهم آية) كما طلبوا (ليؤمنن بها) بالآية (قل) يا محمد للمستهزئين وأصحابهم (انما الآيات عند الله) تجئ الآيات من عند الله (وما يشعركم) يدريكم ايها المؤمنون (انها اذا جاءت) يعنى الآية (لا يؤمنون) والله انهم لا يؤمنون بالآية

(وقيل)

الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء * وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم أى وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الآيات فيؤمنون بها ﴿ ونقلب افئدتهم وأبصارهم ﴾ عطف على لايؤمنون أى وما يشعركم انا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿ كما لم يؤمنوا به ﴾ أى بما انزل من الآيات ﴿ أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين * وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

وقيل ان بمعنى لعل فى قوله انها اذا جاءت وكذلك هو فى قراءة أبى بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ فى كلام العرب تقول العرب ائت السوق أنك تشترى لنا شيأ بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعاذل مايدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

يعنى لعل منيتى * قوله عز وجل ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التى سألوها لما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشئ وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر ﴿ كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ يعنى كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التى جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما المرة الاولى دار الدنيا يعنى لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفى الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب والابصار بيده وفى تصريفه فيقيم ماشاء منها ويزيغ ماأراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فمعنى قوله نقلب أفئدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التى سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية فى به عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التى اقترحوها * قوله عز وجل ﴿ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ يعنى ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق فى علم الله انهم لايؤمنون فى تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لايهتدون الى الحق

شامى وحمزة (ونقلب أفئدتهم) عن قبول الحق (وأبصارهم) عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لايؤمنون داخل فى حكم ومايشعركم أى ومايشعركم انهم لايؤمنون ومايشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كما لم يؤمنوا به أول مرة) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لايؤمنون بها (ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) قيل وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيرون

(ونقلب أفئدتهم) قلوبهم (وأبصارهم) عند نزول الآية حتى لايؤمنوا بها (كما لم يؤمنوا به) بما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الآية (أول مرة) قبل هذا (ونذرهم) نتركهم (فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالتهم (يعمهون) عمهة لايبصرون

اللهم احشرنا فى زمرة الصالحين

﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ﴾ كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فائتوا بآبائنا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أى كفلاء بما بشروابه وأنذروا به أو جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ﴿ ماكانوا ليؤمنوا ﴾ لما سبق عليهم القضاء بالكفر ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ استثناء من اعم الاحوال أى لا يؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة

❊ قوله عز وجل ﴿ ولواننا نزلنا اليهم الملائكة ﴾ قال ابن جريج نزلت فى المستهزئين وذلك انهم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يامحمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله أوائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية جوابالهم والمعنى ولواننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوالك بالرسالة ﴿ وكلمهم الموتى ﴾ يعنى كماسألوا ﴿ وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ﴾ يعنى وجمعنا عليهم كل شئ قبلا قبلا قيل القبيل الكفيل بصحة ماتقول ما آمنوا وهوقوله ﴿ ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ﴾ يعنى الا أن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله الكل حتى يشهدواله بصحة مايقول كان ذلك فى غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شئ مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال

(ولواننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم) جمعنا (كل شئ قبلا) كفلاء بصحة مابشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدنى وشامى أى عيانا وكلاهما نصب على الحال (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية

(ولو أننا نزلنا اليهم) الى المستهزئين (الملائكة) كما طلبوا فشهدوا على ما أنكروا (وكلمهم الموتى) من القبور كما طلبوا بان محمدا رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شئ) من الطيور والدواب (قبلا) معاينة وان قرأت قبلا يقول قبيلة قبيلة وان قرأت قبيلا يقول كفيلا على ما نقول انه الحق ويشهدون على ما أنكروا (ما كانوا ليؤمنوا) بمحمد والقرآن (الا أن يشاء الله) أن يؤمنوا

﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على مالايشعرون ولذلك اسندالجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم أو لكن اكثرالمسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا ﴾ أى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله

ابن عباس رضى الله عنهما ماكانوا ليؤمنوا هم أهل الشقاء الا أن يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه انهم يدخلون فى الايمان وصحح الطبرى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال لان الله عم بقوله ماكانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان * قوله عز وجل ﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ يعنى يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاءله الايمان آمن ومن شاءله الكفر كفر وفى هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة فى قولهم ان الله أراد الايمان من جميع الكفار * قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا ﴾ قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم أى كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبى عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبى صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبى قبلك عدوا ليعظم ثوابه على مايكابده من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعنى جعلنا لكل نبى أعداء ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ اختلف العلماء فى معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يارسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أنى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى القول الثانى ان الجميع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبى والسدى ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا والمراد بشياطين الانس التى مع الانس وبشياطين الجن التى مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم

(ولكن أكثرهم يجهلون) ان هؤلاء لايؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على البدل من عدوا أو على انه من المفعول الاول وعدوا مفعول ثان

(ولكن أكثرهم يجهلون) انه الحق من الله (وكذلك) كما جعلنا أبا جهل والمستهزئين عدوا لك هكذا (جعلنا لكل نبى عدوا) فرعونا (شياطين الانس والاجن) يقول جعلنا شياطين الانس والجن

الثانى والكل متعلق به أو حال منه ﴿يوحى بعضهم الى بعض﴾ يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس أو بعض الجن الى بعض و بعض الانس الى بعض ﴿ زخرف القول﴾ الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه ﴿غرورا﴾ مفعول له أو مصدر فى موقع الحال ﴿ ولو شاء ربك﴾ ايمانهم ﴿ مافعلوه ﴾ أى مافعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء أو الزخرف أو الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة ﴿ فذرهم ومايفترون ﴾ و كفرهم ﴿ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ عطف على غرورا ان جعل علة أو متعلق بمحذوف أى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير

الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبى صلى الله عليه وسلم ولاوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضى اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضى المغايرة فعلى هذا يكون فى الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم أولاد ابليس * قوله عزوجل ﴿ يوحى بعضهم الى بعض ﴾ يعنى يلقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو الوسوسة التى يلقيها الى من يريد اغواءه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض مايفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثانى ان أولاد ابليس يلقى بعضهم بعضا فى كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن أضللت صاحبى بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض * قوله عزوجل ﴿ زخرف القول ﴾ يعنى باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شئ حسن مموه فهو زخرف ﴿غرورا﴾ يعنى ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويغرونهم بها غرورا ﴿ ولوشاء ربك مافعلوه ﴾ يعنى مافعلوا الوسوسة التى يلقيها الشياطين فى قلوب بنى آدم والمعنى ان الله تعالى لوشاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له فى الثواب اذا صبر على المحنة ﴿ فذرهم ومايفترون ﴾ يعنى فخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصى فانى من ورائهم * قوله عزوجل ﴿ ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ولتميل اليه واصل الصغو فى اللغة الميل يقال أصغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغو وصغيت أصغى لغتان قال ابن الانبارى اللام فى ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكى تصغى الى الباطل أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وقال غيره

(يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض. وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) مازينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى (غرورا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (ولوشاء ربك مافعلوه) أى الايحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه أجزل فى الثواب (فذرهم ومايفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) ولتميل الى زخرف القول قلوب الكفار وهى معطوفة على غرورا أى ليغروه ولتصغى اليه

يوحى بعضهم الى (بعض) يلقى بعضهم على بعض (زخرف القول) تزيين القول (غرورا) لكى يغروا به بنى آدم (ولوشاء ربك مافعلوه) يعنى التزيين والغرور (فذرهم) اتركهم يا محمد المستهزئين وأصحابهم (وما يفترون) من تزيين القول والغرور (ولتصغى اليه) لكى تميل الى هذا الزخرف والغرور (افئدة) قلوب (الذين لايؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد

(وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ماهم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم
بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب)

فى فعلوه ﴿ وليرضوه ﴾ لانفسهم ﴿ وليقترفوا ﴾ وليكتسبوا ﴿ ماهم مقترفون ﴾ من الآثام ﴿ أفغير الله أبتغى حكما ﴾ على ارادة القول أى قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل ﴿ وهو الذى أنزل اليكم الكتاب ﴾ القرآن المعجز ﴿ مفصلا ﴾ مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ﴾ تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ماعندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل * وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب * وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ فى انهم يعلمون ذلك أو فى انه منزل بجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولاتكونن من المشركين أو خطاب الرسول صلى الله

اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله ﴿ وليرضوه ﴾ يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل ﴿ وليقترفوا ماهم مقترفون ﴾ يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ماهم مكتسبون * قوله عز وجل ﴿ أفغير الله أبتغى حكما ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضى بينى وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعانى قال الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذى لايحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لايحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى ﴿ وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا ﴾ يعنى مبينا فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بينى وبينكم ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى علماء اليهود والنصارى ﴿ يعلمون انه منزل من ربك بالحق ﴾ يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعنى فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن فى شك مما قصصنا عليك انه

المعجز (مفصلا) حال من الكتاب أى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته له بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أى عبدالله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامى و حفص (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود

الموت (وليرضوه) وليقبلوا من الشياطين الزينة والغرور (وليقترفوا) ليكتسبوا (ماهم مقترفون) مكتسبون من الاثم قل يا محمد لهم (أفغير الله أبتغى حكما اعبد ربا (وهو الذى أنزل اليكم)الى نبيكم (الكتاب) جبريل بالقرآن (مفصلا) مبينا بالحلال والحرام ويقال متفرقا آية وآيتين (والذين آتيناهم الكتاب)
أعطيناهم علم التوراة يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه (يعلمون) يستيقنون فى كتابهم (انه) يعنى القرآن (منزل) أنزل (من ربك بالحق) بالامر والنهى ويقال انه يعنى جبريل منزل من ربك بالحق بالقرآن (فلا تكونن من الممترين) من الشاكين

عليه وسلم لخطاب الامة * وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه ﴿وتمت كلمات ربك﴾ بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده ﴿صدقا﴾ في الاخبار والمواعيد ﴿وعدلا﴾ في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التميز والحال والمفعول له ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا احد يبدل شيأ منها بما هو أصدق وأعدل اولا أحد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون أو لانبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها * وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ماتكلم به أو القرآن ﴿وهو السميع﴾ لما يقولون ﴿العليم﴾ بما يضمرون فلا يهملهم ﴿وان تطع أكثر من في الارض﴾ أي أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو تباع الهوى وقيل الارض مكة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾

حق وصدق فهو من باب التهييج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به غيره والمعنى فلا تكونن أيها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عندالله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى * قوله عز وجل ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شئ واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني ﴿صدقا وعدلا﴾ يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام ﴿لا مبدل لكلماته﴾ يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمت ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله أعلم * قوله عز وجل ﴿وهو السميع﴾ يعني لما يقوله العباد ﴿العليم﴾ يعني باحوالهم * قوله عز وجل ﴿وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله﴾ قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أكل الميتة وذلك أنهم

حجازي وشامي وأبو عمرو أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد ووعيد (صدقا) في وعده ووعيده (وعدلا) في أمره ونهيه وانتصبا على التميز أو على الحال (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك (وهو السميع) لاقرار من أقر (العليم) باصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون (وان تطع أكثر من في الارض) أي الكفار لانهم الاكثرون (يضلوك عن سبيل الله) يخطئوك عن طريق الله في الحرم

انهم لا يعلمون ذلك (وتمت كلمة ربك) القرآن بالامر والنهي (صدقا) في قوله (وعدلا) منه (لا مبدل) لا مغير (لكلماته) القرآن ويقال وتمت وجبت كلمة ربك بالنصرة لاوليائه صدقا في قوله وعدلا فيما يكون لا مبدل لا مغير لكلماته بالنصرة لاوليائه ويقال وتمت كلمة ربك ظهر دين ربك صدقا من العباد أنه دين الله وعدلا من الله من أمره لا مبدل لا مغير لكلماته لدينه (وهو السميع) لمقالتهم (العليم) بهم وباعمالهم (وان تطع) يا محمد (اكثر من في الارض) وهم رؤساء أهل مكة منهم ابو الاحوص مالك بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس بن ورقاء الخزاعي (قالوا)

عن الطريق الموصل اليه فأن الضال فى غالب الامر لايأمر الا بما فيه ضلال ﴿أن يتبعون الا الظن﴾ وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق أوجهالتهم وآراءهم الفاسدة فأن الظن يطلق على مايقابل العلم ﴿وان هم الايخرصون﴾ يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى أعلم بالفريقين ومن موصلة أوموصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لابه فان أفعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك أواستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر * وقرئ من يضل أى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة باضافة أعلم اليه أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله أو من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما ذكر عليه اسم غيره أومات حتف انفه ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾ فأن الايمان

قالوا للمسلمين كيف تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من فى الارض فى أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن دين الله الذى شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لاتطعهم فى معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وماهم عليه فقال تعالى ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ يعنى ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك مايتبعون فى دينهم الذى هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق فى دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل ﴿وان هم الايخرصون﴾ يعنى يكذبون وأصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرصا لمايدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول معقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يامحمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أى الناس يضل عن سبيله ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ يعنى وهو أعلم أيضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لايخفى عليه شئ من أحوال خلقه فاخبر تعالى انه أعلم بالفريقين الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق ❊ قوله عز وجل ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أتأكلون مما قتلتم ولاتأكلون مماقتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾ وقيل كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون

(وانهم الا يخرصون) يكذبون فى أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر لاباعلم لان أفعل لايعمل فى الاسم الظاهر النصب ويعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده فى بالمهتدين (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون

(ان يتبعون الا الظن) مايقولون الا بالظن (وان هم الا يخرصون) يكذبون فى قولهم للمؤمنين ان ماذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) عن دينه وطاعته (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام وأصحابه (فكلوا مما ذكر اسم الله (قا و خا ٦٠ نى) عليه) من الذبائح (ان كنتم) اذ كنتم (بآياته) القرآن (مؤمنين

بها يقتضى استباحة ما احله الله سبحانه وتعالى واجتناب ماحرمه ﴿ ومالكم أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ وأي غرض لكم في ان تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل ﴿ الا ما اضطررتم اليه ﴾ مما حرم عليكم فأنه ايضا حلال حال الضرورة ﴿ وان كثيرا ليضلون ﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال * قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح ﴿ بأهوائهم بغير علم ﴾ بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ﴿ ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام

الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ماحرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين ﴿ ومالكم ألاتأكلوا مماذكر اسم الله عليه ﴾ يعني وأي شئ لكم في أن لاتأكلوا ومايمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد في اباحة ماذبح على اسم الله دون غيره ﴿ وقدفصل لكم ماحرم عليكم ﴾ يعني وقدبين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقدفصل لكم ماحرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغيرالله به وأورد الامام فخرالدين الرازي ههنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ماأنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لاأجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أودما مسفوحا أولحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من المتأخر لايمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لماعلم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول حسن عود الضمير في قوله وقدفصل لكم ماحرم عليكم الى ماهو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده * قوله عزوجل ﴿ الا مااضطررتم اليه ﴾ يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار ﴿ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغيرعلم ﴾ يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في أكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أتأكلون ماتذبحون ولاتأكلون مايذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغيرعلم منهم بصحة مايقولون بل يتبعون أهواءهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحائر وسيب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ﴿ ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ يعني ان ربك يامحمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فاحل ماحرم الله وحرم ماأحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم

الله فما قتل الله أحق ان تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ماذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أومات حتف أنفه (ومالكم ألا تأكلوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي غرض لكم في أن لاتأكلوا (مماذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ماحرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص وبضمهما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثيرا ليضلون) ليضلون كوفي (باهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين

(ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقدفصل لكم) بين لكم (ماحرم عليكم) من الميتة والدم ولحم الخنزير (الا مااضطررتم اليه) أجهدتم الى اكل الميتة (وان كثيرا) أبا الاحوص وأصحابه (ليضلون باهوائهم) ليدعون الى أكل الميتة (بغير علم) ولاحجة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) (قوله)

﴿ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ﴾ مايعلن به ومايسر أوما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الاخدان ﴿ ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ يكتسبون ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً أو نسياناً واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد

* قوله عز وجل ﴿ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ﴾ يعني وذروا أيها الناس مايوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها لرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد عن الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لايجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يكسبون الاثم ﴾ يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ماحرم عليهم من المعاصي وغيرها ﴿ سيجزون ﴾ يعني في الآخرة ﴿ بما كانوا يقترفون ﴾ يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه * قوله عز وجل ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى

فصل

اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء

من الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره أو الزنا في الحوانيت والصديقة في السر أو الشرك الجلي والخفي (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) يوم القيامة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون في الدنيا (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) عند الذبح

الحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم) اتركوا زنا الظاهر (وباطنه) زنا السر وهي المخالة (ان الذين يكسبون الاثم) يعملون الزنا (سيجزون) الجلد في الدنيا والعقوبة في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكسبون من الزنا (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) من الذبائح

من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لاتأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسى ذاكرا تقديرا (وان أطعتموهم) فى استحلال ماحرمه الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غيرالله فى دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لايأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما فى الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أوفسقا أهل لغيرالله به وقال ان الواو فى وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لايحسن فيكون التقدير ولاتأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق

والنسيان وأولوه بالميتة أوبما ذكراسم غيره عليه لقوله ﴿ وانه لفسق ﴾ فأن الفسق ما اهل لغيرالله به والضمير لما ويجوزان يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا ﴿ وان الشياطين ليوحون ﴾ ليوسوسون ﴿ الى أوليائهم ﴾ من الكفار ﴿ ليجادلوكم ﴾ بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة ﴿ وان أطعتموهم ﴾ فى استحلال ما حرم ﴿ انكم لمشركون ﴾ فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه

تركها عامدا أوناسيا وهوقول ابن سيرين والشعبى ونقله الامام فخرالدين الرارى عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل مالم يذكراسم الله عليه من طعام أوشراب فهوحرام احتجوا فى ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثورى وأبوحنيفة ان ترك التسمية عامدا لاتحل وان تركها ناسياتحل وقال الشافعى تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا أوناسيا ونقله البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومالك ونقل ابن الجوزى عن أحمد روايتين فيما اذاترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن أباح أكل الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وماذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى فى سياق الآية ﴿ وانه لفسق ﴾ وأجمع العلماء على ان آكل ذبيحة المسلم التى ترك التسمية عليها لايفسق واحتجوا أيضا فى اباحتها بما روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان هنا أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحمات فماندرى يذكرون اسم الله عليها أم لاقال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك فى وجودها مانعامن أكلها كالشك فى أصل الذبح وقول الشافعى فى أول الآية وان كان عامابحسب الصيغة الاان آخرها لماحصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهى قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هوالخصوص والفسق ذكراسم غيرالله فى الذبح كما قال فى آخر السورة قل لاأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الى قوله أوفسقا أهل لغيرالله به فصار هذا الفسق الذى اهل لغيرالله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولاتأكلوا ممالم يذكراسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما أهل لغيرالله به والله أعلم ❁ قوله عزوجل ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ يعنى ان الشياطين يوسوسون الى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يامحمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فانزل الله عزوجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية فى تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركى قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ماذبحت فهو حلال وماذبحه الله فهوحرام فانزل الله وان الشياطين يعنى مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى أوليائهم يعنى مشركى قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة فى خفية ﴿ وان اطعتموهم ﴾ يعنى فى أكل الميتة وماحرم الله عليكم ﴿ انكم لمشركون ﴾ يعنى انكم اذامثلهم فى الشرك قال الزجاج

عمدا (وانه لفسق) يعنى أكله له بغيرالضرورة معصية واستحلاله على انكار التنزيل كفر (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) يوسوسون أولياءهم أبا الاحوص وأصحابه (ليجادلوكم) يخاصموكم فى أكل الميتة

والشرك وان الملائكة بنات الله (وان أطعتموهم) فى الشرك وأكل الميتة فاحللتموها غيرمضطرين اليها (انكم لمشركون) ﴿فيه﴾

فى دينه فقد اشرك. وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس ﴾ مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل * وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل ﴿ كمن مثله ﴾ صفته وهو مبتدأ خبره ﴿ فى الظلمات ﴾ وقوله ﴿ ليس بخارج منها ﴾ حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال

فيه دليل على ان كل من أحل شيأ مما حرم الله أو حرم شيأ مما أحل الله فهو مشرك وانما سمى مشركا لانه أثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ❊ قوله عز وجل ﴿ أومن كان ميتا فاحييناه ﴾ يعنى أومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب بصر يهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهدى الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة ﴿ وجعلناله نورا يمشى به فى الناس ﴾ يعنى وجعلناله نورا يستضىء به فى الناس ويهتدى به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمله ﴿ كمن مثله فى الظلمات ﴾ يعنى كمن هو فى ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة ﴿ ليس بخارج منها ﴾ يعنى من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فأحياه وأعطاه نورا يهتدى به فى مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو فى ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون فى هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أوهما عامان فى كل مؤمن وكافر فذكروا فى ذلك قولين أحدهما ان الآية فى رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وجعلناله نورا يمشى به فى الناس يريد حمزة ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم كمن مثله فى الظلمات يريد بذلك أبا جهل ابن هشام وذلك ان أبا جهل رمى النبى صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم حمزة يومئذ فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة والكلبى نزلت فى عمار بن ياسر وأبى جهل وقال مقاتل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وذلك ان اباجهل قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن حتى يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت هذه الآية والقول الثانى وهو قول الحسن فى آخرين ان هذه الآية عامة فى حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا فى الكل دخل فيه

بمجمل فبين بقوله أوفسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ماسواه حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أومن كان ميتا فاحييناه) أى كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدنى (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) مستضيئا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أى صفته (فى الظلمات) أى خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال. قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين ان مثل المهتدى مثل الميت الذى أحيي وجعل مستضيئا يمشى فى الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو فى الظلمات التى

مثلهم (أومن كان ميتا) نزلت فى عمار بن ياسر وأبى جهل بن هشام هذه الآية أومن كان ميتا كافرا (فاحييناه) أكرمناه بالايمان وهو عمار بن ياسر (وجعلنا له نورا) معرفة (يمشى به) يهتدى به (فى الناس) بين الناس ويقال ونجعل له نورا على الصراط فى الناس بين الناس (كمن مثله) كمن هو (فى الظلمات) فى ضلالة الكفر فى الدنيا وظلمات جهنم يوم القيامة وهو أبو جهل (ليس بخارج منها) من الكفر الضلالة فى الدنيا والظلمات فى جهنم

لايتخلص منها (كذلك) أى كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم أعمالهم (ما كانوا يعملون) أى أعمالهم (وكذلك) أى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها (جعلنا) صيرنا (فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤساء لان مافيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصرة بقوله (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان مكرهم يحيق بهم (وما يشعرون) أنه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجرميها بدل من أكابر أو الاول مجرميها والثانى أكابر وتقدير مجرميها اكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لانرضى به الا أن يأتينا وحى كما يأتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى نعطى من الآيات

﴿ كذلك ﴾ كما زين للمؤمنين ايمانه ﴿ زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ والآية نزلت فى حمزة وأبى جهل وقيل فى عمر أو عمار وأبى جهل ﴿ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾ أى كما جعلنا فى مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى أو فى كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم ﴿ وما يمكرون الا بانفسهم ﴾ لان وباله يحيق بهم ﴿ وما يشعرون ﴾ ذلك ﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ يعنى كفار

كل أحد * قوله عز وجل ﴿ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لايكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ماتقدم * قوله عز وجل ﴿ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ﴾ يعنى وكما جعلنا فى مكة أكابر وعظماء جعلنا فى كل قرية أكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ماقبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر جمع الاكبر ولا يجوز أن يكون مضافا لانه لايتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها أكابر وانما جعل المجرمين أكابر لانهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم ﴿ ليمكروا فيها ﴾ قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طريق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم ﴿ وما يمكرون الا بانفسهم ﴾ يعنى مايحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم * قوله عز وجل ﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ يعنى النبوة وذلك

(كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) يقول كما زينا لابى جهل عمله الذى كان يعمل (وكذلك جعلنا فى كل قرية) بلدة (اكابر مجرميها) اى رؤساءها وجبابرتها واغنياءها كما جعلنا فى اهل مكة المستهزئين وأصحابهم أبا جهل وغيره (ليمكروا فيها) ليعملوا فيها بالمعاصى والفساد ويقال ليكذبوا فيها ﴿ ان ﴾ الانبياء (وما يمكرون الا بانفسهم) يقول مايصنعون من المعاصى والفساد عقوبة ذلك ودماره على أنفسهم (وما يشعرون) ذلك (واذا جاءتهم آية) أى الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبا مسعود الثقفى آية من السماء تخبرهم بصنيعهم (قالوا لن نؤمن) يعنى بالآية (حتى نؤتى) نعطى الكتاب (مثل ما اوتى) أعطى (رسل الله) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم

قريش لما روى ان أباجهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لانرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه* وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار ﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم ﴿ عند الله ﴾

ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لاني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لانؤمن به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين القول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول أنهم طلبوا أن يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ يعني أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وأنتم لستم لها باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها اليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وغيرهما من أكابر قريش ورؤسائها * قوله عز وجل ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار ﴾ أي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي تصغر الى المرء نفسه فيه ﴿ عند الله ﴾ يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى

مثل ما أعطى الانبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكي وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) في القيامة

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) الى من يرسل جبريل بالرسالة (سيصيب الذين أجرموا) أشركوا يعني وليدا وأصحابه (صغار) ذل وهوان (عند الله

يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله ﴿ وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان ﴿ يشرح صدره للاسلام ﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه افضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ﴿ ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان * وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر

هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا ﴿ وعذاب شديد ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ بما كانوا يمكرون ﴾ يعنى انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم مالا يستحقون * قوله عزوجل ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ أى الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح أى وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك أن الانسان اذا اعتقد فى عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوضحه وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أى فتحه لقبوله ومنه قوله عزوجل ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام يعنى فتحه ووسعه لقبوله والثانى ان الشرح نور يقذفه الله فى قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام فى قلبه فيضئ به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأسنده الطبرى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت * قوله عزوجل ﴿ ومن يرد ﴾ أى الله ﴿ ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ يعنى يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبى ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابى

(وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يمكرون) فى الدنيا (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور فى القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أى الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) ضيقا مكى (حرجا) صفة لضيقا مدنى وأبو بكر بالغا فى الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر

وعذاب شديد) عند الله مقدم ومؤخر (بما كانوا يمكرون) يكذبون الرسل (فمن يرد الله ان يهديه) يرشده لدينه (يشرح صدره) قلبه (للاسلام) لقبول الاسلام حتى يسلم (ومن يرد أن يضله) يتركه ضالا كافرا (يجعل صدره) يترك قلبه (ضيقا) كضيق الزج فى الرمح (حرجا) شكا وان قرأت حرجا يقول لا يجد النور فى قلبه منفذا ولا مجازا

عن عاصم حرجا بالكسر أى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر ﴿ كأنما يصعد فى السماء ﴾ شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزوال مالا يقدر عليه فأن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود * وقيل معنا كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقدقرئ به * وقرأ ابن كثير يصعد وأبوبكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد ﴿ كذلك ﴾ أى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق ﴿ يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون ﴾ يجعل العذاب أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ﴿ وهذا ﴾ اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن أو الى الاسلام أو الى ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿ صراط ربك ﴾ الطريق الذى ارتضاه أو عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته ﴿ مستقيما ﴾

من كنانة فقال له ماالحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لاتصل اليها راعية ولاوحشية ولاشئ فقال عمر كذلك قلب المنافق لايصل اليه شئ من الخير وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهى الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لايصل اليها شئ * وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية فقال هل هنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ماالحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر المستمسك الذى لاطريق فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما كذلك قلب الكافر قال أهل المعانى لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ماأودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذى هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لايعى علما ولااستدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفى الآية دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر * قوله عزوجل ﴿ كأنما يصعد فى السماء ﴾ يعنى أن الكافر اذا دعى الى الاسلام كانه قد كلف أن يصعد الى السماء ولايقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الى أن يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة فى ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون ﴾ الكاف فى كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه أن جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثانى قال الزجاج أى مثل ماقصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس رضى الله عنهما الرجس الشيطان أى فيسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس مالاخير فيه وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرجس العذاب و قال الزجاج الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب * قوله عز وجل ﴿ وهذا صراط ربك مستقيما ﴾ يعنى

السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض وطلب مصعدا فى السماء أو كعازب الرأى طائر القلب فى الهواء يصعد مكى يصاعد أبوبكر وأصله يتصاعد الباقون يصعد وأصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا (على الذين لايؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة فى ارادة المعاصى (وهذا صراط ربك) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسنته فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقا لمن أراد ضلاله (مستقيما) عادلا مطردا أو هو حال

(كأنما يصعد فى السماء) كالمكلف الصعود الى السماء هكذا قلبه لا يهتدى الى الاسلام (كذلك) هكذا (يجعل الله الرجس) يترك الله التكذيب (على الذين) فى قلوب الذين (لايؤمنون) بمحمد والقرآن عليه السلام ثم يعذبهم ان لم يؤمنوا (وهذا صراط ربك) صنيع ربك (مستقيما) عدلا ويقال وهذا يعنى الاسلام صراط ربك دين ربك مستقيما قائما يرتضيه وهو الاسلام

مؤكدة (قد فصلنا الآيات (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما (عند ربهم) فى ضمانه (وهو وليهم) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بأعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا فى الدنيا بتوفيق الاعمال وفى العقبى بتحقيق الآمال (ويوم نحشرهم جميعا) وبالياء حفص أى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم جميعا) الجن

لا عوج فيه أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ فيعلمون ان القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم ﴿ لهم دار السلام ﴾ دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام ﴿ عند ربهم ﴾ فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره ﴿ وهو وليهم ﴾ مواليهم أو ناصرهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ نصب باضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين، وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب

وهذا الذى بينالك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الاسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك من أحكام القرآن ﴿ لقوم يذكرون ﴾ يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى اسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وأحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل أن السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيأ يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها ﴿ وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾ يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولى هو الناصر والقريب يعنى انه تعالى ينصرهم فى الدنيا ويقربهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا * قوله عز وجل ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ أى اذكر يا محمد يوم نحشر المعادلين بالله الاصنام مع أوليائهم من الشياطين

(قد فصلنا الآيات) بينا القرآن بالامر والنهى والاهانة والكرامة (لقوم يذكرون) يتعظون فيؤمنون ويقال نزل فمن يرد الله ان يهديه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل ويقال نزلت فى عمار وأبى جهل (لهم) للمؤمنين (دار السلام عند ربهم) السلام هو الله والجنة داره (وهو وليهم) بالثواب والكرامة (بما كانوا يعملون) ويقولون فى الدنيا من الخيرات (ويوم

(يعنى)

يحشرهم بالياء ﴿ يا معشرالجن ﴾ يعنى الشياطين ﴿ قد استكثرتم من الانس ﴾ أى من اغوائهم واضلالهم أو منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود ﴿ وقال أولياؤهم من الانس ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ أى انتفع الانس بالجن بان داوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعندالمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم ﴿ وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ﴾ أى البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم ﴿ قال النار مثواكم ﴾ منزلكم أوذات

يعنى نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة ﴿ يامعشرالجن ﴾ فيه حذف تقديره يقول لهم يامعشرالجن والمعشر الجماعة والمرادمن الجن الشياطين ﴿ قد استكثرتم من الانس ﴾ يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لابدله من تأويل آخر لان الجن لايقدرون على اضلال الانس وأغوائهم بأنفسهم لانه لا يقدر على الاجبار أحد الا الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس ﴿ و قال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض قفراء وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا اسدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا فى قومهم وعظما فى أنفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التى كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هى طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لايكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه ﴿ وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ﴾ يعنى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب فى يوم القيامة ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس ﴿ النار مثواكم ﴾ يعنى ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها.

نحشرهم قلنا (يامعشرالجن قد استكثرتم من الانس) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموه أتباعكم كما تقول استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها و انتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم

والانس فنقول (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) من ضلالات الانس أى أضللتم كثيرا من الانس بالتعوذ (وقال أولياؤهم) أولياء الجن (من الانس) الذين كانوا يتعوذون برؤساء الجن اذا نزلوا واديا واصطادوا من دوابهم صيدا كانوا يقولون نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيأمنون بذلك (ربنا) يا ربنا (استمتع) انتفع (بعضنا ببعض) وكان منفعة الانس الامن منهم ومنفعة الجن الشرف والعظمة على قومهم (وبلغنا) ادركنا (أجلنا الذى أجلت لنا)وقت لنا يعنى الموت (قال) الله لهم (النار مثواكم) منزلكم يامعشر الجن والانس

(خالدين فيها) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شئ (الا ماشاء الله) أي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ماشاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نتبع بعضهم بعضا في النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء

(خالدين فيها) مقيمين في النار (الا ماشاء الله) وقد شاء الله لهم الخلود (ان ربك حكيم) حكم عليهم بالخلود (عليم) بهم وبعقوبتهم (وكذلك) هكذا (نولى) نترك (بعض الظالمين) المشركين (بعضا) الى بعض في الدنيا والآخرة ويقال نولى نملك بعض الظالمين المشركين

مثواكم ﴿ خالدين فيها ﴾ حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا ﴿ الا ماشاء الله ﴾ الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ﴿ ان ربك حكيم ﴾ في أفعاله ﴿ عليم ﴾ باعمال الثقلين وأحوالهم ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴾ نكل بعضهم الى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء

﴿ خالدين فيها ﴾ يعني مقيمين في نار جهنم أبدا ﴿ الا ماشاء الله ﴾ اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو أوقات نقلهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله الا ماشاء الله بمعنى من يعني الا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم ﴿ ان ربك حكيم ﴾ يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة ﴿ عليم ﴾ يعني بعواقب أمور خلقه وماهم اليه صائرون كانه قال انما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك ❁ قوله عز وجل ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴾ الكاف في وكذلك كاف التشبيه تقتضي شيأ تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولى بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولى ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص

(من)

بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين ﴿ يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ يعنى يوم القيامة

من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم * قوله عزوجل ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ يعنى يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التى اكتسبوها * قوله عزوجل ﴿ يامعشر الجن والانس ﴾ المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعنى من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع فى قوله مرج البحرين وهو جائز فى كل ما اتفق فى أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام ابن عباس رضى الله عنهما لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لانه قال تعالى ألم يأتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقى الداعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عزوجل ﴿ يقصون عليكم آياتى ﴾ يعنى يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتى الدالة على توحيدى وتصديق رسلى ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ يعنى ويحذرونكم

بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ماكسبوا من الكفر والمعاصى ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين فى الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى) يقرؤن كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى

على بعض (بما كانوا يكسبون) يقولون ويعملون من الشر (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) من الانس محمد عليه السلام وسائر الرسل ومن الجن تسعة نفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولوا الى قومهم منذرين ويقال كان لهم نبى يسمى يوسف (يقصون عليكم) يقرؤن عليكم (آياتى) بالامر والنهى (وينذرونكم) يخوفوكم (لقاء يومكم) عذاب يومكم (هذا

﴿ قالوا ﴾ جوابا ﴿ شهدنا على أنفسنا ﴾ بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين ﴾ ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك ﴿ ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ تعليل للحكم وان مصدرية أو مخففة من الثقيلة أى الامر ذلك لانتفاء كون ربك أو لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين

ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما أخبر في كتابه وهو قوله تعالى يامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما اخبر عنهم في قوله تعالى ﴿ قالوا ﴾ يعنى كفار الجن والانس ﴿ شهدنا على أنفسنا ﴾ اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا ﴾ يعنى انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها ﴿ وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين ﴾ في الدنيا • فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين • قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين • فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم • قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على أنفسهم ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكانت عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي * قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماتقدم ذكره من بعث الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم ﴿ أن لم يكن ربك ﴾ يعنى لانه لم يكن ربك ﴿ مهلك القرى بظلم ﴾ قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا أتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه ﴿ وأهلها غافلون ﴾ أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفراء انه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله

(وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) بالرسل (ذلك) اشارة الى ماتقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل أى الامر ماقصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو

(قالوا) يعنى الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) انهم قد بلغوا الرسالة وكفرنا بهم قال الله (وغرتهم الحيوة الدنيا) ما في الدنيا من الزهرة والنعيم (وشهدوا على أنفسهم) في الآخرة (انهم كانوا كافرين) في الدنيا (ذلك) ارسال الرسل (أن لم يكن) بان لم يكن (ربك مهلك القرى) أهل القرى (بظلم) بشرك وذنب ويقال بظلم منه (وأهلها غافلون) عن الامر والنهى

بظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك ﴿ ولكل ﴾ من المكلفين ﴿ درجات ﴾ مراتب ﴿ مما عملوا ﴾ من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب * وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة ﴿ وربك الغنى ﴾ عن العباد والعبادة ﴿ ذو الرحمة ﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ أى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ﴿ ويستخلف من بعدكم مايشاء ﴾ من الخلق ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ أى قرنا بعد قرن

عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد لا اعتراض لاحد عليه فى شئ من أفعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه * قوله عز وجل ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فمنهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم * قوله عز وجل ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ مختص باهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب * قوله عز وجل ﴿ وربك الغنى ﴾ يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتقص بمعصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه ﴿ ذو الرحمة ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبى بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ﴿ ويستخلف ﴾ يعنى وينشئ ويخلق ﴿ من بعدكم ﴾ يعنى من بعد اهلاككم ﴿ مايشاء ﴾ يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ اختلفت عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وسائر قوله مايشاء فالمراد منه خلق ثالث أو رابع

جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف و محمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعة لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وما ربك بغافل عما يعملون) بساء عنه وبالتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة

وتبليغ الرسل (ولكل) لكل واحد من الجن والانس (درجات) للمؤمنين فى الجنة من الانس ودركات للكافرين فى النار (مما عملوا) بما عملوا من الخير والشر (وما ربك بغافل) بساه (عما يعملون) من الخير والشر ويقال بتارك عقوبة مايعملون من المعاصى (وربك الغنى) عن ايمانهم (ذو الرحمة) بتأخيره العذاب لمن آمن به (ان يشأ يذهبكم) يهلككم يا أهل مكة (ويستخلف) يخلف (من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) قرنا بعد قرن

لكنه ابقاكم ترحما عليكم ﴿ انما توعدون ﴾ من البعث وأحواله ﴿ لآت ﴾ لكائن لامحالة ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ طالبكم به ﴿ قل ياقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن أوعلى ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة *وقرأ أبوبكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم ﴿ اني عامل ﴾ ماكنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضي به اليه

واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال القاضي وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فني كل خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولوشاء لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقال الطبري في قوله كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ماذكرنا أنهم أنشئوا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم * قوله عزوجل ﴿ ان ما توعدون ﴾ به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة ﴿ لآت ﴾ يعني انه كائن قريب ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعني بفائتين حيثما كنتم يدرككم الموت ﴿ قل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يامحمد ﴿ ياقوم ﴾ أي قل لقومك من كفار قريش ﴿ اعملوا على مكانتكم ﴾ وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانات تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وأمكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكانتك يافلان أي أثبت على ما أنت عليه لاتتغير عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه اعملوا على ناحيتكم ﴿ اني عامل ﴾ يعني اني عامل على مكانتي التي أنا عليها وما أمرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه

ماعمنى الذي (توعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبران أي لكائن (وما أنتم بمعجزين) بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان أي اثبت على ما أنت عليه (اني عامل) على مكانتي التي أنا عليها أي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد دليله قوله

(ان ما توعدون) من العذاب (لآت) لكائن (وما أنتم بمعجزين) بفائتين من العذاب يدرككم حيثما كنتم (قل) يا محمد لكفار أهل مكة (ياقوم اعملوا على مكانتكم) على دينكم في منازلكم بهلاكي (اني عامل) بهلاككم

وتسجيل بان المهدد لايتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لايقدران يتفصى عنه ﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أى فسوف تعرفون الذى تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق * وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين لانه أعم وأكثر فائدة ﴿ وجعلوا ﴾ أى مشركو العرب ﴿ لله مما ذرأ ﴾ خلق ﴿ من الحرث والأنعام نصيبا

من الكفر والعداوة فانى ثابت على الاسلام والمصابرة * فان قلت ظاهر الآية يدل على أمر الكفار بالاقامة على ماهم عليه من الكفر وذلك لايجوز * قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة فى الزجر عماهم عليه من الكفر فكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفران رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ماشئتم ففيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم فى عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصى * قوله عزوجل ﴿ فسوف تعلمون ﴾ يعنى لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أو لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أينا كان على الحق فى عمله نحن أم أنتم ﴿ من تكون له عاقبة الدار ﴾ يعنى فسوف تعلمون غدا فى القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهى الجنة ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انه لايسعد من كفر بى وأشرك ثم فى هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول أن المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثانى انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول أن المراد بها ترك القتال * قوله عزوجل ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴾ الآية لما بين الله عزوجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مما خلق من الحرث يعنى الزرع والثمر والانعام يعنى ومن الانعام وهى الابل والبقر والغنم نصيبا يعنى قسما وجزأ قال المفسرون كان المشركون فى الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله رده الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شئ مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شئ مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف فى الانذار (انه لايفلح الظالمون) أى الكافرون مكاناتكم حيث كان أبوبكر يكون حمزة وعلى و موضع من رفع اذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أى وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله

(فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) يعنى الجنة (انه لايفلح) لايأمن ولا ينجو (الظالمون) المشركون من عذاب الله (وجعلوا لله) وصفوا لله (مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام) الابل والبقر والسائمة (نصيبا) حظا

تعالى (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أي زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله)

أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (ساء ما يحكمون) في ايثار آلهتهم على الله وعلمهم على ما لم يشرع لهم وموضع ما رفع أي ساء الحكم حكمهم أو نصب أي ساء حكما حكمهم (وكذلك زين لكثير من المشركين) أي كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم

(فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) لآلهتنا (فما كان لشركائهم) لآلهتهم (فلا يصل الى الله) فلا يرجع الى الذي جعلوه لله (وما كان لله فهو يصل) يرجع (الى شركائهم) الى الذي جعلوا لآلهتهم (يعني) (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون لانفسهم (وكذلك) كما زينا قولهم وعملهم (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بناتهم

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ﴿ روى انهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به * وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا الكسر كالود ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ حكمهم هذا ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان ﴿ زين لكثير من المشركين قتل أولادهم ﴾

مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم ﴾ يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجئ الا في موضع ذم لقائليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لاضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها ﴿ فما كان لشركائهم ﴾ يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام ﴿ فلا يصل الى الله ﴾ يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان ﴿ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ﴾ والمعنى انهم كانوا يقرون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقرون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيأ وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ يعني بئس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزأ من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكذلك ﴾ عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أيضا فكأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك ﴿ زين ﴾ يعني حسن ﴿ لكثير من المشركين قتل أولادهم ﴾

شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامي على اضافة القتل الى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فذرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) للاوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء

بالوأد ونحرهم لآلهتهم ﴿شركاؤهم﴾ من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين * وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة * زج القلوص ابي مزاده

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم بالاغواء ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك ﴿فذرهم وما يفترون﴾ افتراءهم أو ما يفترونه من الافك ﴿وقالوا هذه﴾ اشارة الى ما جعل لآلهتهم ﴿أنعام وحرث حجر﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى * وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق ﴿لا يطعمها الا من نشاء﴾

يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة ﴿شركاؤهم﴾ يعني شياطينهم أمروهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء الى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة ﴿ليردوهم﴾ يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس رضي الله عنهما ليردوهم في النار ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الاشياء بمشيئته وارادته اذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك ﴿فذرهم﴾ يعني فاتركهم يا محمد ﴿وما يفترون﴾ يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد * قوله عز وجل ﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿هذه أنعام وحرث حجر﴾ أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ﴿لا يطعمها الا من نشاء

(شركاؤهم) من الشياطين (ليردوهم) ليهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا (عليهم دينهم) دين ابراهيم واسمعيل (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني التزيين ودفن بناتهم أحياء (فذرهم) اتركهم (وما يفترون) يكذبون على الله فيقولون ان الله أمرهم بذلك يعني بدفن البنات (وقالوا هذه أنعام) يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (وحرث حجر) حرام (لا يطعمها الا من نشاء

بزعمهم) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحاري والسوائب والحوامي (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) حلة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هومفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لايركب وقسم لايذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) وعيد

(وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لايأكل منه الاناث وماولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم حملا على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنة ميتة وان تكون ميتة شامي على كان التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير في (فهم فيه شركاء)

يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء ﴿ بزعمهم ﴾ من غير حجة ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ يعني البحائر والسوائب والحوامي ﴿ وأنعام لايذكرون اسم الله عليها ﴾ في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها ﴿ افتراء عليه ﴾ نصب على المصدر لان ماقالوه تقول على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو على المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ بسببه أو بدله ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الانعام ﴾ يعنون اجنة البحائر والسوائب ﴿ خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله ﴿ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ﴾ فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لاتتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر

بزعمهم ﴾ يعني يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ يعني الحوامي وهي الانعام التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لايركبونها ﴿ وأنعام لايذكرون اسم الله عليها ﴾ يعني لايذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل معناه لايحجون عليها ولايركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ﴿ افتراء عليه ﴾ يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل ﴿ سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب * قوله عز وجل ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ يعني نساءنا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال والنساء جميعا وهو * قوله عز وجل ﴿ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ﴾ ودخلت الهاء في خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام

بزعمهم) يعنون الرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهي الحام (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) اذا حلبت ولا اذا ركبت وهي البحيرة (افتراء عليه) كذبا على الله انه أمرهم بذلك (سيجزيهم بما كانوا يفترون) يكذبون على الله (وقالوا ما في بطون هذه الانعام) يعني البحيرة والوصيلة (خالصة) حلال (لذكورنا) يعنون الرجال (ومحرم على أزواجنا) يعنون النساء (وان يكن ميتة) تلد ميتة أو ماتت بعد ذلك (فهم فيه) في أكله (شركاء) شرع الرجال ﴿ لان ﴾

لان الميتة اسم لكل ميت ذكراً وأنثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم (انه حكيم) في جزائهم (عليم) باعتقادهم (قدخسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بان الله هو رازق أولادهم لاهم (وحرموا مارزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قدضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب

والنساء (سيجزيهم) وهذا وعيد لهم (وصفهم) بوصفهم ويقال ماوصفهم عمرو بن لحى رأياه النبي عليه السلام في جهنم يجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه حكيم) احل لهم الحلال (عليم) بوصفهم الحرام (قد خسر) قد غبن (الذين قتلوا أولادهم) دفنوا ابناتهم أحياء (سفها) جهلا (بغير علم) بلا علم نزلت في ربيعة ومضر رؤساء أحياء العرب الذين كانوا يدفنون بناتهم في الجاهلية الا ماكان من بني كنانة فانهم لم يفعلوا ذلك (وحرموا) على النساء (مارزقهم الله) ماأحل الله لهم من الحرث والانعام (افتراء على الله) اختلاقا على الله الكذب (قدضلوا) اخطؤا فيما قالوا (وما كانوا مهتدين) للهدى والصواب بما وصفوا

والانثى فغلب الذكر ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب ﴿انه حكيم عليم قدخسر الذين قتلوا أولادهم سفها﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر * وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير ﴿بغير علم﴾ لخفة عقلهم وجهلهم بان الله سبحانه وتعالى رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر ﴿وحرموا مارزقهم الله﴾ من البحائر ونحوها ﴿افتراء على الله﴾ يحتمل الوجوه المذكورة في مثله ﴿قدضلوا وما كانوا مهتدين﴾ الى الحق والصواب

لان مافي بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه أنث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب ﴿انه حكيم عليم﴾ فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم * قوله عزوجل ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾ قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط الرجل على أن يستحيي جارية ويئد أخرى فاذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أوراح من عند امرأته وقال لها أنت على كظهر أمي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه أما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ماأنعم الله به عليه واما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية * قوله عزوجل ﴿وحرموا مارزقهم الله﴾ يعني البحائر والسوائب والحامي وبعض الحروث وبعض مافي بطون الانعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة ﴿افتراء على الله﴾ يعني أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى ﴿قدضلوا﴾ يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد ﴿وما كانوا مهتدين﴾ يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب

(وهو الذى أنشأ) خلق (جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات مرفوعات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القطبان (والنخل والزرع مختلفا) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أكله) أكله مجازى وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لانه معطوف عليه أو لكل واحد (والزيتون والرمان متشابها) فى اللون (وغير متشابه) فى الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وفائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا

﴿ وهو الذى أنشأ جنات ﴾ من الكروم ﴿ معروشات ﴾ مرفوعات على ما يحملها ﴿ وغير معروشات ﴾ ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى البرارى والجبال ﴿ والنخل والزرع مختلفا أكله ﴾ ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء ﴿ والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ﴾ يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها ﴿ كلوا من ثمره ﴾ من ثمر كل واحد من ذلك ﴿ اذا أثمر ﴾ وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل

فاقرأ مافوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين * قوله عز وجل ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات ﴾ يعنى والله الذى ابتدع وخلق جنات يعنى بساتين معروشات ﴿ وغير معروشات ﴾ يعنى مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات وأصل العرش فى اللغة شئ مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا فى معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس رضى الله عنهما المعروشات ماانبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ماقام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما فى الكرم خاصة لان منه مايعرش ومنه مالم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ماغرسه الناس فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ماأنبته الله فى البرارى والجبال من كرم أو شجر ﴿ والنخل والزرع ﴾ يعنى وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التى تقتات وتدخر ﴿ مختلفا أكله ﴾ يعنى به اختلاف الطعوم فى الثمار كالحلو والحامض والجيد والردئ ونحو ذلك ﴿ والزيتون والرمان متشابها ﴾ يعنى فى المنظر ﴿ وغير متشابه ﴾ يعنى فى المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة فى الجنس والطعم ﴿ كلوا من ثمره اذا أثمر ﴾ لما ذكر ماأنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكر ماهو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا أمر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد الى غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما أوجب الزكاة فى الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيأ قبل اخراج الواجب فيها لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية

(وهو الذى انشأ) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات مالا يقوم على ساق مثل الكروم وغيرها (وغير معروشات) غير مبسوطات مايقوم على ساق مثل الجوز واللوز وغيرهما ويقال معروشات مغروسات وغير معروشات أى وغير مغروسات (والنخل والزرع مختلفا أكله) فى الحلاوة والحموضة (والزيتون) وخلق شجر الزيتون (والرمان) شجر الرمان (متشابها) فى اللون والمنظر (وغير متشابه) مختلف فى الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر النخل (اذا أثمر) انعقد (حق)

منه قبل اداء حق الله تعالى ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يريد به ماكان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية * وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر

حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كانوا من ثمره اذا أثمر بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التى انعم الله بها على عباده هو الاكل ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يعنى يوم جذاذه وقطعه واختلفوا فى هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنيفة و قتادة قال قتادة فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده أى من الصدقة المفروضة ذكرلنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة أو سقاه النيل والندى أو كان بعلا العشر كاملا وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر * فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو أن فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة * قلت ذكر ابن الجوزى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت فى حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة فى القرآن وقيل فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع والثمر وهذا قول على بن الحسن وعطاء ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيؤن بالعذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيؤن بالعذق فيعلقونه فى جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما انه أمر وجوب فيكون منسوخا بآية الزكاة وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى هل على غيرها قال لا أن تطوع والقول الثانى أنه أمر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد ابن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه فى ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس رضى الله عنهما نسخت آية الزكاة كل صدقة فى القرآن واختار هذا القول الطبرى وصححه واختار الواحدى والرازى القول الاول وصححاه * فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب فى السنبل وانما يجب

أدرك (وآتوا حقه) عشره وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله فى تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان

(وآتوا حقه يوم حصاده) يوم كيله وان قرأته بنصب الهاء يقول يوم يحصد

الحاء وهو لغة فيه ﴿ ولا تسرفوا ﴾ في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ لا يرتضى فعلهم ﴿ ومن الانعام حمولة وفرشا ﴾ عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش

الاخراج بعد التصفية والجفاف * قلت معناه قدروا أداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا أنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا في ما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه * قوله عز وجل ﴿ ولا تسرفوا ﴾ الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيأ فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيأ فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما أو مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي ألزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا أي لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس * قوله عز وجل ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شئ لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار * قوله عز وجل ﴿ ومن الانعام ﴾ يعني وأنشأ من الانعام ﴿ حمولة ﴾ وهي كل ما يحمل عليها من الابل ﴿ وفرشا ﴾ يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس رضي الله عنهما الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحمولة الابل

(ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى (انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش

(ولا تسرفوا) ولا تنفقوا في معصية الله ولا تمنعوا طاعة الله ويقال ولا تسرفوا لا تحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (انه لا يحب المسرفين) المنفقين في معصية الله أو المشركين ويقال نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس صرم بيديه خمسمائة نخلة وقسمها ولم يترك لاهله شيأ (ومن الانعام) وخلق من الانعام (حمولة) ما يحمل عليها مثل الابل والبقر (وفرشا) ما لا يحمل عليها مثل الغنم

(والبقر)

عليها (كلوا مما رزقكم الله) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه فى التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) فاتهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا واولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا

المفروش عليها ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ كلوا مما احل لكم منه ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ثمانية أزواج ﴾ بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه كلوا أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول ﴿ من الضأن اثنين ﴾ زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى ﴿ قل آلذكرين ﴾ ذكر الضأن وذكر المعز ﴿ حرم أم الانثيين ﴾ أم انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ﴿ أما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ أو ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان أو انثى

والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمى فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ يعنى كلوا مما أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ يعنى لا تسلكوا طريقه وآثاره فى تحريم الحرث والانعام كما فعله أهل الجاهلية ﴿ انه ﴾ يعنى الشيطان ﴿ لكم عدو مبين ﴾ يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ﴿ ثمانية أزواج ﴾ يعنى وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعنى ثمانية أصناف والزوج فى اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج ﴿ من الضأن اثنين ﴾ يعنى الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ يعنى الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى ﴿ قل آلذكرين حرم أم الانثيين ﴾ استفهام انكار أى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة آلذاكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل أناثها حرام ﴿ أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ يعنى أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى

وصغار الابل (كلوا مما رزقكم الله) من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) تزيين الشيطان بتحريم الحرث والانعام (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة يأمركم بتحريم (قا و خا ٦٣ ني) الحرث والانعام (ثمانية أزواج) خلق ثمانية أصناف (من الضأن) من الشاة (اثنين) ذكرا وأنثى (ومن المعز اثنين) ذكرا وأنثى (قل) يا محمد لمالك (آلذكرين حرم أم الانثيين) أجاء تحريم البحيرة والوصيلة من قبل ماء الذكرين أو من قبل ماء الانثيين (أما اشتملت عليه) أو من قبل الاجتماع على الولد (أرحام الانثيين

﴿ نبئونى بعلم ﴾ بأمر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيأ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى دعوى التحريم عليه ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان أو انثى أو ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿ اذوصاكم الله

﴿ نبئونى ﴾ أى أخبرونى وفسروا لى ما حرمتم ﴿ بعلم أن كنتم صادقين ﴾ يعنى أن الله حرم ذلك عليكم ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ وهذه اربعة أزواج أخر بقية الثمانية ﴿ قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفى هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم مالم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرث حجر وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم فى كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر أو أنثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو ببعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيأ من ذلك وانهم اتبعوا فى ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام فخر الدين فى معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى انكم لا تقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثانى انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام فى هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة * قوله عز وجل ﴿ أم كنتم شهداء اذوصاكم الله

أومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الانثيين أى أم حرم الانثيين وكذا ما فى أم ما اشتملت (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى ان الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين) منهما (حرم أم الانثيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أم ما تحمل اناثها (أم كنتم شهداء) أم منقطعة أى بل كنتم شهداء (اذوصاكم الله

نبئونى) خبرونى (بعلم) بيان ماتقولون (ان كنتم صادقين) أن الله حرم ما تقولون (ومن الابل) وخلق من الابل (اثنين) ذكرا وأنثى (ومن البقر اثنين) ذكرا وأنثى (قل) يا محمد لما لك (آلذكرين حرم أم الانثيين) أجاء تحريم البحيرة والوصيلة من قبل ماء الذكرين أو من قبل ماء الانثيين (أما اشتملت عليه) أو من قبل الاجتماع على الولد (أرحام الانثيين) ولها وجه آخر يقول أجاء تحريم هذا من قبل انه ولد ذكرا أو من قبل انها ولدت أنثى (أم كنتم شهداء) حضراء (اذوصاكم الله) أمركم الله (بهذا)

بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه تهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم (ليضل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين في علمه انهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وبأباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لاتساق الا للتوكيد (قل لا أجد فيما أوحي الي) أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لان وحي السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس (محرما) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكي وشامي وحمزه ميتة شامي

بهذا ﴾ حين وصاكم بهذا التحريم اذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فنسب اليه تحريم مالم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك ﴿ ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي الي ﴾ أي في القرآن أو فيما أوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى ﴿ محرما ﴾ طعاما محرما ﴿ على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ﴾ الا ان يكون الطعام ميتة. وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر. وقراءة ابن عامر بالتاء ورفع

بهذا ﴾ يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾ يعني فمن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم مالم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع شيأ لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه مالم يشرعه لعباده * قوله عز وجل ﴿ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه ﴾ اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل أي قل أي يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحي الي وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا أجد فيما أوحي الي محرما يعني شيأ محرما على طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله ﴿ الا أن يكون ميتة

(بهذا) بما تقولون (فمن أظلم) أعتى وأجرأ على الله (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا ليضل الناس) عن دين الله وطاعته (بغير علم) بلا علم آتاه الله (ان الله لا يهدي) لا يرشد الى دينه وحجته (القوم الظالمين) المشركين يعني مالك بن عوف فسكت مالك وعلم ما يراد منه فقال تكلم أنت فاسمع منك يا محمد فلم حرم آباؤنا فقال الله (قل) يا محمد (لا أجد فيما أوحي الي) يعني القرآن (محرما على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة

ميتة على ان كان هي التامة وقوله ﴿ أو دما مسفوحا ﴾ عطف على ان مع ما في حيزه أي الا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ﴿ أو لحم خنزير فانه رجس ﴾ فان الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث ﴿ أو فسقا ﴾ عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿ أهل لغير الله به ﴾ صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون

أو دما مسفوحا ﴾ يعني سائلا مصبوبا ﴿ أو لحم خنزير فانه رجس ﴾ أي نجس ﴿ أو فسقا أهل لغير الله به ﴾ يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الآية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شئ من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن بعضها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل

(حلاله)

(أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل لغير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي بالفسق

أو دما مسفوحا) جاريا (أو لحم خنزير فانه رجس) حرام مقدم ومؤخر (أو فسقا) ذبيحة (أهل لغير الله به) ذبح لغير اسم الله عمدا

﴿ فمن اضطر ﴾ فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر مثله ﴿ ولا عاد ﴾

حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلا قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الاهلية (ق) عن جابر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن فى الخيل وفى رواية أكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى ❁ عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل فى ذلك عند الشافعى ان كل مالم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشرع بقتله كما ورد فى الصحيح خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وهى الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور ❁ وروى عن سعد بن أبى وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخارى ومسلم وسماه فويسقا ❁ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل ويحرم من المطعومات ❁ وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى لا أجد محرما مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما أوحى الى فى هذه الآية الوجه الثانى ان يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه فى هذه الآية ثم حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد فى السنة الوجه الرابع ان ما ذكر فى هذه الآية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد فى السنة من المحرمات والله أعلم

بقى فى الآية أحكام

فى قوله تعالى أو دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان فى حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن جدير سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعى لا بأس بالدم فى عرق أو مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود ❁ قوله عز وجل ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ لما بين الله المحرمات

لتوغله فى باب الفسق (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى أكل شئ من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجة من تناوله

(فمن اضطر) أجهد الى أكل الميتة (غير باغ) على المسلمين ولا مستحل لاكل الميتة بغير الضرورة (ولا عاد) قاطع الطريق ولا متعمد لاكل الميتة بغير ضرورة

قدر الضرورة ﴿ فأن ربك غفور رحيم ﴾ لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية محرما غيرهذه وذلك لا ينافى ورود التحريم في شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ﴿ الا ماحملت ظهورهما ﴾ الا ما علقت بظهورهما ﴿ أوالحوايا ﴾ أوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو ﴿ أوما اختلط بعظم ﴾ هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ﴿ ذلك ﴾ التحريم أوالجزاء ﴿ جزيناهم ببغيهم ﴾ بسبب ظلمهم

في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير بغي ولاعدوان وفي قوله عز وجل ﴿ ان ربك غفور رحيم ﴾ دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار ﴿ قوله عز وجل ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ حرمنا كل ذي ظفر ﴾ قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين ﴿ الا ماحملت ظهورهما ﴾ يعني الا ماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وأبو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية ﴿ أوالحوايا ﴾ وهي المباعر في قول ابن عباس رضى الله عنهما وجهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود ﴿ أوما اختلط بعظم ﴾ يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعينين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا أن الذي حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وماعدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومهما جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه ﴿ قوله جملوه يعني أذابوه يقال أجملت الشحم وجملته اذا أذبته وجملته أكثر وأفصح ﴿ قوله عز وجل ﴿ ذلك جزيناهم ﴾ أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ﴿ ببغيهم ﴾ يعني بسبب

اصبع من دابة أوطائر ويدخل فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شئ منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهي الثروب وشحوم الكلى (الا ماحملت ظهورهما) الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أوالحوايا) أوما اشتمل على الامعاء واحدها حاوياء أو حاوية (أوما اختلط بعظم) وهو الالية أوالمخ (ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيهم) بسبب ظلمهم

(فان ربك غفور) لا كله شبعا (رحيم) فيما رخص عليه ولا ينبغي ان يأكل شبعا وان أكل يعف الله عنه (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع ومايكون له ظفر مثل الابل والبط والاوز وابن الماء والارنب كان حراما عليهم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني الثروب وشحم الكليتين (الا ماحملت ظهورهما أوالحوايا) المباعر (أوما اختلط بعظم) مثل الالية فهذا ما كان حلالا عليهم (ذلك) الذي حرمنا عليهم (جزيناهم) عاقبناهم (ببغيهم) بذنبهم حرمنا

(وانا الصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال وعفاءنكم فالآن باشروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لو شاء الله) ان لا نشرك (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شئ من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لان الاقرار بالمشيئة أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أى ما رضى الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضى ألا ترى أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض

﴿ وانا الصادقون ﴾ فى الاخبار أو الوعد والوعيد ﴿ فأن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ﴿ ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾ حين ينزل أو ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم ﴿ سيقول الذين أشركوا ﴾ أخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ﴾ أى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ أى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله تعالى منع من الشرك

بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل ﴿ وانا لصادقون ﴾ يعنى فى الاخبار عن بغيهم وفى الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم ﴿ فان كذبوك ﴾ يعنى فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك انا حرمنا عليهم وأحللنا لهم مما بيناه فى هذه الآية المتقدمة ﴿ فقل ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ يعنى بتأخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسئ والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه ﴿ ولا يرد بأسه ﴾ يعنى ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتهما ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعنى الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود * قوله عز وجل ﴿ سيقول الذين أشركوا ﴾ لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله أخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين أشركوا يعنى مشركى قريش والعرب ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ يعنى من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضى ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ﴿ ولا حرمنا من شئ ﴾ يعنى ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم ﴿ كذلك كذب الذى من قبلهم ﴾ يعنى من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء

عليهم (وانا لصادقون) فيما قلنا (فان كذبوك) يا محمد بما وصفت لك من التحريم (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) على البر والفاجر بتأخير العذاب (ولا يرد بأسه) عذابه (عن القوم المجرمين) المشركين (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) من الحرث والانعام ولكن أمر وحرم علينا (كذلك) كما كذبك قومك (كذب الذين من قبلهم) رسلهم

ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم ﴿ فتخرجوه لنا ﴾ فتظهروه لنا ﴿ ان تتبعون الا الظن ﴾ ما تتبعون فى ذلك الا الظن

﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ يعنى عذابنا

فصل

استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا أراده منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب فى قولهم ان الله أمرنا به ورضى ما نحن عليه كما أخبر عنهم فى سورة الأعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب فى قولهم ان الله أمرنا بهذا ورضيه منا لا فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم فى قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل فى معنى الآية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما أشركنا الا أنهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم فى ترك الايمان والرد عليهم فى ذلك ان أمر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه فى فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى فى كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله أعلم ✿ قوله عز وجل ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكنه رضى ما نحن عليه من الشرك هل عندكم يعنى بدعواكم ما تدعون من علم يعنى من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم ﴿ فتخرجوه لنا ﴾ يعنى فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته فى العقول ﴿ ان تتبعون الا الظن ﴾ يعنى

(حتى ذاقوا باسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه (ان تتبعون الا الظن

(حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل) يا محمد (هل عندكم من علم) من بيان على ما تقولون من التحريم (فتخرجوه) فتظهروه (لنا ان تتبعون الا الظن) ما تقولون فى تحريم الحرث والانعام الا بالظن

وان أنتم الا تخرصون) تكذبون (قل فلله الحجة البالغة) عليكم باوامره ونواهيه ولاحجة لكم على الله بمشيئته (فلو شاء لهداكم أجمعين) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هلم شهداءكم)هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى فى هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازين وبنوتميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرما (فان شهدوا فلاتشهد معهم) فلاتسلم لهم ماشهدوا به ولاتصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم (ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لايؤمنون بالآخرة) تحريمها فلاتشهد معهم ولاتتبع (أهواء (قا و خا ٦٤ نى) الذين كذبوا بآياتنا) القرآن (والذين لايؤمنون بالآخرة)

﴿ وان انتم الا تخرصون ﴾ تكذبون على الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه ﴿ قل فلله الحجة البالغة ﴾ البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ﴿ قل هلم شهداءكم ﴾ احضروهم وهو اسم فعل لايتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا ﴿ الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لامتمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم ﴿ فان شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فأن تسليمه موافقة لهم فى الشهادة الباطلة ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لاغير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها ﴿ والذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ كعبدة الاوثان

فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم مالم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل ﴿ وان انتم الا تخرصون ﴾ يعنى وما انتم فى ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ قوله عزوجل ﴿ قل فلله الحجة البالغة ﴾ يعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله أو حجة لهم فلله الحجة البالغة يعنى التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لاحجة لاحد عصى الله أو أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ يعنى فلو شاء الله لوفقكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ﴾ يعنى هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشئ يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح ﴿ أن الله حرم هذا ﴾ وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ماحرموه على أنفسهم وقالوا ان الله أمرنا به ليظهر ان لاشاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند أنفسهم ﴿ فان شهدوا فلاتشهد معهم ﴾ وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين فى شهادتهم فلاتشهد أنت يامحمد معهم لانهم فى شهادتهم كاذبون ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى ان وقع منهم شهادة فانما هى باتباع الهوى فلاتتبع أنت يامحمد أهواءهم ولكن اتبع ماأوحى اليك من كتابى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ﴿ والذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ أى ولاتتبع أهواء الذين

(وان أنتم) ماأنتم (الا تخرصون) تكذبون (قل) يامحمد ان لم تكن لكم حجة على ماتقولون (فلله الحجة البالغة) الوثيقة (فلو شاء لهداكم) لدينه (أجمعين قل) يامحمد لهم (هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى ماتقولون من الحرث والانعام (فان شهدوا) بالزور على

﴿ وهم بربهم يعدلون ﴾ يجعلون له عديلا ﴿ قل تعالوا ﴾ أمر من التعالى وأصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم ﴿ أتل ﴾ اقرأ ﴿ ما حرم ربكم ﴾ منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى أقل أى شئ حرم ربكم ﴿ عليكم ﴾ متعلقة بحرم أو اتل ﴿ ان لا تشركوا به ﴾ أى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء أو بالبدل من ما أو من عائده المحذوف على ان لا زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم ان تشركوا ﴿ شيأ ﴾ يحتمل المصدر والمفعول ﴿ وبالوالدين أحسانا ﴾ أى واحسنوا بهما احسانا

هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرث والانعام (تعالوا) هو من الخاص الذى صار عاما فاصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ماحرم ربكم) الذى حرمه ربكم (عليكم) مامن صلة حرم (أن لا تشركوا به شيأ) ان مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم مابعده من الاوامر

لايؤمنون بالآخرة ﴿ وهم بربهم يعدلون ﴾ يعنى يشركون * قوله عز وجل ﴿ قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ﴾ لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بتحريم ماحرموه على أنفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أى شئ حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذى صار عاما وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى مافيه رفعة وشرف ثم كثر فى الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعنى اقرأ ماحرم ربكم عليكم يعنى الذى حرم ربكم عليكم حقا يقينا لاشك فيه ولاظنا ولا كذبا كما تزعمون أنتم بل هو وحى أوحاه الله الى ﴿ ان لا تشركوا به شيأ ﴾ فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لاتشركوا به شيأ لانه كالتفصيل لما أجمله فى قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز * قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول أن يكون موضع أن رفع معناه هو أن لاتشركوا الوجه الثانى أن يكون محله النصب واختلفوا فى وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم أن تشركوا وتكون لا صلة وقيل أن حرف لا على أصلها ويكون المعنى أتل عليكم تحريم الشرك أى لاتشركوا ويكون المعنى أوصيكم أن لاتشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم أن لاتشركوا على الاغراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشركوا به شيأ ومعنى هذا الاشراك الذى حرمه الله ونهى عنه هو أن يجعل لله شريكا من خلقه أو يطيع مخلوقا فى معصية الخالق أو يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا * قوله عز وجل ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ أى وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذى أخرجه من العدم الى الوجود وخلقه وأوجده بعد ان لم يكن شيأ ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب فى وجود الانسان ولما

بالبعث بعد الموت (وهم بربهم يعدلون) يشركون به الاصنام (قل) يا محمد لمالك بن عوف وأصحابه (تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على (ألا تشركوا به شيأ) أوله لاتشركوا به شيأ من الاوثان (وبالوالدين أحسانا)

وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق﴾ من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ﴿نحن نرزقكم واياهم﴾ منع لموجبيه ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ﴿ولاتقربوا الفواحش﴾ كبائر الذنوب أو الزنى ﴿ماظهر منهاوما بطن﴾ بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق﴾ كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ماذكر مفصلا ﴿وصاكم به﴾ بحفظه ﴿لعلكم تعلقون﴾ ترشدون فان كمال العقل هو الرشد

لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك فى حال صغره ﴿ولاتقتلوا أولادكم من أملاق﴾ يعنى من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم ﴿نحن نرزقكم وأياهم﴾ يعنى لاتئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فانى رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال فى أمر الرزق على الله عز وجل ﴿ولاتقربوا الفواحش﴾ يعنى الزنا ﴿ماظهر منها ومابطن﴾ يعنى علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا فى العلانية ولايرون به بأسا فى السر فحرم الله تعالى الزنا فى السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل الفظ الفواحش على العموم فى جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهى وهو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفى قوله ماظهر منها وما بطن دقيقة وهى أن الانسان اذا احترز عن المعاصى فى الظاهر ولم يحترز منها فى الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه ﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق﴾ حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها فى قوله تعالى ولاتقربوا الفواحش وأنما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل أنما أفرده بالذكر لانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراده فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قلتها الا بالحق وهى التى أبيح قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذى يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ❊ قوله عز وجل ﴿ذلكم﴾ يعنى ما ذكر من الاوامر والنواهى المحرمات ﴿وصاكم به﴾ يعنى أمركم به وأوجبه عليكم ﴿لعلكم تعقلون﴾ يعنى لكى تفهموا مافى هذه التكاليف

(ولاتقتلوا أولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها) مابينك وبين الخلق (ومابطن) مابينك وبين الله ماظهر بدل من الفواحش (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أى المذكور مفصلا أمركم ربكم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها

برابهما (ولا تقتلوا أولادكم) بناتكم (من املاق) مخافة الذل والفقر (نحن نرزقكم واياهم) يعنى أولادكم (ولا تقربوا الفواحش) الزنا (ما ظهر منها) يعنى زنا الظاهر (وما بطن) يعنى زنا السر وهى المخالة (ولا تقتلو النفس التى حرم الله) قتلها (الا بالحق) بالعدل يعنى بالقود والرجم والارتداد (ذلكم وصاكم به) بما امركم فى الكتاب (لعلكم تعقلون)

عندالله (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أشده
مبلغ حلمه فادفعوه اليه وواحده شد كفلس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان

بالقسط) بالسوية والعدل (لانكلف نفسا الا وسعها) الا مايسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى لازيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ماوراءه معفو عنه (واذا قلتم فاعدلوا) فاصدقوا (ولوكان ذاقربى) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (وبعهدالله) يوم الميثاق أو فى الامر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أى مامر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حمزة وعلى وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد أصله

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن ﴾ اى بالفعلة التى هى أحسن ما يفعل بما له كحفظه وتثميره ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم أو شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بالعدل والتسوية ﴿ لانكلف نفسا الا وسعها ﴾ الا مايسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم ﴿ واذا قلتم ﴾ فى حكومة ونحوها ﴿ فاعدلوا ﴾ فيها ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم ﴿ وبعهدالله أوفوا ﴾ يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ تتعظون به *وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء

من الفوائد والمنافع فتعملوبها * قوله عز وجل ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ﴾ يعنى ولاتقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصى فقيرا فله أن يأكل بالمعروف ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ يعنى احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى فى الشباب الى حد الرجال قال الشعبى ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيآت وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبى الاشد هو مابين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدى الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التى نقلت عن المفسرين فى هذه الآية انما هى نهاية الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد فى هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار فى تفسير هذه الآية * قوله عز وجل ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ يعنى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان ﴿ لانكلف نفسا الا وسعها ﴾ يعنى طاقتها ومايسعها فى ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لاتضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لاحرج عليه فيه ﴿ واذا قلتم فاعدلوا ﴾ يعنى فى الحكم والشهادة ﴿ ولوكان ذاقربى ﴾ يعنى المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل أن الامر بالعدل فى القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التى يعتمد فيها العدل والصدق ﴿ وبعهدالله أوفوا ﴾ يعنى ماعهد الى عباده ووصاهم به وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به ﴿ ذلكم ﴾ يعنى الذى ذكر فى هذه الآيات ﴿ وصاكم به ﴾ يعنى بالعمل به ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ يعنى لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ماأمرتكم به * قوله عزوجل

امره وتوحيده (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالحفظ والارباح (حتى يبلغ أشده) الحلم والرشد والصلاح (وأوفوا الكيل والميزان) أتموا الكيل والوزن (بالقسط) بالعدل (لانكلف نفسا) عند الكيل والوزن (الا وسعها
الا جهدها بالعدل (واذا قلتم فاعدلوا) فاصدقوا (ولوكان ذاقربى) لوكان على ذى قرابة منكم فى الرحم فقولوا عليه الحق ﴿ وان ﴾
والصدق (وبعهدالله أوفوا) يعنى أتموا العهد بالله (ذلكم وصاكم به) أمركم به فى الكتاب (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا

تذكرون فادغم التاء الثانية فى الذال أى أمركم به لتتعظوا (وأن هذا صراطى) ولان هذا صراطى فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وأنه عـلى ان الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حمزة وعلى (مستقيما) حال (فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين

من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هـذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شئ فى التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أى اتعظوا فاتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب

والباقون بتشديدها ﴿ وان هذا صراطى مستقيما ﴾ الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة * وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف * وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله ﴿ فاتبعوه ﴾ وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ الاديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات ﴿ فتفرق بكم ﴾ فتفرقكم وتزيلكم ﴿ عن سبيله ﴾ الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ﴿ ذلكم ﴾ الاتباع ﴿ وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ الضلال والتفرق عن الحق ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ عطف على وصاكم به

﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ﴾ يعنى وأن هذا الذى وصيتكم به وامرتكم به فى هاتين الآيتين هو صراطى يعنى طريقى ودينى الذى ارتضيته لعبادى مستقيما يعنى قويما لااعوجاج فيه فاتبعوه يعنى فاعملوا به وقيل أن الله تعالى لما بين فى الآيتين المتقدمتين ماوصاه به مفصلا أجمله فى هذه الآية اجمالا يقتضى دخول جميع ماتقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله ﴿ ولاتتبعوا السبل ﴾ يعنى الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام ﴿ فتفرق بكم عن سبيله ﴾ يعنى فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذى ارتضاه لعباده * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل الآية ﴿ ذلكم وصاكم به ﴾ يعنى باتباع دينه وصراطه الذى لااعوجاج فيه ﴿ لعلكم تتقون ﴾ يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات فى جميع الكتب لم ينسخهن شئ وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التى عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله عز وجل ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾

(وأن هذا) يعنى الاسلام (صراطى مستقيما) قائما أرضاه (فاتبعوه ولاتتبعوا) السبل يعنى اليهودية والنصرانية والمجوسية (فتفرق بكم عن سبيله) عن دينه (ذلكم وصاكم به) أمركم به فى الكتاب (لعلكم تتقون) لكى تتقوا السبل (ثم آتينا) أعطينا (موسى الكتاب)

تماما) أى ثم أخبركم انا آتينا أو هو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذى أحسن) على

صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبدالله على الذى احسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ما أمر به (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه فى دينهم (وهدى ورحمة لعلهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أى القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترجون) لترحموا

يعنى التوراة (تماما) بالامر والنهى والوعد والوعيد والصواب والعقاب (على الذى احسن) يقول على أحسن حال ويقال على احسان موسى وتبليغ رسالة ربه (وتفصيلا لكل شئ) يقول وبيانا لكل شئ من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب لمن آمن به (لعلهم بلقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (يؤمنون) يصدقون (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه) أنزلنا جبريل (مبارك) فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به (فاتبعوه) فاتبعوا حلاله وحرامه وأمره ونهيه (واتقوا) غيره (لعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلا تعذبوا (يعنى)

وثم للتراخى فى الاخبار أو للتفات فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب ﴿ تماما ﴾ للكرامة والنعمة ﴿ على الذى أحسن ﴾ على من أحسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين أحسنوا أو على الذى احسن تبليغه وهو موسى أو تماما على ما احسنه أى اجاده من العلم والشرائع أى زيادة على علمه اتماما له * وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى على الذى هو احسن أو على الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب ﴿ وتفصيلا لكل شئ ﴾ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر ﴿ وهدى ورحمة لعلهم ﴾ لعل بنى اسرائيل ﴿ بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ أى بلقائه للجزاء ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ أنزلناه مبارك ﴾ كثير النفع ﴿ فاتبعوه واتقوا لعلهم ترحمون ﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه

يعنى التوراة * فان قلت اتيان موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك * قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل أن المحرمات المذكورة فى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعنى بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليها * قوله عز وجل ﴿ تماما على الذى أحسن ﴾ اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذى بمعنى من أى تماما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسئ وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن أى أتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أى أتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذى أحسن هو موسى فيكون الذى بمعنى ما أى على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما منى على احسانى الى موسى ﴿ وتفصيلا لكل شئ ﴾ يعنى وفيه بيان لكل شئ يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه ﴿ وهدى ﴾ يعنى وفيه هدى من الضلالة ﴿ ورحمة ﴾ يعنى انزاله عليهم رحمة منى عليهم ﴿ لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لكى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب * قوله عز وجل ﴿ وهذا كتابا أنزلناه مبارك ﴾ يعنى القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ ﴿ فاتبعوه ﴾ يعنى فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهى والاحكام ﴿ واتقوا ﴾ يعنى مخالفته ﴿ لعلكم ترحمون ﴾

(أن تقولوا) كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أى أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على أن المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كنا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لاعلم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم مافيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعدما عرف صحتها وصدقها (وصدف عنها) أى أعرض

﴿ان تقولوا﴾ كراهة ان تقولوا علة لانزلناه ﴿انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم ﴿ وان كنا ﴾ ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة فى خبر كان أى وأنه كنا ﴿ عن دراستهم ﴾ قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾ لاندرى ماهى أو لانعرف مثلها ﴿ أو تقولوا ﴾ عطف على الاول ﴿ لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا أميون ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ حجة واضحة تعرفونها ﴿ وهدى ورحمة ﴾ لمن تأمل فيه وعمل به ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله ﴾ بعد ان عرف صحتها أو تمكن من معرفتها ﴿ وصدف ﴾ أعرض أو صد

يعنى ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكى ترحموا على جزاء التقوى ﴿ ان تقولوا ﴾ يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعنى أنزلنا اليك الكتاب كراهية ان تقولوا ﴿ انما أنزل الكتاب ﴾ وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا ياأهل مكة ان تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل ﴿ على طائفتين من قبلنا ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ وان كنا ﴾ أى وقد كنا وقيل وانه كنا ﴿ عن دراستهم ﴾ يعنى قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾ يعنى لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف مافيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم ﴿ أو تقولوا لو انا أنزلنا علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم وأهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فنتهم وذهنهم ❁ قال الله عز وجل ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ يعنى هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها ﴿ وهدى ﴾ يعنى من الضلالة ﴿ ورحمة ﴾ يعنى وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم ﴿ فمن أظلم ﴾ أى لا أحد أظلم وأكفر ﴿ ممن كذب بآيات الله وصدق

(أن تقولوا) لكى لاتقولوا يا أهل مكة يوم القيامة (انما انزل الكتاب على طائفتين) على أهل دينين (من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وان كنا)وقد كنا (عن دراستهم)عن قراءتهم التوراة والانجيل (لغافلين) لجاهلين (أو تقولوا) لكى لاتقولوا يوم القيامة (لو انا أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكنا اهدى منهم) اسرع منهم اجابة للرسول وأصوب دينا (فقد جاءكم بينة) بيان (من ربكم)يعنى الكتاب والرسول (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به (فمن أظلم)أعتى وأجرأ على الله (ممن كذب بآيات الله) بمحمد عليه السلام والقرآن (وصدف عنها) أعرض

﴿ عنها ﴾ فضل واضل ﴿ سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴾ شدته ﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ باعراضهم أو صدهم ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ماينتظرون يعنى أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين ﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ ملائكة الموت أو العذاب * وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل ﴿ أو يأتى ربك ﴾ أى أمره بالعذاب أو كل آية يعنى آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلى لقوله ﴿ أو يأتى بعض آيات ربك ﴾ يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء ابن عازب رضى الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ماتتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن

عنها ﴾ يعنى وأعرض عنها ﴿ سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴾ يعنى أسوأ العذاب وأشده ﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ أى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله * قوله عز وجل ﴿ هل ينظرون ﴾ يعنى هل ينتظر هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدهم عن آيات الله وهو استفهام معناه النفى وتقدير الآية انهم لايؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لاينفعهم ايمانهم ﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ يعنى لقبض أرواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب ﴿ أو يأتى ربك ﴾ يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام فى معنى الآية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجئ والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف ﴿ أو يأتى بعض آيات ربك ﴾ قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم * عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله أو يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه * عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب فى عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لايغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفى رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت

عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية فى النكاية (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أى أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا مايعتقدون من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الايمان بعدها (الا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم يأتيهم حمزة وعلى (أو يأتى ربك) أى أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا) يعرضون عن محمد عليه السلام والقرآن (سوء العذاب) شدة العذاب (بما كانوا يصدفون) يعرضون عن محمد عليه السلام والقرآن (هل ينظرون) هل ينتظرون أهل مكة (الا ان تأتيهم الملائكة) عند الموت لقبض أرواحهم (أو يأتى ربك) يوم القيامة بلا كيف (أو يأتى بعض آيات ربك) يعنى طلوع الشمس من مغربها

من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفارى رضى الله عنه قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا وروى الطبرى بسنده عن عبدالله بن مسعود فى تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد فى رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا * وبسنده عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لاتنكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا * وبسنده عن أبى ذر قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل * وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عبادالله توبوا الى الله قبل ان يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا فطال عليهم رأت أعينهم طلوع الشمس فبينماهم

(يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها)لانه ليس بايمان اختيارى بل هو ايمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أوكسبت فى ايمانها خيرا) أى اخلاصا كما لايقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لايقبل اخلاص المنافق أيضا أوتوبة وتقديره لاينفع ايمان من لم يؤمن ولاتوبة من لم يتب قبل (قل انتظروا) احدى الآيات الثلاث (انا منتظرون) بكم احداها

﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها ﴾ كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى * وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث ﴿ لم تكن آمنت من قبل ﴾ صفة نفسا ﴿ أوكسبت فى ايمانها خيرا ﴾ عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لاينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذى أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا ﴿ قل انتظروا انا منتظرون ﴾ وعيد لهم أى انتظروا اتيان أحد الثلاثة فانا

ينظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس رضى الله عنهما لاينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزى قيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لايكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها مالم تخرج احدى ثلاث الدابة أوطلوع الشمس من مغربها أو يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن أبى هريرة فى قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك قال هى مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الاقوال فى ذلك ماتظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها * قوله عز وجل ﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ يعنى لاينفع من كان مشركا ايمانه ولاتقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التى تضطرهم الى الايمان والتوبة ﴿ أوكسبت فى ايمانها خيرا ﴾ يعنى أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا فانهم لاينفعهم ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التى تضطرهم الى الايمان والتوبة * قوله عز وجل ﴿ قل انتظروا ﴾ يعنى ماوعدتم به من مجئ الآية ففيه وعيد وتهديد ﴿ انا منتظرون ﴾ يعنى ماوعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة

(يوم يأتى بعض آيات ربك) قبل طلوع الشمس من مغربها (لاينفع نفسا) كافرة (ايمانها لم تكن آمنت من قبل) من قبل طلوع الشمس من مغربها (أوكسبت فى ايمانها خيرا) ولم تخلص بايمانها ولم تعمل خيرا قبل طلوع الشمس من مغربها لانه لايقبل ممن كان كافرا ايمان ولا عمل ولا توبة اذا أسلم فى حين يراها الا من كان صغيرا يومئذ ومولودا بعد ذلك فانه ان ارتد بعد ماتطلع الشمس من مغربها ثم أسلم قبل منه ومن كان يومئذ مؤمنا مذنبا فتاب من الذنوب قبل منه يقول من كان يومئذ مؤمنا مذنبا فتاب أو صغيرا أو مولودا بعد ذلك فانه ينفع ايمانهم وتوبتهم وعملهم (قل) يامحمد لاهل مكة (انتظروا) يوم القيامة (انا منتظرون) (أوقبله) بكم العذاب يوم القيامة اوقبل يوم القيامة ويقال قل يا محمد انتظروا هلاككم انا منتظرون لهلاككم

منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ﴿ان الذين فرقوا دينهم﴾ بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة * وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا أى باينوا ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا تشيع فرقة كل اماما

أو قبله فى الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر فى الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة * قوله عز وجل ﴿ أن الذين فرقوا ﴾ وقرئ فارقوا ﴿ دينهم وكانوا شيعا ﴾ يعنى أحزابا متفرقة فى الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرأ فرقوا دينهم يعنى جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة أديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشئ وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شئ واحد فى الحقيقة وهو ان من فرق دينه فاقر ببعض وأنكر بعضا فقد فارق دينه فى الحقيقة ثم اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة رضى الله عنه فى هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الامة * وروى ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الامة أسنده الطبرى فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا فى الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة * وروى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوى بغير سنده * عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فاعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل

(ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى السواد الاعظم وفى رواية وهى ما أنا عليه وأصحابى وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فارقوا دينهم حمزة وعلى أى تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع امامالها

(ان الذين فرقوا دينهم) تركوا دينهم دين آبائهم وبقال اقرارهم يوم الميثاق وان قرأت فرقوا بتشديد الراء يعنى شتتوا دينهم أى اختلفوا فى دينهم (وكانوا شيعا) صاروا فرقا اليهودية والنصرانية والمجوسية

﴿لست منهم في شيء﴾ أي في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم أو انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف ﴿انما أمرهم الى الله﴾ يتولى جزاءهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ بالعقاب ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أي عشر حسنات امثالها فضلا من الله سبحانه وتعالى * وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها﴾ قضية

بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي * عن معاوية رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله أخرجه أبو داود * عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمته * وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان أحسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا * قوله عز وجل ﴿لست منهم في شيء﴾ يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية أهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد منا بريء من صاحبه ﴿انما أمرهم الى الله﴾ يعني في الجزاء والمكافأة ﴿ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ يعني اذا وردوا القيامة * قوله عز وجل ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ يعني عشر حسنات أمثالها ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها﴾ يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأجيب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازي على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر أمثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني أن اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد أو سيئة وهذا أولى لان حمل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد

(لست منهم في شيء) أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم (انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم على ذلك (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) تقديره عشر حسنات أمثالها الا أنه أقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها

(لست منهم) من قتالهم (في شيء) ثم أمره بعد ذلك بقتالهم ويقال ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم (انما أمرهم) بذلك (الى الله ثم ينبئهم) يخبرهم (بما كانوا يفعلون) من الخير والشر (من جاء بالحسنة) مع التوحيد (فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة) بالشرك بالله (فلا يجزى الا مثلها) يعني النار

للعدل ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ قل أننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ﴾ بالوحى والارشاد الى مانصب من الحجج ﴿ دينا ﴾ بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ ﴿ قيما ﴾ فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم أبلغ منه باعتبار الصيغة * وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام ﴿ ملة ابراهيم ﴾ عطف بيان لدينا

لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته الى سبعمائة ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى ﴿ وهم لايظلمون ﴾ يعنى لاينقص من ثواب الطائع ولايزاد على عذاب العاصى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة بعد ان لايشرك بى شيأ لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلاتكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها الى سبعمائة لفظ البخارى * وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بعشر امثالها واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعلمها فاذا عملها فانا أكتبها له بمثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها فكتبوها له بمثلها وأن تركها فكتبوها له حسنة فانما تركها من جرّاى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها * قوله عز وجل ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ﴾ يعنى قل لهم أننى أرشدنى ربى الى طريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين ﴿ دينا قيما ﴾ يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل أن يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما يعنى دينا مستقيما لااعوجاج فيه ولازيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشى و معادى وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم ﴿ ملة ابراهيم ﴾ والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى

وهم لايظلمون) بنقص الثواب و زيادة العقاب (قل اننى هدانى ربى) ربى أبو عمرو ومدنى (الى صراط مستقيم دينا) نصب على البدل من محل الى صراط مستقيم لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشامى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به (ملة ابراهيم) عطف بيان

(وهم لايظلمون) لاينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (قل) يا محمد لاهل مكة واليهود والنصارى (اننى هدانى ربى) أكرمنى ربى بدينه وأمرنى أن أدعو الخلق ويقال بين لى ربى كيف أدعو الخلق (الى صراط مستقيم دينا قيما) صدقا (ملة ابراهيم) دين ابراهيم

﴿ حنيفا ﴾ حال من ابراهيم ﴿ وما كان من المشركين ﴾ عطف عليه ﴿ قل ان صلوتي ونسكي ﴾ عبادتي كلها أو قرباني أو حجي ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الايمان والطاعة أو طاعات الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير أو الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف ﴿ لله رب العالمين لاشريك له ﴾ خالصة له لاأشرك فيها غيرا ﴿ وبذلك ﴾ القول أو الاخلاص ﴿ أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته ﴿ قل أغير الله أبغي ربا ﴾ فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم ﴿ وهو رب كل شيء ﴾ حال في موضع العلة للانكار والدليل له أي وكل ماسواه

هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته ﴿ حنيفا ﴾ الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن أو حج حنيفا تنبيها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام ﴿ قل أن صلوتي ﴾ أي قل يا محمد أن صلاتي ﴿ ونسكي ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله أن صلاتي ونسكي دليل على أن جميع العبادات يؤديها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لله رب العالمين لاشريك له وفيه دليل على أن جميع العبادات لاتؤدى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لاينبغي أن يكون الا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ أي حياتي وموتي بخلق الله وقضائه وقدره أي هو يحييني ويميتني وقيل معناه أن محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله وقيل معناه أن طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين أن صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله ﴿ لله رب العالمين لاشريك له ﴾ يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر أفعاله لايشاركه فيها أحد من خلقه ﴿ وبذلك أمرت ﴾ يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد أمرت ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره * قوله عز وجل ﴿ قل أغير الله أبغي ربا ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك أغير الله أطلب سيدا أو الها ﴿ وهو رب كل شيء ﴾ يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لايشاركه فيه أحد وذلك أن الكفار قالوا

(حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يامعشر قريش (قل ان صلوتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد أو ذبحي أو حجي (ومحياي ومماتي) وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه محياي ومماتي بسكون الياء الاول وفتح الثاني مدني وبعكسه غيره (لاشريك له) في شيء من ذلك (وبذلك) الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام أمته (قل أغير الله أبغي ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أي منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار بانه أهم (وهو رب كل شيء) وكل من دونه مربوب ليس في الوجود

(حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) مع المشركين على دينهم (قل) يا محمد (ان صلوتي) الصلوات الخمس (ونسكي) ديني وحجتي وذبحي وعبادتي (ومحياي ومماتي لله) في الدنيا في طاعة الله ورضاه (رب العالمين) سيد الجن والانس (لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) المخلصين بالعبادة والتوحيد (قل) يا محمد (أغير الله أبغي ربا) أعبد ربا (وهو رب كل شيء) (للنبي)

من له الربوبية غيره (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان التي فرقتموها (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الامم أو لان بعضهم يخلف بعضا أوهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو التقدير الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني بالفقير والمالك بالمملوك

مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ﴿ ولا تكسب كل نفس الا عليها ﴾ فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ يوم القيامة ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ﴾ يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام أو خلفاء الامم السابقة على ان الخطاب للمؤمنين ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ في الشرف والغنى ﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ من الجاه والمال

للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه ﴿ ولا تكسب كل نفس الا عليها ﴾ يعني أن اثم الجاني عليه لا على غيره ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ يعني لا تؤاخذ نفس آثمة باثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ يعني في الدنيا من الاديان والملل ۞ قوله عز وجل ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ﴾ يعني والله الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الامم ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ يعني أنه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز أو الجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ۞ وهو قوله عز وجل ﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ يعني يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو أعلم باحوال عباده والمعنى يبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما أن يكون مقصرا فيما كلف به وأما أن يكون موفيا ما أمر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب ۞ وهو قوله عز وجل

بأن منه (ولا تكسب كل نفس) من الذنوب (الا عليها) عقوبة ذلك (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل حاملة حمل أخرى من الذنوب ويقال لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى ويقال لا تعذب نفس بغير ذنب ويقال لا تحمل حالة ذنب أخرى بطيبة النفس ولكن يحمل عليها بالكره (ثم الى ربكم مرجعكم) بعد الموت (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم فيه) في الدين (تختلفون) تخالفون (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) خلف الامم الماضية في الارض (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فضائل بالمال والخدم (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) أعطاكم من المال

﴿ان ربك سريع العقاب﴾ لان ماهو آت قريب أولانه يسرع اذا أراده ﴿وانه لغفور رحيم﴾ وصف العقاب ولم يضف الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكده تنبيها على انه سبحانه وتعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفرله أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس أوست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألمص﴾ سبق الكلام فى مثله

﴿أن ربك سريع العقاب﴾ يعنى لاعدائه باهلاكهم فى الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهو آت فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما أمره به أونهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم * وهو قوله عز وجل ﴿وأنه لغفور﴾ يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته ﴿رحيم﴾ يعنى بجميع خلقه والله أعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا انها مكية الاخمس آيات أولها واسألهم عن القرية التى كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات فى سورة الاعراف مدينة أولها واسألهم عن القرية الى قوله وأذ أخذ ربك من بنى آدم وهى مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ألمص﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أنا الله افصل وعنه أنا الله أعلم وأفصل وعنه أن ألمص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة ألمص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هى حروف مقطعة

﴿ان ربك سريع العقاب﴾ لمن كفر نعمته ﴿وانه لغفور رحيم﴾ لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهو آت قريب وما أمر الساعة الا كلمح البصر أوهو أقرب *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم الى يوم القيامة

﴿سورة الاعراف مكية وهى مائتان وخمس آيات بصرى وست كوفى ومدنى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ألمص﴾ قال الزجاج المختار فى تفسيره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا الله أعلم

واخدم ﴿ان ربك سريع العقاب﴾ لمن كفر به ولا يشكره ﴿وانه لغفور﴾ متجاوز ﴿رحيم﴾ لمن آمن به

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الاعراف وهى كلها مكية وآياتها مائتان وست وكلماتها ثلاثة آلاف وستمائة وخمس وعشرون وحروفها أربعة عشر ألفا وثلثمائة وعشرة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ألمص﴾ يقول أنا الله أعلم وأفصل

وأفصل (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لاشك فى انه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه و تكذيبهم له و اعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهى متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعطف أى هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك واللام فى (لتنذر به) متعلق بانزل أى أنزل اليك لانذارك به أو بالنهى لانه اذالم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عندالله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين) فى محل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أوالرفع بالعطف على كتاب أى هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدأ محذوف أوالجر بالعطف على محل لتنذر أى للانذار والذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن

﴿ كتاب ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة والقرآن ﴿ أنزل اليك ﴾ صفته ﴿ فلا يكن فى صدرك حرج منه ﴾ أى شك فان الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه أو تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه ﴿ لتنذر به ﴾ متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عندالله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ يحتمل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب أو خبر المحذوف ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ يعم القرآن

استأثر الله تعالى بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف تحتوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معانى الحروف المقطعة أوائل السور فى أول سورة البقرة ۞ وقوله عز وجل ﴿ كتاب أنزل اليك ﴾ يعنى هذا كتاب أنزله الله اليك يا محمد وهو القرآن ﴿ فلا يكن فى صدرك حرج منه ﴾ يعنى فلا يضق صدرك بالابلاغ وتأدية ما أرسلت به الى الناس ﴿ لتنذر به ﴾ يعنى أنزلت اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ يعنى ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس رضى الله عنهما فلا تكن فى شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله عز وجل ﴿ أتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ أى قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل اليكم من ربكم يعنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا ويجب أن تعلم فيم أنزلت و ما معناها وبنحو هذا قال الزجاج أى اتبعوا القرآن وما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر به كان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار أى اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك

ويقال قسم أقسم به (كتاب) ان هذا الكتاب يعنى القرآن (أنزل اليك) جبريل به (فلا يكن فى صدرك حرج) فلا يقع فى قلبك (قا و خا ٦٦ نى) شك (منه) من القرآن انه ليس من الله و يقال ضيق (لتنذر به) بالقرآن أهل مكة لكى يؤمنوا (وذكرى) عظة (للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن أحلوا حلاله

والسنة (ولاتتبعوامن دونه) من دون الله (أولياء) أي ولاتتولوامن دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان
والاهواء والبدع (قليلاماتذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما
مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامي (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها)
أي أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (أوهم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أوقائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو لانه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أي ليلا وهم نائمون أونهارا وهم قائلون

والسنة لقوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴿ ولاتتبعوا من دونه أولياء ﴾ يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولاتتبعوا من دون دين الله دين أولياء *وقرئ ولاتبتغوا ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ اى تذكرا قليلا أوزمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون *وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وكم من قرية ﴾ وكثيرا من القرى ﴿ أهلكناها ﴾ اردنا اهلاك أهلها أوأهلكناها بالخذلان ﴿ فجاءها ﴾ فجاء أهلها ﴿ بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بياتا ﴾ بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال ﴿ اوهم قائلون ﴾ عطف عليه أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة

ويدل عليه قوله عزوجل ﴿ ولاتتبعوا من دونه أولياء ﴾ يعني ولاتتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم والمعنى ولاتتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ يعني ماتتعظون الا قليلا * قوله عزوجل ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته باتباع ماأنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ماأمروا به فذكر في هذه الآية مافي ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالاهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ يعني عذابنا *فان قلت مجئ البأس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال أهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها بأسنا وقال الفراء الهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيتني فأحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فأحسنت الي أوأحسنت الي فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر ﴿ بياتا ﴾ يعني فجاءها عذابنا ليلا قبل أن يصبحوا ﴿ أوهم قائلون ﴾ من القيلولة وهي نوم نصف النهار أواستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون أونهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمارة تدلهم على

وحرموا حرامه (ولا تتبعوامن دونه) لاتعبدوا من دون الله (أولياء) أربابا من الاصنام (قليلاما تذكرون) ماتتعظون بقليل ولا بكثير (وكم من قرية) من أهل قرية (وقت) (أهلكناها) عذبناها (فجاءها بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا أونهارا (أوهم قائلون) نائمون عند القيلولة

فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع ﴿ فما كان دعواهم ﴾ أى دعاؤهم واستغاثتهم أوما كانوا يدعونه من دينهم ﴿ اذجاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين ﴾ الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه ﴿ فلنسألن الذين أرسل اليهم ﴾ عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام أوالاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة ﴿ فلنقصن عليهم ﴾ على الرسل حين يقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب أوعلى الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه ﴿ بعلم ﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم أوبعلومنا منهم ﴿ وما كنا غائبين ﴾ عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم

وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لاتغتروا بأسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة ﴿ فما كان دعواهم ﴾ يعنى فما كان دعاء أهل القرية التى جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا فى صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴿ اذجاءهم بأسنا ﴾ يعنى لعذابنا ﴿ الا أن قالوا انا كنا ظالمين ﴾ يعنى انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لاينفع الاعتراف ﴿ فلنسئلن الذين أرسل اليهم ﴾ يعنى نسأل الامم الذين أرسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل ﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ يعنى ولنسألن الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الامم ماأمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم فى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدى يسأل الامم ماعملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ماأرسلوا به * فان قلت قد أخبر عنهم فى الآية الاولى بانهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك * قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار * فان قلت فما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ماجاءنا من بشير ولانذير فكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من أرسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ للكفار أيضا لانهم أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم * قوله عز وجل ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ يعنى فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا فى الدنيا ﴿ وما كنا غائبين ﴾ يعنى عنهم وعن أفعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم

(فما كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (اذجاءهم بأسنا) لما جاءهم أوائل العذاب (الاان قالوا انا كنا ظالمين) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى اليهم أى فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم عما أجابوا به رسلهم (ولنسألن المرسلين) عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقدير اذا فاهوا بالسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم

(فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا بهلاكهم (الاان قالوا انا كنا ظالمين) مشركين (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) الرسل يعنى القوم عن اجابة الرسل (ولنسئلن المرسلين) عن تبليغهم (فلنقصن عليهم) فلنخبرنهم (بعلم) ببيان (وما كنا غائبين) عن تبليغ الرسل واجابة القوم

﴿والوزن﴾ أي القضاء أو وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لايزن عندالله جناح بعوضة ﴿يومئذ﴾ خبر المبتدأ الذى هو الوزن ﴿الحق﴾ صفته أو خبر محذوف ومعناه العدل السوى

(والوزن) أى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يومئذ) أى يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (الحق) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته

(والوزن) وزن الاعمال (يومئذ) يوم القيامة (الحق) العدل

فيما أجابوا * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين واذا كان عالما فما فائدة هذا السؤال * قلت فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقريع والتوبيخ للكفار لانهم اذا أقروا على انفسهم كان أبلغ فى المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منفى عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها * قوله عز وجل ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ يعنى والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى أن المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر مابين المشرق والمغرب قال ابن الجوزى جاء فى الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الميزان فاراه اياه فقال الهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال ياداود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ماوجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل * فان قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد فما الحكمة فى وزنها * قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لايظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى ومنها تعريف العباد مالهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء فى كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ماروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة

﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ حسناته أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون أو ميزان ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالنجاة والثواب ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ فيكذبون بدل التصديق

وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لاظلم عليك اليوم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس رضى الله عنهما يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان فعلى قول ابن عباس رضى الله عنهما ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور فى الميزان ويخلق الله تعالى فى تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوى عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجاه فى الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ماذكر من وزن الاشخاص فى الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن أو نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك ❁ قوله عز وجل ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ جمع ميزان وأورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع وأجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعنى من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التى لها وزن وقدر ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ يعنى هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ يعنى موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ يعنى سبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وأدلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه حين حضره الموت قال فى وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا

(فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها

(فمن ثقلت موازينه) حسناته فى الميزان (فأولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (ومن خفت موازينه) حسناته فى الميزان (فأولئك الذين خسروا انفسهم) بالعقوبة (بما كانوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (يظلمون) يكفرون

﴿ ولقد مكناكم فى الارض ﴾ أى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ أسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ فيما صنعت اليكم ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ أى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار

أن يكون خفيفا * قوله عز وجل ﴿ ولقد مكناكم فى الارض ﴾ يعنى ولقد مكناكم أيها الناس فى الارض والمراد من التمكين التملك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا وأقدرناكم على التصرف فيها ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة يعنى به جميع وجوه المنافع التى تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهى على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع المآكل والمشارب والثانى ما يحصل من المكاسب والارباح فى أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين فى الحقيقة انما يحصل بفضل الله وأنعامه وأقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وأنعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغى فقال تعالى ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ يعنى على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على أنهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلوا فى بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها * قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ يعنى ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله فى ظهر أبيكم آدم ثم صورناكم فى أرحام النساء صورا مخلوقة * فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضى أن الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخى ومعلوم أن الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته * قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر به على الخبر وقيل فى معنى الآية ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أو لانه أبو البشر فكان فى خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل أن الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعنى آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعنى آدم صورة من طين ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ يعنى بعد اكمال خلقه وقد تقدم فى سورة البقرة الكلام فى معنى هذا السجود وأنه كان على سبيل التحية والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود

(ولقد مكناكم فى الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لانها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف (قليلا ما تشكرون) مثل قليلا ما تذكرون (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

(ولقد مكناكم) ملكناكم (فى الارض وجعلنا لكم فيها) فى الارض (معايش) ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون (قليلا ما تشكرون) ما تشكرون بقليل ولا بكثير ويقال شكركم فيما صنع اليكم قليل (ولقد خلقناكم) من آدم وآدم من تراب (ثم صورناكم) فى الارحام وصورنا آدم بين مكة والطائف (ثم قلنا للملائكة) الذين كانوا فى الارض (اسجدوا لآدم)

﴿فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾ ممن سجد لآدم ﴿قال مامنعك أن لا تسجد﴾ أى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد ﴿اذ أمرتك﴾ دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور ﴿قال أنا خير منه﴾ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن

وقيل بل كان حقيقة السجود وأن المسجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان المسجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره فى سورة البقرة وقوله عز وجل ﴿فسجدوا﴾ يعنى الملائكة ﴿الا ابليس﴾ يعنى فسجد الملائكة لآدم الا ابليس ﴿لم يكن من الساجدين﴾ يعنى له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه أنه لم يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثناه منهم * قوله عز وجل ﴿قال مامنعك أن لا تسجد اذ أمرتك﴾ يعنى قال الله عز وجل لابليس أى شئ منعك من السجود لآدم اذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا فى قوله أن لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أى اقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أى يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال أن كلمة من كتاب الله زائدة أو لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيي ان لا فى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا لان معنى قوله مامنعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبرى الصواب فى ذلك أن يقال أن فى الكلام محذوفا تقدره ما منعك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعى فكانه قال ما دعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها * فان قلت لم سأله عن المانع له من السجود وهو أعلم به * قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه ﴿قال﴾ يعنى قال ابليس مجيبا لله تعالى عما سأله عنه ﴿أنا خير منه﴾ فان قلت قوله أنا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه فى قوله تعالى مامنعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغى له أن يقول منعنى كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه * قلت استأنف قصة

فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم عليه السلام (قال مامنعك أن لا تسجد) مارفع أى أى شئ منعك من السجود ولا زائدة بدليل مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ أمرتك) فيه دليل على أن الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قال أنا خير منه

سجدة التحية (فسجدوا الا أبليس) رئيسهم (لم يكن من الساجدين) مع الساجدين بالسجود لآدم (قال ما منعك) قال الله يا ابليس مامنعك (الا تسجد) لآدم (اذ أمرتك) بالسجود (قال أنا خير منه

خلقتني من نار) وهي جوهر نوراني (وخلقته من طين) وهو ظلماني وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار و في النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافي القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عنادا للامر المنصوص فكان الجواب لمامنعك أن يقول منعني كذا وانما قال انا خير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كأنه قال مامنعني من السجود فضلي عليه وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء لانه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله أنا خير منه أي أن كنت تتكبر فاهبط (فما يكون لك) فما يصح لك (أن)

أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله تعالى * مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي * أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه أعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب ﴿ قال فاهبط منها ﴾ من السماء أو الجنة ﴿ فما يكون لك ﴾ فما

أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ والنار خير من الطين وأنور وانما قال أنا خير منه لما رأى انه أشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك الفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجهل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن في جوهر الطين الرزانة والأناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضا ماعبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى ان النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وأن الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شئ وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التي سبقت له في القدم وأورث ابليس كبره اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم * قوله عز وجل ﴿ قال فاهبط منها ﴾ يعني قال الله تعالى لابليس لعنه الله أهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف ﴿ فما يكون لك

خلقتني من نار وخلقته من طين) أنا ناري وآدم طيني والنار تأكل الطين (قال) الله له (فاهبط منها) فأنزل من السماء ويقال فاخرج منها من صورة الملائكة (فما يكون لك) ماينبغي

(أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال أنظرني الى يوم يبعثون) أمهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب أى هذا برى بمن يسيئني فكيف بمن يحبني وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال (قال فبما أغويتنى) أضللتنى أى فبسبب اغوائك اياى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أوتكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على

يصح ﴿ أن تتكبر فيها ﴾ وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لايليق باهل الجنة وانه سبحانه وتعالى انما طرده وأهبطه لتكبره لالمجرد عصيانه ﴿ فاخرج انك من الصاغرين ﴾ ممن اهانه الله لكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴿ قال انظرنى الى يوم يبعثون ﴾ أمهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى أولا تعجل عقوبتى ﴿ قال انك من المنظرين ﴾ يقتضى الاجابة الى ماسأله ظاهر الكنه محمول على ماجاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى أووقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته ﴿ قال فبما أغويتنى ﴾ أى بعدان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم بأى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية أوحملا على الغى أوتكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لابا قعدن فان اللام تصدعنه وقيل الباء للقسم ﴿ لأقعدن لهم ﴾ ترصدا بهم كما تقعد القاطع للسابلة ﴿ صراطك المستقيم ﴾ طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم

أن تتكبر فيها ﴾ يعنى فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن أمرى وطاعتى لانه لاينبغى أن يسكن فى الجنة أوفى السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المتكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون فى الارض ﴿ فاخرج انك من الصاغرين ﴾ يعنى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها ﴿ قال ﴾ يعنى قال ابليس عند ذلك ﴿ أنظرنى ﴾ يعنى أخرنى وأمهلنى فلا تمتنى ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يعنى من قبورهم وهى النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالات الخبيث ابليس لعنه الله لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء فى الدنيا ولكنه كره أن يكون ذائقا للموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأل بل ﴿ قال ﴾ الله تعالى له ﴿ انك من المنظرين ﴾ يعنى من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة فى سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم * فان قلت فما وجه قوله انك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه * قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم ﴿ قال ﴾ يعنى ابليس ﴿ فبما أغويتنى ﴾ يعنى فبأى شى أضللتنى فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتنى ثم ابتدأ فقال ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ وقيل هى باء القسم تقديره فباغوائك اياى وقيل

لك (أن تتكبر فيها) أن تتعظم فى صورة الملائكة على بنى آدم (فاخرج) من صورة الملائكة ويقال فاخرج منها من الارض (انك من الصاغرين) من الذليلين بالعقوبة (قال أنظرنى) أجلنى (الى يوم يبعثون) من القبور (قاوخا٦٧نى) أراد الملعون أن لا يموت (قال) الله له (انك من المنظرين) من المؤجلين الى نفخة الصور (قال) ابليس (فبما اغويتنى) فكما أضللتنى عن الهدى (لأقعدن لهم) لبنى آدم (صراطك المستقيم) دين الاسلام

الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أى على الظهر وعن طاوس انه كان

ضرب زيد الظهر والبطن ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ أى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من أى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويحترزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم

معناه فبما أوقعت فى قلبى الغى الذى كان سبب هبوطى الى الارض من السماء وأضللتنى عن الهدى لاقعدن لهم صراطك المستقيم يعنى لاجلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذى يسلكونه الى الجنة وذلك بأن أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعنى يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لأردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم ولأضلنهم كما أضللتنى * عن سبرة بن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة فقعد له فى طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائى * قوله عز وجل اخبارا عن ابليس ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ قال ابن عباس من بين أيديهم يعنى من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعنى من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيمانهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى وانما جعل الآخرة من بين أيديهم فى هذا القول لانهم منقلبون اليها وسائرون اليها فعلى هذا الاعتبار فى الدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعنى زينها فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا نشورا ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم فى هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهى حاضرة بين يديه

فى المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهو يقول أنا أغوى نفسى (ثم لآتينهم من بين أيديهم) أشككهم فى الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم فى الدنيا (وعن أيمانهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لآتينهم من الجهات الاربع التى يأتى منها العدو فى الاغلب وعن شقيق مامن صباح الا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدى فيقول لاتخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وعن يمينى فيأتينى من قبل الثناء فاقرأ

(ثم لآتينهم من بين أيديهم) من قبل الآخرة ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (ومن خلفهم) ان الدنيا لا تفنى وآمرهم بالجمع والمنع والبخل والفساد (وعن ايمانهم) من قبل الدين فمن كان على الهدى أشبه عليه حتى يخرج منه ومن كان على الضلالة أزين له حتى يثبت عليها (وعن شمائلهم) من قبل

(والاخرة)

المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة ﴿ قال اخرج منها مذؤما ﴾

والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني مامضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية عن أيمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محذور نالوه وقال شقيق البلخي مامن صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لاتخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما أريد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ يعني ولا تجد يارب أكثر بني آدم شاكرين لك على نعمك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ولا تجد أكثرهم موحدين * فأن قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين * قلت قاله ظنا فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده * قوله عز وجل ﴿ قال اخرج منها ﴾ أي قال الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة ﴿ مذؤما ﴾

والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين مايشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لابتداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مذؤما) معيبا من ذأمه اذا ذمه والذأم والذم العيب

اللذات والشهوات (ولا تجد أكثرهم) كلهم (شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها) من صورة الملائكة (مذؤما)

مذموما من ذأمه اذا ذمه * وقرئ مذوما كسول فى مسؤل أو كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما ﴿ مدحورا ﴾ مطرودا ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه ﴿ لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ وهو سادمسد جواب الشرط * وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ﴿ ويا آدم ﴾ أى وقلنا يا آدم ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم وتكونا تحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ أى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهيمنة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته

يعنى معيبا والذأم أشد العيب ﴿ مدحورا ﴾ يعنى مطرودا مبعودا وقال ابن عباس رضى الله عنهما صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبى ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ يعنى من بنى آدم ﴿ لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بنى آدم وأطاعه منهم ان علأ جهنم منه وممن كفر من بنى آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم * قوله عز وجل ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ أى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة ﴿ فكلا من حيث شئتما ﴾ يعنى فكلا من ثمار الجنة من أى مكان شئتما * فان قلت قال فى سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق * قلت قال الامام فخر الدين الرازى ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففى سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ تقدم فى سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى * قوله عز وجل ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ يعنى فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان فى قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلى ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها اليهما * فان قلت كيف وسوس اليهما وآدم وحواء فى الجنة وابليس قد أخرج منها * قلت ذكر الامام فخر الدين الرازى فى الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس فى الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التى جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصبهانى بل كان آدم وابليس فى الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذى يقوله بعض الناس من أن ابليس دخل فى جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك * فان قلت ان آدم عليه الصلاة

موطئة للقسم وجوابه (لأملأن جهنم) وهو سادمسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذها مسكنا (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس

ملوما (مدحورا) مقصى بعيدا من كل خير (لمن تبعك) وأطاعك (منهم) من الجن والانس (لاملأن جهنم منكم) من الكفار الجن والانس (أجمعين ويا آدم اسكن) انزل (أنت وزوجك) حواء (الجنة فكلا) من الجنة (من حيث شئتما) ومتى شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) لا تأكلا من هذه الشجرة شجرة العلم (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الضارين لانفسكما (فوسوس لهما الشيطان) ابليس (والسلام)

له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما) ليكشف لهما ماستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وأنه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت مالواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة

كما في أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل مالا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها في موضع الثقل لا في غيره وقرأ عبد الله أوري بالقلب (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) الاكراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لايبلى (أو تكونا من الخالدين) من الذين لايموتون ويبقون في الجنة

﴿ ليبدى لهما ﴾ ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ﴿ ماووري عنهما من سوآتهما ﴾ ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة * وقرى سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها ﴿ وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ﴾ الا كراهة ان تكونا ﴿ ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ الذين لايموتون أو يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجوابه أنه كان من المعلوم أن الحقائق لاتنقلب وانما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضا ماللملائكة من الكمالات

والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت يحتمل أن يقال ان ابليس لقى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم حتى أكل من الشجرة ﴿ ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما ﴾ يعنى ليظهر لهما ما غطى وستر من عوراتهما وقوله ماووري مأخوذ من المواراة وهى الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدى لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما ﴿ وقال ﴾ يعنى وقال ابليس لآدم وحواء ﴿ مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة ﴾ يعنى عن الأكل من هذه الشجرة ﴿ الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ يعنى انما نهاكما عن هذه الشجرة لكى لاتكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الباقين الذين لايموتون وانما أطمع ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم واحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين لايموتون أبدا * فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس في ظاهر الآية مايدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه الواقعة في زمان النبوة

بأكل الشجرة (ليبدى لهما) ليظهر لهما (ماووري عنهما) ما غطى عنهما بلباس النور (من سوآتهما) من عوراتهما (وقال) لهما ابليس (مانهاكما ربكما) ياآدم ويا حواء (عن هذه الشجرة) عن أكل هذه الشجرة (الا أن تكونا) تصيرا (ملكين) تعلمان الخير والشر في الجنة (أو تكونا) تصيرا (من الخالدين) في الجنة فلذلك منعكما عن اكل

ساكنين (وقاسمهما)وأقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) وأخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم
ومنهما التصديق فكأنها من اثنين (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما
غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وهى السنبلة أو الكرم (بدت لهما سوآتهما) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لايريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الاظفار تذكيرا للنعم

الشجرة (وقاسمهما) حلف لهما (انى لكما لمن الناصحين) فى حلفى لكما انها شجرة الخلد (فدلاهما) الى اكل الشجرة (بغرور) باطل وكذب حتى أكلا (فلما ذاقا الشجرة) فلما أكلا من الشجرة (بدت لهما) ظهرت لهما (سوآتهما) عوراتهما

الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لايدل على فضلهم مطلقا ﴿وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين﴾ أى أقسم لهما على ذلك وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسما له بالقبول وقيل أقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة ﴿فدلاهما﴾ فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على أنه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من أعلى الى أسفل ﴿بغرور﴾ بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لايحلف بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ أى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وان اللباس كان نورا

بعد ان شرف بها آدم انما طلب أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم لالانهم أفضل منه حتى يلتحق بهم فى الفضل لانه طلب اما أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لايموتون ابدا * قوله عز وجل ﴿وقاسمهما﴾ أى وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد ﴿انى لكما لمن الناصحين﴾ قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعناله ﴿فدلاهما بغرور﴾ يعنى فخدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى فى البئر ليأخذ الماء فلايجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لافائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لايكون الا من علو الى أسفل ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحدا لايحلف بالله كاذبا وابليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتربه ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ يعنى طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الأكل اليسير ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ يعنى ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا أخذتهما العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ماوورى عنه من عورة صاحبه وكانا لايريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لايرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب قشط عنه وبدت سوأته

(قوله وأخرجه على زنة المفاعلة الخ)لما كان القسم من جانب واحد والمفاعلة تقتضى صدوره من الجانبين قيل انه بمعنى أقسم وانما عبر بالمفاعلة للمبالغة لان من يبارى أحدا فى فعل يجد فيه فاستعمل فى لازمه أو أنه وقع من الجانبين ولكنه اختلف متعلقه فهو اقسم على النصح وهما على القبول اهـ كفاية

(وطفقا)

أوحلة أوظفرا ﴿ وطفقا يخصفان ﴾ اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴿عليهما من ورق الجنة ﴾ قيل كان ورق التين * وقرئ يخصفان من اخصف أى يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يختصفان ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ﴾ عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ أضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة ﴿ وان لم تغفر لنا

﴿ وطفقا ﴾ يعنى وأقبلا وجعلا ﴿ يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ يعنى انهما لما بدت لهما سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما وفى الآية دليل عن ان كشف العورة من ابن آدم قبيح ألا ترى أنهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر فى عقلهما من قبيح كشفها * روى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كانه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا يارب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى من طريقين موقوفا ومرفوعا * قوله عزوجل ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهكما عن أكل ثمرة هذه الشجرة ﴿ وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ﴾ يعنى ألم أعلمكما أن الشيطان قد بانت عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى أعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال أطعمتنى حواء فقال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتنى الحية فقال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فملعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدى أما نفخت فيك من روحى أما أسجدت لك ملائكتى أما أسكنتك جنتى فى جوارى * قوله عزوجل ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ وهذا خبر من الله عزوجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك مالم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها ﴿ وان لم تغفر لنا ﴾ يعنى وأنت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا

وتجديد الندم (وطفقا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أى جعل (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يجعلان على عورتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليسترا بها كما تخصف النعل (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروى أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ماظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق جبين فاهبط و علم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وطحن وخبز (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا

(وطفقا) عمدا من الاستحياء (يخصفان عليهما) يلزقان على عوراتهما (من ورق الجنة) من ورق التين (وناداهما ربهما) يا آدم ويا حواء (ألم انهكما عن تلكما الشجرة) عن اكل هذه الشجرة (وأقل لكما ان الشيطان) ابليس (لكما عدو مبين) ظاهر العداوة (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) ضررنا انفسنا بمعصيتنا (وان لم تغفر لنا)

وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات ﴿ قال اهبطوا ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم أنهم قرناء ابدا أو أخبر عما قال لهم متفرقا ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ فى موقع الحال أى متعادين ﴿ ولكم فى الارض مستقر ﴾ استقرار أو موضع استقرار ﴿ ومتاع ﴾ وتمتع ﴿ الى حين ﴾ الى تقضى آجالكم

﴿ وترحمنا ﴾ يعنى وتتفضل علينا برحمتك ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ يعنى من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أرأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله ان ينظره فاعطى كل واحد منهما ماسأل وقال الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا قال هى الكلمات التى تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

فصل

وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم وسيآت بالنسبة الى كمال طاعتهم لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصى غيرهم فكان ماصدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهى حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة الى أحوالهم كالسيآت وهى حسنات لغيرهم وقد تقدم فى سورة البقرة ان أكل آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة أو بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ قال اهبطوا ﴾ قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ان الذى تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبرى قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعنى من السماء الى الارض قال السدى رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعنى الى الارض آدم وحواء وابليس والحية ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ يعنى ان العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس ﴿ ولكم فى الارض مستقر ﴾ يعنى موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ولكم فى الارض مستقر يعنى القبور ﴿ ومتاع الى حين ﴾ يعنى ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا أو الى انقضاء آجالكم ومعنى الآية ان الله

عندهم مغفورة (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (ولكم فى الارض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وانتفاع بعيش (الى حين) الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى ما أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وتراو حنطة وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده

تجاوز عنا (وترحمنا) فلا تعذبنا (لنكونن من الخاسرين) لنصيرن من المغبونين بالعقوبة (قال اهبطوا) انزلوا من الجنة (بعضكم لبعض عدو) يعنى آدم وحواء والحية والطاوس (ولكم فى الارض مستقر) مأوى ومنزل (ومتاع) معاش (الى حين) حين الموت

﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد ﴿ يوارى سوءاتكم ﴾ التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من الشيطان وأنه اغواهم فى ذلك كما اغوى أبويهم ﴿ وريشا ﴾ ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا

عزوجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا أهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالكم ثم يستقرون فى قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ومتاع الى حين يعنى الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا ﴿ قال فيها تحيون ﴾ يعنى قال الله عزوجل لآدم وذريته وابليس وأولاده فيها تحيون يعنى فى الارض تعيشون أيام حياتكم ﴿ وفيها تموتون ﴾ يعنى وفى الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم ﴿ ومنها تخرجون ﴾ يعنى ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة * قوله عزوجل ﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ﴾ اعلم ان الله عزوجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل مايحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى الدين والدنيا فامامنفعته فى الدين فانه يستر العورة وسترها شرط فى صحة الصلاة وامامنفعته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم فقال تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى لباسا تسترون به عورتكم * فان قلت مامعنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها أحدها انه بمعنى خلق أى خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكأنه أنزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد ﴿ وريشا ﴾ الريش للطائر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وريشا يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة أيضا وقيل

(قال فيها تحيون) فى الارض (وفيها تموتون ومنها تخرجون) للثواب والعقاب تخرجون حمزة وعلى (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) جعل ما فى الارض منزلا من السماء لان أصله من الماء وهو منها (يوارى سوآتكم) يستر عوراتكم (وريشا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم

(قال فيها) فى الارض (تحيون) تعيشون (وفيها) فى الارض (تموتون ومنها) من الارض (تخرجون) يوم القيامة (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم) خلقنا لكم وأعطيناكم (لباسا) يعنى ثياب القطن وغيره من الصوف والشعر (يوارى) يغطى (سوآتكم) عوراتكم من العرى (وريشا) مالا ومتاعا يعنى آلة البيت

(ولباس التقوى) ولباس الورع الذى يقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهى (ذلك خير) كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة للمبتدأ و خير خبر المبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أى وهو لباس التقوى أى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباسا التقوى مدنى وشامى وعلى عطفا على لباسا أى وأنزلنا عليكم لباسا التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاشياء واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى من الفضيحة واشعارا بان التستر من التقوى (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) لايخدعنكم ولا يضلنكم بان لاتدخلوا الجنة كما

تمول * وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ﴿ ولباس التقوى ﴾ خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ﴿ ذلك خير ﴾ أو خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير * وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ﴿ ذلك ﴾ أى أنزال اللباس ﴿ من آيات الله ﴾ الدالة على فضله ورحمته ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح ﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان ﴾ لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم ﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ كما محن أبويكم بان أخرجهما منها والنهى

ان الرياش فى كلام العرب الاثاث وماظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أى لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا فى الخصب ورفاهية العيش ﴿ ولباس التقوى ﴾ اختلف العلماء فى معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبارا أن ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب فى الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن على رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التى يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبى هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ ذلك خير ﴾ يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وأنشدوا فى المعنى

اذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى * عريت وان وارى القميص قميص

* قوله عز وجل ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ يعنى انزال اللباس عليكم يابنى آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعنى لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكرونها * قوله عز وجل ﴿ يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لايخدعنكم

(ولباس التقوى) لباس التوحيد والعفة (ذلك) يعنى لباس العفة (خير) من لباس القطن (ذلك) يعنى لباس القطن (من آيات الله) من عجائب الله (لعلهم يذكرون) لكى يتعظوا (يا بنى آدم لايفتننكم) لا يستزلنكم (الشيطان) ابليس عن طاعتى (كما اخرج) استنزل (بغروره) (أبويكم) آدم وحواء (من الجنة

فتن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما)

فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن أتباعه والافتتان به ﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ حال من أبويكم أومن فاعل اخرج وأسناد النزع اليه للتسبب ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ﴾ تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم فى الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم

بغروره ولايضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يعنى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عزوجل بنى آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الرديئة فى قلوب بنى آدم فهذه فتنته التى نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها ❁ قوله عزوجل ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسنداليه واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفى رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزع لايكون الابعد اللبس ﴿ ليريهما سوآتهما ﴾ يعنى ليرى آدم عورة حواء ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لايرى بعضهم سوأة بعض ﴿ انه يراكم هو وقبيله ﴾ يعنى ان ابليس يراكم يابنى آدم هو وقبيله انما أعاد الكناية فى قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن أو انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أى من هو من نسله وحكى أبو عبيد عن أبى يزيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبرى قبيله يعنى صنفه وجيله الذى هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن يزيد قبيله نسله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو ولده ❁ قوله عز وجل ﴿ من حيث لاترونهم ﴾ يعنى أنتم يابنى آدم قال العلماء رحمهم الله ان الله تعالى خلق فى عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق فى عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه فى ان الانس لايرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن للانس كثافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى أبصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا فى ان نزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبنى آدم أى لاتتبعوا الشيطان فيفتنكم (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشأن والحديث (يراكم هو) تعليل للنهى وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم من حيث لاتشعرون (وقبيله) وذريته أو جنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ماهو معمول الفعل (من حيث لاترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراك من حيث لاتراه فاستعن بمن يراه من حيث لايراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار

ينزع عنهما) يخلع عنهما (لباسهما) لباس النور (ليريهما) ليظهر لهما (سوآتهما) عوراتهما (انه) يعنى ابليس (يراكم هو وقبيله) جنوده (من حيث لاترونهم) لان صدوركم مسكنهم

لنا ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية ﴿ واذا فعلوا فاحشة ﴾ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فأعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا ﴿ أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله سبحانه وتعالى ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾

قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله تعالى ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء ﴾ يعني أعوانا وقرناء ﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ قال الزجاج يعني سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا فعلوا فاحشة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو قوله عز وجل ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا أصل له والعذر الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ والمعنى ان هذه الافعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم ﴿ أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ يعني انكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿ قوله عز وجل ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء الذين

في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) أي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله أمرهم بان يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) اذ المأمورية لابد أن يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف في أصول الفقه (أتقولون على الله مالا تعلمون) استفهام انكار وتوبيخ (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء

(انا جعلنا الشياطين أولياء) أعوانا (للذين لا يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (واذا فعلوا فاحشة) حرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (قالوا وجدنا عليها) على تحريمها (آباءنا) وأجدادنا (والله أمرنا بها) بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام (قل) يا محمد (ان الله لا يأمر بالفحشاء) بالمعاصي وبتحريم الحرث والانعام (أتقولون) بل تقولون (على الله مالا تعلمون) ذلك (قل) يا محمد (أمر ربي بالقسط) بالتوحيد (يقولون)

بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط ﴿ وأقيموا وجوهكم ﴾ وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها أو أقيموها نحو القبلة ﴿ عند كل مسجد ﴾ فى كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو فى أى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم ﴿ وادعوه ﴾ واعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى الطاعة فان اليه مصيركم ﴿ كما بدأكم ﴾ كما أنشأكم ابتداء ﴿ تعودون ﴾ باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم

يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربى بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما بلا اله الا الله فالامر بالقسط فى هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ فان قلت قل أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه *قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربى بالقسط وقل وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أى واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله فى سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ماروى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال أهل الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ماروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد فى معنى الآية كما بدأكم فخلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيأ فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء

(وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقل أقيموا وجوهكم أى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فاخلصوا له العبادة

بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم) واستقبلوا بوجوهكم (عند كل مسجد) عند كل صلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) مخلصين له بالعبادة والتوحيد (كما بدأكم) يوم الميثاق سعيدا وشقيا عارفا ومنكرا مصدقا ومكذبا (تعودون) الى ذلك

﴿ فريقا هدى ﴾ بان وفقهم للايمان ﴿ وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده أى وخذل فريقا ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم ﴿ ويحسبون انهم مهتدون ﴾ يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم ﴾ ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿ عند كل مسجد ﴾ لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب

يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين أخرجه البخارى ومسلم * قوله عز وجل ﴿ فريقا هدى ﴾ يعنى هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته ﴿ وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ يعنى وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التى سبقت لهم فى الازل بانهم أشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه فى ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ يعنى ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأعوانا أطاعوهم فيما أمروهم به من الكفر والمعاصى والمعنى ان الداعى الذى دعاهم الى الكفر والمعاصى هو أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لايقدرون على اضلال أحد وقوله ﴿ ويحسبون انهم مهتدون ﴾ يعنى أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق والجاحد والمعاند فى الكفر سواء * قوله عز وجل ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أوكله * ومابدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد فى رواية أخرى عنه فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حى من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لاينبغى لى ان أطوف فى ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرنى مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله تعالى فيه ماتسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهرى ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش وأحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف فى ثوب أحمسى ويرى أنه لايحل له أن يلبس ثيابه فان لم

الكافرون (انهم) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أى انصارا (ويحسبون انهم مهتدون) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال فى الهداية والاضلال (يابنى آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيآته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزيين والتعطر كما يجب التستر والتطهر

(فريقا هدى) أكرمهم الله بالمعرفة والسعادة وهم أهل اليمين (وفريقا حق) وجب (عليهم الضلالة) أهانهم الله بالنكرة والشقاوة وهم أهل الشمال (انهم اتخذوا) يقول قد علم الله انهم يتخذون (الشياطين أولياء) أربابا (من دون الله ويحسبون) يظن أهل الضلالة (انهم مهتدون) بدين الله (يابنى آدم خذوا زينتكم) البسوا ثيابكم (عند كل مسجد) عند كل وقت صلاة وطواف

(قوله من يعيرنى الخ) فى الخطيب قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وفى روح المعانى عن ابن عباس (مجد) انه كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحمر من الذباب وهى تقول اليوم الخ لعل فى عبارة الخازن سقط مصححه

ستر العورة فى الصلاة ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ماطاب لكم روى أن بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الاقوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ﴿ ولاتسرفوا ﴾ بتحريم الحلال أو بالتعدى الى الحرام أو بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة فقال على بن الحسين بن واقد لقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ﴿ انه لايحب المسرفين ﴾ أى لايرتضى فعلهم ﴿ قل من حرم زينة الله ﴾ من الثياب وسائر مايتجمل به ﴿ التى أخرج لعباده ﴾ من النبات

يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويطوف عريانا وان طاف فى ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أى جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التى تستر العورة قال مجاهد ماىوارى عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ماىوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب فى الصلاة والطواف وفى كل حال ❁ قوله عزوجل ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ قال الكلبى كانت بنو عامر لايأكلون فى أيام حجهم الاقوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يارسول الله فانزل الله عزوجل وكلوا واشربوا يعنى الدسم واللحم ﴿ ولاتسرفوا ﴾ يعنى بتحريم مالم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولاتسرفوا وفى الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الاماخصه الشرع بدليل فى التحريم لان الاصل فى جميع الاشياء الاباحة الاماحظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل ﴿ انه لايحب المسرفين ﴾ يعنى ان الله تعالى لايحب من أسرف فى المأكول والمشروب والملبوس وفى هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف فى هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد فى الاسراف ❁ قوله عزوجل ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ﴾ يعنى قل يامحمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلى ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا فى هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء ﴿ والطيبات من الرزق ﴾

بالشروع فى الحرام أوفى مجاوزة الشبع (انه لايحب المسرفين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين ابن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولاتسرفوا فقال النصرانى ولم يرو عن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماعودته فقال النصرانى ماترك كتابكم ولانبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل مايتجمل به (التى أخرج لعباده) أى أصلها يعنى القطن من الارض والقز

(وكلوا)من اللحم والدسم (واشربوا)من اللبن (ولا تسرفوا) لاتحرموا الطيبات من الرزق واللحم والدسم (انه لايحب المسرفين) المعتدين من الحلال الى الحرام (قل) يامحمد لاهل مكة (من حرم زينة الله) لبس الثياب فى أيام الموسم والحرم والطواف (التى أخرج) يعنى الزينة خلق (لعباده والطيبات من الرزق)

من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة ومايخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيمة) لايشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهى مبتدأ خبره للذين آمنوا وفى الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أى هى خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كذلك نفصل الآيات) نميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) أنه لاشريك له (قل انما حرم ربى الفواحش) ربى حمزة الفواحش ماتفاحش قبحه أى تزايد

كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع ﴿ والطيبات من الرزق ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار ﴿ قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ﴾ بالاصالة والكفرة وأن شاركوهم فيها فتبع ﴿ خالصة يوم القيمة ﴾ لايشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال * وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم ﴿ قل انما حرم ربى الفواحش ﴾ ماتزايد قبحه وقيل مايتعلق بالفروج

يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية أقوالا أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثانى وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل مايستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا مانهى عنه وورد نص بتحريمه ﴿ قل هى للذين آمنوا ﴾ يعنى قل يامحمد ان الطيبات التى أخرج الله من رزقه للذين آمنوا ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون ﴿ خالصة ﴾ لهم ﴿ يوم القيمة ﴾ يعنى لايشركهم فيها أحد لانه لاحظ للمشركين يوم القيامة فى الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلمهم أنها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يعنى كذلك نبين الحلال مما أحللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لاشريك لى فأحلوا حلالى وحرموا حرامى * قوله عز وجل ﴿ قل انما حرم ربى الفواحش ﴾ جمع فاحشة وهى ماقبح وفحش من قول أو فعل والمعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم تحرمونه أنتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربى الفواحش من الافعال

من اللحم والدسم وقد كانوا يحرمون فى الجاهلية على أنفسهم فى أيام الموسم اللحم والدسم ويدخلون الحرم الرجال بالنهار والنساء بالليل عراة فيطوفون عراة فنهاهم الله عن ذلك (قل) يا محمد (هى) يعنى الطيبات (للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) بمحمد عليه السلام والقرآن (خالصة) خاصة (يوم القيمة) واشترك فيها فى الحياة الدنيا البر والفاجر مقدم ومؤخر (كذلك) هكذا (نفصل الآيات) نبين القرآن بالحلال والحرام (لقوم يعلمون) ويصدقون انه من الله (قل) يامحمد لهم (انما حرم ربى الفواحش) (والاقوال)

(قوله ماتزايد قبحه) يعني الفحش زيادة القبح ومايتعلق بالفروج هو الزنا اويعم الملامسة والمعانقة كفاية

﴿ماظهر منها ومابطن﴾ جهرهاوسرها﴿ والاثم ﴾ومايوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر ﴿ والبغى ﴾ الظلم أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة ﴿ بغير الحق ﴾متعلق بالبغى مؤكدله معنى ﴿ وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ تهكم بالمشركين وتنبيه

والاقوال ﴿ ماظهر منها ومابطن ﴾ يعنى علانيته وسره (ق) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاأحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن ولاأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولايرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة فى صف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴿ والاثم ﴾ يعنى وحرم الاثم واختلفوا فى الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربى الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم فى أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربى الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم أن التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار فى العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الاذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الاثم فقد قيل انه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى وقد تسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابوبكر بن الانبارى تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط فى جاهلية ولا فى اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير ﴿وقوله عز وجل ﴿ والبغى ﴾ اى وحرم البغى بغير الحق والبغى هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد فى ذلك كله ومعنى البغى بغير الحق هو أن يطلب ماليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من أن يكون بغيا ﴿ وأن تشركوا ﴾ أى وحرم أن تشركوا ﴿ بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لايجوز أن ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره

(ماظهر منها ومابطن) سرهاوعلانيتها (والاثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبغى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغى ومحل (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكى وبصرى وفيه تهكم اذلايجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك

الزنا (ما ظهر منها) يعنى زنا الظاهر (وما بطن) منها يعنى زنا السروهى المخالة (والاثم) الخمر كما قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلى

وقال ايضا

كذاك الاسم يذهب بالعقول

*شربت الاثم بالصواع جهارا

وترى الهتك بيننا مستفادا

(والبغى) الاستطالة (بغير الحق) بلا حق (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) كتابا ولاحجة

على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان ﴿ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ بالالحاد فى صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها ﴿ ولكل امة أجل ﴾ مدة أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة ﴿ فاذا جاء أجلهم ﴾ انقرضت مدتهم أو حان وقتهم ﴿ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ أى لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشـدة الهول ﴿ يا بنى آدم اما يأتينكم رسـل منكم يقصون عليكم آياتى ﴾ شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان أتيان الرسـل أمر

لان الاقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الاطلاق * فأن قات البغى والاشراك داخلان تحت الفاحشـة والاثم لان الشرك من اعظم الفـواحش واعظم الاثم وكذا البغى أيضـا من الفواحش والاثم * قلت انمـا أفردهما بالذكر للتنبيـه على عظم قبحهمـا كأنه قال من الفواحش المحرمـة البغى والشرك فكأنه بين جلته ثم تفصيله * وقوله عزوجل ﴿ وان تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ تقدم تفسيره * قوله عزوجل ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ الاجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم فى هذا الاجل المذكور فى الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى ان لكل أمـة كذبت رسلهـا وقتا معينا وأجلا مسمى أمهاهم الله الى ذلك الوقت ﴿ فاذا جاء أجلهم ﴾ يعنى فاذا حل وقت عذابهم ﴿ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يعنى فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها أقل أسماء الاوقات فى العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فاخبرهم الله تعالى أن لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثانى ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل أمة لتقارب أعمار أهل كل عصر فكانهم كالواحد فى مقدار العمر وعلى هذا القول أيضا يكون المقتول ميتا بأجله خلافا لمن يقول القاتل قطع عليه أجله * قوله عزوجل ﴿ يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم ﴾ هى ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فمن اتقى وأصلح يعنى منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبى صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب فى قوله يا بنى آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب فى قوله يا بنى آدم عام فى كل بنى آدم وانما قال منكم يعنى من جنسكم ومثلكم من بنى آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا أتاهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرة أمثاله علم ان ذلك الذى أتى به معجزة له وحجة على من خالفه ﴿ يقصون عليكم آياتى ﴾ يعنى يقرؤن عليكم كتابى وأدلة أحكامى وشرائعى التى

من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصـال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى أجـل معلوم عند الله كما نزل بالامم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون سـاعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها أقل ما يستعمل فى الامهـال (يا بنى آدم اما يأتينكم) هى ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لان ما للشـرط ولذا لزمت فعلهـا النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم يقصون عليكم آياتى) يقرؤن عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة لرسل

(وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) ذلك من تحريم الحرث والانعام والطيبات واللباس (ولكل أمة) لكل أهل دين (اجل) وقت لهلاكها (فأذا جاء أجلهم) وقت هـلاكهم (لا يستأخرون ساعة) لا يتركون بعـد الاجل طرفة عين (ولا يستقدمون) لا يهلكون قبل الاجل طرفة عين (يا بنى آدم اما يأتينكم) حين يأتينكم (رسل منكم) آدمى مثلكم (يقصون عليكم) يقرؤن عليكم (آياتى) بالامر

(شرعت)

جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه ﴿ فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾ ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ

شرعت لعبادى ﴿ فمن اتقى ﴾ يعنى فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلى ﴿ وأصلح ﴾ يعنى العمل الذى أمرته به رسلى فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى وما نهيته عنه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعنى حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ يعنى على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا ﴿ واستكبروا عنها ﴾ يعنى واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعنى لا يخرجون منها أبدا ✽ قوله عز وجل ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ يعنى فمن أعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يعنى أو كذب بالقرآن الذى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب فى اللوح المحفوظ واختلفوا فى ذلك النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم فى الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدى ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس فى رواية عنه كتب لمن يفترى على الله كذبا ان وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور فى قوله فأنذرتكم نارا تلظى وفى قوله اذ الاغلال فى أعناقهم فهذه الاشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم فى كفرهم والقول الثانى ان المراد بالنصيب المذكور فى الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية فى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال فى رواية أخرى عنه من عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم فى الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم

وجواب الشرط (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلا فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الايمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم) فمن أشنع ظلما (ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الارزاق

والنهى (فمن اتقى) آمن بالكتاب والرسول (وأصلح) فيما بينه وبين ربه (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم يحزنون) من ذهاب الجنة (والذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا وبرسولنا (واستكبروا عنها) عن الايمان بها (أولئك أصحاب النار) أهل النار (هم فيها خالدون) دائمون لا يموتون ولا يخرجون (فمن اظلم) اعتى وأجرأ على الله (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا او كذب بآياته) بمحمد عليه السلام والقرآن (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما وعدهم فى الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الاعين انظرهم يا

والاعمار (حتى اذاجاءتهم رسلنا) ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي حتى
التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذاجاءتهم رسلنا (يتوفونهم)
يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أي متوفيهم ومافي (قالوا أينما كنتم تدعون) في خط المصحف موصولة بأين وحقها أن تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (من دون الله) ليذبوا عنكم (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر (قال ادخلوا) اى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (في امم) في موضع الحال اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم (قد خلت) مضت (من قبلكم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (في النار

أي مما أثبت لهم فيه ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ أي يتوفون أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام ﴿ قالوا ﴾ جواب اذا ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ﴾ أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وماوصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ غابوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه ﴿ قال ادخلوا ﴾ أي قال الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة ﴿ في أمم قد خلت من قبلكم ﴾ أي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة ﴿ من الجن والانس ﴾ يعني كفار الامم الماضية من النوعين ﴿ في النار ﴾ متعلق بادخلوا

رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فرغ توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق أولى لانه تعالى بين أنهم وأن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا * قوله عز وجل ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لان لفظ الوفات يفيد هذا المعنى ﴿ قالوا ﴾ يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ﴾ وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لاسؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا أينما كنتم تدعون يعني شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله ﴿ قالوا ﴾ يعني الكفار مجيبين للرسل ﴿ ضلوا عنا ﴾ يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك * قوله عز وجل ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس ﴾ يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في أمم يعني في جملة أمم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد خلت من قبلكم من الجن والانس ﴿ في النار ﴾ أي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس

محمد (حتى اذا جاءتهم رسلنا) يعني ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) يقبضون أرواحهم (قالوا) عند قبض ارواحهم (اينما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله) فيمنعونكم عنا (قالوا ضلوا عنا) اشتغلوا
عنا بانفسهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) بالله وبالرسل في الدنيا (قال) الله لهم (ادخلوا) (كلما)
النار (في أمم) مع أمم (قد خلت) قد مضت (من قبلكم من الجن والانس من كفار الجن والانس (في النار

متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) شكلها في الدين أي التي ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فابدلت التاء دالا وسكنت للادغام ثم أدخلت همزة الوصل (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) يا ربنا (هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضاعفا (من النار قال لكل ضعف) للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وقالت أولاهم

﴿ كلما دخلت أمة ﴾ أي في النار ﴿ لعنت أختها ﴾ التي ضلت بالاقتداء بها ﴿ حتى اذا اداركوا فيها جميعا ﴾ أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿ قالت اخراهم ﴾ دخولا أو منزلة وهم الاتباع ﴿ لأولاهم ﴾ أي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا ﴾ سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ﴿ فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا ﴿ قال لكل ضعف ﴾ اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ ما لكم أو ما لكل فريق * وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بالياء على الانفصال ﴿ وقالت اولاهم

﴿ كلما دخلت أمة ﴾ يعني كلما دخلت جماعة النار ﴿ لعنت أختها ﴾ يعني كلما دخلت أمة النار لعنت أختها من أهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت أهل ملة النار لعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى ﴿ حتى اذا اداركوا ﴾ يعني تداركوا وتلاحقوا ﴿ فيها جميعا ﴾ يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقروا في النار ﴿ قالت أخراهم لاولاهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لاولها وقال السدي قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا ﴾ يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا سبيلهم ﴿ فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشئ مرة واحدة قال الازهري والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين فيرد تفسيره الى موضوع كلام العرب الضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة وأولى الاشياء به أن يجعل عشرة أمثاله فاقل الضعف محصور هو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية فآتهم عذابا ضعفا أي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والآخر ان يكون في معنى تضعيف الشئ أي زيادته ﴿ قال ﴾ يعني قال الله تعالى ﴿ لكل ضعف ﴾ يعني لاولاكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب * وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر ﴿ وقالت أولاهم ﴾ يعني في الكفر وهم القادة

كلما دخلت امة) اهل دين (لعنت اختها) دعت على التي دخلت قبلها (حتى اذا اداركوا فيها) اجتمعوا في النار (جميعا) الاول فالاول (قالت اخراهم) اخرى الامم (لاولاهم) لاولى الامم (ربنا هؤلاء) يعني الرؤساء (اضلونا) عن دينك وطاعتك (فآتهم عذابا ضعفا من النار) عذبهم مثل عذابنا مرتين (قال) الله لهم (لكل) لكل واحد منهم (ضعف ولكن لا تعلمون) ذلك من شدة عذابكم (وقالت اولاهم) اولى الامم

لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم و كفركم وهو من قول القادة للسفلة ولاوقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء) أى لايؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذهى فى السماء أو لايصعد لهم عمل صالح ولاتنزل عليهم البركة أو لاتصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حمزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى نقب الابرة أى لايدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لايكون والخياط والمخيط مايخاط به وهو

لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم ورتبوه عليه أى فقد ثبت ان لافضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ من قول القادة أو من قول الفريقين ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ أى عن الايمان بها ﴿ لاتفتح لهم أبواب السماء ﴾ لادعيتهم واعمالهم أو لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها * وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم * وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ﴿ ويدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾

﴿ لاخراهم ﴾ يعنى الاتباع ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾ يعنى قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل فى معنى الآية وقالت كل أمة سلفت فى الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ماحل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع وللامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكسبون ﴾ يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة * قوله عز وجل ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا ﴿ واستكبروا عنها ﴾ أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا ﴿ لاتفتح لهم أبواب السماء ﴾ يعنى لاتفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لايصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لاتفتح أبواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لاتنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لاينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شئ * قوله عز وجل ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ الولوج الدخول والجمل معروف

(لاخراهم) لاخرى الامم (فما كان لكم علينا من فضل) ان يكون عذابنا ضعفا كفرتم كما كفرنا وعبدتم من دون الله كما عبدنا فيقول الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) تقولون وتعملون من الشرك فى الدنيا (ان الذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن (واستكبروا عنها) عن الايمان بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) لرفع اعمالهم ولا لرفع ارواحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)

أى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره * وقرئ غواش على الغاء المحذوف ﴿وكذلك نجزى الظالمين﴾ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه أعظم الاجرام ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات

وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة فى هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر * جسم الجمال واحلام العصافير * وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعا وقال بعض أهل المعانى لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولج الجمل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لان العرب اذ علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القار كاللبن الحليب

* قوله عز وجل ﴿وكذلك نجزى المجرمين﴾ أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين انهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتمهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ﴿ومن فوقهم غواش﴾ جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشى اللحف ﴿وكذلك نجزى الظالمين﴾ يعنى وكذلك نكافئ ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات

(وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات

كما لا يدخل الجمل فى سم الخياط فى ثقب الابرة ويقال حتى يدخل الجمل فى خرق الابرة ويقال حتى يدخل القلس الحبل الذى تشد به السفينة فى خرق الابرة (وكذلك) هكذا (نجزى المجرمين) المشركين (لهم من جهنم مهاد) فراش من نار (ومن فوقهم غواش) غاشية من من نار (وكذلك) هكذا (نجزى الظالمين) المشركين (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما

لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ على عادته
سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين
المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم *وقرئ
لا تكلف نفس ﴿ ونزعنا مافى صدورهم من غل ﴾ أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل
أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على كرم الله وجهه انى لارجو

لانكلف نفسا الا وسعها ﴾ لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم فى الآخرة أتبعه
بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فى الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين
صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه
وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه فى ذلك وتجنبوا مانهاهم عنه لانكلف نفسا الا وسعها
يعنى لانكلف نفسا الا مايسعها من الاعمال ومايسهل عليها ويدخل فى طوقها وقدرتها
ومالاحرج فيه عليها ولاضيق قال الزجاج الوسع مايقدر عليه وقال مجاهد معناه الا
ماافترض عليها يعنى الذى افترض عليها من وسعها الذى تقدر عليه ولاتعجز عنه وقد
غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعانى ان قوله تعالى لانكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات
﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ لانكلف نفسا الا وسعها وانما حسن
وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم
الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه
للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير
تحمل كلفة ولامشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعانى هو من تمام الخبر موضعه رفع
والعائد محذوف كأنه قال لانكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به * قوله
عزوجل ﴿ ونزعنا مافى صدورهم من غل ﴾ يعنى وقلعنا وأخرجنا مافى صدور
المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا ومعنى الآية أزلنا تلك
الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين
لايحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية
الطباع واسقاط الوساوس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن على رضى الله عنه قال
فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى
عنه أيضا انه قال انى لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى
فيهم ونزعنا مافى صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ)
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت
بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده
لاحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل

(لانكلف نفسا الا وسعها) طاقتها
والتكليف الزام مافيه كلفة
أى مشقة (أولئك) مبتدأ
والخبر (أصحاب الجنة)
والجملة خبر الذين ولانكلف
نفسا الا وسعها اعتراض
بين المبتدأ والخبر (هم فيها
خالدون و نزعنا مافى
صدورهم من غل) حقد
كان بينهم فى الدنيا فلم يبق
بينهم الا التواد والتعاطف
وعن على رضى الله عنه
انى لارجو ان أكون أنا
وعثمان وطلحة والزبير منهم

بينهم وبين ربهم (لانكلف
نفسا) من الجهد (الا
وسعها) الا طاقتها (أولئك)
يعنى المؤمنين (أصحاب الجنة)
أهل الجنة (هم فيها
خالدون) دائمون لايموتون
ولايخرجون منها (ونزعنا)
أخرجنا (مافى صدورهم)
قلوبهم (من غل) بغض
وحسد وعداوة فى الدنيا

أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ لما جزاؤه هذا ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله *وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة ﴾

الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عزوجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته * قوله عزوجل ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ يعنى ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك ﴿ وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴾ يعنى وما كنا لنرشد لذلك العمل الذى هذا ثوابه لولا انه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدى من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ يعنى ان أهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما أعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة ﴾ يعنى وينادى مناد يا أهل الجنة ان هذه الجنة التى كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عزوجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عزوجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة (م) عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا

(وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) ما كنا بغير واو شامى على أنها جملة موضحة للاولى (لنهتدى لولا أن هدانا الله) اللام لتوكيد النفى أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا (ونودوا أن تلكم الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل وقيل

(تجرى من تحتهم) في الآخرة من تحت مساكنهم وسررهم (الانهار) أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (وقالوا) اذا بلغوا الى منازلهم ويقال الى عين الحيوان (الحمد لله) الشكر والمنة لله (الذى هدانا لهذا) المنزل والعين (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) اليه

يقال لما رأوا كرامة الله بالايمان قالوا الحمد لله الشكر (قاوخا ٧٠ نى) والمنة لله الذى هدانا لهذا الدين دين الاسلام وما كنا لنهتدى لدين الاسلام لولا أن هدانا الله لدينه (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) بالصدق والبشرى بالثواب والكرامة (ونودوا أن تلكم الجنة

لهم تلكم الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها مافى تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها
ميراثا لانها لاتستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث
من الميت ليس بعوض عن شئ بل هو صلة خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدى اولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما أغويتنى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (ماوعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل وجدتم ماوعد ربكم) من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على

أورثتموها) أعطيتموها (بما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا من الخيرات (ونادى أصحاب الجنة اصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا) (فى)
من الثواب والكرامة (حقا) صدقا كائنا (فهل وجدتم) يا أهل النار (ماوعد ربكم) من العذاب والهوان (حقا) صدقا كائنا (قالوا نعم

اذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات ﴿ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ اى أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة أو خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة أو المفسرة لان المناداة والتأذين من القول ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ﴾ انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة ﴿ قالوا نعم ﴾ وقرأ الكسائى بكسر العين

فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عزوجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون * قوله عزوجل ﴿ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد الاوله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد فى رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال أورثتموها يعنى ان المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثتموها عن الاعمال الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الاعمال ولا يعارض هذا القول ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المؤمن وان يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا والله أعلم * قوله عزوجل ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴾ يعنى ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار تقول أهل الجنة يا أهل النار ﴿ أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ﴾ يعنى ماوعدنا فى الدنيا على ألسنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا ﴿ فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ﴾ يعنى من العذاب على الكفر ﴿ قالوا نعم ﴾ يعنى قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا * فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض * قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار فى دار الدنيا * فان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار

(فاذن مؤذن بينهم) نادى منادوهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (ان لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكي وشامي وحمزة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهما) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيآتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين

وهما لغتان ﴿ فأذن مؤذن ﴾ قيل هو صاحب الصور ﴿ بينهم ﴾ بين الفريقين ﴿ ان لعنة الله على الظالمين ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب * وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أو اجراء اذن مجرى قال ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح ﴿ وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب ﴾ أي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنار ليمنع وصول أثر احداهما الى الاخرى ﴿ وعلى الاعراف ﴾ وعلى أعراف الحجاب أي أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره أعرف من غيره ﴿ رجال ﴾ طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله سبحانه وتعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الشهداء رضي الله تعالى عنهم أو خيار المؤمنين وعلمائهم أو ملائكة يرون

في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء أو كيف يصح ان يقع * قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب * قوله عز وجل ﴿ فاذن مؤذن بينهم ﴾ يعني نادى مناد وأعلم لان أصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد أسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم مالم يعظمه الله فاخطؤا الطريق وضلوا عن السبيل ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ يعني وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها * قوله عز وجل ﴿ وبينهما حجاب ﴾ يعني بين الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله ﴿ وعلى الاعراف رجال ﴾ الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ماسواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف الشيء المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين

(فأذن مؤذن بينهم) فنادى مناد بين أهل الجنة والنار (أن لعنة الله) عذاب الله (على الظالمين) الكافرين (الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دين الله وطاعته (ويبغونها عوجا) يطلبونها مغيرة (وهم بالآخرة) بالبعث بعد الموت (كافرون) جاحدون (وبينهما) بين الجنة والنار (حجاب) سور (وعلى الاعراف رجال) وعلى السور رجال وهم قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم ويقال هم قوم كانوا علماء فقهاء شاكين في الرزق

الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراب هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذى تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبرى بسنده الى يحيي بن غيل مولى لبنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزى أنهم قوم رضى أباؤهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبى صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أمر اصحاب الاعراف الى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذى قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانبارى وانما أجلسهم الله على ذلك المكان العالى تميزا لهم على سائر أهل القيامة

﴿ واظهارا ﴾

(يعرفون كلا)من زمرة السعداء و الاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا)أى أصحاب الاعراف(أصحاب الجنة أن سلام عليكم) انه سلام أو أى سلام وهو تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطمعون) فى دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم)أبصار أصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تلقاء) ظرف أى ناحية (أصحاب النار) ورأوا ماهم فيه من العذاب (قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين)

فى صورة الرجال ﴿ يعرفون كلا ﴾من أهل الجنة والنار ﴿ بسيماهم ﴾ بعلامتهم التى أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أو تعليم الملائكة ﴿ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم ﴾ أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى ﴿ واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ﴾نعوذ بالله ﴿ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين﴾أى فى النار

واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز أصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعنى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابى مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول أبى مجلز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بنى آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله فى ذلك المكان العالى ليميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * قوله عزوجل ﴿ يعرفون كلا بسيماهم ﴾ يعنى أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على شئ وأصله من السمة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيآتهم وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا اهل الجنة وعرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾يعنى نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى سلمتم من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذا رأوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عزوجل الى الدرجات العلية فى الجنة * وقوله عزوجل ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم * قوله عزوجل ﴿ واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ﴾ يعنى واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وماهم فيه من العذاب ﴿ قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ يعنى الذين ظلموا أنفسهم

(يعرفون كلا) كلا الفريقين من دخل النار ومن دخل الجنة (بسيماهم) يعرفون من دخل النار بسواد وجهه وزرقة عينيه ومن دخل الجنة ببياض وجهه أغر محجل (ونادوا) يعنى اهل السور (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يا أهل الجنة (لم يدخلوها)بعد (وهم يطمعون)فى الدخول يعنى أصحاب الاعراف (واذا صرفت أبصارهم)اذا نظروا(تلقاء اصحاب النار) نحو أهل النار(قالوا ربنا) يا ربنا (لاتجعلنا مع القوم الظالمين)

فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم وما نافية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق و على الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ مضمر تقديره هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم فى الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل فى صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بان لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون

﴿ ونادا أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ﴾ من رؤساء الكفرة ﴿ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ كثرتكم أو جمعكم المال ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ عن الحق أو على الخلق * وقرئ تستكثرون من الكثرة ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ﴾ من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو أوفق للوجوه الاخيرة أو فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار أقسموا ان أصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم * وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة

بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذا نظروا لاهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم * قوله عز وجل ﴿ ونادى أصحاب الاعراف رجالا ﴾ يعنى ونادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا وهم من أهل النار ﴿ يعرفونهم بسيماهم ﴾ يعنى بسيما أهل النار ﴿ قالوا ﴾ يعنى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ يعنى وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيأ قال الكلبى ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لاولئك الكفار ﴿ أهؤلاء ﴾ لفظ استفهام يعنى أهؤلاء الضعفاء ﴿ الذين أقسمتم ﴾ بالله ﴿ لا ينالهم الله برحمة ﴾ يعنى انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ بفضلى ورحمتى ﴿ لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لاصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار أهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله

الكافرين فى النار (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من الكفار (يعرفونهم) قبل دخولهم النار (بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة أعينهم (قالوا) يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا أمية بن خلف ويا أبى بن خلف الجمحى ويا أسود بن عبد المطلب وسائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) من المال والخدم (و ما كنتم تستكبرون) تتعظمون عن الايمان بمحمد عليه السلام والقرآن ثم نظروا الى أصحاب الجنة فرأوا فى الجنة سلمان الفارسى وصهيبا وعمارا وسائر الضعفاء والفقراء قالوا (أهؤلاء) الضعفاء (الذين أقسمتم) حلفتم فى الدنيا يا معشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أنوفكم ثم يقول الله لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون

مقولا لهم لا خوف عليكم ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء ﴾ أى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار ﴿ أو مما رزقكم الله ﴾ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أو من الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا ﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ﴾ كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم

برحمتهم تقول الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون * قوله عز وجل ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار فى الفرج فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات من أهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أى أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض على من الماء او مما رزقكم الله فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الآية ان أهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم فى الدنيا من الكفر والمعاصى يقول أهل النار لاهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعنى صبوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله يعنى وأطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم ﴿ ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم فى الدنيا فى لذة الأكل والشرب عذبهم الله فى الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه فى الدنيا من طلب الأكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعنى طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال الله تعالى ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ﴾ يعنى أنهم تلاعبوا بدينهم الذى شرع لهم ولهوا عنه وأصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا أى اشتغلت عنه قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المستهزؤن وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به استهزاء بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا ﴾ يعنى وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة فى اليقظة وهو طمع الانسان فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق فى الدنيا بلذاته وما هو فيه من

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء) ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك * علفتها تبنا وماء باردا * أى وسقيتها وانما سالوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) هو تحريم منع كما فى وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت أو نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) فحرموا وأحلوا ما شاؤا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحيوة الدنيا) اغتروا بطول البقاء

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا) صبوا (علينا من الماء أو مما رزقكم الله) من ثمار الجنة (قالوا) يعنى أهل الجنة (ان الله حرمهما) يعنى ثمار الجنة والماء (على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا) باطلا (ولعبا) فرحا ويقال ضحكة وسخرية (وغرتهم الحيوة الدنيا) ما فى الدنيا

(فاليوم ننساهم) نتركهم فى العذاب (كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) أى كنسيانهم وجحودهم(ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينتظرون (الا تأويله) الا عاقبة أمره ومايؤل اليه من تبيين صدقه وظهور صحة مانطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين وصح أنهم جاؤا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم

ننساهم ﴾ نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ وكما كانوا منكرين انها من عند الله ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ﴾ بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة ﴿ على علم ﴾ عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول • وقرئ فضلناه أى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك ﴿ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ حال من الهاء ﴿ هل ينظرون ﴾ هل ينتظرون ﴿ الا تأويله ﴾ الا مايؤل اليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿ يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل ﴾ تركوه ترك الناسى ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ أى قد تبين انهم جاؤا بالحق

ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال ﴿ فاليوم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ يعنى فاليوم نتركهم فى العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدى قال ابن عباس رضى الله عنهما نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسى فنتركهم فى النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض الناسى سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيأ فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم فى النار كما تركوا الايمان والعمل ﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يعنى ونتركهم فى النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون ❁ قوله عز وجل ﴿ ولقد جئناهم بكتاب ﴾ يعنى ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذى أنزلناه عليك يا محمد ﴿ فصلناه على علم ﴾ أى بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه ﴿ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أى جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون ﴿ هل ينظرون ﴾ يعنى هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجحدوها ولم يؤمنوا بها ﴿ الا تأويله ﴾ يعنى هل ينظرون ويتوقعون الا ماوعدوا به على ألسنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتأويل مايؤل اليه الشئ ﴿ يوم يأتى تأويله ﴾ يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء وماتؤل اليه أمورهم ﴿ يقول الذين نسوه من قبل ﴾ يعنى يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ أقروا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار أقروا بان الذى جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما أقروا بهذه الاشياء لانهم

من الزهرة والنعيم (فاليوم) يوم القيامة (ننساهم) نتركهم فى النار (كما نسوا) كما تركوا (لقاء يومهم هذا) الاقرار بيومهم هذا (وما كانوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (يجحدون) يكفرون (ولقد جئناهم بكتاب) يقول أرسلنا اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن (فصلناه) بيناه (على علم) بعلم منا ويقال علمناه (هدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (هل ينظرون) ما ينتظرون أهل مكة اذ لا يؤمنون (الا (شاهدوها) تأويله) عاقبة ماوعدلهم فى القرآن (يوم) وهو يوم القيامة (يأتى تأويله) عاقبة ماوعدلهم فى القرآن (يقول الذين نسوه) تركوا الاقرار به (من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (قد جاءت رسل ربنا بالحق) ببيان البعث والجنة والنار ولكن

﴿ فهل لنامن شفعاء فيشفعوا لنا ﴾ اليوم ﴿ أو نرد ﴾ أوهل نردالى الدنيا * وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا أولان أو بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل أحدالامرين الشفاعة أوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء امالاحدالامرين أولامر واحد وهو الرد ﴿ فنعمل غيرالذى كنا نعمل ﴾ جواب الاستفهام الثانى * وقرئ بالرفع أى فنحن نعمل ﴿ قد خسروا أنفسهم ﴾ بصرف اعمارهم فى الكفر ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ﴾ أى فى ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره أو فى مقدار ستة أيام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور

شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا ﴿ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غيرالذى كنا نعمل ﴾ يعنى أنه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا أن يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب أو نرد الى الدنيا فنعمل غيرالذى كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصى بالطاعة والانابة ﴿ قد خسروا أنفسهم ﴾ يعنى ان الذى طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون فى الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا فى دعواهم كاذبين * قوله عز وجل ﴿ ان ربكم الله ﴾ يعنى ان سيدكم ومالككم ومصلح أموركم وموصل الخيرات اليكم والذى يدفع عنكم المكاره هو الله ﴿ الذى خلق السموات والارض ﴾ أصل الخلق فى اللغة التقدير ويستعمل فى ابداع الشئ من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعنى أبدعهما وأنشأ خلقهما على غير مثال سبق وقدر أحوالهما ﴿ فى ستة أيام ﴾ فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال فى ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء * قلت معناه فى مقدار ستة أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعنى على مقادير البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل فى يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم فى افراده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة

(أو نرد) جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كانه قيل فهل لنا من شفعاء أوهل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيد أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أوهل نرد (فنعمل) جواب الاستفهام أيضا (غيرالذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ما كانوا يعبدونه من الاصنام (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أراد السموات والارض وما بينهما وقد فصلها فى حم السجدة أى من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيأ فشيأ وللاعلام بالتأنى فى الامور ولان لكل عمل يوما ولان إنشاء شئ بعد شئ أدل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته

كذبناهم (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب (أو نرد) الى الدنيا (فنعمل) فنؤمن ونعمل (غيرالذى كنا نعمل) فى الشرك (قد خسروا) غبنوا (أنفسهم) بذهاب الجنة ولزوم النار (وضل عنهم) اشتغل عنهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض (قا وخبا ٧١ نى) فى ستة أيام) من أيام أول الدنيا طول كل يوم ألف سنة

من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان فى صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام وقال فى آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل فى ستة أيام والذى فى الحديث ان بعض الخلق وقع فى سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارى السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبرى قال الطبرى خلق الله السموات والارض فى ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق فى يوم الجمعة وتهودت اليهود فى يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن فى السبت خلق قال أصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التى هى الارض بلا دحو ولا بسط فى يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فى يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها وأخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها فى يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم فى يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض فى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التى خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق فى ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل فى ستة أيام من أيام الدنيا * فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق فى لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة فى خلق السموات والارض فى ستة أيام وما الحكمة فى ذلك * قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء فى لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شئ حدا محدودا ووقتا

(معلوما)

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ استوى أمره أو استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك

معلوما فلا يدخل فى الوجود الا فى ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأنى فى الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عزوجل قادرا على خلق السموات والارض فى لمحة ولحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الامور كما فى الحديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيأ بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد أن يوقع فى كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل فى الخلق أبلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة والتثبت أبلغ فى الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته فى خلق الاشياء بالتثبت كما أظهر قدرته فى خلق الاشياء بكن فيكون ❁ قوله عزوجل ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ العرش فى اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن وعرش الله عزوجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملاله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسى فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقى فى كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم فى أمثال ذلك وروى بسنده عن عبدالله ابن وهب انه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبدالله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فاخرج الرجل وفى رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فامر به أن يخرج وروى البيهقى بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقى والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل

(ثم استوى) استولى (على العرش) أضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبى حنيفة ومالك رضى الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة

(ثم استوى على العرش) عمد الى خلق العرش ويقال استقر

البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى قال البغوى اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذى سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثورى والاوزاعى والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة اقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذى قررنا فى تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثانى انا نخوض فى تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ماذكره القفال فقال العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أى انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذى قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذى ألفوه من ملوكهم واستقر فى قلوبهم تنبيها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفى التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول ان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد الا بعد أكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح أن يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثانى أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن فى ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاى تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقى عن أبى الحسن الاشعرى ان الله تعالى فعل فى العرش فعلا سماه استواء كما فعل فى غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخى والتراخى انما يكون فى الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض

(أصحابنا)

﴿يغشى الليل النهار﴾ يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به أو لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار * وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال * وقرأ

أصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض أصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك ان العرب لا تقول استولى فلان على الشئ حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله أعلم * قوله عز وجل ﴿يغشى الليل النهار﴾ يعني انه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعني سريعا وذلك انه اذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه حكى الامام فخر الدين الرازي عن القفال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور المخلوقات على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في أشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية في مجاريها بأمره وقال المفسرون يعني بتسخيرهن تذليلهن لما يراد منها من

(يغشى الليل النهار) يغشي حمزة وعلي وأبو بكر أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يطلبه حثيثا) حال من الليل أي سريعا والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيه يطلب النهار (والشمس والقمر والنجوم) أي وخلق الشمس والقمر والنجوم (مسخرات) حال أي مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بأمره) هو أمر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال

(يغشى الليل النهار) يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل (يطلبه) يعني الليل النهار والنهار الليل (حثيثا) سريعا يجئ ويذهب (والشمس) وخلق الشمس (والقمر والنجوم مسخرات) مذللات (بامره) باذنه

ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ ألا له الخلق والامر ﴾ فانه الموجد والمتصرف ﴿ تبارك الله رب العالمين ﴾ تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض فى يومين أى ما فى جهة السفل فى يومين ثم أنشأ انواع المواليد

طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هى قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم فى تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر فى قوله بامره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم * فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم * قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة * قوله عز وجل ﴿ ألا له الخلق والامر ﴾ يعنى له الخلق لانه خلقهم وله أن يأمر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو نقيض النهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى ان من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا لاحد شئ وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الآمر والناهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه ﴿ تبارك الله ﴾ يعنى تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله ﴿ رب العالمين ﴾ يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك

(ألا له الخلق والامر) أى هو الذى خلق الاشياء وله الامر (تبارك الله) كثر خيره أو دام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات و منه البركة (رب العالمين

(ألا له الخلق) خلق السموات والارض (والامر) يعنى القضاء بين العباد يوم القيامة (تبارك الله) ذو بركة ويقال تعالى الله ويقال تبرأ (رب العالمين) سيد العالمين

الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام أى مع اليومين الاولين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ أى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص

ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر أشياء من عظيم خلقه وأن له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ❁ قوله عز وجل ﴿ ادعوا ربكم ﴾ قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لان الداعى لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف عن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى ﴿ تضرعا ﴾ يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته ان ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى ﴿ وخفية ﴾ يعنى سرا فى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء أن يكون خفيا لهذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا رضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله

ادعوا ربكم تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذللا وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا

ومدبرهم (ادعوا ربكم تضرعا) علانيه (وخفية) سرا ويقال تضرعا أى مستكينا وخفية أى خوفا

﴿ انه لايحب المعتدين ﴾ المجاوزين ماأمروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب مالايليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين ﴿ ولا تفسدوا فى الارض ﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ بعد اصلاحها ﴾ ببعث الانبياء

قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعنى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعاء * قوله عز وجل ﴿ انه لايحب المعتدين ﴾ يعنى فى الدعاء وقال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبدالله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال أى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شئ فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لايحب المعتدين وفرع بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات أم لافذهب بعضهم الى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها أفضل ليقتدى به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار مباينا شائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى أن اظهار العبادات المفروضات أفضل من أخفائها فالصلاة المكتوبة فى المسجد أفضل من صلاته فى بيته وصلاة النفل فى البيت أفضل من صلاته فى المسجد وكذا اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات * قوله عز وجل ﴿ ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ﴾ يعنى ولاتفسدوا أيها الناس فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال ابن عطية لاتعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعنى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولاتفسدوا فى الارض شيأ بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو افسادها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة وأخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء

(انه لايحب المعتدين) المجاوزين ماأمروا به فى كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين (ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل

(انه لايحب المعتدين) بالدعاء مالايحق لهم على الصالحين (ولاتفسدوا فى الارض) بالمعاصى والدعوة الى غير الله (بعد اصلاحها) بالطاعة والدعوة

وشرع الاحكام ﴿ وادعوه خوفا وطمعا ﴾ ذوى خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم أو لانه صفة محذوف أى أمر قريب أو على تشبيه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أو الذى هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره ﴿ وهو الذى يرسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة ﴿ نشرا ﴾ جمع نشور بمعنى ناشر * وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى

المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ماهيتها * قوله عزوجل ﴿ وادعوه خوفا وطمعا ﴾ أصل الخوف انزعاج فى الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء فى الذكر والدعاء وطمعا فى الاجابة فان قلت قال فى أول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشئ على نفسه فما فائدة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أى ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى فى بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية فى بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى أنفسكم بين الخوف والرجاء فى أعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله فى العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيهما ﴿ ان رحمة الله ﴾ أصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة عن الاحسان وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عزوجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هى ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات ﴿ قريب من المحسنين ﴾ قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التى هى الثواب فى الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان * قوله عزوجل ﴿ وهو الذى يرسل الرياح ﴾ هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وهو الذى يرسل الرياح ﴿ بشرا ﴾ قرئ نشرا بالنون

أو من النيران وفى الجنان أو من الفراق وفى التلاق أو من غيب العاقبة وفى ظاهر الهداية أو من العدل وفى الفضل (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أى شئ قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أو لان تأنيث الرحمة غير حقيقى أو للاضافة الى المذكر (وهو الذى يرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (نشرا) حمزة وعلى مصدر نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال أى منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أى

الى الله تعالى (وادعوه) اعبدوه (خوفا) منه ومن عذابه (وطمعا) اليه أن تصيروا الى جنته (ان رحمة الله) جنة الله (قريب من المحسنين) من المؤمنين المحسنين بالقول والفعل (وهو الذى يرسل الرياح بشرا) طيبا

موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان والعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير * وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وبشرى ﴿ بين يديه رحمته ﴾ قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿ حتى اذا أقلت ﴾ أى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله ﴿ سحابا ثقالا ﴾ بالماء جمعه لان السحاب

أراد جمع نشور وهى الريح الطيبة الهبوب التى تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التى تنشئ السحاب وقال ابن الانبارى النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطى فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهى التى تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة والرياح أربعة الصبا وهى الشرقية والدبور وهى الغربية والشمال وهى التى تهب من تحت القطب الشمالى والجنوب وهى القبلية وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهى القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ﴿ بين يدى رحمته ﴾ يعنى أمام المطر الذى هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانبارى رحمه الله تعالى اليدان تستعملهما العرب فى المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون فى الفتن بين يدى الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا بما اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه شيأ وبلغنى الذى سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثثت راحلتى حتى أدركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعى رضى الله عنه بطوله وأخرجه أبو داود فى المسند عنه وقال كعب الاخبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن أكثر أهل الارض * قوله عز وجل ﴿ حتى اذا أقلت سحابا ثقالا ﴾ يقال أقل فلان الشئ اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيأ يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء سمى سحابا لانسحابه فى الهواء والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيه من الماء قال السدى ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتبسطه فى السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث

ناشرة للمطر (بين يدى رحمته) أمام نعمته وهو الغيث الذى هو من أجل النعم (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القله لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) بالماء جمع سحابة

(بين يدى رحمته) قدام المطر (حتى اذا أقلت) رفعت

جمع بمعنى السحائب ﴿ سقناه ﴾ أي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ ﴿ لبلد ميت ﴾ أي لاجله أو لاحيائه أو لسقيه * وقرئ ميت ﴿ فأنزلنا به الماء ﴾ بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك ﴿ فاخرجنا به ﴾ ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما ﴿ من كل الثمرات ﴾ من كل انواعها ﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ الاشارة فيه الى اخراج الثمرات أو الى احياء البلد الميت أي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها

يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائز انظرا الى اللفظ قال الازهري رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة ﴿ فانزلنا به الماء ﴾ اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانباري جائز أن يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء ﴿ فاخرجنا به ﴾ يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت ﴿ من كل الثمرات ﴾ يعني وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدبه من أصناف الثمار والزروع ﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ يعني كما أحيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض به وقيل

(سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وحمزة وعلي وحفص (فانزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى

(سحابا ثقالا) ثقيلا بالماء (سقناه لبلد) الى مكان (ميت) لانبات فيه (فانزلنا به) بالمكان الميت (الماء فاخرجنا به) بالمطر (من كل الثمرات) من الوان الثمرات (كذلك) كما نحيي الارض بالنبات (نخرج الموتى) نحيي ونخرج

بعد جمها وتطريتها بالقوى والحواس ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا ﴿ والبلد الطيب ﴾ الارض الكريمة التربة ﴿ يخرج نباته باذن ربه ﴾ بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه أوقعه فى مقابلة ﴿ والذى خبث ﴾ كالحرة والسبخة ﴿ لايخرج الانكدا ﴾ قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا * وقرئ يخرج أى يخرجه البلد

اعاوقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما أحيا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد ان كانوا أمواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ الخطاب لمنكرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهى مزهرة مورقة مثمرة فى أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى أحياها مرة أخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ماوصفت من التشبيه والتمثيل لكى تعتبروا وتتذكروا وتعلموا أن من فعل ذلك كان هو الذى يعيد ويحيي * قوله عز وجل ﴿ والبلد الطيب ﴾ يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة ﴿ يخرج نباته باذن ربه ﴾ يعنى اذا اصابه مطر اخرج نباته بأذن الله عز وجل ﴿ والذى خبث لايخرج ﴾ يعنى والبلد الذى خبث أرضه فهى سبخة لايخرج يعنى لايخرج نباته ﴿ الا نكدا ﴾ يعنى عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لاتنجز الوعد ان وعدت وان * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعنى بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها أخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لاينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لاينتفع به ولايصدقه ولايزيده الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولاينتفع بها فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التى خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل مابعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم

لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذلافرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعادة الشئ بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض الطيبة التراب (يخرج نباته باذن ربه) بتيسيره وهو موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة نكدا (والذى خبث) صفة للبلد أى والبلد الخبيث (لايخرج) أى نباته فحذف للاكتفاء (الانكدا) هو الذى لاخير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لايؤثر فيه شئ من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثر مثل ذلك المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد

الموتى من القبور (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا (والبلد الطيب) المكان الزاكى الذى ليس بسبخة (يخرج نباته باذن ربه) بارادة ربه بلا كد ولاعناء كذلك المؤمن المخلص يؤدى ما أمر الله طوعا بطيبة النفس (والذى خبث) المكان الخبيث السبخة (لايخرج نباته (الا نكدا) الابتعب

فيكون الانكدا مفعولا ونكداعلى المصدرأى ذانكد ونكدابالاسكان للتخفيف ﴿ كذلك نصرف الآيات ﴾ نرددها ونكررها ﴿ لقوم يشكرون ﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه ﴾ جواب قسم محذوف ولا تكادتطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس أول نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أوأربعين

كمثل غيث أصاب أرضافكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله عزوجل ونفعه مابعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذى أرسلت به أخرجاه فى الصحيحين * قوله عزوجل ﴿ كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ يعنى كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن * قوله عزوجل ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه ﴾ اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر فى الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وماجرى لهم مع أممهم وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد أعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك فى الدنيا وفى الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفى ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لايقرأ ولايكتب ولم يلق أحدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى لقد أرسلنا نوحا الى قومه لقد أرسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى أرسلنا بعثنا وهو أول نبى بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن

(كذلك) مثل ذلك التصرف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لقد أرسلنا) جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا (نوحا الى قومه) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام

وعناء (كذلك) المنافق لايؤدى ماامر الله الا كرها بغير طيبة النفس (نصرف الآيات) نبين القرآن فى مثل المؤمن والكافر (لقوم يشكرون) يؤمنون (لقد أرسلنا نوحا الى قومه

(فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) غيره على فالرفع على المحل كانه قيل مالكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملأ) أى الاشراف والسادة (من قومه انا لنراك فى ضلال مبين) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال ياقوم ليس بى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كانه قال ليس بى شئ من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفى الضلالة فقال (ولكنى رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربى) ما أوحى الى فى الاوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأنصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك

﴿ فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ أى اعبدوه وحده لقوله تعالى ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا أو بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من تخفض *وقرئ بالنصب على الاستثناء ﴿ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان ﴿ قال الملأ من قومه ﴾ أى الاشراف فانهم يملأون العيون رواء ﴿ انا لنراك فى ضلال ﴾ فى زوال عن الحق ﴿ مبين ﴾ بين ﴿ قال ياقوم ليس بى ضلالة ﴾ أى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ﴿ ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله سبحانه وتعالى ﴿ أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم

خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا فى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ ياقبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتنى أم عبت الكلب ﴿ فقال ﴾ يعنى نوحا لقومه ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى اعبدوا الله تعالى فانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذى يستوجب أن يعبد ﴿ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ يعنى ان لم تقبلوا ما آمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذى خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انما قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة ﴿ قال الملأ ﴾ وهم الجماعة الاشراف ﴿ من قومه انا لنراك ﴾ يعنى يانوح ﴿ فى ضلال مبين ﴾ يعنى فى خطأ وزوال عن الحق بين ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا ﴿ ياقوم ليس بى ضلالة ﴾ يعنى ما بى ما تظنون من الضلال ﴿ ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ يعنى هو أرسلنى اليكم لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله ﴿ أبلغكم رسالات ربى ﴾ يعنى بتحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به ﴿ وأنصح لكم ﴾ يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحرى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم الى الوجه الاصلح

فقال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أدعوكم اليه (انى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب (والا) اعلم ان يكون عليكم (عذاب يوم عظيم) ان لم تؤمنوا (قال الملأ) الرؤساء (من قومه انا لنراك) يانوح (فى ضلال مبين) فى خطأ بين فيما تقول (قال ياقوم ليس بى ضلالة) سفاهة (ولكنى رسول من رب العالمين) اليكم (أبلغكم رسالات ربى) بالامر والنهى (وأنصح لكم) أحذركم من العذاب وأدعوكم الى التوبة والايمان

مما تريده لنفسك أوالنهاية فى صدق العناية (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه
على أعدائه وان بأسه لايردعن القوم المجرمين (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو
للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولوشاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم) ليحذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه) فنسبوه الى الكذب فأنجيناه (والذين معه) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به

(وأعلم من الله مالا تعلمون) من العذاب ان لم تؤمنوا (أو عجبتم) بل عجبتم (أن جاءكم) بان جاءكم (ذكر) نبوة (من ربكم على رجل منكم) آدمى مثلكم (لينذركم)
يخوفكم (ولتتقوا) لكى تطيعوا الله فتتقوا عبادة غير الله (ولعلكم ترحمون) لكى ترحموا فلا تعذبوا (فكذبوه)
يعنى نوحا (فأنجيناه والذين معه

وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ صفات لرسول أواستئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا * وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام أولان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى أعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحى أشياء لاعلم لكم بها ﴿ أوعجبتم ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أى أكذبتم وعجبتم ﴿ ان جاءكم ﴾ من أن جاءكم ﴿ ذكر من ربكم ﴾ رسالة أو موعظة ﴿ على رجل ﴾ على لسان رجل ﴿ منكم ﴾ من جملتكم أو من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ﴿ لينذركم ﴾ عاقبة الكفر والمعاصى ﴿ ولتتقوا ﴾ منهما بسبب الانذار ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وان المتقى ينبغى ان لايعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى ﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه ﴾ وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل

والاصوب لكم وأدعوكم الى مادعانى اليه وأحب لكم ما أحب لنفسى قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التى أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو أن يرغبهم فى قبول تلك الاوامر والنواهى والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه ﴿ وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ يعنى وأعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعه على سر من أسراره فقال وأعلم من الله مالا تعلمون ﴿ أوعجبتم ﴾ الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أكذبتم وعجبتم ﴿ أن جاءكم ذكر من ربكم ﴾ يعنى وحيا من ربكم ﴿ على رجل منكم ﴾ تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذى أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التى جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أى مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع ﴿ لينذركم ﴾ يعنى جاءكم لاجل أن ينذركم ﴿ ولتتقوا ﴾ أى ولاجل أن تتقوا ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل مالا ينبغى والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة فى الدار الآخرة ﴿ فكذبوه ﴾ يعنى فكذبوا نوحا ﴿ فأنجيناه ﴾ يعنى من الطوفان والغرق ﴿ والذين معه ﴾ يعنى من آمن من قومه معه

تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به ﴿ فى الفلك ﴾ متعلق بمعه أو بانجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير فى معه ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان ﴿ انهم كانوا قوما عمين ﴾ عمى القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف * وقرئ عامين والاول أبلغ لدلالته على الثبات ﴿ والى عاد أخاهم ﴾ عطف على نوحا الى قومه ﴿ هودا ﴾ عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم ياأخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب فى اقتفائه ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم ﴿ أفلا تتقون ﴾ عذاب الله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح

﴿ فى الفلك ﴾ يعنى فى السفينة ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم مافى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق * قوله عز وجل ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ أى وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهى عاد الاولى أخاهم هودا يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد ابن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم فى الدين ثم اختلفوا فى سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا فى تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بنى آدم ومن جنسهم لامن الملائكة ويكفى هذا القدر فى تسمية الاخوة والمعنى انا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثانى أنه أخاهم يعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذى عند عمان وحضرموت (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أى اعبدوا الله وحده ولاتجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله فى قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح فى المبالغة فى الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (أفلا تتقون) يعنى أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ماحل بهم من الغرق حسن قوله هنا أفلا تتقون

(فى الفلك) يتعلق بمعه كانه قيل والذين صحبوه فى الفلك (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين) عن الحق يقال أعمى فى البصر وعم فى البصيرة (والى عاد) وأرسلنا الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يأخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كما فى قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم

فى الفلك) فى السفينة من الغرق والعذاب (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا نوح (انهم كانوا قوما عمين) عن الهدى كافرين بالله (والى عاد) وأرسلنا الى عاد (أخاهم) نبيهم (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى أدعوكم اليه (أفلا تتقون) عبادة

اعبدوالله وكذلك (قال الملأ الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (انالنراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى انه متمكن فيها غيرمنفك عنها (وانالنظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح) فيما ادعوكم اليه (أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا وأنالكم ناصح أمين لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على مايكون منهم

عليه السلام ولذلك قال ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد ﴿انا لنراك في سفاهة﴾ متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك ﴿وانالنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنالكم ناصح أمين

يعنى أفلا تخافون مانزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه انالنراك في سفاهة﴾ يعنى انالنراك ياهود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا له انالنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا له انالنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قال له قومه عند ذلك انالنراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة ﴿وانالنظنك من الكاذبين﴾ يعنى في ادعائك انك رسول من عند الله ﴿قال﴾ يعنى قال هود لهؤلاء الملأ الذين نسبوه الى السفه ﴿ياقوم ليس بي سفاهة﴾ يعنى ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ يعنى اليكم ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ يعنى أؤدي اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه ﴿وأنالكم ناصح﴾ يعنى فيما آمركم به من عبادة الله عزوجل وترك عبادة ماسواه ﴿أمين﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامين الثقة على ما ائتمن عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأنصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنالكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأنصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وأنالكم ناصح أمين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وانالنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان

غيرالله (قال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه انالنراك) ياهود (في سفاهة) في جهالة (وانا لنظنك من الكاذبين) (قا و خا ٧٣ ني) فيما تقول (قال ياقوم ليس بي سفاهة) جهالة (ولكني رسول من رب العالمين) اليكم (أبلغكم رسالات ربي) بالامر والنهي (وأنالكم ناصح) أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوبة والايمان (أمين) على رسالة ربي ويقال قد كنت أمينا فيكم قبل هذا فكيف تتهموني

(أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو فى مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم فى الخلق بسطة) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى نحو انى والآناء (لعلكم تفلحون)

ومعنى المجىء فى (قالوا أجئتنا) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قدوقع) اى قد نزل (عليهم) جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴿ سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وانا لكم ناصح أمين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين * وقرأ ابو عمرو ابلغكم فى الموضعين فى هذه السورة والاحقاف مخففا ﴿ واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ أى فى مساكنهم أو فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه ﴿ وزادكم فى الخلق بسطة ﴾ قامة وقوة ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ وهو تعميم بعد تخصيص ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا فى التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجىء فى أجئتنا اما المجىء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فيه ﴿ قال قدوقع عليكم ﴾ قد وجب أو حق أو نزل عليكم

نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها ﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾ يعنى أعجبتم أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه ﴿ واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ يعنى واذكروا نعمة الله عليكم اذ أهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم فى الارض ﴿ وزادكم فى الخلق بسطة ﴾ يعنى طولا وقوة قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ يعنى نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ يعنى لكى تفوزوا بالفلاح وهو البقاء فى الآخرة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال قوم هود مجيبين له ﴿ أجئتنا ﴾ ياهود ﴿ لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ يعنى من الاصنام ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ يعنى من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ يعنى فى قولك انك رسول الله ﴿ قال ﴾ يعنى قال هود مجيبا لهم ﴿ قد وقع ﴾ يعنى نزل ووجب ﴿ عليكم

اليوم (أوعجبتم) بل عجبتم (أن جاءكم) بان جاءكم (ذكر) نبوة (من ربكم على رجل منكم) آدمى مثلكم (لينذركم) ليخوفكم من عذاب الله (واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) من بعد هلاك قوم نوح (وزادكم فى الخلق) فى الطول (من) والجسم (بسطة) فضيلة (فاذكروا آلاء الله) نعماء الله وآمنوا به (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر) نترك (ما كان يعبد آباؤنا) من آلهة شتى (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين قال قدوقع) وجب (عليكم

(من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلونني في اسماء سميتوها) في اشياء ماهي الا اسماء ليس تحتها مسمياة لانكم تسمون الاصنام آلهـة و هي خالية عن معـنى الالوهيـة (انتم وآبائكم مانزل الله بهـا من سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب (اني معكم من المنتظرين) ذلك (فانجيناه والذين معه) أي من آمن به (برحمة منا وقطعنـا دابر الذين كذبوا بآياتنـا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشئ و قطـع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين و قصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عنـد بيتـه الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام وأهل مكة اذ ذاك العمـاليق أولاد عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح وسـيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظـاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسـقوا حـتى تؤمنـوا بهـود فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسـوداء ثم ناداه منـاد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء عـلى ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا

على ان المتوقع كالواقع ﴿ من ربكم رجس ﴾ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب ﴿ وغضب ﴾ ارادة انتقـام ﴿ أتجادلونني في أسمـاء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سـلطان ﴾ أي في أشـياء سميتموها آلهة وليس فيها معـنى الالهية لان المستحق للعبـادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو بنصب حجـة بين ان منتهى حجتهم وسـندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسمـاء مخترعة لم ينزل الله بها سلطـانا وضعفهما ظـاهر ﴿ فانتظروا ﴾ لما وضح الحق وانتم مصرون على العنـاد نزول العذاب ﴿ اني معكم من المنتظـرين فانجيناه والذين معه ﴾ في الدين ﴿ برحمة منـا ﴾ عليهم ﴿ وقطعنـا دابر الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي استأصلناهم ﴿ وما كانوا مؤمنين ﴾

من ربكـم رجس وغضب ﴾ أي عـذاب وسخـط ﴿ أتجـادلونني ﴾ يعـني أتخـاصمونني ﴿ في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ يعـني وضعتم لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنـام بالآلهة وذلك معدوم فيها ﴿ ما نزل الله بها من سلطان ﴾ يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل ﴿ فانتظروا ﴾ يعني العذاب ﴿ اني معكم من المنتظـرين ﴾ يعني نزول العذاب بكم ﴿ فانجيناه ﴾ يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه ﴿ والذين معه برحمة منا ﴾ يعني وأنجينا اتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة ﴿ وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد ﴿ وما كانوا مؤمنين ﴾ يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

(ذكر قصة عاد على ماذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والاخبار)

قالوا جميعا كانت منازل عاد وجاءتهم حين بعث الله تعـالى فيهم هودا عليه الصلاة والسلام الاحقـاف والاحقاف الرمل فيمـا بين عمـان وحضرموت من أرض اليمن وكانوا

من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط من ربكم (أتجادلونني) أتخاصمونني (في أسماء) في أصنام (سميتموها أنتم وآباؤكم) آلهة (ما نزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) من كتاب ولا حجة (فانتظروا) اهلاكي (اني معكم من المنتظرين) لهلاككم (فأنجيناه) يعني هودا (والذين معه برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنـا) أي استأصلنا الذين كذبوا بكتابنـا ورسولنـا هود (وما كانوا مؤمنين) وكلهم كانوا كافرين الذين أهلكوا

تعريض عن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا اخواله

قد فسقوا فى الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا فى الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية وأتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم كان عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيبرى وهو رجل من عاد وكانت عاد أخوال معاوية سيد العماليق فلما قحطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صندين بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون على والله ماأدرى كيف أصنع فانى أستحى ان آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا انه ضيق منى بمكانهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا

واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيا ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما
فيسقى ارض عادان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما

حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله

تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عادان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ماغنتا به قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه عند ذلك وقال فى ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء

زاد فى رواية

لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
وانى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أو ياتى الفناء

فقال جلهمة بن الخيبرى مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعد انك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن

لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنالا يقدم معنا مكة فانه قداتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم

سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولاتدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعو فقال اللهم أعط قيلا ماسألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان ابن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا ياالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فاناقد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لايبقى من آل عاد أحدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مرت به بامر ربها وكان أول من أبصر مافيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت مافيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان أفاقت قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحدا الا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة مايصيبه ومن معه من الريح الا ماتلين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها فى قوتها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينماهم عنده اذ أقبل اليه رجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطيربهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر فالقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع

منهاريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود عليه السلام والمؤمنون معه فاتوا امكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا ﴿ والى ثمود ﴾ قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل * وقرئ مصروفا بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى ﴿ أخاهم صالحا ﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر ابن ثمود ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ معجزة

لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان ابن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غير أنه لاسبيل الى الخلود ولابد من الموت فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم أعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه مايصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا أبالى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فاصابه الذى أصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما أهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت فى كثيب أحمر وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البقعة ويروى ان كل نبى من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها * قوله عز وجل ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا ﴾ يعنى وأرسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس ابن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى ثمود أخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم أبيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا يعنى فى النسب لا فى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر ابن ثمود ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم ياقوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيأ فمالكم من اله يستحق أن يعبد سواه ﴿ قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ يعنى جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول

(والى ثمود) وارسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر ومنع الصرف بتأيل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكانه قيل ما هذه البينة

(والى ثمود) وارسلنا الى ثمود (أخاهم) نبيهم ويقال كان أخاهم فى النسب ولم يكن أخاهم فى الدين (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى آمركم أن تؤمنوا به (قد جاءتكم بينة من ربكم) بيان

فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة فى هذه كانه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية وهى ثمود لانهم عاينوها (فذروها تأكل فى أرض الله) أى الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فيأخذكم) جواب النهى (عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) ونزلكم المباءة المنزل (فى الارض) فى أرض الحجر بين الاحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) غرفا للصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثواب قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله

ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية ﴿ فذروها تأكل فى ارض الله ﴾ العشب ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر ﴿ فيأخذكم عذاب اليم ﴾ جواب للنهى ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض ﴾ ارض الحجر ﴿ تتخذون من سهولها قصورا ﴾ أى تبنون فى سهولها أو من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ﴿ وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة أو المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون ﴿ فاذكروا آلاء الله

وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيأ وعلى تصديق بانى رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ يعنى علامة على صدقى قال العلماء رحمهم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة انها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها الا من ذكر ولا من أنثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة أيضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها فى يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما أضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح ﴿ فذروها تأكل فى أرض الله ﴾ يعنى فذروا الناقة تأكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم فى أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ يعنى ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من أنواع الاذى ولا تعقروها ﴿ فيأخذكم عذاب أليم ﴾ يعنى بسبب عقرها وأذاها ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ يعنى ان الله أهلك عادا وجعلكم تخلفونهم فى الارض وتعمرونها ﴿ وبوأكم ﴾ يعنى وأسكنكم وأنزلكم ﴿ فى الارض تتخذون من سهولها قصورا ﴾ يعنى تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين ﴿ وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء وهذا يدل على أنهم كانوا متنعمين مترفهين ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ أى

من ربكم (هذه ناقة الله لكم آية) علامة على رسالة الله (فذروها) اتركوها (تأكل فى أرض الله) الحجر من عشبها (ولا تمسوها بسوء) بعقر (فيأخذكم عذاب اليم) بعد عقرها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء) مستخلفين فى الارض (من بعد عاد) من بعد هلاك عاد (وبوأكم) أنزلكم (فى الارض تتخذون من سهولها) تبنون من طينها (قصورا) للصيف (وتنحتون الجبال) فى الجبال (بيوتا) للشتاء (فاذكروا) (فاذكروا آلاء الله)

ولاتعثوا في الارض مفسدين) روى ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها في الارض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤا فآمن به جندع ورهط من قومه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) وقال شامي (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على ان البدل حيث جاء كان في تقدير اعادة العامل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم (قا و خا ٧٤ نى) وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا

ولاتعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أى عن الايمان ﴿للذين استضعفوا﴾ أى للذين استضعفوهم واستذلوهم ﴿لمن آمن منهم﴾ بدل من للذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو ﴿أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿قالوا انا بما أرسل به مؤمنون﴾ عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال ﴿قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون﴾ على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما ﴿فعقروا الناقة﴾ فنحروها أسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لانه كان برضاهم ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ واستكبروا عن امتثاله

فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها ﴿ولاتعثوا في الارض مفسدين﴾ قال قتادة معناه ولاتسيروا في الارض مفسدين فيها والعثو أشد الفساد وقيل اراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهى عن جميع أنواع الفساد ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ يعنى قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح ﴿للذين استضعفوا﴾ يعنى المساكين ﴿لمن آمن منهم﴾ يعنى قال الاشراف المتعظمون فى أنفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه ﴿أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه﴾ يعنى ان الله أرسله الينا واليكم ﴿قالوا انا بما أرسل به مؤمنون﴾ يعنى قال الضعفاء انا بما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون ﴿قال الذين استكبروا﴾ يعنى عن أمر الله والايمان به وبرسوله صالح ﴿انا بالذى آمنتم به كافرون﴾ أى جاحدون منكرون ﴿فعقروا الناقة﴾ يعنى فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ أى تكبروا عن أمر

نعماء الله وآمنوا به (ولاتعثوا في الارض مفسدين) لاتعملوا في الارض بالمعاصى والدعاء الى غير الله (قال الملأ) الرؤساء (الذين استكبروا) عن الايمان (من قومه للذين استضعفوا) قهروا (لمن آمن منهم) من الضعفاء (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا انا بما أرسل به) صالح (مؤمنون) مصدقون (قال الذين استكبروا) عن الايمان (انا بالذى آمنتم به كافرون) جاحدون (فعقروا الناقة) قتلوها (وعتوا عن أمر ربهم) أبوا عن قبول أمر ربهم الذى أمرهم

وهو مابلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها ﴿ وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة ﴿ فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لاتفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال أى آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتوى ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذا نفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا

ربهم وعصوه والعتو الغلو فى الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره فى الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام ﴿ وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ﴾ يعنى من العذاب ﴿ ان كنت من المرسلين ﴾ يعنى ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رسله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين فى كل ما أخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى ﴿ فاخذتهم الرجفة ﴾ قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هى الصيحة فيحتمل أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى ﴿ فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ يعنى فاصبحوا فى أرضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب أى بلد الحرب ودار بنى فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع فى آية أخرى فقال فى ديارهم لانه أراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكين وقوله جاثمين يعنى باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض فى حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم أصبحوا جاثمين على وجوهم موتى

وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فاصبحوا فى دارهم) أو مساكنهم (جاثمين) ميتين قعودا يقال الناس جثم أى قعود لاحراك بهم فى بلادهم لايتكلمون

صالح (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) استهزاء به (فاخذتهم الرجفة) الزلزلة والصيحة بالعذاب (فاصبحوا فى دارهم) فصاروا فى مدينتهم (جاثمين) ميتين لايتحركون

بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا ﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ﴾ ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم

لايتحركون ﴿ فتولى عنهم ﴾ يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على أنه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم ﴿ وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ﴾ وهذا الخطاب لايليق الا بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح وفيه فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ماأنتم باسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها

ذكر قصة ثمود على ماذكره محمد بن سحق ووهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السير والاخبار

قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان أحدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا القليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا على مايقول فقال صالح أي آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم من السنة وقالوا تدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها ان لايستجاب لصالح في شئ ممايدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة

(فتولى عنهم) لما عقروا الناقة (وقال ياقوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث ويصيبكم العذاب في الرابع وكان كذلك روى أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم

(فتولى عنهم) خرج من بينهم صالح قبل ان يهلكوا (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي) بالامر والنهي (ونصحت لكم) حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم الى التوبة والايمان (ولكن لاتحبون الناصحين)

لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكلت البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم قول فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عزوجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوا ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عزوجل عظماً وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقباً مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو ابن لبيد والحباب وكانا صاحبي أوثانهم ورباب بن صمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل مافيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتتفحج لهم فيحلبون ماشاؤا منها من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحديهما عنيزة بنت غانم بن مخلد وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج ابن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وجها وأكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أحمر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار أي بناتي شئت أعطيتك على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة قوله انبعث أي قام بسرعة والعارم الخبيث

(الشرير)

الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن أراده وقل أصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستنفروا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها ليراها قدار ثم حثته على عقرها وأغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج أهل البلد فاقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا يقال له صبور وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يانبي الله انما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فاوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ماتناله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج وأخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانزله وألقوا لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليقتلوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لاتقتلوه أبدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم وراء ماتريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل

ويكنى بابى هدب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدروا عليه وكانوا عمدوا الى أصحاب صالح ليعذبوهم فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبونا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا أباهدب فكلموه في أمر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم مانزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وأيقنوا أنه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصبحوا في اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا وألقوا بانفسهم الى الارض يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لايدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه الصلاة والسلام فاطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب وماأصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى أتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال * وذكر السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لايولد لنا في هذا الشهر ولد الاقتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر أولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له أحمر أزرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه وأهله وقالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلنا فنقول ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لاينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا أصبح أتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على أمرهم لينظروا مافعل أولئك النفر فرأوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون مارضي صالح بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع

﴿ ولوطا ﴾ أى وارسلنا لوطا ﴿ اذقال لقومه ﴾ وقت قوله لهم أو واذكر لوطا واذ بدل منه ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾

أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا مانصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها ﴿ ق ﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ماأصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادى * وفى رواية لمسلم لاتدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله * ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا مااستقوه ويعلفوا الابل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة * وللبخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر فى غزوة تبوك أمرهم أن لايشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفى بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج أصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبى رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حاضوراء وقال قوم من أهل العلم توفى صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام فى قومه عشرين سنة * قوله عز وجل ﴿ ولوطا ﴾ يعنى وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يامحمد لوطا وهو لوط بن هاران ابن تارخ وهو ابن أخى ابراهيم وابراهيم عمه ﴿ اذقال لقومه ﴾ يعنى أهل سدوم واليهم كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى الشام فنزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الاردن أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ يعنى أتفعلون الفعلة الخسيسة التى هى غاية فى القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران فى أدبارهم ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾

(ولوطا اذقال لقومه) أى واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بهـا) ماعملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه والسلام سبقك بها عكاشة (من احد) من زائدة لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق (من العالمين) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها و قوله تعالى

لم تطيعوا الناصحين (ولوطا) وأرسلنا لوطا الى قومه (اذقال لقومه أتأتون الفاحشة) يعنى اللواطة (ماسبقكم بها) بهذا العمل (من أحد) أحد (من العالمين) قبلكم

مافعلها قبلكم احدقط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ * وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ أو عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف ﴿وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم﴾ أى ماجاؤا بما يكون

من الاولى زائدة لتوكيد النفى وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ماسبقكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفى هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار مانزا ذكر على ذكر فى الدنيا الا كان من قوم لوط ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ يعنى فى أدبارهم ﴿شهوة من دون النساء﴾ يعنى ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء ﴿بل أنتم﴾ يعنى أيها القوم ﴿قوم مسرفون﴾ أى مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشئ فى غير محله وموضعه الذى خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التى هى مقصودة بتلك الشهوة المركبة فى الانسان * وكانت قصة قوم لوط على ماذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لاينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبى ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس فى صورة شاب أمرد فدعا الى نفسه فكان أول من نكح فى دبره فامر الله تعالى السماء أن تحصبهم والارض ان تخسف بهم * قوله عز وجل ﴿وما كان جواب قومه﴾ يعنى وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث ﴿الا أن قالوا﴾ يعنى قال بعضهم لبعض ﴿أخرجوهم من قريتكم﴾

للانكار انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له أى الاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية (من دون النساء) أى لا من النساء (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ فمن ثمه اسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) أى لوطا ومن آمن معه يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذى هو أصل الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لايتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم

(انكم لتأتون الرجال) أدبار الرجال (شهوة) أشهى لكم (من دون النساء) من فروج النساء (بل أنتم قوم مسرفون) فى الشرك معتدون الحلال الى الحرام (وما كان جواب قومه) (يعنى) لم يكن جواب قومه (الا أن قالوا) قال بعضهم لبعض (أخرجوهم) يعنى لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريتكم) من مدينتكم

جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا ﴿ انهم اناس يتطهرون ﴾ أى من الفواحش ﴿ فانجيناه وأهله ﴾ أى من آمن به ﴿ الاامرأته ﴾ واهلة فانها كانت تسر الكفر ﴿ كانت من الغابرين ﴾ من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور ﴿ وامطرنا عليهم مطرا ﴾ أى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارت على مسافريهم ﴿ والى مدين اخاهم شعيبا ﴾ أى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم خليل الله شعيب بن ميكيل

يعنى اخرجوا لوطا وأتباعه وأهل دينه من بلدكم ﴿ انهم أناس يتطهرون ﴾ يعنى انهم أناس يتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصى والآثام يسمى طهارة فمن تباعد عنهما فقد تطهر فلهذا قال انهم أناس يتطهرون أى من فعل المعاصى والآثام ﴿ فانجيناه وأهله ﴾ يعنى فانجينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله ابنتاه ﴿ الاامرأته ﴾ يعنى زوجته ﴿ كانت من الغابرين ﴾ يعنى كانت من الباقين فى العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ يعنى حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال فى العذاب أمطرت وفى الرحمة مطرت ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ يعنى انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام بادخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا بما جرى على أولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة * قوله عز وجل ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا ﴾ يعنى وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال وبنو تميم بنو عدى وبنو أسد وقيل مدين اسم للماء الذى كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم شعيبا يعنى فى النسب لا فى الدين وشعيب هو ابن ثويب

رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فانجيناه وأهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين (الاامرأته كانت من الغابرين) من الباقين فى العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدين) وأرسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه

انهم ناس يتطهرون) (يتنزهون عن أدبار الرجال والنساء (فانجيناه) يعنى لوطا (وأهله) ابنتيه زعورا وريثا (الاامرأته كانت من الغابرين) صارت من المتخلفين بالهلاك (وأمطرنا عليهم) أنزلنا على مسافريهم وشذاذهم (مطرا) حجارة من السماء (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المجرمين) صار آخر امر المشركين (قاو خا ۷۵ نى) بالهلاك (والى مدين) وارسلنا الى مدين (أخاهم) نبيهم (شعيبا)

وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) أى معجزة وان لم تذكر في القرآن (فأوفوا الكيل والميزان) أتموهما والمراد فاوفوا الكيل ووزن الميزان أو يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) ولاتنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شئ فى مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أى نقصته اياه (ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها أى لاتفسدوا فيها بعد ماأصلح فيها الصالحون من الانبياء والأولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار أى بل مكركم فى الليل والنهار (ذلكم) اشارة الى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد فى الارض (خير لكم) فى الانسانية وحسن الاحدوثة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لى فى

ابن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماهى وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع فتأخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى اوارهاصا لنبوته ﴿ فاوفوا الكيل ﴾ أى آلة الكيل على الاضمار أو اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله ﴿ والميزان ﴾ كما قال فى سورة هود فاوفوا المكيال والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ﴿ ولاتبخسوا الناس اشياءهم ﴾ ولاتنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيئا الامكسوه ﴿ ولاتفسدوا فى الارض ﴾ بالكفر والحيف ﴿ بعد اصلاحها ﴾ بعدما اصلح امرها واصلحها الانبياء واتباعهم بالشرائع أو اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ﴿ ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا أو فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال

ابن بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس فى المكيال والميزان ﴿ قال ﴾ يعنى شعيب ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ يعنى قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ماأقول وصدق ماأدعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لابد لكل نبى من معجزة تدل على صدق ماجاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التى كانت لشعيب لم تذكر فى القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة فى القرآن وقيل أراد بالبينة مجئ شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينة الموعظة وهى قوله ﴿ فاوفوا الكيل والميزان ﴾ يعنى فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله عز وجل ﴿ ولاتبخسوا الناس أشياءهم ﴾ يعنى لاتظلموا الناس حقوقهم ولاتنقصوهم اياها فطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان فى الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ﴿ ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ﴾ يعنى بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبى يبعث الى قوم فهو صلاحهم ﴿ ذلكم ﴾ يعنى الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس ﴿ خير لكم ﴾ يعنى مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى ان كنتم مصدقين

قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوا الله (مالكم من اله غيره) غير الذى آمركم أن تؤمنوا به (قد جاءتكم بينة) بيان (من ربكم) على رسالة الله (فأوفوا الكيل والميزان) اتموا الكيل والميزان(ولاتبخسوا الناس أشياءهم) ولاتنقصوا حقوق الناس فى الكيل والوزن (ولاتفسدوا فى الارض) بالمعاصى والدعاء الى غير الله الله والوفاء بالكيل والوزن (ذلكم) التوحيد والوفاء بالكيل والوزن (خير لكم) مماأنتم فيه (ان كنتم مؤمنين) مقرين بما اقول لكم (بما)

قولى (ولاتقعدوا بكل صراط)بكل طريق(توعدون) من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين

﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلايفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانو يقطعون الطريق ﴿ وتصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أوالايمان بالله ﴿ من آمن به ﴾ أى بالله أو بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولوكان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا ﴿ وتبغونها عوجا ﴾ وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه ووصفها للناس بانها معوجة ﴿ واذكروا اذ كنتم قليلا ﴾ عددكم أو عددكم ﴿ فكثركم ﴾ بالبركة فى النسل أو المال ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ من الامم قبلكم فاعتبروا بهم ﴿ وان كان طائفة منكم آمنو بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ فتربصوا ﴿ فاصبروا ﴾ ﴿ حتى يحكم الله بيننا ﴾

بما أقول ﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ يعنى ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهوقوله تعالى ﴿ وتصدون عن سبيل الله من آمن به ﴾ يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذى تريدونه كذاب فلايفتننكم عن دينكم ﴿ وتبغونها عوجا ﴾ يعنى وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضلال ولاتستقيمون على طريق الهدى والرشاد ﴿ واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم ﴾ يعنى ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ يعنى وانظروا نظر اعتبار مانزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسله ﴿ وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ يعنى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى ﴿ فاصبروا ﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿ حتى يحكم الله بيننا ﴾ يعنى

(وتبغونها)وتطلبون لسبيل الله(عوجا) أى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى لاتقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بان

(ولاتقعدوا)ولاتجلسوا(بكل صراط)طريق على كل طريق فيه ممر الناس (توعدون) تضربون وتخوفون وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء(وتصدون)تصرفون(عن سبيل الله)عن دين الله وطاعته(من آمن به) بشعيب(وتبغونها عوجا) تطلبونها غيرا(واذكروا اذ كنتم قليلا) بالعدد (فكثركم)بالعدد(وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) كيف صار آخر أمر المشركين قبلكم بالهلاك (وان كان) وقد كان (طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) وبينكم

أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه

حتى يقضي الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ يعني أنه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وإنما قال خير الحاكمين لأنه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين

بنصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور

بالعذاب (وهو خير الحاكمين) القاضين

الجزء التاسع

ربنا افتح بالخير وانت خير الفاتحين

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا ﴾ أى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله ﴿ قال أواو كنا كارهين ﴾ أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا فى حال

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه ﴾ يعنى قال الجماعة من أشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب ﴿ لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا ﴾ يعنى أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لابد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أولترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى قوله أولتعودن فى ملتنا وأجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة أولئك الكفار فخاطبوا شعيبا وأتباعه جميعا فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقنى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام أحسن مدة * الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان * قوله عز وجل ﴿ قال أولو كنا كارهين ﴾ أى لانعود فى ملتكم وان أكرهتمونا وأجبرتمونا

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين أمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم فى الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال

قال الملأ) الرؤساء (الذين استكبروا) عن الايمان (من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك) بك (من قريتنا) من مدينتنا (أولتعودن) تدخلن (فى ملتنا) فى ديننا (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) أتجبروننا على

(على)

كراهتنا ﴿ قدافترينا على الله كذبا ﴾ قد اختلقنا عليه ﴿ ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ﴾ شرط جوابه محذوف دليله قدافترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال أى قدافترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان الله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقدافترينا ﴿ ومايكون لنا ﴾ ومايصح لنا ﴿ ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا ﴾ خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالايكون ﴿ وسع ربنا كل شئ علما ﴾ أى احاط علمه بكل شئ مما كان ومما يكون منا ومنكم ﴿ على الله توكلنا ﴾ فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار

على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل ﴿ قدافترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ﴾ يعنى ان شعيبا أجاب قومه أذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قدافترينا يعنى قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أنتم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطأها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما فى الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان فى ملتهم قط حتى يقول ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو أن نقول ان الله نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكأنه خلصنا منها * قوله عز وجل اخبارا عنه ﴿ ومايكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ﴾ يعنى ومايكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا فى علم الله أن نعود فيها فحينئذ يمضى قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا الابتداء والذى عليه أهل العلم والسنة فى هذه الآية ان شعيبا وأصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قال الزجاج رحمه الله تعالى المعنى ومايكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله ﴿ وسع ربنا كل شئ علما ﴾ يعنى انه تعالى يعلم مايكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما فى الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد فى علم الله تعالى والشقى من شقى فى علم الله تعالى ﴿ على الله توكلنا ﴾ أى على الله

شعيب (قدافترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أى والله لقدافترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا فى ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه الا انه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب (ومايكون لنا) وماينبغى لنا ومايصح (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) الا ان يكون سبق فى مشيئته أن نعود فيها اذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وسع ربنا كل شئ علما) تمييز أى هو عالم بكل شئ فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان

ذلك وان كنا كارهين (قد افترينا) اختلقنا (على الله كذبا) باطلا (ان عدنا) ان دخلنا (فى ملتكم) فى دينكم (بعد اذ نجانا الله منها) من دينكم (ومايكون لنا) مايجوز لنا (أن نعود فيها) أن ندخل فى دينكم الشرك بالله (الا أن يشاء الله ربنا) نزع المعرفة من قلبنا (وسع ربنا كل شئ علما) علم ربنا بكل شئ (على الله توكلنا

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ على المعنيين ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ﴾ وتركتم دينكم ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ لاستبداله كم ضلالته بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ أي في مدينتهم

نعتمد واليه نستند في أمورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ لما أيس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا افتح أي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ يعني خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هي لغة مراد وأنشد لبعضهم في ذلك

الا أبلغ بني عصم رسولا * فاني عن فتى حكم غني

أراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري مامعنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال أفاتحك يعني أقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح أغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز أن يكون معناه ربنا أظهر أمرنا حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ﴾ يعني وقال جماعة من أشراف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما أنتم عليه ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ يعني انكم لمغبونون في فعلكم ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ يعني الزلزلة الشديدة ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا من جهنم فأخذ بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الايكة والى أهل مدين فاما أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح

افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء بالحق يفتح الامر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما ويأمركم على الايفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا في داهم جاثمين) ميتين

ربنا) يا ربنا (افتح) اقض (بيننا وبين قومنا بالحق) بالعدل (وأنت خير الفاتحين) القاضين (وقال الملأ) الرؤساء (الذين كفروا من قومه) للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه (انكم اذا لخاسرون) لجاهلون مغبونون (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة والصيحة بالعذاب (فأصبحوا في دارهم) فصاروا في مدينتهم وعساكرهم (جاثمين) ميتين

(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيهـا) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفى هذا الابتـداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبـا هم المخصوصون بان أهلكوا كان لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبـا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبـا هم المخصـوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون وفى التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد ان نزل بهم العذاب (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحـقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم فى الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصـدقونى فكيف

﴿الذين كذبوا شعيبا﴾ مبتدأ خبره ﴿ كأن لم يغنوا فيها﴾ أى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل ﴿ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين ﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ﴾ قاله تأسفا بهم لشـدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقـال ﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم اوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصـدقوا قولى فكيف آسى عليكم • وقرئ فكيف ايسى

بهم جبريل عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال أبو عبد الله البجلى كان أبو جاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم فى زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به

كلمن هدم ركنى • هلكه وسط المحله
سـيد القوم اتاه • هلك نار تحت ظله
جعلت نارا عليهم • دارهم كالمضمحله

❀ قوله عز وجل ﴿ الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها ﴾ يعنى كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان أى أقمت به والمغانى المنازل التى بها أهلها واحدها مغنى قال الشـاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل فى معنى الآية كأن لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذى هو ضد الفقر ﴿ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ يعنى خسروا أنفسهم بهلاكهم ﴿ فتولى عنهم ﴾ يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب ﴿ وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ﴾ يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا فى قصة صالح عليه الصلاة والسلام ❀ قوله عز وجل ﴿ فكيف آسى ﴾ يعنى أحزن ﴿ على قوم كافرين ﴾ والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أحزن على قوم كافرين لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل فى معنى الآية ان شعيبـا قال لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير فـلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصحى فكيف أحزن عليكم يعنى انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه

(الذين كذبوا شعيبا) هلكوا (كأن لم يغنوا فيها) كان لم يكونوا فى الارض (الذين كذبوا شـعيبا كانوا هم الخاسرين) صـاروا هم المغبـونين فى العقوبة (فتولى عنهم) (قا و خا ٧٦ نى) خرج من بينهم قبل الهلاك (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى) بالامر والنهى (ونصحت لكم) حذرتكم من عذاب الله ودعـوتكم الى التـوبة والايمان (فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين)

آسى عليكم (وماأرسلنا فى قرية من نبى)يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أى فكذبوه (الاأخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان النفس والمال (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام واعفوا اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول

بالمالتين ﴿ وماأرسلنا فى قرية من نبى الاأخذنا أهلها بالبأساء والضراء ﴾ بالبؤس والضر ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ حتى يتضرعوا ويتذللوا ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ أى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين ﴿ حتى عفوا ﴾ كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا ﴿ فاخذناهم بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ بنزول العذاب

حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن عليهم والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ وماأرسلنا فى قرية من نبى ﴾ فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه ﴿ الاأخذنا أهلها بالبأساء والضراء ﴾ قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال البأساء كل ما نالهم من الشدة فى أموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكى يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقص عليه من أخبارهم وعرفه سنته فى الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه فى هذه الآية انه قد أرسل رسلا الى أمم أخر فكذبوا رسلهم وأخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لايجرى تدبيره فى أهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة فى الابدان فأخبر الله تعالى فى هذه الآية انه يأخذ أهل المعاصى والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله ﴿ حتى عفوا ﴾ يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت اموالهم وأولادهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة ﴿ قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ يعنى أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى ﴿ فأخذناهم بغتة ﴾ يعنى أخذناهم فجأة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم ﴿ وهم لايشعرون ﴾

بالله أهلكوا (وماأرسلنا فى قرية) التى أهلكنا أهلها (من نبى) مرسل (الا أخذنا أهلها) قبل الهلاك (بالبأساء) بالخوف والبلاء والشدائد (والضراء) الامراض والاوجاع والجوع (لعلهم يضرعون) لكى يؤمنوا فلم يؤمنوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) مكان القحط والجدوبة والشدة الخصب والرخاء والنعيم (حتى عفوا) نموا وكثرت أموالهم (وقالوا قد مس) قد أصاب (آباءنا الضراء (يعنى) والسراء) الشدة والرخاء كما أصابنا فصبروا على دينهم فنحن مثلهم نقتدى بهم (فأخذناهم بغتة) فجأة بالعذاب (وهم لايشعرون)

العذاب واللام فى (ولو أن أهل القرى) اشارة الى أهل القرى التى دل عليها وما أرسلنا فى قرية من نبى كانه قال ولو ان أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات اولآتيناهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفأمن أهل القرى) يريد الكفار منهم (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا أى وقت بيات يقال بات بياتا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى فى الاصل ضوء الشمس اذا أشرقت والفاء والواو فى أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أوأمن شامى وحجازى

﴿ولو أن أهل القرى﴾ يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها ﴿آمنوا واتقوا﴾ مكان كفرهم وعصيانهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فاخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعاصى ﴿أفأمن أهل القرى﴾ عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتا﴾ تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضميرهم البارز أو المستتر فى بياتا ﴿أو أمن أهل القرى﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ ضحوة النهار وهو فى الاصل

يعنى بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب * قوله عز وجل ﴿ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ لما بين الله تعالى فى هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين فى هذه الآية انهم لو آمنوا يعنى بالله وبرسله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعنى ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض﴾ فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيهما من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشيء وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى أصل البركة المواظبة على الشيء أى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ﴿ولكن كذبوا﴾ يعنى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل ﴿فاخذناهم﴾ يعنى بأنواع العذاب ﴿بما كانوا يكسبون﴾ يعنى أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة * قوله عز وجل ﴿أفأمن أهل القرى﴾ هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام فى كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا ﴿ان يأتيهم بأسنا﴾ يعنى عذابنا ﴿بياتا﴾ يعنى ليلا ﴿وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾

وهم لا يعلمون بنزول العذاب (ولو ان أهل القرى) التى أهلكنا أهلها (آمنوا) بالكتاب والرسل (واتقوا) الكفر والشرك والفواحش وتابوا (لفتحنا عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (ولكن كذبوا) رسلى وكتبى (فاخذناهم) بالقحط والجدوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) يكذبون الانبياء والكتب (أفأمن أهل القرى) اهل مكة (أن يأتيهم) أن لا يأتيهم (بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عن ذلك (أو أمن اهل القرى) اهل مكة (ان يأتيهم) أن لا يأتيهم (بأسنا) عذابنا (ضحى)

على المعطف باو والمعنى انكار الامن من أحدهذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا أو ضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدى لهم (أفامنوا) تكرير لقوله أفامن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه اياهم على ماهم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لابيها مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهدى وان مخففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (ونطبع) مستأنف أى ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله

ضوء الشمس اذا ارتفعت ﴿ وهم يلعبون ﴾ يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم ﴿ أفامنوا مكر الله ﴾ تقرير لقوله أفامن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب ﴿ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار ﴿ أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها ﴾ أى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ﴿ ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ﴿ ونطبع على قلوبهم ﴾ عطف على مادل عليه أولم يهد أى يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقة جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ بمعنى سماع تفهم واعتبار ﴿ تلك القرى ﴾ يعنى قرى الامم المار ذكرهم ﴿ نقص عليك من انبائها ﴾ حال ان جعل

يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار ﴿ وهم يلعبون ﴾ يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وأمور الدنيا كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع ﴿ أفامنوا مكر الله ﴾ يعنى استدراجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهم فى غفلة عنه لا يشعرون به ﴿ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ يعنى انه لا يأمن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر فى أخراه وهلك مع الهالكين ﴿ أولم يهد ﴾ يعنى أولم يبين ﴿ للذين يرثون الارض من بعد ﴾ هلاك ﴿ أهلها ﴾ الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ﴿ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ يعنى لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ﴿ ونطبع ﴾ أى ونختم ﴿ على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ يعنى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان وتطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضى ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم ﴿ تلك القرى ﴾ يعنى هذه القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب ﴿ نقص عليك من أنبائها ﴾

نهارا (وهم يلعبون) يخوضون فى الباطل (أفأمنوا مكر الله) عذاب الله (فلا يأمن مكر الله) عذاب الله (الا القوم الخاسرون) (يعنى) المغبونون الكافرون (أولم يهد)أولم يتبين (للذين يرثون الارض)أرض مكة (من بعد أهلها)من بعد هلاك أهلها (ان لو نشاء أصبناهم)عذبناهم (بذنوبهم) كما عذبنا الذين من قبلهم (ونطبع)لكى نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الهدى ولا يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (تلك القرى)التى أهلكنا أهلها (نقص عليك) ننزل عليك جبريل (من أنبائها

القرى خبرا وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض أى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها ﴿ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فما كانوا ليؤمنوا ﴾ عند مجيئهم بها ﴿ بما كذبوا من قبل ﴾ بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر ﴿ وما وجدنا لاكثرهم ﴾ لاكثر الناس والآية اعتراض أو لاكثر الامم

يعنى نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم ﴿ ولقد جاءتهم ﴾ يعنى لاهل تلك القرى ﴿ رسلهم بالبينات ﴾ يعنى جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴾ اختلف أهل التفسير فى معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان وأضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدى قال السدى آمنوا كرها يوم أخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بما سبق لهم فى علم الله انهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبى بن كعب كان سبق لهم فى علمه يوم أقروا له بالميثاق انهم لايؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب قول أبى بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق فى علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق فى علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم فى هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به فى سابق علمه قبل مجئ الرسل عند مجيئهم اليهم ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ يعنى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك ﴿ وما وجدنا لاكثرهم

هذا بعلى شيخا فى أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجئ الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجئ الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجئ الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لاكثرهم

بخبر هلاكها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (فما كانوا ليؤمنوا) بالكتب والرسل (بما كذبوا من قبل) من قبل يوم الميثاق ويقال لم يؤمن آخر الامم بما كذبت أول الامم (كذلك) هكذا (يطبع الله) يختم الله (على قلوب الكافرين) بالله فى علم الله (وما وجدنا لاكثرهم) أكثرهم

من عهد) الضمير للناس على الاطلاق يعنى ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الايمان والآية اعتراض أو للامم المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكسوا (وان) الشان والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا فى المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جائتهم رسلهم أو للامم (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملائه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أو لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مغرقين (وقال موسى يافرعون) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة وكانه قال ياملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب ابن الريان (انى رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى

المذكورين ﴿من عهد﴾ من وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴿وان وجدنا أكثرهم﴾ أى علمناهم ﴿لفاسقين﴾ من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم ﴿بآياتنا﴾ يعنى المعجزات ﴿الى فرعون وملائه فظلموا بها﴾ بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين﴾ اليك

من عهد ﴾ يعنى وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس انما أهلك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به ﴿وان وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ أى وما وجدنا أكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا * قوله عز وجل ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ يعنى ثم بعثنا بعد الانبيا الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ﴿موسى بآياتنا﴾ يعنى بحجتنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام ﴿الى فرعون وملائه﴾ قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون فى ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشى وكان اسم فرعون الذى أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب ابن الريان وكان ملك القبط والملأ أشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع ﴿فظلموا بها﴾ يعنى فجحدوا بها لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وكانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم ﴿وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين﴾ يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له انى رسول أى مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق

(من عهد) على عهد الاول (وان وجدنا) وقد وجدنا (أكثرهم) كلهم (لفاسقين) لناقضين العهد (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى بآياتنا) التسع (الى فرعون وملائه) قومه (فظلموا بها) فجحدوا بالآيات (فأنظر كيف كان عاقبة المفسدين) كيف صار آخر أمر المشركين بالهلاك (وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت قال موسى

(حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق) أي أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أي واجب على ترك القول على الله الا الحق أي الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبي أي اني رسول خليق بان لاأقول أو يعلق على بمعنى الفعل في الرسول أي اني رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على أن لااقول على الله الا الحق (قدجئتكم بينة من ربكم) بمايبين رسالتي (فارسل معي بني اسرائيل) فخلهم يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام معي حفص (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فأتني بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فالقى) موسى عليه السلام عصاه من يده (فاذاهي) اذاهذه للمفاجأة وهي من ظروف المكان

وقوله ﴿حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق﴾ لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكأن اصله حقيق على ان لااقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الالباس كقوله

وتلحق خيل لاهوادة بينها* « وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر »

أولان مالزمك فقدلزمته أوللاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون أناقائله لايرضى الا بمثلي ناطقابه أوضمن حقيق معنى حريص أووضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء *وقرئ حقيق ان لااقول بدون على ﴿ قدجئتكم بينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل ﴾ فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قداستعبدهم واستخدمهم في الاعمال ﴿ قال ان كنت جئت بآية ﴾ من عند من ارسلك ﴿ فائت بها ﴾ فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ﴿ ان كنت من الصادقين﴾ في الدعوى ﴿ فالقى عصاه فاذاهي ثعبان مبين ﴾ ظاهر امره لايشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون ياموسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا أومن بك وارسل

السموات والارض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني اليك ﴿ حقيق ﴾ أي واجب ﴿ على أن لاأقول على الله الا الحق ﴾ يعني أني رسول والرسول لايقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لااله غيره ﴿ قدجئتكم ببينة من ربكم ﴾ يعني ببرهان على صدقي فيما أدعي من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لمافرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى ﴿ فارسل معي بني اسرائيل ﴾ يعني خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قداستعبد بني اسرائيل واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة ﴿ قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين ﴾ يعني ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من أرسلك ببينة تدل على صدقك فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيماقلت ﴿ فالقى عصاه فاذاهي ثعبان مبين ﴾ أي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بانه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين

(حقيق على) جدير على (أن لااقول على الله الا الحق) الصدق (قدجئتكم ببينة) ببيان (من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل) مع أموالهم قليلهم وكثيرهم (قال ان كنت جئت بآية) بعلامة فأت بها ان كنت من الصادقين بانك رسول (فألقى عصاه)أول آية (فاذاهي ثعبان مبين) حية صفراء ذكر اعظم الحيات

معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ﴿ ونزع يده ﴾ من جيبه أو من تحت ابطه ﴿ فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة

الوصفين أنها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي ان موسى لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل انه أحدث في ذلك اليوم أربعمائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة السلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في انه رسول من رب العالمين * قوله عز وجل ﴿ ونزع يده ﴾ النزع في اللغة عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه والمعنى انه أخرج يده من جيبه أو من تحت جناحه ﴿ فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه

فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل

اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز ان تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة

بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر أمره روى انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون زراعا وضع لحيه الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون ياموسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه (فاذا هي بيضاء للناظرين) أي فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بيضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه روى انه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه ونزعها فاذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة

(ونزع يده) من ابطه (فاذا هي بيضاء) تضيء (للناظرين) اليها

أو بيضاء للنظار لانها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه أو تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ﴿ قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ﴾ قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى أمره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا ﴿ يريد ان يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ تشيرون فى ان نفعل ﴿ قالوا أرجه وأخاه

معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم الضرب الثانى ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها فاذا أتى النبى بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم * قوله عز وجل ﴿ قال الملأ من قوم فرعون ان هذا ﴾ يعنى موسى ﴿ لساحر عليم ﴾ يعنى أنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما أراهم يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب فى ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا الساحر عليم * فان قلت قد أخبر الله تعالى فى هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملأ لفرعون وقال فى سورة الشعراء وقال فرعون للملأ حوله ان هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع أن يكون قاله فرعون أولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا وأخبر عن فرعون فى سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملأ من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملأ وأخبر هناك عن فرعون * قوله عز وجل ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ يعنى يريد موسى أن يخرجكم أيها القبط من أرض مصر ﴿ فماذا تأمرون ﴾ يعنى فاى شئ تشيرون أن نفعل به وقيل ان قوله فماذا تأمرون من قول الملأ لان كلام فرعون تم عند قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم فقال الملأ مجيبين لفرعون فماذا تأمرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك فى التعظيم والتفخيم والمعنى فما ترون ان نفعل به والقول الاول أصح لسياق الآية التى بعدها وهو قوله تعالى ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ يعنى أخر أمرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التأخير فى اللغة وقيل

(قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم) عالم بالسحر ماهو فيه قد خيل الى الناس العصا حية والآدم أبيض وهذا الكلام قد عزى الى فرعون فى سورة الشعراء وانه قال للملأ وهنا عزى اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوا هم فحكى قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم (يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعنى مصر (فماذا تأمرون) تشيرون من آمرته فآمرنى بكذا اذا اشاورته فاشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم (قالوا ارجه) بسكون الهاء عاصم وحمزة أى أخر واحبس أى أخر أمره ولا تعجل او كانه هم بقتله فقالوا أخر قتله وأحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق (وأخاه) هرون

(قال الملأ) الرؤساء (من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) حاذق بالسحر (يريد ان يخرجكم من أرضكم) ارض مصر (فماذا تأمرون) فقال فرعون لهم بماذا تشيرون فى امره (قالوا أرجه) قفه (وأخاه) هرون ولا

وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير أي أخر امره واصله ارجئه كما قرأ أبو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قرأة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير أو ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الا اذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ بعدما ارسل الشرط في طلبهم

معنى ارجئه احبسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى ﴿ وأرسل في المدائن ﴾ جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر ﴿ حاشرين ﴾ يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون أرسل الى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ﴿ يأتوك ﴾ يعني الشرط ﴿ بكل ساحر ﴾ وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت ﴿ عليم ﴾ يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لانقاتل موسى الا بمن هو أشد منه سحرا فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لايطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لاطاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثنى عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا * قوله عز وجل ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ يعني لما اجتمعوا

(وأرسل في المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلي أي يأتوك بكل ساحر عليم مثله في المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون) يريد فارسل اليهم فحضروا

تقتلهما (وارسل في المدائن حاشرين) الشرط (يأتوك بكل ساحر عليم) حاذق بالسحر (وجاء السحرة فرعون) سبعون ساحرا

(قالوا ان لنا لاجرا) على الخبر واثبات الاجر العظيم حجازى وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ماقالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لابدلنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عندى فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا اوسبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا ياموسى اما أن تلقى) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم فى أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل و عرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (القوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتحاوروا فى الجدال وقد سوغ لهم موسى مارغبوا ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روى انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذاهى

﴿ قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ استأنف به كأنه جواب سائل قال ماقالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابدلنا من أجر والتنكير للتعظيم ﴿ قال نعم ﴾ ان لكم أجرا ﴿ وانكم لمن المقربين ﴾ عطف على ماسد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم ﴿ قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ﴾ خيروا موسى مراعاة للادب أواظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أوتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال ﴿ قال القوا ﴾ كرما وتسامحا أوازدراء بهم ووثوقا على شأنه ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس ﴾ بان

وجاؤا الى فرعون ﴿ قالوا ان لنا لاجرا ﴾ يعنى جعلا وعطاء تكرمنا به ﴿ ان كنا نحن الغالبين ﴾ يعنى لموسى قال الامام فخر الدين الرازى ولقائل ان يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأل ماقالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يعنى لموسى ﴿ قال نعم ﴾ يعنى قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء ﴿ وانكم لمن المقربين ﴾ يعنى ولكم المنزلة الرفيعة عندى مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة انى لاأقتصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة انى أجعلكم من المقربين عندى قال الكلبى تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج من عندى ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ ياموسى اما أن تلقى ﴾ يعنى عصاك ﴿ واما أن نكون نحن الملقين ﴾ يعنى عصينا وحبالنا فى هذه الآية دقيقة لطيفة وهى ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم فى الالقاء لاجرم ان الله عزوجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب أولا وأظهروا مايدل على رغبتهم فى ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى قال لهم موسى ﴿ ألقوا ﴾ يعنى أنتم فقدمهم على نفسه فى الالقاء • فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز • قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين فى فعلكم فالقوا والافلا تلقوا الجواب الثانى انما أمرهم بالالقاء لتظهر معجزة لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى فى عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لابد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير فى التقديم والتأخير فاذن لهم فى التقديم لتظهر معجزته أيضا بغلبهم لانه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالقاء أولا ﴿ فلما ألقوا ﴾ يعنى حبالهم وعصيهم ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ يعنى صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة مافعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو الفرق بين السحر الذى هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(قالوا) لفرعون (أئن لنا لاجرا) هدية تعطينا (ان كنا نحن الغالبين) لموسى (قال نعم) لكم عندى ذلك (وانكم لمن المقربين) الى بالمنزلة (قالوا ياموسى اما أن تلقى) أولا (واما أن نكون نحن الملقين) أولا (قال) موسى (القوا) ما أنتم ملقون أولا (فلما ألقوا) سبعين عصا وسبعين حبلا (سحروا أعين الناس) أخذوا أعين الناس بالسحر

خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه ﴿ واسترهبوهم ﴾ وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم ﴿ وجاؤا بسحر عظيم ﴾ في فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا ﴿ واوحينا الى موسى ان الق عصاك ﴾ فالقاها فصارت حية ﴿ فاذاهي تلقف ما يأفكون ﴾ ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لوكان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا، وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا

التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشئ والمعجزة قلب نفس الشئ عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى ﴿ واسترهبوهم ﴾ يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى ﴿ وجاؤا ﴾ يعني السحرة ﴿ بسحر عظيم ﴾ وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا أيضا وألقوها على الارض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من أمر تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى * قوله عز وجل ﴿ وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك ﴾ يعني فالقاها ﴿ فاذاهي تلقف ﴾ يعني تبتلع ﴿ ما يأفكون ﴾ يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشئ عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب أفاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شئ أتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى

أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحر أو في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذاهي تلقف) تبتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لوكان هذا سحرا لبقيت

(واسترهبوهم) استفزعوهم (وجاؤا بسحر عظيم) كذب بين ويقال برقية عظيمة (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) فألق (فاذاهي تلقف) تلقم (ما يأفكون) ما أفكوهم من العصى

وفرطه والشعراء ﴿ فوقع الحق ﴾ فثبت لظهور امره ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ من السحر والمعارضة ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ أي صاروا اذلاء مبهوتين أو رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه ﴿ والقى السحرة ساجدين ﴾ لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴾ ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون ﴿ قال فرعون آمنتم به ﴾ بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار ﴿ قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه ﴾

السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله عز وجل ﴿ فوقع الحق ﴾ يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته ﴿ فغلبوا هنالك ﴾ يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه ﴿ وانقلبوا صاغرين ﴾ يعني ورجعوا ذليلين مقهورين ﴿ والقى السحرة ساجدين ﴾ يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايمان به ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ فقال فرعون أياي تعنون فقالوا بل ﴿ رب موسى وهرون ﴾ قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السماء فآمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هدايتهم اليه وعلى ما الهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وانه ليس يقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأت السحرة ما رأت عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴿ قوله عز وجل ﴿ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾ يعني قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن آمركم به وآذن لكم فيه ﴿ ان هذا لمكر مكرتموه ﴾

حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقي السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله (قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (قبل أن آذن لكم) قبل اذني لكم (ان هذا لمكر مكرتموه

والحبال (فوقع الحق) فاستبان أن الحق مع موسى (وبطل) اضمحل (ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك) فغلبهم موسى عند ذلك (وانقلبوا) رجعوا (صاغرين) ذليلين (وألقي السحرة) خر السحرة (ساجدين) لله ويقال سجدوا من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون اياي تعنون قالوا (رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به)صدقتم برب موسى وهرون (قبل أن آذن) ان آمر (لكم ان هذا لمكر مكرتموه

فى المدينة لتخرجوا منها أهلهـا) ان صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهوان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيدأجمله ثم فصل بقوله (لاقطعن أيديكم وأرجـلكم من خـلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) هوأول من قطع من خلاف وصلب (قالوا انا الى ربنامنقلبون) فلانبالى بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته أوانا جميعاينعون أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننـا (وماتنقم مناالأن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وماتعيب منا الاالايمـان بآيات الله أرادواوما تعيب منا الاما هوأصل المناقب والمفاخر وهوالايمـان ومـنه قوله ولاعيب فيهم غيرأن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (ربنا افرغ علينا صبرا) اى اصبب صباذريعاوالمعنى هب لناصبراواسعاوأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كايفرغ الماءافراغا (وتوفنا مسلمين)ثابتين على الاسلام

أى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى ﴿ فى المدينة ﴾ فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد ﴿ لتخرجوا منها أهلها ﴾ يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة مافعلتم وهوتهـديد مجمل تفصيله ﴿ لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ من كل شق طرفا ﴿ ثم لاصلبنكم أجمعين ﴾ تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته ﴿ قالوا انا الى ربنا منقلبون ﴾ بالموت لامحالة فلانبالى بوعيدك أوانامنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله أومصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا ﴿ وماتنقم منا ﴾ وماتنكر منا ﴿ الاأن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ وهوخير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾ أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أوصب علينا مايطهرنا من الآثام وهوالصبر على وعيد فرعون ﴿ وتوفنا مسلمين ﴾ ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ماأوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون

فى المدينة ﴾ يعنى ان هذا الصنع الذى صنعتموه أنتم وموسى فى مدينة مصر قبل خروجكم الى هـذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعـون ان موسى وكبير السحرة قدتواطآ عليه وعلى أهل مصر وهوقوله ﴿ لتخرجوا منها أهلها ﴾ وتستولوا عليها أنتم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ فيه وعيد وتهديد يعنى فسـوف تعلمون ماأفعـل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال ﴿ لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ وهوان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما فى القطع ﴿ ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾ يعنى على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من صـلب واول من قطع الايدى والارجل فرعون ﴿ قالوا ﴾ يعنى مجيبـين لفرعون حين وعدهم بالقتل ﴿ انا الى ربنا منقلبون ﴾ يعنى انا الى ربنا راجعون واليه صائرون فى الآخرة ﴿ وما تنقم منا ﴾ وماتكره منا وماتطعن علينا وقال عطاء معناه ومالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه ﴿ الاأن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ ثم فزعوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعـذيب فرعون اياهم فقالوا ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾ أى اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا أتى بلفظ التنكير يعنى صبرا وأى صبر عظيم ﴿ وتوفنا مسلمين ﴾ يعنى واقبضنا على دين الاسلام وهودين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا فى أول النهـار سحرة وفى آخر النهار شهداء قال الكلبى ان فرعون قطع أيديهم وارجلهم وصلبهم وقال غـيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لايصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ۞ قوله عز وجل

فى المدينة) فيما بينكم وبين موسى (لتخرجـوا منها أهلها) بالمكر (فسوف تعلمـون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى (ثم لأصلبنكم أجمعين) على شاطئ النهر (قالوا) ﴿ وقال ﴾ يعنى السحرة (انا الى ربنا منقلبون) راجعون(وماتنقم منا) ماتطعن علينا وتعاقبنا (الاان آمنا) بان آمنا (بآيات ربنا لمـا جاءتنا) حين جاءتنا(ربنا أفرغ علينا صبرا) أكرمنا بالصبر عند الصلب والقطع لكى لانرجع كفارا(وتوفنا مسلمين) مخلصين على دين

(وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها الا انه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر

(ويذرك وآلهتك) عطف على ليفسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملأ (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) سنقتل حجازي أي سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ﴾ بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ﴿ ويذرك ﴾ عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة

ألم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء *

على معنى يكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق وأكن ﴿ وآلهتك ﴾ معبودك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك أي عبادتك ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم ﴾ كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾ غالبون

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى ﴾ يعني وقال جماعة من أشراف قوم فرعون لفرعون أتدع موسى ﴿ وقومه ﴾ من بني اسرائيل ﴿ ليفسدوا في الارض ﴾ يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ يعني وتذره ليذرك ويذر آلهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنا ربكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هي الكواكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى * وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالآلهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تروحنا من اللعباء قصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

أراد بالالاهة الشمس ﴿ قال ﴾ يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أتذر موسى وقومه ﴿ سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم ﴾ يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أوجس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيأ مما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾

موسى (وقال الملأ) الرؤساء (من قوم فرعون أتذر موسى) تترك موسى (وقومه) لا تقتلهم (ليفسدوا في الارض) بتغيير الدين والعبادة (ويذرك) يتركك (وآلهتك) وعبادة آلهتك ان قرأت بكسر اللام ونصب التاء ويقال عبادتك بالالهية ان قرأت بنصب اللام والتاء (قال) فرعون (سنقتل أبناءهم) صغارا كما قتلناهم أول مرة (ونستحيي) نستخدم (نساءهم) كبارا (وانا فوقهم) عليهم (قاهرون)

ويدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أي أرض مصر اوللجنس فيتناول ارض مصر تناولا أوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنيته اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم و من القبط وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفته بخلاف قوله وقال الملأ لانها معطوفة على ماسبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر

وهم مقهورون تحت أيدينا ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ﴾ لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ﴿ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾ تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ وعدا لهم بالنصرة وتذكيرا لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له * وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد والجنس ﴿ قالوا ﴾ أي بنو اسرائيل ﴿ اوذينا من قبل أن تأتينا ﴾ بالرسالة بقتل الابناء ﴿ ومن بعد ما جئتنا ﴾ باعادته ﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض ﴾ تصريحا بما كنى عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم اواولادهم وقد روى ان مصرانما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام

يعنى بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببنى اسرائيل مانزل شكوا الى موسى مانزل بهم ﴿ قال موسى لقومه ﴾ يعنى لما شكوا اليه ﴿ استعينوا بالله واصبروا ﴾ يعنى استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافى لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره فى أنفسكم وابنائكم ﴿ ان الارض لله ﴾ يعنى أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى ﴿ يورثها من يشاء من عباده ﴾ وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبنى اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة ألف من بنى اسرائيل والمعنى أن بنى اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل أن تأتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بنى اسرائيل كانوا مستضعفين فى يد فرعون وقومه وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون فى استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم أن بنى اسرائيل كرهوا مجئ موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه ﴿ قال ﴾ موسى مجيبا لهم ﴿ عسى ربكم ان يهلك عدوكم ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ ويستخلفكم فى الارض ﴾ يعنى ويجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم

مسلطون (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) على البلاء (ان الارض) أرض مصر (لله يورثها) ينزلها (من يشاء من عباده والعاقبة) الجنة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (قالوا) ياموسى (أوذينا) عذبنا بقتل الابناء واستخدام النساء والعمل (من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) بالرسالة (قال) موسى (عسى ربكم) وعسى من الله واجب (ان يهلك عدوكم) فرعون وقومه بالسنين بالقحط والجوع (ويستخلفكم فى الارض) يجعلكم سكان الارض أرض مصر (فينظر)

مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب مايوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد مااستخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سنى القحط وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم (ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادى ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس فى حال الشدة أضرع خدودا وأرق افئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لماادعى الربوبية (فاذا جائتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أى هذه التى نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض (يطيروا) أصله يتطيروا فادغمت التاء فى الطاء لانهما من طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا وانما دخل اذا فى الحسنة وعرفت الحسنة وان فى السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما السيئة فلاتقع الا فى الندرة ولا يقع

﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ فيرى ماتعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب مايوجد منكم ﴿ ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة مايذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ بكثرة العاهات ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ من الخصب والسعة ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ لاجلنا ونحن مستحقوها ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ يتشأموا بهم ويقولوا مااصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهما كافى الغى وانما عرف

﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لايجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على مايقع منهم * قوله عز وجل ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ يعنى بالقحط والجدب تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجدب فى السنة ويقال أسنتوا كما يقال أجدبوا قال الشاعر * ورجال مكة مسنتون عجاف * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ يعنى واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادى وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعنى لعلهم يتعظون فيرجعوا عماهم فيه من الكفر والمعاصى وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أى نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التى جرت لنا فى سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ يعنى القحط والجدب والمرض والبلاء ورأوا مايكرهون فى أنفسهم ﴿ يطيروا ﴾ يعنى يتشاءموا وأصله يتطيروا والتطير التشاؤم فى قول جميع المفسرين ﴿ بموسى ومن معه ﴾ يعنى انهم

(فينظر كيف تعملون) فى طاعته (ولقد أخذنا آل فرعون) قومه (بالسنين) بالقحط والجوع عاما بعد عام (ونقص من الثمرات) من ذهاب الثمرات (لعلهم يذكرون) لكى يتعظوا (فاذا جاءتهم الحسنة) الخصب والرخاء والنعيم (قالوا لنا) ينبغى لنا (هذه وان تصبهم سيئة) القحط والجدوبة والشدة (يطيروا) يتشاءموا (بموسى ومن معه) قال الله

الاشئ منها (ألاانما طائرهم) سبب خيرهم وشرهم (عندالله) فى حكمه ومشيئته والله هوالذى يقدر مايصيبهم
من الحسنة والسيئة قل كل من عندالله {الجزء التاسع} (ولكن أكثرهم ۶۱۸ لايعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتنابه

من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أصل مهما ماما فالاولى للجزاء ضمت اليها ماالمزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى ماتخرج أخرج أينما تكونوا فاما نذهبن بك الان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى وهو فى موضع النصب بتأتنا أى أيما شئ ومن آية تبيين لهما والضمير فى به وبها راجع الى مهما الاان الاول ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لانها فى معنى الآية وانما سموها آية اعتبار التسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغلبهم من مطر أوسيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لايرون شمسا ولاقمرا ولايقدر أحد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء فى بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل

الحسنة وذكرها معاداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الابالتبع ﴿ألاانما طائرهم عندالله﴾ اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته اوسبب شؤمهم عندالله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسوءهم وقرئ انما طيرهم وهواسم جمع وقيل هوجمع ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ ان مايصيبهم من الله تعالى اومن شؤم اعمالهم ﴿وقالوا مهما﴾ اصلها ماالشرطية ضمت اليها ماالمزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وماالجزائية ومحلها الرفع على الابتداء اوالنصب بفعل يفسره ﴿تأتنابه﴾ اى اى شئ تحضرنا تأتنابه ﴿من آية﴾ بيان لمهما وانما سموها آية لتسميته موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا ﴿لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ اى لتسحربها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى ﴿فارسلنا عليهم الطوفان﴾ ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى

قالوا ما أصابنا بلاء الاحين رأيناهم وماذلك الابشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو كان حصل له فى تلك المدة جوع يوم أوحمى ليلة أووجع ساعة لماادعى الربوبية قط ﴿ الاانما طائرهم عندالله ﴾ يعنى ان نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشركله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ماقضى لهم وقدر عليهم من عندالله وفى رواية عنه شؤمهم عندالله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم عندالله من عذاب النار ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ يعنى ان ماأصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لايعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولايضيفونها الى القضاء والقدر ❁ قوله عز وجل ﴿ وقالوا ﴾ يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام ﴿ مهما تأتنابه من آية ﴾ يعنى من عند ربك فهى عندنا سحر وهو قولهم ﴿ لتسحرنا بها ﴾ يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين ﴿ فما نحن لك بمؤمنين ﴾ يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى ﴿ فارسلنا عليهم الطوفان ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الاالاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه

(ألاانما طائرهم) شدتهم ورخاؤهم (عندالله) من الله (ولكن أكثرهم) كلهم (لايعلمون) ذلك ولايصدقون (وقالوا) ياموسى (مهما) كلما (تأتنا به من آية) من علامة (لتسحرنا بها) لتأخذ أعيننا بها (فما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين بالرسالة (قد) فدعا عليهم موسى عليه السلام (فأرسلنا عليهم) مسلط الله عليهم (الطوفان) المطر من السماء دائما من سبت الى سبت لاينقطع ليلا ولانهارا

قدنقضوا العهدرب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية
وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهوالماء فارسل الله عليهم المطرمن السماء وبيوت بنى
اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء
الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى اسرائيل
شئ وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيأ ودام ذلك الماء
عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب
الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال أبوقلابة الطوفان الجدرى وهم أول من
عذبوا به ثم بقى فى الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفافوق حروثهم وفى رواية ابن
عباس رضى الله عنهما ان الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعندذلك قالوا ياموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى
عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأنبت الله لهم تلك السنة شيأ لم ينبته قبل
ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الانعمة علينا
فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا فى عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم
وورق الشجر وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة وأكل
مسامير الحديد التى فى الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لايشبع وامتلأت
دور القبط منه ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا
ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى
ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
وفى الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج
الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قدبقى
من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قدبقى لنا ماهو كافينا فانحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا
ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عز وجل
عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان القمل
هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلبى القمل الدبى
وهو صغار الجراد الذى لاأجنحة له وقال أبوعبيدة هو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال
عطاء الخراسانى هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب
الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يمشى الى كثيب رمل أعفر
بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال
عليهم القمل فتتبع مابقى من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض
وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قملا
قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج
بعشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل
وأخذت أشعارهم وأبصارهم وحواجبهم وأشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدرى
عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا
البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت

وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل ﴾ قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها ﴿والضفادع والدم ﴾ روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لايقدر احدان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم

الى السبت فنكثوا بعدذلك ورجعوا الى أخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن انه ساحرمنا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدماقاموا شهرا فى عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وافنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلايكشف أحدا ناء ولاطعاما الاوجدفيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس فى الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا أراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل فى فيه وكانت تثب فى قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركامافلا يستطيع أن ينقلب الى شقه الآخر و اذاأراد أن يأكل سبقه الضفدع الى فيه ولايعجن أحدهم عجينا الاامتلأت ضفادع ولايفتح قدرا الاامتلأت ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله عزوجل على آل فرعون وسمعت وأطاعت وجعلت تقذف بانفسها فى القدور وهى تغلى على النار وفى التنانير وهى تفور أثابها الله عزوجل بحسن طاعتها بردالماء فلمارأوذلك بكواوشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام مايلقونه من الضفادع وقالواهذه المرة نتوب ولانعود فاخذموسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق ثم دعاالله عزوجل فكشف عنهم الضفادع بعد ماأقامت عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا فى عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعاعليهم موسى عليه الصلاة والسلام فارسل الله عزوجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دماعبيطا وصارت مياههم كلها دماوكل مايستقون من الآبار والانهار يجدونه دماعبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالواليس لناشراب الاالدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لانجد فى أوعيتناشيأ من الماء الادماعبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون مايلى الاسرائيلى ماء ومايلى القبطى دماويفرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطى دماوللاسرائيلى ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تأتى الى المرأة من بنى اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقنى من مائك فتصب لهافى قربتها فيصير فى الاناء دماحتى كانت تقول اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتفعل ذلك فيصيردما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارماؤها دمافمكثوا على ذلك سبعة أيام لايشربون الاالدم وقال زيدبن أسلم ان الدم الذى سلطه الله عزوجل عليهم كان الرعاف فاتواموسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه مايلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عناهذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان ﴾ والجراد والقمل والضفادع والدم

(آيات)

بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة أوهوالجدرى أو الطاعون (والجراد) فاكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شىء (والقمل) وهى الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أوكبار القردان (والضفادع) وكانت تقع فى طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع فى فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان القبطى والاسرائيلى اذا اجتمعا على اناء فيكون مايلى الاسرائيلى ماء ومايلى القبطى دماوقيل

(والجراد) وسلط عليهم بعد ذلك الجراد حتى أكل ماأنبتت الارض من النبات والثمار (والقمل) وسلط عليهم بعدذلك القمل حتى أكل مابقى من الجراد الصغير وهى الدبى بلا أجنحة (والضفادع) وسلط عليهم بعد ذلك الضفادع حتى آذاهم (والدم) وسلط عليهم بعدذلك الدم حتى صار قليبهم وانهارهم

وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فسلط الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلىء منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه القبطى دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ﴿ آيات ﴾ نصب على الحال ﴿ مفصلات ﴾ مبينات لاتشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذكان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل ﴿ فاستكبروا ﴾ عن الايمان ﴿ وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله ﴿ لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ﴾ اى اقسمنا بعهد الله

آيات مفصلات ﴾ يعنى يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر ﴿ فاستكبروا ﴾ يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا ﴿ وكانوا قوما مجرمين ﴾ يعنى آل فرعون قوله تعالى ﴿ ولما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره فى الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لايتدافنون (ق) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ يعنى بما أوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك ﴿ لئن كشفت عنا الرجز ﴾ يعنى العذاب الذى وقع بنا ﴿ لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ﴾ يعنى لنصدقن

سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحدا بعد واحد (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ما مصدرية أى بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل

دما (آيات مفصلات) مبينات بين كل آيتين شهرا (فاستكبروا) عن الايمان ولم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) مشركين (ولما وقع عليهم الرجز) كلما نزل عليهم العذاب مثل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قالوا ياموسى ادع لنا ربك) سل لنا ربك (بما عهد عندك) بما أمرك ربك (لئن كشفت عنا الرجز) رفعت عنا العذاب (لنؤمنن) لنصدقن (لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) مع اموالهم قليلهم وكثيرهم

عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ﴾ الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه اومهلكون و هووقت الغرق اوالموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم ﴿ اذاهم ينكثون ﴾ جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل و توقف فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ فاردنا الانتقام منهم ﴿ فاغرقناهم فى اليم ﴾ اى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته ﴿ بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا ﴿ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ بالاستعباد

عما جئت به ولنخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز ﴾ يعنى بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ الى أجل هم بالغوه ﴾ يعنى الى الوقت الذى أجل لهم وهووقت اهلاكهم بالغرق فى اليم ﴿ اذاهم ينكثون ﴾ يعنى اذاهم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يفوابه واعلم ان ماذكره الله تعالى فى هذه الآيات هى معجزات فى الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بنى اسرائيل فاختصاصه بالقبطى دون الاسرائيلى معجز وكون بنى اسرائيل فى أمان منه وعافية وقوم فرعون فى شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لايؤمنون بتلك المعجزات فاالفائدة فى تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وأما على قول المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالى تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده ❁ قوله عز وجل ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ يعنى كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب ﴿ فاغرقناهم فى اليم ﴾ والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى أجل لهم انتقم منهم بان أهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم فى اليم يعنى فى البحر واليم الذى لايدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهرى اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب ﴿ بانهم كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى أهلكناهم وأغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا ﴿ وكانوا عنها ﴾ يعنى عن آياتنا ﴿ غافلين ﴾ يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان ❁ قوله عز وجل ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ يعنى ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهوان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل فقتلوا أبناءهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم

فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) الى حد من الزمان (هم بالغوه) لامحالة فمعذبون فيه لاينفعهم ماتقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذاهم ينكثون) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فاغرقناهم فى اليم) هو البحر الذى لايدرك قعره أو هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المنتفعين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام

(فلما كشفنا عنهم الرجز) فلما رفعنا عنهم العذاب (الى أجل هم بالغوه) يعنى الغرق (اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم مع موسى (فانتقمنا منهم) بمرة واحدة (فاغرقناهم فى اليم) فى البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا التسع (وكانوا عنها غافلين) جاحدين بها (و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)

(مشارق الارض ومغاربها)يعنى أرض مصر والشام (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار
(وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل)هو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض أو ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا فى الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستمرت من
قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر
ودالا على ان من قابل البلاء
بالجزع وكله الله اليه ومن
قابله بالصبر ضمن الله له الفرج
(ودمرنا)أهلكنا(ما كان
يصنع فرعون وقومه)
من العمارات وبناء القصور
(وما كانوا يعرشون)من
الجنات أو ما كانوا يرفعون
من الابنية المشيدة فى السماء
كصرح هامان وغيره وبضم
الراء شامى وأبو بكر وهذا
آخر قصة فرعون والقبط
وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه
قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه
بعد انقاذهم من فرعون
ومعاينتهم الآيات العظام
ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقر وغير ذلك ليتسلى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مما رآه من بنى اسرائيل
بالمدينة (وجاوزنا ببنى
اسرائيل البحر)روى انهم
عبر ٣٠م

وذبح الابناء من مستضعفيهم ﴿مشارق الارض ومغاربها﴾ يعنى ارض الشام ومصر
ملكها بنو اسرائيل بعد القراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها ﴿ التى باركنا فيها ﴾
بالخصب وسعة العيش ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل ﴾ ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكن وهو قوله تعالى *ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على الشدائد
﴿ودمرنا﴾ وخربنا ﴿ما كان يصنع فرعون﴾ وقومه من القصور والعمارات ﴿وما كانوا
يعرشون﴾ من الجنات او ما كانو يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا
وفى النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله ﴿وجاوزنا ببنى اسرائيل
البحر ﴾ وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم
الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما رأى منهم
وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى

﴿ مشارق الارض ومغاربها ﴾ يعنى أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغاربها جميع
جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس
وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود
وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض * وقوله عز وجل
﴿ التى باركنا فيها ﴾ يدل على انها الارض المقدسة يعنى باركنا فيها بالثمار والاشجار
والزروع والخصب والسعة ﴿ وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل ﴾ يعنى
وتمت كلمة الله وهى وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين فى الارض من بعدهم وقيل
كلمة الله هى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض الآية والحسنى صفة
للكلمة وهى تأنيث الاحسن وتمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم فى الارض واهلاك
عدوهم ﴿ بما صبروا ﴾ يعنى انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم
من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم ﴿ ودمرنا ﴾ يعنى
وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال ﴿ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ فى أرض مصر
من العمارات والبنيان ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ يعنى يسقفون من ذلك البنيان وقال
مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار
والاعناب * قوله عز وجل ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ﴾ يعنى وقطعنا ببنى
اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا
قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون

يستذلون (مشارق الارض)
أرض بيت المقدس و
فلسطين و أردن ومصر
(ومغاربها التى باركنا فيها)
فى بعضها بالماء والشجر
(وتمت)-وجبت (كلمت
ربك الحسنى) بالجنة ويقال
بالنصرة(على بنى اسرائيل بما صبروا) على البلاء ويقال على دينهم(ودمرنا)أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور
والمدائن (وما كانوا يعرشون) من الشجر والكروم ويقال يبنون(وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر

عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا ﴿فأتوا على قوم﴾ فمروا عليهم ﴿يعكفون على اصنام لهم﴾ يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم. وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر ﴿قالوا ياموسى اجعل لنا الها﴾ مثالا نعبده ﴿كما لهم آلهة﴾ يعبدونها وما كافة للكاف ﴿قال انكم قوم تجهلون﴾ وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ﴿ان هؤلاء﴾ اشارة الى القوم ﴿متبر﴾ مكسر مدمر ﴿ما هم فيه﴾ يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا ﴿وباطل﴾ مضمحل ﴿ما كانوا يعملون﴾ من عبادتها

وقومه فصامه شكرا لله تعالى ﴿فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ يعنى فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعنى بالرقة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم ﴿قالوا﴾ يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال ﴿ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة﴾ يعنى كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكا من بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيأ نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهى الآيات التى توالت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿قال انكم قوم تجهلون﴾ يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاكم منه * عن ابى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذى * قوله عز وجل ﴿ان هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ أى مهلك والتتبير الاهلاك ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ البطلان عبارة عن عدم الشئ اما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه

موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله (فاتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال على رضى الله عنه ليهودى اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (ان هؤلاء) يعنى عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ما هم فيه) أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أى ما عملوا من عبادة الاصنام

فأتوا على قوم) يقال لهم الرقم بقية من قوم ابراهيم (يعكفون على أصنام لهم) يقيمون على عبادة أصنام لهم (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) بين لنا الها نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (انكم قوم تجهلون) أمر الله (ان هؤلاء متبر) مهلك (ما هم فيه) من الشرك (وباطل) ضلال (ما كانوا يعملون) فى الشرك ﴿قال﴾

باطل مضمحل (قال أغير الله أبغيكم الها) أى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) حال أى على عالمى زمانكم (واذ أنجيناكم من آل ٦٢٥ فرعون) أنجاكم شامى { سورة الاعراف } (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفى ذلكم) أى فى الانجاء أو فى العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتممناها بعشر) روى ان ذى موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فاوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب

وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عماهم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا ﴿قال أغير الله أبغيكم الها﴾ اطلب لكم معبودا ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ من مخلوقاته ﴿واذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت * وقرأ ابن عامر انجاكم ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ استئناف لبيان ما انجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما ﴿يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم﴾ بدل منه مبين ﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ ذا القعدة * وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا ﴿واتممناها بعشر﴾ من ذى الحجة

فيه ﴿قال أغير الله أبغيكم الها﴾ لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم أغير الله أبغيكم الها يعنى أطلب لكم وأبغى لكم الها ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ والمعنى أن الاله ليس هو شيأ يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذى يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعنى على عالمى زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التى لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم أفضل منهم * قوله عز وجل ﴿واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ هذه الآية تقدم تفسيرها فى سورة البقرة والفائدة فى ذكرها فى هذا الموضع انه تعالى هو الذى انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة * قوله عز وجل ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ يعنى وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهى ذو القعدة ﴿وأتممناها بعشر﴾ يعنى عشر ذى الحجة وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذى وعده بنى اسرائيل فامره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل أكل من ورق

(قال) موسى (أغير الله أبغيكم الها) آمركم أن تعبدوا ربا (وهو) وقد (فضلكم على العالمين) عالمى زمانكم بالاسلام (واذ أنجيناكم من آل فرعون) من فرعون وقومه (يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم) صغارا (ويستحيون) يستخدمون (نساءكم) كبارا (وفى ذلكم) فيما نجاكم (قا و خا ٧٩ نى) (بلاء) نعمة (من ربكم عظيم) عظيمة ويقال وفى ذلكم فى عذابه بلاء بلية من ربكم عظيم عظيمة (وواعدنا موسى) الاتيان الى الجبل (ثلاثين ليلة) شهر ذى القعدة (وأتممناها بعشر) من

﴿ فتم ميقات ربه اربعين ليلة ﴾ بالغا اربعين ليلة روى انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه فأمره الله بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ﴿ وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي ﴾ كن خليفتي فيهم ﴿ وأصلح ﴾ ما يجب ان يصلح من امورهم أو كن مصلحا ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ ولا تتبع من سلك لافساد ولا تطع من دعاك اليه ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه لميقاتنا ﴿ وكلمه ربه ﴾ من غير وسط كما يكلم الملائكة

ما وقت له من الوقت وضربه له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد وقد أجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لاخيه هرون) هو عطف بيان لاخيه (اخلفني في قومي) كن خلفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (و لا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (لما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناله وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق

الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله أن يصوم عشر ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه وأعطاه الالواح في العشر التي زادها فلهذا قال وأتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل ❁ قوله عز وجل ﴿ فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج ﴿ وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي ﴾ يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدي حتى أرجع اليك ﴿ وأصلح ﴾ يعني وأصلح أمور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الرفق بهم والاحسان اليهم ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التأكيد لان هارون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما أنت عليه من القعود ❁ قوله عز وجل ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله ﴿ وكلمه ربه ﴾ وفي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة أو ذلك الجرم لا يقول انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وانه

ذي الحجة (فتم ميقات ربه) ميعاد ربه (أربعين ليلة) كما وعده (وقال موسى لأخيه هرون أخلفني) كن خليفتي (في قومي وأصلح)

مرهم بالصلاح (ولا تتبع سبيل المفسدين) طريق المفسدين بالمعاصي (ولما جاء موسى لميقاتنا) لميعادنا بعدين (وكلمه ربه { قديم }

وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين ﴿ قال رب أرنى أنظر اليك ﴾ ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك أو تتجلى لى فأنظر اليك وأراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى أولن أريك أولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة اوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية ﴿ قال لن ترانى

قديم وذهب جهور المتكلمين الى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض فى تاويله وحقيقته قال أهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء وفى القصة ان الله تعالى أنزل ظلة تغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عزوجل واشتاق الى رؤيته ﴿ قال أرب ارنى أنظر اليك ﴾ قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك انظر اليك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اعطنى انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى فى الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من أنواع الجلال حتى استغرق فى بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى فى الدنيا فتعالى الله عن ذلك ﴿ قال لن ترانى ﴾ يعنى ليس لبشر ان يرانى فى الدنيا ولا يطيق النظر الى فى الدنيا ومن نظر الى فى الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم أموت أحب الى من ان أعيش ولا أراك وقال السدى لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث فى الارض

وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع فى رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال رب أرنى انظر اليك) ثانى مفعولى ارنى محذوف أى ارنى ذاتك انظر اليك يعنى مكنى من رؤيتك بان تتجلى لى حتى أراك ارنى مكى وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر (قال لن ترانى) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئى اذ الحالة حالة الحاجة

قال رب أرنى أنظر اليك) طمع فى الرؤية (قال) الله (لن ترانى) لن تقدر أن ترانى

ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ﴾ استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير

حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب ارنى أنظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

فصل

وقد تمسك من نفى الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم فى ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم فى ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه فى أن لن تكون للتأبيد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه أبدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يامالك ليقض علينا ربك وقوله ياليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تأكيد النفى كلا التى تنفى فى المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا أى لن ترانى فى الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت فى الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة فى الدار الآخرة وأيضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفى الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام فحيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضا فان الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية فى نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ﴿ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ﴾ وهو أمر جائز الوجود فى نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلى اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذى عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة

الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف ترانى) وهو دليل لنا أيضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشئ بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار فى فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق

فى الدنيا ياموسى (ولكن انظر الى الجبل) أعظم جبل بمدين (فان استقر مكانه) فان استقر الجبل لرؤيتى (فسوف ترانى) فلعلك ترانى

﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك

فى رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينجينى مما أنا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير مارأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شئ من الذين مروا قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير مارأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم يرمثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفى يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت فى رأس كل ملك منهم أربعة اوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك فلا أدرى أأغلت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان أقمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى ان يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة أصواتهم واندك واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذى كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام واقامت الروح عليه مثل اللامة فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك يارب العالمين فذلك قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ظهر نور ربه

(فلما تجلى ربه للجبل)أى ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلى للجبل ماقاله الاشعرى انه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص فى اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكرى الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئى باطل اذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا اليك ثم يقول له لن يرونى ولانها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعله دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء حمزة وعلى أى مستوية بالارض لا أكمة

(فلما تجلى ربه للجبل)ظهر للجبل زبير (جعله دكا)

والشق * وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها * وقرئ دكا أي قطعا جمع دكاء بالتشديد ﴿ وخر موسى صعقا ﴾ مغشيا عليه من هول ما رأى ﴿ فلما أفاق قال ﴾ تعظيما لما رأى ﴿ سبحانك تبت اليك ﴾ من الجراة والاقدام على السؤال من غير اذن ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ مر تفسيره وقيل معناه انا أول من آمن بانك

للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى هكذا بغير سند وأخرجه الترمذى أيضا عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وأمسك بطرف ابهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعنى مستويا بالارض وقال ابن عباس رضى الله عنهما جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع فى البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعنى كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهى ثور وثبير وحراء * قوله عز وجل ﴿ وخر موسى صعقا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه والحسن يعنى مغشيا عليه وقال قتادة يعنى ميتا والاول أصح لقوله ﴿ فلما أفاق ﴾ والميت لا افاقة له انما يقال أفاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو فى غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة فلما أفاق يعنى من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمرا عظيما لا ينبغى له ﴿ قال سبحانك ﴾ يعنى تنزيها لك من النقائص كلها ﴿ تبت اليك ﴾ يعنى من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية فى الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعنى من سؤالى ما ليس لى وقيل لما سال الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعنى من هذا السؤال وحسنات الابرار سيآت المقربين ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ يعنى بانك لا ترى فى الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعنى من بنى اسرائيل بقى فى الآية سؤالات * الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرنى أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرنى حتى أراك

{ والجواب }

فيها وناقة دكاء لا سنام لها (وخر موسى صعقا) حال أى سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال فى الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبانك لا تعطى الرؤية فى الدنيا مع جوازها وقال الكعبى والاصم معنى قوله أرنى أنظر اليك أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كانى أنظر اليك لن ترانى لن تطيق معرفتى بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فانى أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال أرنى أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن ترانى ولم يقل لن ترى آيتى وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث

كسرا (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه (فلما أفاق) من غشيته (قال سبحانك) نزه ربه (تبت اليك) من مسئلتى الرؤية (وأنا أول المؤمنين) المقرين بانك لن ترى فى الدنيا

لاترى فى الدنيا ﴿ قال ياموسى انى اصطفيتك ﴾ اخترتك ﴿ على الناس ﴾ أى الموجودين فى زمانك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولاصاحب شرع ﴿ برسالاتى ﴾ يعنى اسفار التوراة • وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى ﴿ وبكلامى ﴾

والجواب عنه ان معنى قوله أرنى اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك • السؤال الثانى كيف قال لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لارؤية معه • السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحدا لايقوى على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بمعونته وتاييده ألاترى انه لما ظهر أثر التجلى للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده ❊ قوله عز وجل ﴿ قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾ يعنى قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ياموسى انى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى انى فضلتك واجتبيتك على الناس وفى هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التى أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التى طلبت فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر أنواع النعم التى خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتى وبكلامى يعنى من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك • فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه فى الرسالة • قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوى فقال لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه يا محمد يدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا

جعل الجبل دكا (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتى) هى أسفار التوراة برسالتى حجازى (وبكلامى) وبتكليمى اياك

(قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس) على بنى اسرائيل (برسالاتى وبكلامى) وبتكلمى معك

وبتكليمي اياك ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ اعطيتك من الرسالة ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ على النعمة روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوارة كان يوم النحر ﴿ وكتبنا له فى الالواح من كل شئ ﴾ مما يحتاجون اليه من أمر الدين

كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذى يعتمد فى الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا فى زمانه وذلك انه لم يكن فى ذلك الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمي زمانهم * قوله عز وجل ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ يعنى ما فضلتك وأكرمتك به ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ يعنى على انعامى عليك وفى القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر أزواجها قوله عز وجل ﴿ وكتبنا له فى الالواح ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى فى ألواح التوراة قال البغوى وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبى من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع ألواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك فى اول يوم من ذى الحجة وكان طول الالواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا فى عدد الالواح فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب فى اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يقرأها الأربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعنى لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية فى التوراة بالف آية يعنى قوله ﴿ وكتبنا له فى الالواح من كل شئ ﴾ يعنى يحتاج اليه من أمر

(فخذ ما آتيتك) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هرون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وكتبنا له فى الالواح) الالواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شئ) فى محل النصب على انه

(فخذ ما آتيتك) فاعمل بما أعطيتك (وكن من الشاكرين) بتكلمي معك من بين الناس (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ

﴿ موعظة وتفصيلا لكل شئ ﴾ بدل من الجار والمجرور أى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد اوزبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده أو سقفها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها ﴿ فخذها ﴾ على اضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح اولكل شئ فانه بمعنى الاشياء اوللرسالات ﴿ بقوة ﴾

ونهى ﴿ موعظة ﴾ يعنى نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته ﴿ وتفصيلا لكل شئ ﴾ يعنى وتبيينا لكل شئ من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه فى أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعنى فى التوراة لاتشرك بى شيأ من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقى ولا تحلف باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى فقال رب انى لاجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتى قال هى محمد قال رب انى أجد فى التوراة أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد قال يارب انى أجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتى قال هى أمة محمد قال يارب انى اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد قال يارب انى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد قال رب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لايدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل مايرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته قال ياليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا ۞ قوله عز وجل ﴿ فخذها بقوة ﴾ يعنى وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبناله

مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح أو لكل شئ لأنه فى معنى الاشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل

موعظة) نهيا (وتفصيلا) تبيانا (لكل شئ) من الحلال والحرام والامر والنهى (فخذها بقوة) فاعمل بها بجد ومواظبة النفس

بجد وعزيمة ﴿ وأمر قومك يأخذوا باحسنها ﴾ أى باحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم أو بواجباتها فان الواجب أحسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأموربه كقولهم الصيف احر من الشتاء ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها اومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلاتفسقوا اودارهم فى الآخرة وهى جهنم * وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ﴿ سأصرف عن آياتى ﴾ المنصوبة فى الآفاق والأنفس ﴿ الذين يتكبرون فى الارض ﴾ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها أو باهلاكهم ﴿ بغير الحق ﴾ صلة يتكبرون

فى الالواح من كل شئ خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من أخذ شيأ بضعف نية أداه الى الفتور ﴿ وأمر قومك يأخذوا باحسنها ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من قومه فأمر بمالم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون فى هذا الفصل فائدة وهى ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه * فان قلت ظاهر قوله تعالى يأخذوا بأحسنها يدل على ان فيها ماليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فامعنى قوله يأخذوا باحسنها * قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالقصاص حسن ولكن العفو أحسن وكالانتصار حسن والصبر أحسن منه فأمروا ان يأخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم فى الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن * قوله عزوجل ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ قال مجاهد يعنى مصيركم فى الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة فأدخلكم الشأم فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفى يعنى دار فرعون وقومه وهى مصر وقال السدى يعنى منازل الكفار وقال الكلبى هى منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليها اذا سافروا * قوله عزوجل ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الذين يتجبرون على عبادى ويحاربون أوليائى سأصرفهم عن قبول آياتى والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بى عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكر فى خلق

(وأمر قومك يأخذوا باحسنها) أى فيها ماهو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بماهو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أوجهنم (سأصرف عن آياتى) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أبى الله ان يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق وحقيقه التكلف للكبرياء التى اختصت بالبارى عزت قدرته (فى الارض بغير الحق) هو حال أى يتكبرون غير محقين لان التكبر

(وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) يعملوا بمحكمها ويؤمنوا بمتشابهها (سأريكم دار الفاسقين) يعنى دار العاصين وهى جهنم ويقال العراق ويقال مصر (سأصرف عن آياتى) عن الاقرار بآياتى (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) بلا حق ويقال سأريكم يا محمد دار الفاسقين دار بدر (السموات)

أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أوحال من فاعله ﴿ وان يروا كل آية ﴾ منزلة أو معجزة ﴿ لايؤمنوا بها ﴾ لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا ﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم * وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين * وقرأ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام ﴿ وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ أى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر أى ساصرف ذلك الصرف بسببهما ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أى ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله فى الدار الآخرة ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ لاينتفعون بها ﴿ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴾ الا جزاء اعمالهم

السموات والارض وما فيهما من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التى أعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثرون على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكر فى آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ماليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لايكون الا لله عزوجل لانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لاحد سواه فالتكبر فى حق الله عزوجل صفة مدح وفى حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر عما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم فى حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لامن التكبر أى يفتعلون التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون فى الارض بغير الحق بل بالباطل ﴿ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد ﴾ يعنى طريق الحق والهدى والسداد والصواب ﴿ لايتخذوه سبيلا ﴾ يعنى لايختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية ﴿ وان يروا سبيل الغى ﴾ يعنى طريق الضلال ﴿ يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى ذلك الذى اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغى بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده ﴿ وكانوا عنها غافلين ﴾ يعنى عن التفكر فيها والاتعاظ بها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ يعنى بآياتنا ولقاء الدار الآخرة التى فيها الثواب والعقاب ﴿ حبطت اعمالهم ﴾ يعنى بطلت فصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون فى الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث ﴿ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴾ يعنى هل يجزون فى العقبى الا جزاء العمل الذى كانوا يعملونه

بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) طريق صلاح الامر أوطريق الهدى الرشد حمزة وعلى .وهما كالسقم والسقم (لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أى ذلك الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

ويقال مكة (وأن يروا) يعنى فرعون وقومه ويقال أبو جهل وأصحابه (كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) طريق الاسلام والخير (لايتخذوه سبيل) لايحسبوه طريقا (وان يروا سبيل الغى) طريق الكفر والشرك (يتخذوه سبيلا) يحسبوه طريقا (ذلك) الذى ذكرت (بأنهم كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (وكانوا عنها غافلين) جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (ولقاء الآخرة) البعث بعد الموت (حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم فى الشرك (هل يجزون) ما يجزون فى الآخرة (الا ما كانوا يعملون) فى الدنيا ويقولون من الشر

وهوتكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذقوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (من حليهم)
وانمانسب اليهم مع انها كانت عوارى فى أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملابسة
وفيه دليل على ان من حلف أن لايدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلى جمع حلى وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلى للاتباع (عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أى بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثانى محذوف أى الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) لايقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لايختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق الى سبيل الحق بما ركز فى العقول من الادلة وبما أنزل فى الكتب ثم

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ من بعد ذهابه للميقات ﴿ من حليهم ﴾ التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى *وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد ﴿ عجلا جسدا ﴾ بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل ﴿ له خوار ﴾ صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به اولان المراد اتخاذهم اياه الها *وقرئ جؤار أى صياح ﴿ ألم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لايقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى

فى الدنيا قوله عز وجل ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ يعنى من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه عز وجل ﴿ من حليهم ﴾ يعنى التى استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بنى اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به فى عيدهم فبقى عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقى الحلى لبنى اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حليهم فلما أبطأ موسى عليهم جمع السامرى ذلك الحلى وكان رجلا مطاعا فى بنى اسرائيل فلذلك قال الله تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم أجمعوا عليه وكان السامرى رجلا صائغا فصاغ لهم ﴿ عجلا جسدا ﴾ يعنى من ذلك الحلى وهو الذهب والفضة وألقى فى ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلا جسدا لحما ودما ﴿ له خوار ﴾ هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور أهل التفسير وقيل كان جسدا لاروح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت فى تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولايتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى ﴿ ألم يروا ﴾ يعنى الذين عبدوا العجل وقيل ان بنى اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم يروا ﴿ انه ﴾ يعنى العجل الذى عبدوه ﴿ لايكلمهم ولايهديهم سبيلا ﴾ يعنى ان هذا العجل لايمكنه أن يتكلم بصواب ولايهدى الى رشد ولايقدر على ذلك ومن كان كذلك كان

(واتخذ) صاغ قوم موسى (من بعده) من بعد انطلاق موسى الى الجبل (من حليهم) من ذهبهم (عجلا جسدا) مجسدا صغيرا (له خوار) (جاد) صوت صاغ لهم السامرى (ألم يروا) ألم يعلم قوم موسى (انه لايكلمهم) يعنى العجل بشئ (ولايهديهم سبيلا) طريقا

ابتدأ فقال (اتخذوه) الها فأقدموا على هـذا الامر المنكر (وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله ان من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى فى ايديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وان استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (ورأوا انهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم أبصروه بعيونهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلى وانتصاب ربنا على النداء (لنكونن من الخاسرين) المغبونين فى الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من الطور (الى قومه) بنى اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أى حزينا (قال بئسما خلفتمونى) قمتم مقامى وكنتم خلفائى (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامرى

القدر ﴿ اتخذوه ﴾ تكرير للذم أى اتخذوه الها ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ﴿ ولما سقط فى ايديهم ﴾ كناية من اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها * وقرئ سقط على البناء الفعل لفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ﴿ ورأوا ﴾ وعلموا ﴿ انهم قد ضلوا ﴾ باتخاذ العجل ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ بانزال التوراة ﴿ ويغفر لنا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ شديد الغضب وقيل حزينا ﴿ قال بئسما خلفتمونى من بعدى ﴾ فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن

جادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد ﴿ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ يعنى لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذى يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب * قوله عز وجل ﴿ ولما سقط فى ايديهم ﴾ يعنى ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط فى يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل ﴿ ورأوا أنهم قد ضلوا ﴾ يعنى وتيقنوا انهم على الضلالة فى عبادتهم العجل ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ﴾ يعنى يتب علينا ويتجاوز عنا ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ يعنى الذى خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة فى غير موضعها وهـذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى فى اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ يعنى ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وان السامرى قد أضلهم فكان موسى فى حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدى الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزينا لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى موسى عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿ بئسما خلفتمونى من بعدى ﴾

(اتخذوه) عبدوه بالجهل (وكانوا ظالمين) صاروا ضارين لأنفسهم بعبادتهم اياه (ولما سقط فى أيديهم) ندموا على عبادتهم العجل (ورأوا) علموا وأيقنوا (انهم قد ضلوا) عن الحق والهدى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) حزينا حين سمع صوت الفتنة (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) بئس ما صنعتم بعبادة العجل من بعد انطلاقى الى الجبل

وأشياعه أو لهارون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني

والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي بعد قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه أو من بعد ما كنت أحمل بني اسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف (أعجلتم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو اتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الالواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يجره اليه) عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من

في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه ﴿ أعجلتم امر ربكم ﴾ أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد انبيائهم ﴿ وألقى الالواح ﴾ اي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام ﴿ واخذ برأس اخيه ﴾ بشعر رأسه ﴿ يجره اليه ﴾ توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب

أي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون لعبدة العجل من السامري وأتباعه أو لهارون والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى احتمال الاول في انه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم مني الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفهم * قوله عز وجل ﴿ أعجلتم امر ربكم ﴾ معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول وقته ولقائل أن يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم * ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى ﴿ والقى الالواح ﴾ يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فألقاها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام انما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة ﴿ وأخذ برأس أخيه يجره اليه ﴾ قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري

(أعجلتم أمر ربكم) أسبقتم بعبادة العجل وعد ربكم (وألقى الألواح) من يده فانكسر منها لوحان (لما)
(وأخذ برأس أخيه) أي بشعر هارون (يجره اليه) الى نفسه

موسى (قال ابن أم) بني الابن مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان أصله أمي فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أي اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي (فلا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر أخيه (قال رب اغفر لي ولاخي) ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولاخي ان كان فرط في حسن الخلافة (وادخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب من ربهم) هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحيوة الدنيا)

الى بني اسرائيل ﴿ قال ابن أم ﴾ ذكر الام ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ﴿ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾ ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿ فلا تشمت بي الاعداء ﴾ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير ﴿ قال رب اغفر لي ﴾ بما صنعت بأخي ﴿ ولاخي ﴾ ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه ﴿ وأدخلنا في رحمتك ﴾ بمزيد الانعام علينا ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ وأنت أرحم بنا منا على أنفسنا ﴿ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ﴾ وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم ﴿ وذلة في الحيوة الدنيا ﴾ وهو خروجهم من ديارهم

لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هارون يلومه ومد يديه الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فأعلمه هرون عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعني هارون ﴿ ابن أم ﴾ انما قال هارون لموسى ابن أم وان كانا لاب وأم ليرققه ويستعطفه عليه ﴿ ان القوم ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿ استضعفوني ﴾ أي استذلوني وقهروني ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ أي وقاربوا أو هموا أن يقتلوني ﴿ فلا تشمت بي الاعداء ﴾ أصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ يعني الذين عبدوا العجل ﴿ قال رب اغفر لي ﴾ يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر أخيه هرون قال رب اغفر لي ما صنعت الى أخي هارون يريد ما أظهر من الموجدة عليه في وقت الغضب ﴿ ولاخي ﴾ يعني واغفر لاخي هارون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبدة العجل ﴿ وادخلنا ﴾ يعني جميعا ﴿ في رحمتك ﴾ يعني في سعة رحمتك ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ يعني الها عبدوه من دون الله ﴿ سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا ﴾ يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك

(قال) هارون (ابن أم) وقد كان أخاه من أبيه وأمه وانما ذكر الأم لكي يرفق به (ان القوم استضعفوني) استذلوني (وكادوا يقتلونني) بخلافهم اياي (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفرح بي الاعداء أصحاب العجل (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) لا تعذبني في أصحاب العجل (قال) موسى (رب اغفر لي) لما صنعت بأخي هارون (ولأخي) هارون بما لم يناجزهم بالقتال (وادخلنا في رحمتك) في جنتك (وأنت أرحم الراحمين) بنا (ان الذين اتخذوا) عبدوا (العجل) ومن اقتدى بهم (سينالهم) سيصيبهم (غضب) سخط (من ربهم وذلة) مذلة بالجزية (في الحيوة الدنيا

وقيل الجزية ﴿ وكذلك نجزى المفترين ﴾ على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم ﴿ والذين عملوا

فى عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين فى هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول ففى الآية سؤال وهو أن أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم فى الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطأ ءفان قلت السين فى قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضى * قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله فى ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج فى هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذى قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة فى الدنيا الجزية وقال عطية العوفى سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بنى النضير وبنى قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففى تقرير الآية وجهان الاول أن العرب تعير الابناء بقبائح أفعال الآباء كما تفعل ذلك فى المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا فى زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا الوجه الثانى ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه * قوله عز وجل ﴿ وكذلك نجزى المفترين ﴾ يعنى وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها نجزى كل من افترى على الله كذبا أو عبد غيره وقال أبو قلابة هى والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا فى كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس مامن مبتدع الا وهو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفتر فى دين الله ﴿ والذين عملوا

خروجهم من دريارهم فالغربة تذل الاعناق أوضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزى المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا الهكم واله موسى (والذين عملوا

وكذلك) هكذا (نجزى المفترين)الكاذبين على الله (والذين عملوا

السيآت) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) أى السيآت أو التوبة (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جناياتهم أولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشدته كانه هو الآمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكت عن موسى الغضب) و قال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ منها أى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورحمة

السيآت ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ ثم تابوا من بعدها ﴾ من بعد السيئات ﴿ وآمنوا ﴾ واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة ﴿ أن ربك من بعدها ﴾ من بعد التوبة ﴿ لغفور رحيم ﴾ وأن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرآئم بنى اسرائيل ﴿ ولما سكت ﴾ سكن وقد قرئ به ﴿ عن موسى الغضب ﴾ باعتذار هارون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت * وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى أو أخوه او ألذين تابوا ﴿ أخذ الالواح ﴾ التى القاها ﴿ وفى نسختها ﴾ وفيما نسخ فيها اى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة ﴿ هدى ﴾ بيان للحق ﴿ ورحمة ﴾

السيات ﴾ يعنى عملوا الا عمال السيئة ويدخل فى ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فما دونه ﴿ ثم تابوا من بعدها ﴾ يعنى ثم رجعوا الى الله من بعد أعمالهم السيئة ﴿ وآمنوا ﴾ يعنى وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب ﴿ ان ربك ﴾ يامحمد أو ياأيها الانسان التائب ﴿ من بعدها ﴾ يعنى من بعد توبتهم ﴿ لغفور رحيم ﴾ يعنى انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفى الآية دليل على ان السيآت باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة فى التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيآت ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فان الله يغفرهاله ويقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للمذنبين التائبين * قوله عز وجل ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ يعنى سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشئ ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير فى سكون الغضب لان الغضب لايتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على مافى نفس المغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة فى رأسى والمعنى أدخلت رأسى فى القلنسوة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير ﴿ أخذ الالواح ﴾ يعنى التى ألقاها قال الامام فخر الدين ؒ ظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شئ ﴿ وفى نسختها ﴾ النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت مافى الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل أراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التى أخذها موسى بعدما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما ألقى موسى الالواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه فى لوحين وفيهما مافى الاولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنا وفى نسختها المكتوب فيها ﴿ هدى ورحمة ﴾ قال ابن عباس يعنى هدى من الضلالة ورحمة

السيآت) فى الشرك بالله (ثم تابوا من بعدها) بعد الشرك ويقال بعد السيآت (وامنوا) وحدوا وأقروا بالله (ان ربك) ياموسى ويقال يامحمد (من بعدها) من بعد التوبة والايمان (لغفور) متجاوز (رحيم ولما سكت) سكن (عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها) فيما بقى منها ويقال فيما اعيد له فى اللوحين (هدى) من الضلالة (ورحمة)

ارشاداً الى الصلاح والخير ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم ﴿ واختار موسى قومه ﴾ اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه ﴿ سبعين رجلا لميقاتنا

من العذاب ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ يعني للخائفين من ربهم * قوله عز وجل ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ﴾ الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسئل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك ياموسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فماتوا جميعا فقام

للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لاعتذارهم عن عبادة العجل

من العذاب (للذين هم لربهم يرهبون) يخافون (واختار موسى قومه) من قومه (سبعين رجلا لميقاتنا) لميعادنا

فلما اخذتهم الرجفة ﴾ روى انه تعالى امره ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال أن لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة اى الصاعقة اورجفة الجبل فصعقوا منها ﴿ قال رب لوشئت

موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم أعطنا مالم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال على بن أبى طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا ياهارون من قتلك قال ماقتلنى أحد ولكن الله توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لالانهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانه لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا أن يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من أجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يأمروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله ✽ قوله عز وجل ﴿ فلما أخذتهم الرجفة ﴾ أصل الرجف الاضطراب الشديد الذى يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت لهؤلاء هل كان معها موت أم لا فمعظم الروايات التى تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ لوشئت

(فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (قال رب لوشئت

(فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة بالهلاك يعنى الموت (قال رب لوشئت

أهلكتهم من قبل وإياى ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك ﴿ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ﴿ ان هى الا فتنتك ﴾ ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية اواوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل ﴿ وتهدى من تشاء ﴾ هداه فيقوى بها ايمانه ﴿ أنت ولينا ﴾ القائم بأمرنا ﴿ فاغفر لنا ﴾ بمغفرة ما قارفنا ﴿ وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة

أهلكتهم من قبل ﴾ يعنى من قبل عبادتهم العجل ﴿ وإياى ﴾ وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بأنهم ماتوا فقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات وإياى معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ قال الفراء ظن موسى انهم أهلكوا باتخاذ أصحاب العجل العجل فقال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهى قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اى لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لا تهلكنا ﴿ ان هى الا فتنتك ﴾ قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أى اختبارك وابتلاءك وهذا تأكيد لقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله ﴿ تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ قال الواحدى وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التى لا يبقى لهم معها عذر ﴿ أنت ولينا ﴾ يعنى أنت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر أى لا ولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت ﴿ فاغفر لنا ﴾ سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هى الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم أرنا الله جهرة وفى هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه ﴿ وارحمنا ﴾ أى واشملنا برحمتك التى وسعت كل شئ ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ يعنى ان كل من سواك انما يغفر الذنب

أهلكتهم من قبل) بما كان منهم من عبادة العجل (وإياى) لقتلى القبطى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال مناوهم أصحاب العجل (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها وهى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تضل بها) بالفتنة (من تشاء) من علمت منهم اختيار الضلالة (وتهدى) بها (من تشاء) من علمت منهم اختيار الهدى (أنت ولينا) مولانا القائم بامورنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين

أهلكتهم من قبل) من قبل هذا اليوم (وإياى) بقتلى القبطى (أتهلكنا بما فعل السفهاء) الجهال (منا) بعبادة العجل ظن موسى انما أهلكهم بعبادة قومهم العجل (ان هى) ماهى (الا فتنتك) بليتك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) من الفتنة (أنت ولينا) اولى بنا (فاغفر لنا وارحمنا) ولا تعذبنا (وأنت خير الغافرين) المتجاوزين

واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (فى هذه الدنيا حسنة) عاقبة وحياة طيبة أو وتوفيقا فى الطاعة (وفى الآخرة) الجنة (اناهدنا اليك)

تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب هائد وهو التائب (قال

﴿ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿ وفى الآخرة ﴾ الجنة ﴿ اناهدنا اليك ﴾ تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع * وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا اليك ويجوز أن يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض ﴿ قال عذابى أصيب به من أشاء ﴾ تعذيبه ﴿ ورحمتى وسعت كل شئ ﴾ فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره ﴿ فسأكتبها ﴾ فسأثبتها فى الآخرة أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يابنى اسرائيل ﴿ للذين يتقون ﴾ الكفر والمعاصى ﴿ ويؤتون الزكوة ﴾ خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت أشق عليهم ﴿ والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فلا يكفرون بشئ

طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر واما أنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين * قوله عز وجل ﴿ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ﴾ يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهى ثواب الاعمال الصالحة وفى الآخرة اى واكتب لنا فى الآخرة مغفرة لذنوبنا ﴿ انا هدنا اليك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ عذابى أصيب به من أشاء ﴾ يعنى من خلقى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى وعبيدى ومن تصرف فى خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض ﴿ ورحمتى وسعت كل شئ ﴾ يعنى ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل هى للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشئ فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فأيس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآية وقال نوف البكالى لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى أجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة الا عند مرحاض أو حمام أو قبر وأجعل السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى

عذابى) من صفته انى (أصيب به من أشاء) أى لا أعفو عنه (ورحمتى وسعت كل شئ) أى من صفة رحمتى انها واسعة تبلغ كل شئ ما من مسلم ولا كافر الا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا (فسأكتبها) أى هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكوة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون

(واكتب لنا) أوجب لنا (فى هذه الدنيا حسنة) العلم والعبادة والعصمة من الذنوب (وفى الآخرة) حسنة الجنة ونعيمها (انا هدنا اليك) تبنا اليك ويقال اقبلنا اليك (قال) الله (عذابى أصيب به) اخص به (من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ) من البر والفاجر فتطاول لها ابليس فقال انا من الاشياء فاخرجه الله منها فقال (فسأكتبها) سأوجبها (للذين يتقون) الكفر والشرك والفواحش (ويؤتون الزكوة) يعطون زكاة أموالهم (والذين هم

بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (يؤمنون) فتطاول لها أهل الكتاب فقالوا نحن أهل التقوى والكتاب فاخرجهم الله منها وبين

منها ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي ﴾ مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد ﴿ الأمى ﴾ الذى لايكتب ولايقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدى معجزاته ﴿ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل ﴾ اسما وصفة

الا فى الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظرا قال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلنى نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلنى منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يارب أتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى * أما التفسير فقوله الذين يتقون يعنى الشرك وسائر مانهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة فى نوعين الاول التروك وهى الاشياء التى يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثانى الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت فى حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالايمان والمعرفة واليها الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون * قوله عزوجل ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل ﴾ ذكر الامام فخر الدين الرازى فى معنى هذه التبعية وجهين أحدهما أن المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفة فى التوراة اذ لايجوز أن يتبعوه فى شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفى قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا فى الانجيل لان من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الانجيل الوجه الثانى ان المراد من لحق من بنى اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لايكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل أن يبعث لايمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لايفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بنى اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بنى اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على انه رفيع

بشئ منها (الذين يتبعون الرسول) الذى نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبى) صاحب المعجزات (الأمى الذى يجدونه) أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل

لمن الرحمة فقال (الذين يتبعون الرسول) دين الرسول (النبى الأمى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه) بنعته وصفته (مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل

الدرجات عندالله المخبر عنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لايكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج فى معنى الامى هوالذى على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لايكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وصح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة امية لانكتب ولانحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولاتغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلاتنسى وقيل انه لوكان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كون معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى أمه كانه لم يخرج بعدما ولدته عليه وقيل سمى أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولايدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لااله الاالله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

﴿ شرح غريب ألفاظ الحديث ﴾

الفظ السيئ الخلق والغليظ الجافى القاسى * وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لايصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف * وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال انى أجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لافظ ولاغليظ ولاسخب فى الاسواق ولايجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويغضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام * قوله عز وجل

يأمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات)ماحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أوماطاب فى الشريعة مماذكر اسم الله عليه من الذبائح وماخلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث مايستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به أوما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامى على الجمع (و الاغلال التى كانت عليهم)هى الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أومنعوه من

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴾ مماحرم عليهم كالشحوم ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ كالدم ولحم الخنزير أوكالربا والرشوة ﴿ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ﴾ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله *وقرأ ابن عامر آصارهم ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ﴾ وعظموه بالتقوية* وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير

﴿ يأمرهم بالمعروف ﴾ يعنى بالايمان وتوحيد الله ﴿ وينهاهم عن المنكر ﴾ يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ماعرف فى الشريعة والسنة والمنكر مالا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد وبمكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ يعنى بذلك ما كان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطيبها الانفس ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل فى المضار الحرمة الاماله دليل متصل بالحل ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾ يعنى ثقلهم وأصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى اسرائيل أن يعملوا بما فى التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد ﴿ والاغلال التى كانت عليهم ﴾ يعنى ويضع الأثقال والشدائد التى كانت عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل فى السبت وان صلاتهم لاتجوز الا فى الكنائس وتتبع العروق فى اللحم وغير ذلك من الشدائد التى كانت على بنى اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لاتمتد مع وجود الغل فكذلك لاتمتد الى الحرام الذى نهيت عنه وكانت هذه الأثقال فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ يعنى بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وعزروه ﴾

يأمرهم بالمعروف) بالتوحيد والاحسان (وينهاهم عن المنكر)عن الكفر والاساءة (ويحل لهم الطيبات) يبين لهم تحليل مافى الكتاب من لحوم الابل وألبانها وشحوم البقر والغنم وغيرها (ويحرم عليهم الخبائث)يبين لهم تحريم مافى الكتاب من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ويضع عنهم اصرهم) (يعنى) عهودهم التى كان يحرم عليهم بنقضها الطيبات (والاغلال) الشدائد (التى كانت عليهم) من قطع الثياب وغيرها (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه (وعزروه) اعانوه

﴿ ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ﴾ أي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره أو لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة ﴿ اولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى صلى الله عليه وسلم ﴿ قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم ﴾ الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم ﴿ جميعا ﴾ حال من اليكم ﴿ الذي له ملك السموات والارض ﴾ صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره

يعني وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله ﴿ ونصروه ﴾ يعني على أعدائه ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ يعني هم الناجون الفائزون بالهداية * قوله عز وجل ﴿ قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة * وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أحمر وأسود قيل أراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل أراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون * قوله عز وجل ﴿ الذي له ملك السموات والارض ﴾ لما أمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا أردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو

العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه) اى القرآن ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والارض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح

(ونصروه) بالسيف (واتبعوا النور) القرآن (الذي أنزل معه) أنزل جبرائيل به عليه أحلوا حلاله وحرموا حرامه (أولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب (قل) يا محمد (يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) كافة (الذي له ملك خزائن (السموات والارض

(لااله الاهو) بدل من الصلة وهى له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفى لااله الاهو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفى يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لايقدر على الاحياء والاماتة غيره (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) أى الكتب المنزلة (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لايجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبدالله ابن سلام واضرابه

﴿ لااله الاهو ﴾ وهو على الوجوه الاول بيان لماقبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره وفى ﴿ يحيي ويميت ﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾ ماانزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس أو القرآن أو عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد فى خطط الضلالة ﴿ ومن قوم موسى ﴾ يعنى من بنى اسرائيل ﴿ أمة يهدون بالحق ﴾ يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق ﴿ وبه ﴾ وبالحق ﴿ يعدلون ﴾ بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون

مدبرهما ومالك أمرهما هو الذى أرسلنى اليكم وأمرنى بان أقول لكم انى رسول الله اليكم جميعا ﴿ لااله الاهو يحيي ويميت ﴾ وصف الله نفسه بالالهية وانه لاشريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ لما أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس انى رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى ﴿ النبي الامى ﴾ تقدم معناهما ﴿ الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾ قال قتادة يعنى آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدى أراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ﴿ واتبعوه ﴾ يعنى واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال أما المتابعة فى الاقوال فبأن يمتثل التابع جميع ماأمره المتبوع على طريق الامر والنهى والترغيب والترهيب وأما المتابعة فى الافعال فبأن يقتدى به فى جميع أفعاله وآدابه الا ماخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه ❁ قوله عز وجل ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ يعنى لكى تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب فى متابعتكم اياه ❁ قوله عز وجل ﴿ ومن قوم موسى ﴾ يعنى من بنى اسرائيل ﴿ أمة ﴾ أى جماعة ﴿ يهدون بالحق ﴾ يعنى يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه ﴿ وبه يعدلون ﴾ يعنى وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون وينصفون واختلفوا فى هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بنى اسرائيل مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض

لا اله) لا رازق (الاهو يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله) الذى هو يؤمن بالله (وكلماته) بكتابه القرآن وان قرأت وكلمته يقول وبعيسى انه صار بكلمة من الله مخلوقا يعنى كن فكان (واتبعوه) اتبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا من (على) الضلالة بالايمان (ومن قوم موسى أمة) جماعة (يهدون) يأمرون (بالحق وبه يعدلون) وبالحق يعملون وهم الذين وراء نهر الرمل

على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ماهو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به ﴿وقطعناهم﴾ وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض ﴿ اثنتى عشرة ﴾ مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الامة أو القطعة ﴿ اسباطا ﴾ بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة

على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضى الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين فى الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما فى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذى جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدى وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما ساروا فى السرب سنة ونصفا رواه الطبرى وحكى البغوى عن الكلبى والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد منا وهم على الحق وذكرنا ان جبريل ذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا الا قال هذا محمد النبى الامى فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى أوصانا ان من أدرك منكم أحمد فليقرأ منى عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى واقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدا منا لا يصل اليهم واذا كان كذلك فمن ذا الذى أوصل خبرهم الينا الوجه الثانى قولهم ان جبريل ذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص فى ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبى صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح فى حديث المعراج أنه سلم عليه فى السماء السادسة وأيضا قولهم واقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار فى تفسير هذه الآية انها اما ان تكون نزلت فى قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه والله أعلم بمراده ﴿ قوله تعالى ﴿ وقطعناهم ﴾ يعنى وفرقنا بنى اسرائيل ﴿ اثنتى عشرة اسباطا ﴾ يعنى من

(وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتى عشرة اسباطا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم مميز ماعدا العشرة مفرد وكان ينبغى ان يقال اثنى عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباط موضع قبيلة

(وقطعناهم) فرقناهم (اثنتى عشرة اسباطا

(أمما) بدل من اثنتى عشرة اى وقطعناهم أمما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ماتؤمه الاخرى (وأوحينا الى موسى اذاستسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانبجست) فانفجرت (منه اثنتاعشرة عينا قدعلم كل أناس

مشربهم) هو اسم جمع غير تكسير

(وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقلنا لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا) أى وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذقيل لهم) واذكر اذقيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم

اسباط فكأنه قيل أثنتى عشرة قبيلة * وقرئ بكسر الشين واسكانها ﴿ امما ﴾ على الاول بدل بعد بدل أو نعت اسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا ﴿ واوحينا الى موسى اذاستسقاه قومه ﴾ فى التيه ﴿ ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست ﴾ أى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته ﴿ منه اثنتاعشرة عينا قدعلم كل اناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم وظللنا عليهم الغمام ﴾ ليقيهم حر الشمس ﴿ وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا ﴾ أى وقلنا لهم كلوا ﴿ من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ سبق تفسيره فى سورة البقرة ﴿ واذقيل لهم اسكنوا هذه القرية ﴾ باضمار اذكر والقرية بيت المقدس ﴿ وكلوا منها حيث شئتم

أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثنى عشر ولدا ﴿ أمما ﴾ يعنى جماعات وقبائل ﴿ واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ﴾ يعنى فى التيه ﴿ ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست ﴾ يعنى فانفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس ﴿ منه ﴾ أى من الحجر ﴿ اثنتا عشرة عينا ﴾ يعنى لكل سبط عين ﴿ قدعلم كل اناس مشربهم ﴾ يعنى لايدخل سبط على سبط فى مشربهم ﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ يعنى فى التيه يقيهم حر الشمس ﴿ وانزلنا عليهم المن ﴾ هو الترنجبين ﴿ والسلوى ﴾ جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم فى التيه ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ أى وقلنا كلوا ﴿ وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فى الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات مارزقناكم فاجحوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف اذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وماظلمونا يعنى وما ادخلوا علينا فى ملكنا وسلطاننا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعنى بمخالفتهم ماأمروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية فى سورة البقرة * قوله عزوجل ﴿ واذقيل لهم ﴾ يعنى واذكر يامحمد لقومك اذقيل لهم يعنى لبنى اسرائيل ﴿ اسكنوا هذه القرية ﴾ يعنى بيت المقدس وقال فى سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولامنافاة بينهما لان كل ساكن فى موضع لابدله من الدخول اليه ﴿ وكلوا منها حيث شئتم ﴾ يعنى وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال فى البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فحسن دخول الفاء التى هى للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب

(أمما) سبطا سبطا تسعة اسباط ونصف سبط من قبل المشرق عند مطلع الشمس خلف الصين على نهر رمل يسمى اردن وسبطين ونصفا فى جميع العالم (واوحينا الى موسى) أمرنا موسى (اذاستسقاه قومه) فى التيه (أن اضرب بعصاك الحجر) الذى معك (فانبجست) فانفجرت (منه) من الحجر (اثنتاعشرة عينا) نهرا (قد علم كل أناس) سبط (مشربهم) من النهر (وظللنا عليهم الغمام) فى التيه كان يظلهم بالنهار من الشمس ويضئ لهم بالليل مثل السراج (وأنزلنا عليهم (السكنى) المن والسلوى) فى التيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) أعطيناكم من المن والسلوى (وماظلمونا) مانقصونا وماضرونا باعمارفعوا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ينقصون ويضرون (واذقيل لهم اسكنوا) انزلوا (هذه القرية) قرية اريحاء (وكلوا منها حيث شئتم)

وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطايا كم) تغفر لكم مدنى وشامى خطيئا تكم مدنى خطايا كم أبو عمرو خطيئتكم

شامى (سنزيد المحسنين فبدل الذين ﴿٦٥٣﴾ ظلموا منهم قولا غير الذى { سورة الاعراف } قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا

من السماء بما كانوا يظلمون) ولاتناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها فى هذه السورة وبين قوله فى سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أوأخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لايناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطايا كم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لايخل بذلك لانه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من وادواحد (واسألهم) واسأل اليهود (عن القرية) أيلة أومدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (التى كانت حاضرة البحر)

وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴾ مثل مامر فى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له فى المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما ﴿ نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين ﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ماامروا به * وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيآتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد * وقرأ ابو عمرو خطايا كم ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ﴾ مضى تفسيره فيها ﴿ واسألهم ﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لاتعلم الابتعليم أووحى لتكون لك معجزة عليهم ﴿ عن القرية ﴾ عن خبرها وماوقع باهلها ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ قريبة منه

السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤا وانما قال فى سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الذ وأكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلافه هنا ﴿ وقولوا حطة ﴾ أى حط عنا ذنوبنا ﴿ وادخلوا الباب سجدا ﴾ وقال فى البقرة عكس هذا اللفظ ولامنافاة فى ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير ﴿ نغفر لكم خطيئاتكم ﴾ يعنى تغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفى البقرة خطايا كم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ وقال فى سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لايخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم ﴾ يعنى فغير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بنى اسرائيل فقالوا قولا غير الذى قيل لهم وأمروا به وذلك انهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة فى شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم ﴿ فارسلنا عليهم رجزا من السماء ﴾ يعنى بعثنا عليهم عذابا من السماء أهلكهم ولامنافاة بين قوله تعالى هنا أرسلنا وبين قوله فى سورة البقرة أنزلنا لانهما لايكونان الامن أعلى إلى أسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لايشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ يعنى ان ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال فى البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا فى تفسير سورة البقرة * قوله عز وجل ﴿ واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر

ومتى شئتم (وقولوا حطة) لااله الاالله ويقال حط عنا الخطايا (وادخلوا الباب) باب أريحاء (سجدا) ركعا (نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين) فى احسانهم (فبدل) فغير (الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة وقالوا (قولا غير الذى قيل لهم) أمر لهم امروا بالحطة فقالوا حنطة سمقاثا (فارسلنا عليهم رجزا من السماء) طاعونا من السماء (بما كانوا يظلمون) يغيرون (واسئلهم) يامحمد يعنى اليهود (عن القرية) عن خبر القرية وهى تسمى ايلة (التى كانت حاضرة البحر

وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية ﴿ اذيعدون فى السبت ﴾ يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال ﴿ اذ تأتيهم حيتانهم ﴾ ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد أى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿ يوم سبتهم شرعا ﴾ يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ﴿ ويوم لايسبتون لاتأتيهم ﴾ وقرئ لايسبتون من اسبت ولايسبتون على البناء للمفعول بمعنى لايدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف ﴿ كذلك نبلوهم بما كانو يفسقون ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم

الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لاسؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال اهل هذه القرية بوحى الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وانما المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصى قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيأ قد حدث منهم فى زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم فى قديم الزمان وفى الاخبار بهذه القصة معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لايقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم فى قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قردة وخنازير واختلفوا فى هذه القرية فقال ابن عباس رضى الله عنهما هى قريه بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهرى هى طبرية الشام وفى رواية عن ابن عباس قال هى مدين وقال وهب هى مابين مدين وعيونى يعنى القرية التى كانت على ساحل البحر وقريبة منه ﴿ اذ يعدون فى السبت ﴾ يعنى يتجاوزون حد الله فيه وماامرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك ﴿ اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ﴾ يعنى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السمان ﴿ ويوم لايسبتون لا تأتيهم ﴾ يعنى الحيتان ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ يعنى مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن أعلم بحالهم ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعنى ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وماأمروا به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم فى يوم السبت ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم

قريبة منه (اذيعدون فى السبت) اذيتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه اذيعدون فى محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الإشتمال (اذ تأتيهم) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل (حيتانهم) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذيعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت بينهم ويدل عليه (ويوم لايسبتون لاتأتيهم) ويوم ظرف لاتأتيهم (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم

اذيعدون فى السبت) يعتدون يوم السبت بأخذ الحيتان (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) جماعات جماعات من غمر الماء الى شاطئه (ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك) هكذا (نبلوهم) نختبرهم (بماكانوا يفسقون) يعصون

سوقيل كذلك متصل بماقبله أى لاتأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون ﴿ واذقالت ﴾ عطف على اذيعدون ﴿ امة منهم ﴾ جاعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم ﴿ لم تعظون قوما الله مهلكهم ﴾ مخترمهم ﴿ أومعذبهم عذابا شديدا ﴾ فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لاينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم رداعليهم وتهكما بهم ﴿ قالوا معذرة الى ربكم ﴾ جواب للسؤال أى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لاتنسب الى تفريط فى النهى عن المنكر * وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أى اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة ﴿ ولعلهم يتقون ﴾

انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا مانرى السبت الاقد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا وباعوا وصار أهل القرية أحزابا ثلاثة وكانوا نحوا من سبعين ألفا فثلاث نهوا عن الاصطياد وثلاث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلاث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا وباعوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لانساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا فى زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لشأنا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذى بينهم فاذاهم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتى أنسابها من الناس فتشم ثيابها فيقول لهم أهلوهم ألم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى ﴿ واذقالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ﴾ واختلفوا فى القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعنى انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة الى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب علينا فوعظتنا لهؤلاء عذرلنا عندالله ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ أى وجائز عندنا أن ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ماهم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل أن ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه فقالت

(واذا قالت) معطوف على اذيعدون وحكمه كحكمه فى الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم لآخرين لايقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لاينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أى موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له أى وعظناهم للمعذرة (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى أن

(واذ قالت أمة) جماعة (منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم) بالمسخ (أو معذبهم عذابا شديدا) بالنار (قالوا معذرة الى ربكم) حجة لنا عند ربكم (ولعلهم يتقون) عن أخذ الحيتان يوم السبت وكانوا ثلاثة نفر نفر كانوا يصطادون ويأمرون بذلك ونفر كانوا لايصطادون ولاينهون عن ذلك ونفر كانوا لايصطادون وينهون عن ذلك فمسخ النفر الذين كانوا يصطادون ويأمرون بذلك ونجا

اذاليأس لايحصل الابالهلاك ﴿ فلمانسوا ﴾ تركوا ترك الناسى ﴿ماذ كروابه ﴾ ماذكرهم به صلحاؤهم ﴿ انجيناالذين ينهون عن السوءواخذناالذين ظلموا ﴾بالاعتداء ومخالفة امرالله ﴿ بعذاب بئيس ﴾ شديدفعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذاشتد*وقرأ ابوبكر بيئس على وزن فعيل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباءوسكون الهمزة على انه بئس كحذر كماقرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبدفى كبد*وقرأنافع بيس على قلب الهمزة ياء كماقلبت فى ذيب أوعلى انه فعل الذم وصف به فجعل اسما*وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب فسقهم﴿ فلماعتواعمانهواعنه ﴾ تكبروا عن ترك مانهواعنه كقوله تعالى وعتواعن امر ربهم ﴿ قلنالهم كونواقردةخاسئين ﴾ كقوله انماقولنالشئ اذااردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعدذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى*روى ان الناهين لما ايسوامن اتعاظ المعتدين كرهوامساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم ثيابهم

لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوماالله مهلكم أومعذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقدعلمتم ان الله مهلكنا أومنزل بناعذابه والقول الاول أصح لانهم لوكانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية * قوله عزوجل﴿ فلما نسوا ماذكروابه ﴾ أى فلما تركواما وعظوابه ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء ﴾ وهم الفرقةالناهية ﴿ وأخذنا الذين ظلموا ﴾ يعنى الفرقة المعتديةالعاصية﴿ بعذاب بئيس﴾ أى شديدوجيع من البأس وهوالشدة ﴿ بما كانوا يفسقون﴾ يعنى أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتناروى عكرمةعن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجنا الذين ينهون عن السوءوأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلاأدرى مافعلت الفرقةالساكتة وجعل يبكى قال عكرمةفقلت له جعلنى الله فداءك ألاتراهم قدأنكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا لم تعظون قوماالله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فاعجبه قولى ورضى به وأمرلى ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوالم تعظون والذين قالوا معذرةوأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذاقول الحسن وقال ابن زيدنجت الناهيةوهلكت الفرقتان وهذه الآية اشد آية فى ترك النهى عن المنكر * قوله عزوجل﴿ فلماعتواعما نهواعنه ﴾ قال ابن عباس أبوأن يرجعواعن المصيةوالعتو عبارة عن الاباءوالعصيان والمعنى فلماعتوا عمانهوايعنى عن ترك مانهواعنه وتمردوافى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ماحرم الله عليهم من صيدالسمك فى يوم السبت وأكله ﴿ قلنالهم كونواقردة خاسئين ﴾ يعنى صاغرين مبعدين من كل خيرقال قتادة لماعتواعمانهواعنه مسخهم الله فصيرهم

يتقوا (فلما نسوا) أى أهل القرية لما تركوا (ماذكروابه) ماذكرهم به الصالحون ترك الناسى لماينساه (أنجينا الذين ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد(وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكروالذين قالوالم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بئسا اذااشتد فهو بئيس بئس شامى بيس مدنى بيئس على وزن فيعل أبو بكر غير حماد (بما كانوا يفسقون فلما عتواعما نهواعنه قلنالهم كونواقردة خاسئين)أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتواتكرير لقوله فلمانسوا والعذاب البئيس هو

الآخران (فلما نسوا ماذكروابه) تركوا ما أمروبه (انجينا الذين ينهون عن السوء)عن اخذ الحيتان يوم السبت(واخذنا الذين ظلموا) بأخذالحيتان يوم السبت(بعذاب بئيس) شديد (بما كانوايفسقون) يعصون (فلماعتوا) أبوا (عمانهواعنه قلنالهم كونوا) صيروا (قردة خاسئين) صاغرين ذليلين

(قردة)

وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم ﴿ واذتأذن ربك ﴾ اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد اوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ﴿ ليبعثن عليهم الى يوم القيامة ﴾ والمعنى واذاوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿ من يسومهم سوء العذاب ﴾ كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل مافعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ﴿ ان ربك لسريع العقاب ﴾ عاقبهم فى الدنيا ﴿ وانه لغفور رحيم ﴾

قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا * قوله تعالى ﴿ واذتأذن ربك ﴾ الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن اذن والاذان الاعلام يعنى أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى أقسم ربك ﴿ ليبعثن عليهم ﴾ اللام فى قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذتأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا فى الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كانوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعد هم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذى بعثه الله على اليهود هو بختنصر و سنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة واورد على هذا بان فى آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم ﴿ الى يوم القيامة يسومهم سوء العذاب ﴾ وهذا نص فى أن العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى ﴿ ان ربك لسريع العقاب ﴾ يعنى لمن أقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم فى الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى ﴿ وانه لغفور رحيم ﴾ يعنى لمن آمن منهم

هو المسخ قيل صار الشبان قردة و الشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون و الجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذتأذن ربك) أى أعلم و أجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه ليسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من يوليهم (سوء العذاب). فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) للكفار (وانه لغفور رحيم) للمؤمنين

(واذتأذن ربك) قال لهم ربك (ليبعثن) ليسلطن (عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) من يعذبهم باشد العذاب بالجزية وغيرها وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته (ان ربك لسريع العقاب) لشديد العقاب لمن لا يؤمن به (وانه لغفور) متجاوز (رحيم) لمن آمن به

لمن تاب وآمن ﴿ وقطعناهم فى الارض امما ﴾ وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تمة لادبارهم حتى لايكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان اوحال ﴿ منهم الصالحون ﴾ صفة اوبدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ﴿ ومنهم دون ذلك ﴾ تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ﴾ بالنعم والنقم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ من بعد المذكورين ﴿ خلف ﴾ بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ورثوا الكتاب ﴾

ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام * قوله تعالى ﴿ وقطعناهم فى الارض أمما ﴾ يعنى وفرقنا بنى اسرائيل فى الارض جماعات متفرقة فلاتجد بلدا الاوفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود ﴿ منهم الصالحون ﴾ يعنى من هؤلاء الذين وصفهم الله من بنى اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبرى ولم يذكر غيره وروى البغوى وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ماذكره الطبرى يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بنى اسرائيل * وقوله تعالى ﴿ ومنهم دون ذلك ﴾ يعنى الذين كفروا من بنى اسرائيل وبدلوا وغيروا ﴿ وبلوناهم ﴾ يعنى جميعا الصالح وغيره وهى بلوى اختبار وامتحان ﴿ بالحسنات ﴾ يعنى الخصب والعافية ﴿ والسيئات ﴾ يعنى الجدب والشدة ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يعنى لكى يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال أهل المعانى كل واحدة من الحسنات والسيآت اذا فسرت بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب فى الطاعة وأما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها * قوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ يعنى من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿ خلف ﴾ يعنى خلف سوء يعنى حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر مايقال فى المدح بفتح اللام وفى الذم بسكونها وقد تحرك فى الذم وتسكن فى المدح قال حسان بن ثابت فى المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

فسكن اللام فى قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد فى الذم

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير فى السقاء ويقال للردى من القول خلف وخلف الشئ تغير ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذى يجئ بعد قرن كان قبله ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ يعنى انتقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التوراة

الذين آمنوا منهم بالمدينة اوالذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينيبون (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة

(وقطعناهم) فرقناهم (فى الارض أمما) سبطا سبطا (منهم الصالحون) وهم تسعة أسباط ونصف الذين وراء نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) يعنى دون ذلك القوم سائر المؤمنين من بنى اسرائيل ويقال دون ذلك القوم يعنى كفار بنى اسرائيل (وبلوناهم بالحسنات) اختبرناهم بالخصب والرخاء والنعيم (والسيئات) بالقحط والجدوبة والشدة (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عن معصيتهم وكفرهم (فخلف من بعدهم) فبقى من بعد الصالحين (خلف) خلف سوء وهم اليهود (ورثوا الكتاب) (ياخذون)

ووقفوا على مافيها من الاوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يأخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير فى ورثوا والعرض المتاع أى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الاحكام وعلى تحريف الكلم وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لايؤاخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند الى الاخذ أو الى الجار والمجرور أى لنا (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى الميثاق المذكور فى الكتاب (أن لايقولوا على الله الا الحق) أى أخذ عليهم الميثاق فى كتابهم أن لايقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب

التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على مافيها ﴿ يأخذون عرض هذا الادنى ﴾ حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا فى الحكومة على تحريف الكلم والجملة حال من الواو ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ لايؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون ﴿ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه ﴿ الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ اى فى الكتاب ﴿ أن لايقولوا على الله الا الحق ﴾ عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لايقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة

﴿ يأخذون هذا الادنى ﴾ العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا يأخذون الرشا فى الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشئ التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوارة وعلموا مافيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا فى الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى أخرجه الترمذى وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها فى الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الامانى لان اليهود كانوا يتقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمنى بعينه ❁ قوله عز وجل ﴿ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا أتاهم شئ من الدنيا أخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدى كانت بنو اسرائيل لايستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول سيغفر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول الله عز وجل وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ يعنى ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم العهود والمواثيق فى الكتاب وهو التوراة ﴿ أن لايقولوا على الله الا الحق ﴾ يعنى انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا أمر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود فى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يوجبون على الله من غفران

أخذوا التوراة وكتموا مافيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (يأخذون عرض هذا الادنى) يأخذون على كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته حرام الدنيا من الرشوة وغيرها (ويقولون سيغفر لنا) ما نفعل بالليل من الذنوب يغفر لنا بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر لنا بالليل (وان يأتهم) اليوم (عرض مثله) حرام مثله مثل ما أتاهم أمس (يأخذوه) يستحلوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) الميثاق فى الكتاب (ان لايقولوا على الله الا الحق) الا الصدق

(ودرسوا مافيه)وقرؤامافى الكتاب وهوعطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه (والدارالآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلايعقلون) انه كذلك وبالتاء مدنى وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبوبكروالامساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا

لانضيع أجر المصلحين) انالانضيع أجرهم وجازان يكون مجروراعطفا على للذين يتقون وانالانضيع اعتراض (واذنتقنا الجبل فوقهم) واذكر اذقلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كانه ظلة) هى كل ماأظلك من سقيفة

والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ﴿ ودرسوامافيه ﴾ عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اوعلى ورثوا وهواعتراض ﴿ والدارالاخرة خيرللذين يتقون ﴾ ممايأخذ هؤلاء ﴿ افلايعقلون ﴾ فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الادنى الدنئ المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين ﴿ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة ﴾ عطف على الذين يتقون و قوله افلا يعقلون اعتراض اومبتدأ خبره ﴿ انالانضيع اجرالمصلحين ﴾ على تقدير منهم اووضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابوبكر يمسكون بالتخفيف وافرادالاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات ﴿ واذنتقنا الجبل فوقهم ﴾ اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب ﴿ كأنه ظلة ﴾ سقيفة وهى

ذنوبهم التى لايزالون يعودون فيها ولايتوبون منها ﴿ ودرسوامافيه ﴾ يعنى مافى الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهود والمواثيق فى الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به ﴿ والدار الآخرة ﴾ يعنى وما فى الدار الآخرة مما أعدالله لاوليائه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا فى الاحكام ﴿ خيرللذين يتقون ﴾ يعنى يتقون الله ويخافون عقابه ﴿ أفلايعقلون ﴾ يعنى أفلايعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن مافى الآخرة خيروأبقى لانها دارالمتقين ﴿ والذين يمسكون بالكتاب ﴾ يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية فى الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثانى وهوالقرآن ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ يعنى وداوموا على اقامتها فى مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة فى التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعدالايمان بالله وبرسوله ﴿ انالانضيع أجر المصلحين ﴾ * قوله عزوجل ﴿ واذنتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة ﴾ يعنى واذكر يامحمد اذقلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى اسرائيل كانه ظلة يعنى جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ماعلا الانسان كالسقف ونحوه

(ودرسوا) قرؤا(مافيه) من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويقال قرؤا مافيه من الحلال والحرام ولم يعملوا به (والدار الآخرة) يعنى الجنة (خير) أفضل (للذين يتقون) الكفر والشرك والفواحش والرشوة وتغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة من دار الدنيا (أفلاتعقلون) ان الدنيا فانية والآخرة باقية (والذين يمسكون بالكتاب) يعملون بما فى الكتاب يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويبينون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (وأقاموا الصلاة) أتموا الصلوات الخمس (انالا نضيع) لانبطل (أجرالمصلحين) ثواب المحسنين بالقول والفعل يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه (واذنتقنا الجبل) قلعنا ورفعنا وحبسنا الجبل (فوقهم) فوق رؤسهم (كأنه ظلة) علالى

أوسحاب (وظنوا انه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتينا كم) من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا مافيه) من الاوامر والنواهى ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أى واذكر اذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى

كل ما ظلك ﴿ وظنوا ﴾ وتيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم ﴿ خذوا ﴾ على اضمار القول اى وقلنا خذوا اوقائلين خذوا ﴿ ما آتينا كم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو ﴿ واذكروا مافيه ﴾ بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى ﴿ لعلكم تتقون ﴾ قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ﴿ واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ﴿ واشهدهم على انفسهم الست بربكم ﴾ اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ﴿ قالوا بلى

﴿ وظنوا ﴾ أى وعلموا وأيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ يعنى الجبل ﴿ خذوا ﴾ يعنى وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير فى القرآن وكلام العرب ﴿ ما آتينا كم ﴾ يعنى التوراة ﴿ بقوة ﴾ يعنى بجد واجتهاد ﴿ واذكروا مافيه ﴾ يعنى واعملوا بما فيه من الاحكام ﴿ لعلكم تتقون ﴾ قال أصحاب الاخبار ان بنى اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر * قوله عز وجل ﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ الآية عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار أخرجه مالك فى الموطأ وأبو داود والترمذى وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبرى فى بعض طرق هذا الحديث

(وظنوا) علموا وأيقنوا (أنه واقع بهم) نازل عليهم ان لم يقبلوا الكتاب (خذوا ما آتينا كم) اعملوا بما أعطيناكم (بقوة) بجد ومواظبة النفس (واذكروا مافيه) من الثواب والعقاب ويقال احفظوا مافيه من الامر والنهى ويقال اعملوا بما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) لكى تتقوا السخط والعذاب وتطيعوا الله (واذ) وقد (أخذ ربك) يا محمد يوم الميثاق (من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) يقول ذريتهم من ظهورهم مقدم ومؤخر (وأشهدهم) استنطقهم (على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى

الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا الأربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم يعني من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى أخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء في تفسير هذه الآية مذهبان * أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسانيد فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال ان أول ما أهبط الله آدم الى الارض أهبطه بدهناء أرض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب أرزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال ان الله عزوجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق

(الاول)

الاول على الفطرة وروى الطبرى بسنده عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الراس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادها فى صلبه فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه وقال السدى أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد فى رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى أقرله بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالى وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا فى صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى أن الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيأ فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى فى النملة قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال أوبى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله ألست بربكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذرية ألست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية

شهدنا أن تقولوا يوم القيامة ﴾ أي كراهة أن تقولوا ﴿ انا كنا عن هذا غافلين ﴾

﴿شهدنا﴾ فيه قولان أحدهما أنهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده ❊وقوله سبحانه تعالى ﴿ ان يقولوا ﴾ وقرئ بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا أيها الذرية ﴿ يوم القيامة انا كنا عن هذا ﴾ يعني الميثاق ﴿ غافلين ﴾ وقرئ أن يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا أي الذرية انا كنا عن هذا غافلين ❊ والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا نطفا في أصلاب الآباء وهم أولاد بني آدم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود وأشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا أنه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ أخذ ربك من بني آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يترتب على صاحبه الثواب و العقاب يوم القيامة ❊ فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضا فكيف يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية و الحديث اذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وتحصل

شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه أشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على انفسنا وأقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين)

شهدنا) علمنا وأقررنا بانك ربنا فقال الله للملائكة اشهدوا عليهم وقال لهم ليشهد بعضكم على بعض (ان تقولوا) لكي لا تقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا) الميثاق غافلين لم يؤخذ علينا

لم ننبه عليه بدليل ﴿أوتقولوا﴾ عطف على ان تقولوا *وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة ﴿ انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذرا ﴿ أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث عمر رضى الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر

الفائدة بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذى أخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التى نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة أخذ الميثاق عليهم فى القدم أن من مات منهم صغيرا أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فامامن لايحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيأ ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيأ حتى يؤمن ويصدق عنه بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاؤا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين أو لئلا تقول أخلافهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم أن الحق ما كانوا عليه *فان قلت ان ذلك الميثاق لايذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به *قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب آدم بطل ماركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بارسل واعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق فى الدنيا فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات *قوله عز وجل ﴿ أو يقولوا ﴾ يعنى الذرية ﴿ انما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ يعنى انما أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل ﴿ وكنا ذرية من بعدهم ﴾ يعنى وكنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فى الشرك ﴿ أفتهلكنا ﴾ يعنى أفتعذبنا ﴿ بما فعل المبطلون ﴾ قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم

لم ننبه عليه (أو يقولوا) أو كراهة ان يقولوا (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لاعذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم

(أوتقولوا) لكى لاتقولوا (انما أشرك آباؤنا من قبل) من قبلنا ونقضوا الميثاق والعهد قبلنا (وكنا ذرية) صغارا ضعفاء (من بعدهم) اقتدينا بهم (أفتهلكنا) أفتعذبنا (بما فعل المبطلون) المشركون قبلنا فى نقض العهد

والاستدلال كما قال ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ أى عن التقليد واتباع الباطل ﴿ واتل عليهم ﴾ أى على اليهود ﴿ نبأ الذى آتيناه آياتنا ﴾ هو احد علماء بنى اسرائيل أو امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل

واقتدينا بهم وكنا فى غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لآبائنا لان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى الشرك ✻ قوله عز وجل ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله ﴿ ولعلهم يرجعون ﴾ يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه ✻ قوله عز وجل ﴿ واتل عليهم ﴾ يعنى واقرأ على قومك يا محمد ﴿ نبأ ﴾ يعنى خبر ﴿ الذى آتيناه آياتنا ﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس رضى الله عنهما انه كان من بنى اسرائيل وفى رواية أخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء ✻ وكانت قصته على ماذكره ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ماأعلم وانى ان فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى وكان لا يدعو حتى يؤامر ربه فى المنام فأتى فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى فنهانى أن ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربى فآمر فلم يوح اليه شئ فقال قد آمرت ربى فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم انهاك كما نهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى أذلقها فأذن الله عز وجل لها فى الكلام وأنطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام أتدرى أين تذهب أما ترى الملائكة أمامى يردوننى عن

الشرك وتركه سنة لنا (وكذلك) و مثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى و ذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر و أخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألست بربكم فأجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه اياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق ان يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدنى وبصرى وشامى ان تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو

(وكذلك) هكذا (نفصل الآيات نبين القرآن بخبر الميثاق (ولعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عن الكفر والشرك الى الميثاق الاول (واتل عليهم) اقرأ عليهم يا محمد (نبأ) خبر (الذى آتيناه) أعطيناه (اياتنا) { وجهى }

رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

وجهى هذا ويحك أنذهب الى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعو فلم يدع بشئ الاصرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الاصرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يابلعام أتدرى ماتصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا مالاأملكه هذا شئ قدغلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق لى الا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال ثم قال جاوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل ليبعنها عليهم ومروهن ان لاتمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لاظنك أنك تقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لاتقربها قال والله انى لاأطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عزوجل الطاعون على بنى اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قدأعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ماصنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد أخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بنى اسرائيل فحسب من مات منهم فى ذلك الطاعون فيما بين ان أصاب ذلك الرجل المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قدهلك سبعون ألفا فى ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار وفى بلعام أنزل الله عزوجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال مقاتل ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من أهل دينى ولاأدعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان فضربها فقالت لم تضربنى وانا مأمورة وهذه نار امامى قدمنعتنى ان أمشى فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه أولاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لايدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بنى اسرائيل فى التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى

عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله

الاسم الاعظم

حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله

يارب بأى ذنب وقعت فى التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه فدعاموسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها * فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه فى النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك * قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى مايسطره أهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثانى ان سبب وقوع بنى اسرائيل فى التيه هو عبادتهم العجل أو قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم فى التيه لا دعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله أصحاب الاخبار فى كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه * وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم ان الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ماقتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فازعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة أخيها فقالت بيناهو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه أوعى قال وعى قال أذكى قال أبى قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بى فصرف عنى ثم غشى عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر مرة الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى قلال الجبال أرعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله عليه وسلم أنشدينى من شعر أخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفره قلبه فأنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها اولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريدين قالت ادع الله

﴿ فانسلخ منها ﴾ من الآيات ان كفر بها واعرض عنها ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ حتى لحقه وادركه قرينا له وقيل واستتبعه ﴿ فكان من الغاوين ﴾ فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ﴿ ولو شئنا لرفعناه ﴾ الى منازل الابرار من العلماء ﴿ بها ﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿ ولكنه اخلد الى الارض ﴾ مال الى الدنيا أو الى السفالة ﴿ واتبع هواه ﴾ فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها

أن يجعلنى أجل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا لها فصارت اجل النساء فلما علمت أنه ليس فى نساء بنى اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى أبيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك فادع الله أن يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان أشهر ❊ وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافقى أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقال السدى كان يعلم اسم الله الاعظم وفى رواية أخرى عن ابن عباس انه أوتى كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وأدلة وهى الآيات التى أوتيها ﴿ فانسلخ منها ﴾ يعنى فخرج من الآيات التى كان الله آتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ يعنى لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعا لنفسه فى معصية الله يخالف أمر ربه ويطيع الشيطان وهواه ❊ قوله عز وجل ﴿ فكان من الغاوين ﴾ يعنى من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ يعنى رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التى أوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات ﴿ ولكنه أخلد الى الارض ﴾ يعنى ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضى بها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به فى الدنيا فالدنيا كلها هى الارض ﴿ واتبع هواه ﴾ يعنى انه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع فى هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها وضاعن الآخرة نزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة

فانسلخ منها) فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا ولذاتها

(فانسلخ منها فخرج منها وهو بلعم بن باعوراء أكرمه الله بالاسم الاعظم فدعا به على موسى فأخذ الله منه حفظ ذلك ويقال أمية بن أبى الصلت أكرمه الله تعالى بعلم حسن وكلام حسن ولما لم يؤمن أخذ الله منه ذلك (فأتبعه الشيطان) فغره الشيطان (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين (ولو شئنا لرفعناه بها) بالاسم الاعظم الى السماء فلكناه بها على أهل الدنيا (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى مال الارض (واتبع هواه) هوى الملك ويقال هوى

على الآخرة ونعيمها (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه) أي تزجره وتطرده (يلهث أو تتركه) غير مطرود (يلهث) والمعنى فصفته التي هي مثل

في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث بسواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك أما الكلب فيلهث في الحالين فكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ أو ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح ان طرد أو ترك (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعدما

نفسه بمساوي الامور (فمثله) مثل بلعم ويقال مثل أمية بن أبي الصلت (كمثل الكلب ان تحمل عليه) ان تشد عليه فتطرده (يلهث) يدلع لسانه (أو تتركه) فلا تطرده (يلهث) يدلع لسانه كذلك مثل بلعم وأمية ان وعظ لم يتعظ وان سكت عنه لم يعقل (ذلك) هكذا (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام (منها)

على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبذر كل بلية ﴿ فمثله ﴾ فصفته التي هي مثل في الخسة ﴿ كمثل الكلب ﴾ كصفته في اخس احواله وهو ﴿ ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان عن التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى صلى الله عليه وسلم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا

ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصر بعيوب نفسه * عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي * ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ يقال لهث الكلب يلهث اذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث لان الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها لذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الآخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي ان شددت عليه وأهجته لهث وان تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ

قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز ومافيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أو قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أي ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف ٦٧١ على كذبوا {سورة الاعراف} فدخل في حيز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدي) حمل على اللفظ (ومن يضلل أي ومن يضلله (فاولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل

فاقصص القصص ﴾ القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ﴿ ساء مثلا القوم ﴾ أي مثل القوم * وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها ﴿ وانفسهم كانوا يظلمون ﴾ اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة الاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ خلقنا ﴿ لجهنم كثيرا من الجن والانس ﴾

منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فاقصص القصص ﴾ وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أي اخبار من كفر بآيات الله ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿ وانفسهم كانوا يظلمون ﴾ يعني بتكذيبهم بآياتنا * قوله عز وجل ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدي ﴿ ومن يضلل ﴾ يعني ومن يتول الضلالة ﴿ فاولئك هم الخاسرون ﴾ يعني في الآخرة وفي الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادي المضل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ يعني خلقنا ﴿ لجهنم كثيرا من الجن والانس ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا

والقرآن وهم اليهود (فاقصص القصص) فاقرأ عليهم القرآن لعلهم (يتفكرون) لكي يتفكروا في أمثال القرآن (ساء مثلا) بئس مثلا (القوم الذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن اذا كان مثلهم كمثل الكلب (وانفسهم كانوا يظلمون) يضرون بالعقوبة (من يهد الله) لدينه (فهو المهتدي) لدينه (ومن يضلل) عن دينه (فأولئك هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة (ولقد ذرأنا) خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ اذلايلقونها الى معرفة الحق والنظرون فى دلائله ﴿ ولهم اعين لايبصرون بها ﴾ اى لاينظرون الى ماخلق الله نظر اعتبار ﴿ ولهم آذان لايسمعون بها ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر

من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلاحيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبى من الانصار فقلت يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أوغير ذلك ياعائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محى الدين النووى فى شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لايعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبى وقاص لفظة انى لاراه مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل له باشياء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولايتوجه على المولود التكليف ولايلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم * وفى الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنة فى ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولانزيد على بيان الله عزوجل لان العاقل لايختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عزوجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة أى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ يعنى لايفهمون بها ولايعقلون بها وأصل الفقه فى اللغة الفهم والعلم بالشئ ثم صار علما على اسم العلم فى الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لايتفكرون بها فى آيات الله ولايتدبرونها ولايعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله ﴿ ولهم أعين لايبصرون بها ﴾ يعنى لايبصرون بها طريق الحق والهدى ولاينظرون بها فى آيات الله وأدلة توحيده ﴿ ولهم آذان لايسمعون بها ﴾ يعنى لايسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعانى ان الكفار لهم

مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه فى الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصى عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لايبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لايسمعون بها)

لهم قلوب لايفقهون بها) الحق (ولهم اعين لايبصرون بها) الحق (ولهم آذان لايسمعون بها)

﴿ أولئك كالانعام ﴾ فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو فى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها ﴿ بل هم أضل ﴾ فانها تدرك ما يمكن لها ان يدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ الكاملون فى الغفلة ﴿ ولله الاسماء الحسنى ﴾ لانها دالة على معان هى

قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لايشك فيه ولما وصفهم الله عزوجل بانهم لايفقهون ولا يبصرون ولايسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم فى الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لاينتفعون بها فيما ينفعهم فى أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لايصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * وانى ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لايفقهون بها شيأ من أمر الآخرة ولهم أعين لايبصرون بها الهدى ولهم آذان لايسمعون بها الحق * ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى ﴿ أولئك كالانعام ﴾ يعنى ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية كالانعام وهى البهائم التى لاتفهم ولاتعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون فى هذه الحواس الثلاثة التى هى القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لايعرف ذلك ولايدركه فلافرق بينه وبين الانعام التى لاتدرك شيأ * ثم قال عزوجل ﴿ بل هم أضل ﴾ يعنى بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف مايضرها وماينفعها والكافر لايعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالا من الانعام وقيل ان الانعام مطيعة لله عزوجل والكافر غير مطع لله عزوجل فصارت الانعام أفضل منه * ثم قال الله تعالى ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ يعنى عن ضرب هذه الامثال لهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولله الاسماء الحسنى ﴾ قال مقاتل ان رجلا دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة قال ابن الجوزى هو أبو جهل ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء والحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ماليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء ألفاظ دالة على معان فهى انما تحسن بمعانيها ولامعنى للحسن فى حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثانى افتقار غيره اليه وانه هو المسمى

(بل هم أضل) من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لايعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمى روحانى شهوانى سماوى أرضى فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التى هى احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شئ والباقى بعد كل شئ والقادر على كل شئ والعالم بكل شئ والواحد الذى ليس كمثله شئ ومنها ما تستحسنه الانفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر

(أولئك كالانعام) فى فهم الحق (بل هم اضل) لانهم كفار (أولئك هم الغافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها (ولله الاسماء الحسنى) (قاوخا ٨٥ ن) الصفات العليا العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك

احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات

بالاسماء الحسنى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر * وفى رواية من أحصاها * وفى رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى أحصاها حفظها * وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور قال الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث * قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربى المالكى عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد أى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاها أحضر باله عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله

(والله)

﴿فادعوه بها﴾ فسموه بتلك الاسماء ﴿وذروا الذين يلحدون فى اسمائه﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما (٢) يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه أو لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة أو وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه

والله وتر يحب الوتر والوتر الفرد ومعناه فى وصف الله تعالى أنه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان أكثر الطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال أبو القاسم القشيرى فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان أسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وأيضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى يقتضى اضافة الاسماء الى الله واضافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه أسمائه أيضا * قوله سبحانه وتعالى ﴿فادعوه بها﴾ يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ففيه دليل على ان أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز أن يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخى ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعى معانى الاسماء التى يدعو بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية فى دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم ﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾ معنى الالحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد فى الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع فى أسماء الله تعالى على وجوه أحدها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد الوجه الثانى وهو قول أهل المعانى ان الالحاد فى أسماء الله هو

(فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير اسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد وألحد مال

(فادعوا بها) فاقرؤا بها (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) يقول يجحدون باسمائه وصفاته وان قرأت يلحدون يميلون عن الاقرار باسمائه وصفاته ويقال يلحدون فى اسمائه يشبهون باسمائه اللات والعزى ومناة

(٢) او عاند نسخه

(سيجزون ما كانوا يعملون للجنة لانه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم

أو اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال من امتى طائفة على الحق الى ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عليه السلام أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم﴾ سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة ﴿من حيث لا يعلمون﴾ ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم

تسميته بعالم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد فى الشرع بل ندعو الله بأسمائه التى وردت فى الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب فى الدعاء فلا يجوز أن يقال ياضار يامانع ياخالق القردة على الانفراد بل يقال ياضار يانافع يامعطى ياخالق الخلق الوجه الرابع أن لا يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة * قوله سبحانه وتعالى ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ يعنى فى الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن ألحد فى أسماء الله عز وجل * قوله عز وجل ﴿وممن خلقنا أمة﴾ يعنى جماعة وعصابة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وفى الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدى اليه ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بجرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة فى الدنيا فيزدادون بذلك تماديا فى الغى والضلال ويتدرجون فى الذنوب والمعاصى فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون

(أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فى احكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على ان اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين ان ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال

(سيجزون) فى الآخرة (ما كانوا) بما كانوا (يعملون) ويقولون فى الدنيا من الشر (وممن خلقنا أمة) جماعة (يهدون بالحق) يأمرون بالحق (وبه يعدلون) وبالحق يعملون وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو أبو جهل وأصحابه المستهزئون بنزول العذاب (سنستدرجهم) سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) بنزول العذاب فاهلكهم الله فى يوم واحد كل واحد بهلاك غير (عليه)

فيزدادوا بطرا وانهما كا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب ﴿ وأملي لهم ﴾ وامهلهم عطف على سنستدرجهم ﴿ ان كيدي متين ﴾ ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان ﴿ أولم يتفكروا مابصاحبهم ﴾ يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ من جنة ﴾ من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ﴿ ان هو الا نذير مبين ﴾ موضح انذاره بحيث لايخفى على ناظر ﴿ أولم ينظروا ﴾ نظر استدلال ﴿ في ملكوت

عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك ان أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشئ الى الشئ في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذطواه شيأ بعد شئ ﴿ وأملي لهم ﴾ يعني وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى اني أطيل مدة أعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة ﴿ ان كيدي متين ﴾ يعني ان أخذي شديد والمتين من كل شئ هو القوي الشديد وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أولم يتفكروا مابصاحبهم ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من جنة ﴾ يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يابني فلان يابني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عزوجل أولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر في عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكروا فيعلموا مابصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من جنة يوجب أن لايكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو برئ منه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله عزوجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى ﴿ ان هو ﴾ يعني ماهو ﴿ الا نذير مبين ﴾ ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى ﴿ أولم ينظروا ﴾ يعني نظر اعتبار واستدلال ﴿ في ملكوت

عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين أي أمهلهم (ان كيدي متين) أخذي شديد سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنون نزل (أولم يتفكروا مابصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أي أولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله مابصاحبهم (من جنة) جنون (ان هو الا نذير مبين) منذر من الله موضح انذاره (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت

هلاك صاحبه (وأملي لهم) أمهلهم (ان كيدي متين) عذابي وأخذي شديد (أولم يتفكروا) فيما بينهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن ساحرا ولا كاهنا ولا مجنونا ثم قال الله تعالى (مابصاحبهم) مابنبيهم (من جنة) مامسه من جنون أي جنون (ان هو) ماهو (الا نذير) ورسول مخوف (مبين) يبين لهم بلغة يعلمونها (أولم ينظروا) يعني أهل مكة (في ملكوت

السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وماخلق الله من شئ) و فيما خلق مما يقع عليـه اسم الشئ من أجنـاس لايحصرها العدد (وأن عسى) ان مخففة من الثقيلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشان وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا فى ان الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجاءة الاجل و حلول العقـاب (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كانه قيل لعل أجلهم قد اقترب فمالهم لايبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضـوح الحق وباي حديث أحق منه يريدون ان يؤمنوا به (من يضلل الله فلا هادى له) أى يضلله الله ويذرهم بالياء عراقى وبالجزم حمزة وعلى عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل من يضلل الله لايهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم الباقون بالنون (فى طغيانهم) كفرهم (يعمهون) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يسـألونك عن السـاعة) وهى من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالسـاعة

السموات والارض وماخلـق الله من شئ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه ﴿ وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ﴾ عطف على ملكوت وان مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب ﴿ فبأى حديث بعده ﴾ أى بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فمالهم لايبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ﴾ كالتقرير والتعليل له ﴿ ويذرهم فى طغيانهم ﴾ بالرفع على الاستئناف * وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيـل لايهده احد غيره ويذرهم ﴿ يعمهون ﴾ حال من هم ﴿ يسألونك عن الساعة ﴾ أى عن القيامة وهى من الاسماء

السموات والارض وماخلق الله من شئ ﴾ والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحـانه وتعـالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحـانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

﴿ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾ والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم ﴿ فبأى حديث بعده ﴾ يعنى بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحى بعد محمد صلى الله عليه وسلم * ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمـان فقـال سبحانه وتعـالى ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ﴾ يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم فلو هداهم لآمنوا ﴿ ويذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ يعنى ويتركهم فى ضلالتهم وتماديهم فى الكفر يترددون متحيرين لايهتدون سبيلا * قوله عز وجل ﴿ يسئلونك عن الساعة

السموات) من الشمس والقمر والنجوم والسحاب (والارض) وفى ملكوت الارض وما فى الارض من الشجر والجبال والبحار والدواب (وماخلـق الله من شئ) وفيما خلق الله من سائر الاشياء (وان عسى) وعسى من الله واجب (أن يكون قد اقترب أجلهم) دنا هلاكهم (فبأى حديث بعده) فبأى كتاب بعـد كتاب الله (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا الكتاب (من يضلل الله) عن دينه (فلا هادى له) فلا مرشد له الى دينه (ويذرهم) يتركهم (فى طغيانهم) فى كفرهم وضلالهم (يعمهون) يمضون عمهة لايبصرن (يسئلونك) يامحمد اهل مكة (عن الساعة) عن

(أيان)

اووقوعها بغتة أولسرعة حسابها أولانها عندالله على طولها كساعة

الغالبة واطلاقها عليها امالوقوعها بغتة أولسرعة حسابها لانها على طولها عندالله كساعة ﴿ أيان مرساها ﴾ متى ارساؤها أى اثباتها واستقرارها ورسوالشئ ثباته واستقراره ومنه رساالجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت اليه لان البعض آوالى الكل ﴿ قل انما علمها عندربى ﴾ استأثربه لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ﴿ لايجليها لوقتها ﴾ لايظهر امرها فى وقتها ﴿ الاهو ﴾ والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ﴿ ثقلت فى السموات والارض ﴾ عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها ﴿ لاتأتيكم الا بغتة ﴾

أيان مرساها ﴾ قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن أبى قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى الساعة فانزل الله عزوجل يسئلونك عن الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبغتة أولان حساب الخلائق يقتضى فيها فى ساعة واحدة أيان سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى منتهاها أى متى وقوعها قال والساعة الوقت الذى تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت ﴿ قل ﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿ انما علمها عندربى ﴾ أى لايعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه أحدا ومن حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم قال فاخبرنى عن الساعة قال ماالمسؤل عنها باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذالم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية ﴿ لايجليها لوقتها الاهو ﴾ قال مجاهد لايأتى بها الاهو وقال السدى لايرسلها لوقتها الاهو والتجلية اظهار الشئ بعد خفائه والمعنى لايظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ﴿ ثقلت فى السموات والارض ﴾ يعنى ثقل أمرها وخفى علمها على أهل السموات والارض فكل شئ خفى فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذاجاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب ﴿ لاتأتيكم الابغتة ﴾ يعنى فجأة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة وقدنشر الرجلان ثوبهما بينهما فلايتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقدانصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلايسقى فيه ولتقومن الساعة وقدرفع أكلته الى فيه فلايطعمها * اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله

من الساعات عند الخلق (أيان) متى واشتقاقه من أى فعلان منه لان معناه أى وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أووقت ارسائها أى اثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قل انما علمها عندربى) أى علم وقت ارسائها عنده قداستأثربه لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لايجليها لوقتها الاهو) لايظهر أمرها ولايكشف خفاء علمها الاهو وحده (ثقلت فى السموات والارض) أى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شان الساعة وتمنى أن يتجلى له علمها ويشق عليه خفاؤها وثقل عليه أوثقلت فيها لان أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لاتأتيكم الابغتة)

قيام الساعة وحينها (أيان مرساها) متى قيامها وحينها (قل انما علمها) علم قيامها وحينها (عندربى) من ربى (لايجليها لوقتها) لايبين وقتها وحينها (الاهو ثقلت فى السموات والارض) ثقل علم قيامها وحينها على أهل السموات والارض (لاتأتيكم الابغتة) فجأة.

الا فجاءة عن غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ﴿ يسئلونك كأنك حفي عنها ﴾ عالم بها فعيل من حفي عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه أي تكثره لانه من الغيب الذي استأثره الله بعلمه ﴿ قل انما علمها عند الله ﴾ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه ﴿ قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ﴾

يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه أو يلوطه اذا طينه وأصله من اللصوق والا كلة بضم الهمزة اللقمة * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ يسئلونك كانك حفي عنها ﴾ يعني يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسئلونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل ناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها ﴿ قل ﴾ يعني قل يا محمد ﴿ انما علمها عند الله ﴾ يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل * فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار * قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار * فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين * قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن أحوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه أعظم الاسماء ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله أخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق * قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ﴾ قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه

فجأة على غفلة منكم (يسئلونك كانك حفي عنها) كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أو عنها متعلق بيسئلونك أي يسئلونك عنها كانك حفي أي عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا

(يسئلونك) يا محمد عن قيام الساعة (كأنك حفي عنها) عالم بها ويقال جاهل بها ويقال غافل عنها (قل) يا محمد صلى الله عليه وسلم (انما علمها) علم قيامها وحينها (عند الله) من الله (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) أو لا يصدقون ذلك (قل) يا محمد لاهل مكة (لا أملك لنفسي نفعا) جر النفع (ولا ضرا)

(الا ماشاء الله) وهو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع
ضرر كالمماليك الا ماشاء مالكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء) أي
لكانت حالي على خلاف ماهي عليه من واجتناب السوء والمضار
حتى لا يمسني شئ منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب والسوء الفقر وقد ورد (ان أنا الا نذير وبشير) ان أنا الا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا ومامن شاني ان أعلم الغيب واللام في (لقوم يؤمنون) يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون

جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب ﴿ الا ماشاء الله ﴾ من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ﴿ ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ﴾ ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ماهي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ﴿ ان أنا الا نذير وبشير ﴾ ما أنا الا عبد مرسل للانذار والبشارة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ فانهم المنتفعون بهما ويجوزان يكون متعلقا

فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي يريد ان تجدب فترحل عنها الى ماقد أخصبت فانزل الله عزوجل قل لا أملك أي قل يا محمد لا أملك ولا أقدر لنفسي نفعا أي اجتلاب نفع بان أربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا أقدر ان أدفع عن نفسي ضرا انزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة وأترك الجدبة ﴿ الا ماشاء الله ﴾ يعني ان أملكه واقدر عليه ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال ﴿ ومامسني السوء ﴾ يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لا أدعي علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب * فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عزوجل على الغيب فلما أطلعه الله عزوجل أخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول اويكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله ومامسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى أصير بحيث لا يمسني السوء قيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا ومامسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة ﴿ ان أنا الا نذير ﴾ يعني ما أنا الا رسول أرسلني الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا ﴿ وبشير ﴾ يعني وأبشر بثوابه ﴿ لقوم يؤمنون ﴾

دفع الضر (الا ماشاء الله) ان يفعل بي من الضر والنفع (ولو كنت أعلم الغيب) النفع والضر (لاستكثرت من الخير) من النفع (ومامسني السوء) الضر ويقال ولو كنت أعلم متى ينزل العذاب عليكم لاستكثرت من الخير شكرا لذلك ومامسني السوء ما اصابني الغم والحزن لقبلكم ويقال ولو كنت أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت (قا و خا ٨٦ ني) من الخير من العمل الصالح ومامسني السوء ما أصابني الشده ويقال ولو كنت أعلم الغيب متى القحط والجدوبة وغلاء السعر لاستكثرت من الخير من النعيم ومامسني السوء ما أصابني الشدة (او أنا) ما أنا (الا نذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) بالجنة

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (ليسكن اليها) ليطمئن ويميل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كان بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعدما أنث فى قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه حملهن بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق او حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما

والنار (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) من نفس آدم وحدها (وجعل منها زوجها) خلق من نفس آدم زوجته حواء (ليسكن اليها) ﴿ فيسميه ﴾ معها فلما تغشاها أتاها (حملت حملا خفيفا) هينا (فمرت به) قامت وقعدت تألما (فلما أثقلت) ثقل الولد فى بطنها ظنا بوسوسة ابليس انه بهيمة من البهائم (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) آدميا سويا (لنكونن) لنصيرن (من الشاكرين) لذلك

بالبشير ومتعلق النذير محذوف ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ هو آدم ﴿ وجعل منها ﴾ من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ﴿ زوجها ﴾ حواء ﴿ ليسكن اليها ﴾ ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب ﴿ فلما تغشاها ﴾ اى جامعها ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة ﴿ فمرت به ﴾ فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به ﴿ فلما أثقلت ﴾ صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها ﴿ دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ﴾ ولدا سويا قد صلح بدنه ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ لك على هذه النعمة المجددة

يعنى يصدقون * قوله عز وجل ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعنى آدم عليه السلام ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ يعنى وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم فى أول سورة النساء ﴿ ليسكن اليها ﴾ يعنى ليأنس بها ويأوى ﴿ فلما تغشاها ﴾ يعنى واقعها وجامعها كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ يعنى النطفة والمنى لان أول ما تحمل النطفة وهى خفيفة عليها ﴿ فمرت به ﴾ يعنى انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها ﴿ فلما أثقلت ﴾ أى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ يعنى ان آدم وحواء دعوا الله ربهما ﴿ لئن آتيتنا صالحا ﴾ يعنى لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ يعنى لك على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض ألقيت الشهوة فى نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد أتاها ابليس فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما أدرى قال انى أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا أترين فى الارض الا بهيمة أو نحوها قالت انى أخاف بعض ذلك قال وما يدريك من أين يخرج امن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا فى غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت حواء تلد لآدم

فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبدالعزى وعبدمناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

فيسميه عبدالله وعبيدالله وعبدالرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبدالحرث فولدت فسمياه عبدالحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبدالحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس رضى الله عنهما لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبدالحرث وكان اسمه فى السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فاخرجتنى من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعنى والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبدالحرث فلم يزل به حتى سماه عبدالحرث فذلك قوله تعالى ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة أشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبدالحرث فهو قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبدالحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولا أن الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبدالحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر

* وانى لعبد الضيف مادام ثاويا * أخبر عن نفسه أنه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزيز مصر انه ربى أحسن مثواى أراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيآت المقربين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا

(فلما آتاهما صالحا) أعطاهما ماطلباه من الولد الصالح السوى (جعلا له شركاء) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أى آتى

(فلما آتاهما صالحا) آدميا سويا (جعلا له شركاء) جعلا له ابليس شريكا (فيما آتاهما) فى تسمية ما آتاهما من الولد سمياه عبدالله وعبدالحرث

ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون ﴾ يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء أتاها ابليس في صورة رجل فقال لها مايدريك ما في بطنك لعله بهيمة اوكلب ومايدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمامنه ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبدالحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبدالحارث وامثال ذلك لاتليق بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبدمناف وعبدشمس وعبدقصي وعبدالدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابوبكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره اوذوي شرك وهم الشركاء

فقدتم الكلام عند قوله فيما آتاهما * ثم ابتدأ في الخبر عن الكفار بقوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض أهل المعاني ولو أراد به ماسبق في معنى الآية فيستقيم أيضا من حيث انه كان الاولى بهما أن لايفعلا ما أتيا به من الاشراك في التسمية فكان الاولى أن يسمياه عبدالله لاعبدالحرث وفي معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به عن اليهود الذين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها أي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الأن القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ أيشركون ﴾ قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة ﴿ مالايخلق شيأ ﴾ يعني ابليس والاصنام ﴿ وهم يخلقون ﴾ أي وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الواحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتملة للجمع بحسب المعنى فوحد قوله مالايخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قول وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لايعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدو الاصنام أنها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على مايعتقدونه

أولادهما دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في أيشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركا مدني وأبو بكر أي ذوي شرك وهم الشركاء (أيشركون مالا يخلق شيأ) يعني الاصنام (وهم يخلقون) أجريت الاصنام مجرى أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شئ وهم يخلقون لان الله خالقهم أو الضمير في وهم يخلقون للعابدين أي أيشركون مالا يخلق شيأ وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين

(فتعالى الله) تبرأ الله (عما يشركون) به من الاصنام (أيشركون) بالله (مالا يخلق شيأ) ولا يحيي (وهم) يعني الآلهة (يخلقون) ينحتون أي مخلوقة (ويتصورونه)

والمعبودين وجمعهم كاولى العلم تغليبا للعابدين (ولايستطيعون لهم) لعبدتهم (نصراولاأنفسهم ينصرون)فيدفعون عنها مايعتريهامن الحوادث كالكسروغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ماهو هدى ورشاد والى أن يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخيروالهدى (لايتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لايتبعوكم نافع (سواءعليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) عن دعائهم فى أنه لافلاح معهم ولايجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباداأمثالكم)أى مخلوقون مملوكون أمثالكم

وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم اياها آلهة ﴿ ولايستطيعون لهم نصرا ﴾ اى لعبدتهم ﴿ ولاانفسهم ينصرون ﴾ فيدفعون عنها مايعتريها ﴿ وان تدعوهم ﴾ اى المشركين ﴿ الى الهدى ﴾ الى الاسلام ﴿ لايتبعوكم ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله ﴿ سواء عليكم ادعوتموهم امانتم صامتون ﴾ وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات اولانهم ماكانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿ عباداأمثالكم ﴾

ويتصورونه ❁ وقوله تعالى ﴿ ولايستطعون لهم نصرا ﴾ يعنى ان الاصنام لاتقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولاتضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذى تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضروهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ❁ ثم قال تعالى ﴿ ولاانفسهم ينصرون ﴾ يعنى ولايقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لاتقدر على دفعه عنها ❁ ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى ﴿ وان تدعوهم الى الهدى ﴾ يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى ﴿ لايتبعوكم ﴾ لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلايقبلون الهداية ﴿ سواء عليكم أدعوتموهم ﴾ الى الدين والهدية ﴿ أم أنتم صامتون ﴾ أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالين لايؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين هذه أنه لاعلم بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لاتضرولاتنفع ولاتسمع لمن دعاها الى خيروهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام أوسكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله عباداأمثالكم ﴾ يعنى ان الاصنام التى يعبدها هؤلاء المشركون انما هى مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ماأنتم مسخرون مذللون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباد أمثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أنه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب

منحوتة (ولايستطيعون لهم نصرا) نفعا ولامنعا (ولاأنفسهم) يعنى الآلهة (ينصرون) لايمنعون ممايراد بهم (وان تدعوهم) يامحمد يعنى الكفار (الى الهدى) الى التوحيد (لايتبعوكم) لايجيبوكم (سواءعليكم أدعوتموهم) الى التوحيد (أم أنتم صامتون) ساكتون فانهم لايجيبونكم بالتوحيد يعنى الكفار ويقال وان تدعوهم يامعشر الكفار الاصنام الى الهدى الى الحق لايتبعوكم لايجيبوكم سواءعليكم أدعوتموهم يعنى الاصنام أم أنتم صامتون ساكتون لايجيبونكم ولايسمعون دعاءكم لانهم أموات غير أحياء (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) من الاصنام (عباداأمثالكم) مخلوقون امثالكم

(فادعوهم) لجلب نفع أودفع ضر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) في انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) مشيكم (أم لهم أيد يبطشون بها) يتناولون بها (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) أي فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل (فلا تنظرون) فاني لا أبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان وليي) ناصري عليكم (الله الذي نزل الكتاب) أوحى الي وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من

(فادعوهم) يعني الآلهة (فليستجيبوا لكم) فليسمعوا دعاءكم وليجيبوكم (ان كنتم صادقين) انهم ينفعونكم (ألهم ارجل يمشون بها) الى الخير (ام لهم أيد يبطشون بها) يأخذون بها ويعطون (أم لهم أعين يبصرون بها) عبادتكم (أم لهم آذان يسمعون بها) دعوتكم (قل) يا محمد لمشركي أهل مكة (ادعو شركاؤكم) استعينوا بآلهتكم (ثم كيدون) اعملوا انتم وهم في هلاكي (فلا تنظرون) فلا تؤجلون (فلا)
(ان وليي الله) حافظي وناصري الله (الذي نزل بالكتاب) نزل جبرائيل على الكتاب (وهو يتولى) يحفظ (الصالحين

من حيث انها مملوكة مسخرة ﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ﴿ ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها ﴾ وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ ثم كيدون ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم ﴿ فلا تنظرون ﴾ فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ﴿ ان وليي الله الذي نزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ اي ومن عادته

ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال عز وجل ﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ في كونها آلهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الأصنام التي تعبدونها أحياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا * ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ﴾ يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان في جميع اموره والاصنام ليس بها من هذه الاعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجز عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها ألبتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام آلهة * ثم قال تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ﴿ ثم كيدون ﴾ يعني أنتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون ﴿ فلا تنظرون ﴾ أي لا تمهلون واعجلوا في كيدي أنتم وشركاؤكم ﴿ ان وليي الله ﴾ يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله ﴿ الذي نزل الكتاب ﴾ يعني القرآن والمعنى كما أيدني بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظي وينصرني ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ يعني يتولاهم بنصره وحفظه

عباده ولايخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئى (خذ العفو) هو ضد الجهد أى ماعفالك من أخلاق الناس وأفعالهم ولاتطلب منهم الجهد ومايشق عليهم حتى لاينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولاتعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال أوهو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (واعرض عن الجاهلين) ولاتكافئ

تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه ﴿ والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاانفسهم ينصرون ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون ﴾ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه ﴿ خذ العفو ﴾ اى خذ ماعفالك من افعال الناس وتسهل ولاتطلب مايشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل ومايسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة ﴿ وأمر بالعرف ﴾ المعروف المستحسن من الافعال ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾

فلاتضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لايعدلون بالله شيأ ولايعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلايضره شئ ✲ قوله عز وجل ﴿ والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة فى تكريرها ان الآية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلاتكون معبودة ✲ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون ﴾ قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لايسمعوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لايبصرون يعنى ببصائر قلوبهم وذهب أكثر المفسرين الى أن هذه الآية أيضا واردة فى صفات الاصنام لانها جماد لاتضر ولاتنفع ولاتسمع ولاتبصر ✲ قوله تعالى ﴿ خذ العفو ﴾ العفو هنا الفضل وماجاء بلاكلفة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولاتستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التساهل فى كل شئ ﴿ خ ﴾ عن عبد الله بن الزبير قال مانزلت خذ العفو وأمر بالعرف الا فى اخلاق الناس وفى رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا فى جامع الاصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ماعفالك من أموالهم فما أتوك به من شئ فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وماانتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ماعفا من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعنى وأمر بكل ماأمرك الله به وهو كل ماعرفته بالوحى من الله عز وجل وكل مايعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾

والذين تدعون) تعبدون (من دونه) من دون الله من الاوثان (لايستطيعون نصركم) نفعكم ولامنعكم (ولا أنفسهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم (وان تدعوهم الى الهدى) الى الحق (لايسمعوا) ولايجيبوا لانهم أموات غير أحياء (وتراهم) يا محمد يعنى الاصنام (ينظرون اليك) كأنهم ينظرون اليك مفتحة أعينهم (وهم لاينصرون) لانهم اموات غير أحياء (خذ العفو) خذ مافضل من الكل والعيال وهذا منسوخ ويقال خذ العفو وأعف عمن ظلمك وأعط من حرمك وصل من قطعك (وأمر بالعرف) بالمعروف والاحسان (وأعرض عن الجاهلين) عن أبى جهل وأصحابه المستهزئين ثم نسخ

ولاتمارهم ولاتكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ماامرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق مايسوقه ﴿ فاستعذ بالله انه سميع ﴾ يسمع استعاذتك ﴿ عليم ﴾ يعلم مافيه صلاح امرك فيحملك عليه اوسميع

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قل رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ماهذا قال لاأدرى حتى أسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بغير سند وقال جعفر الصادق أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولامتفحشا ولاسخابا فى الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال * قوله عزوجل ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فأنزل الله عزوجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه فى القلب وقيل النزغ الانزعاج وأكثر مايكون عند الغضب وأصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة أو نخسة ﴿ فاستعذ بالله ﴾ يعنى فاستجر بالله والجأ اليه فى دفعه عنك ﴿ انه سميع ﴾ يعنى لدعائك ﴿ عليم ﴾ بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حمل الانسان على مالا ينبغى فى حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجاء اليه والتعوذ فى تلك الحالة فهى تجرى مجرى العلاج لذلك المرض فقالوا لو كان النبى معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج الى

فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية

فقالوا لو كان النبى معصوم مالم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج الى استعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل فى قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له ألبتة فهو كقوله لئن أشركت وهو برىء من الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عزوجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال

السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك واعط من حرمك واعطف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس أى بان يحملك بوسوسته على خلاف ماأمرت به (فاستعذ بالله) ولاتطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه ان لى شيطانا يعترينى (انه سميع) لنزعه (عليم) بدفعه

الاعراض (واما ينزغنك) يصيبنك (من الشيطان نزغ) وسوسة وريب (فاستعذ بالله) فامتنع بالله من وسوسته (انه سميع) باستعاذتك (عليم) بوسوسته

باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ﴿ أن الذين اتقوا اذامسهم طائف من الشيطان ﴾ لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره ﴿ تذكروا ﴾ ما امر الله به ونهى عنه ﴿ فاذاهم مبصرون ﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لماقبلها وكذا قوله ﴿ وأخوانهم يمدونهم ﴾ أى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين ﴿ فى الغى ﴾ بالتزيين والحمل عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الاوقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يارسول الله قال واياى الا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير قال الشيخ محيى الدين النووى ويروى فأسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال معناه فأسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لايأمرنى الا بخير قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يأمرنى الا بخير قال القاضى عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه وفى هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا لنحترز عنه بحسب الامكان والله أعلم * الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * قوله سبحانه وتعالى ﴿ أن الذين اتقوا اذامسهم طائف ﴾ وقرى طيف ﴿ من الشيطان ﴾ وهما لغتان ومعناه الشئ يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف مايطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر فى الآية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور فى هذه الآية لان حالة الشيطان مع الأنبياء أضعف من حاله مع غيرهم ﴿ تذكروا ﴾ يعنى عرفوا ماحصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه ﴿ فاذاهم مبصرون ﴾ يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكر وقال السدى اذازلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عزوجل ﴿ وأخوانهم ﴾ يعنى واخوان الشياطين من المشركين ﴿ يمدونهم ﴾ أى يمدهم الشياطين ﴿ فى الغى ﴾ قال الكلبى لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أى

(ان الذين اتقوا اذامسهم طائف من الشيطان) طيف مكى وبصرى وعلى أى لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبى عمرو هما واحد وهى الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفروا منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (واخوانهم) واما اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يمدونهم فى الغى) أى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم ويمدونهم

(ان الذين اتقوا) وسوسة الشيطان (اذامسهم) اذا أصابهم (طائف) ريب ووسوسة (من الشيطان تذكروا) عرفوا (فاذاهم مبصرون) منتهون عن المعصية (واخوانهم) اخوان المشركين يعنى الشياطين (يمدونهم) يجرونهم ويوسوسونهم (فى الغى) فى الكفر والضلالة والمعصية

ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير فى اخوانهم والشياطين مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترتها أى اختلقتها كما اختلقت ما قبلها (قل انما أتبع مايوحى الى من ربى) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)

وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ﴿ ثم لايقصرون ﴾ ثم لايمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان أى لايقصرون عن الغى ولايتقون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ من القرآن اوبما اقترحوه ﴿ قالوا لولا اجتبيتها ﴾ هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ماتقرؤه اوهلا طلبتها من الله ﴿ قل انما اتبع مايوحى الى من ربى ﴾ لست بمختلق للآيات أولست بمقترح لها ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ سبق تفسيره ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم فى الضلالة ﴿ ثم لايقصرون ﴾ يعنى لايكفون عن الضلالة ولايتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر فى ضلالته لايتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الانس لايقصرون عما يعملون من السيآت ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا * قوله عز وجل ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ يعنى واذا لم تأت المشركين يامحمد بآية ومعجزة باهرة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال المشركون ﴿ لولا اجتبيتها ﴾ يعنى افتعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتلعته وقال الكلبى كان أهل مكة يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا فاذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعنى هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك ﴿ قل ﴾ أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوا الآيات ﴿ انما أتبع مايوحى الى من ربى ﴾ يعنى القرآن الذى أنزل على وليس لى أن اقترح الآيات والمعجزات ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ يعنى هذا القرآن حجج وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشئ حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب ﴿ وهدى ﴾ يعنى وهو هدى ﴿ ورحمة ﴾ يعنى وهو رحمة من الله ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ وهنا لطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون فى درجات العلوم فنهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم وأصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق الاولين وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة * قوله عز وجل ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

(ثم لايقصرون) لاينتهون عن ذلك (واذا لم تأتهم) يعنى أهل مكة (بآية) كما طلبوا (قالوا لولا اجتبيتها) هلا تكلفتها من الله ويقال تخلقتها من تلقاء نفسك (قل) يامحمد لهم (انما اتبع مايوحى الى من ربى) اعمل واقول بما ينزل على من ربى (هذا) يعنى القرآن (بصائر) بيان (من ربكم) بالامر والنهى (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن (واذا قرئ القرآن) فى الصلاة المكتوبة (فاستمعوا له) الى قراءته (وأنصتوا) لقراءته

عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه
بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها
المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعنى أصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه
وأنصتوا يعنى عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت
بمعنى واحد واختلف العلماء فى الحال التى أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن
والانصات له اذا قرأ لان قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء فى ذلك أقوال * القول الاول وهو قول
الحسن وأهل الظاهر ان تجرى هذه الآية على العموم ففى أى وقت وأى موضع قرئ
القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت * القول الثانى انها نزلت فى تحريم
الكلام فى الصلاة روى عن أبى هريرة انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة بحوائجهم
فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض
فى الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا * القول الثالث انها نزلت فى ترك الجهر بالقراءة خلف الامام
روى عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما آن
لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما أمركم الله وقال الكلبى كانوا
يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار * القول الرابع انها نزلت فى
السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات
للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت فى اثنين عند الرجل يقرأ القرآن وعند
الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة
انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما
روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك أنصت
والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجاه فى الصحيحين واختلف العلماء فى القراءة
خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك
عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعى واليه ذهب الشافعى وذهب
قوم الى انه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى
ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهرى
ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر
يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأى حجة من لا يرى القراءة خلف الامام
ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ فى السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على
الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا
مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين
دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام فى صلاة السرية

لعلكم ترحمون ﴾ نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة الفقهاء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى عند ﴿ تضرعا وخيفة ﴾ متضرعا وخائفا ﴿ ودون الجهر من القول ﴾ ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل

والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ماروى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلنا يارسول الله أي والله قال لا تفعلوا الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأ سرا في نفسك والفائدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس أقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل ﴿ تضرعا ﴾ يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره ﴿ وخيفة ودون الجهر من القول ﴾ يعني وخوفا والمعنى تضرع الى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله سبحانه وتعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى ايمانه والمستحب ان يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب ان يغلب

(لعلكم ترحمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذكر ربك في نفسك) هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر

(لعلكم ترحمون) لكي ترحموا فلا تعذبوا (واذكر ربك في نفسك) اقرأ انت يا محمد وحدك ان كنت اماما (تضرعا) مستكينا (وخيفة) خوفا (ودون الجهر من القول) دون الرفع من القراءة

في الخشوع والاخلاص ﴿ بالغدو والآصال ﴾ باوقات الغدو والعشيات * وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل وهو مطابق للغدو ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ عن ذكر الله ﴿ ان الذين عند ربك ﴾ يعني ملائكة الملأ الاعلى ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ﴾ وينزهونه ﴿ وله يسجدون ﴾ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون

رجاءه على خوفه * عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي * قوله سبحانه وتعالى ﴿ بالغدو ﴾ جمع غدوة ﴿ والآصال ﴾ جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد أن يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة أو ذكر * قوله عز وجل ﴿ أن الذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة المقربين لما أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل ﴿ ويسبحونه ﴾ يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا ﴿ وله يسجدون ﴾ لا لغيره * فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف أفردهما بالذكر * قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم (ق) عن عبد الله بن عمر رضي عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان

(بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل وهو العشي (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ويسبحونه) وينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) ويختصونه

والصمت (بالغدو والآصال) بكرة وعشية في الصلاة أي صلاة الغدو وصلاة المغرب والعشاء (ولا تكن من الغافلين) عن القراءة في الصلاة اذا كنت اماما أو وحدك (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته) عن طاعته والاقرار له بالعبودية (ويسبحونه) يطيعونه (وله يسجدون) يصلون

به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته * وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول ياويلة امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم

يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله أعلم بمراده واسرار كتابه

والله أعلم بالصواب

تم بحمد الله تعالى الجلد الثاني ويليه انشاء الله تعالى

الجلد الثالث اوله سورة الانفال

الحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وخفيا وجهرا على اتمام طبع « الجلد الثاني » لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية في تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مع رفيق المصحح في دار الطباعة العثمانية اعني الحاج طاهر افندي القنوي المدرس بجامع سلطان بايزيد ولي فرحم الله امرأ نظر اليه بعين الانصاف فسامح ووقف في التصحيح على خطأ فأصلح واعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبغى واستغفره جل اسمه من قلم زل وسهى او حرف شيأ عن موضعه وطغى وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

وانا الفقير المصحح
في دار الطباعة العامرة
احمد رفعت بن
عثمان حلمي

٤٤
٤